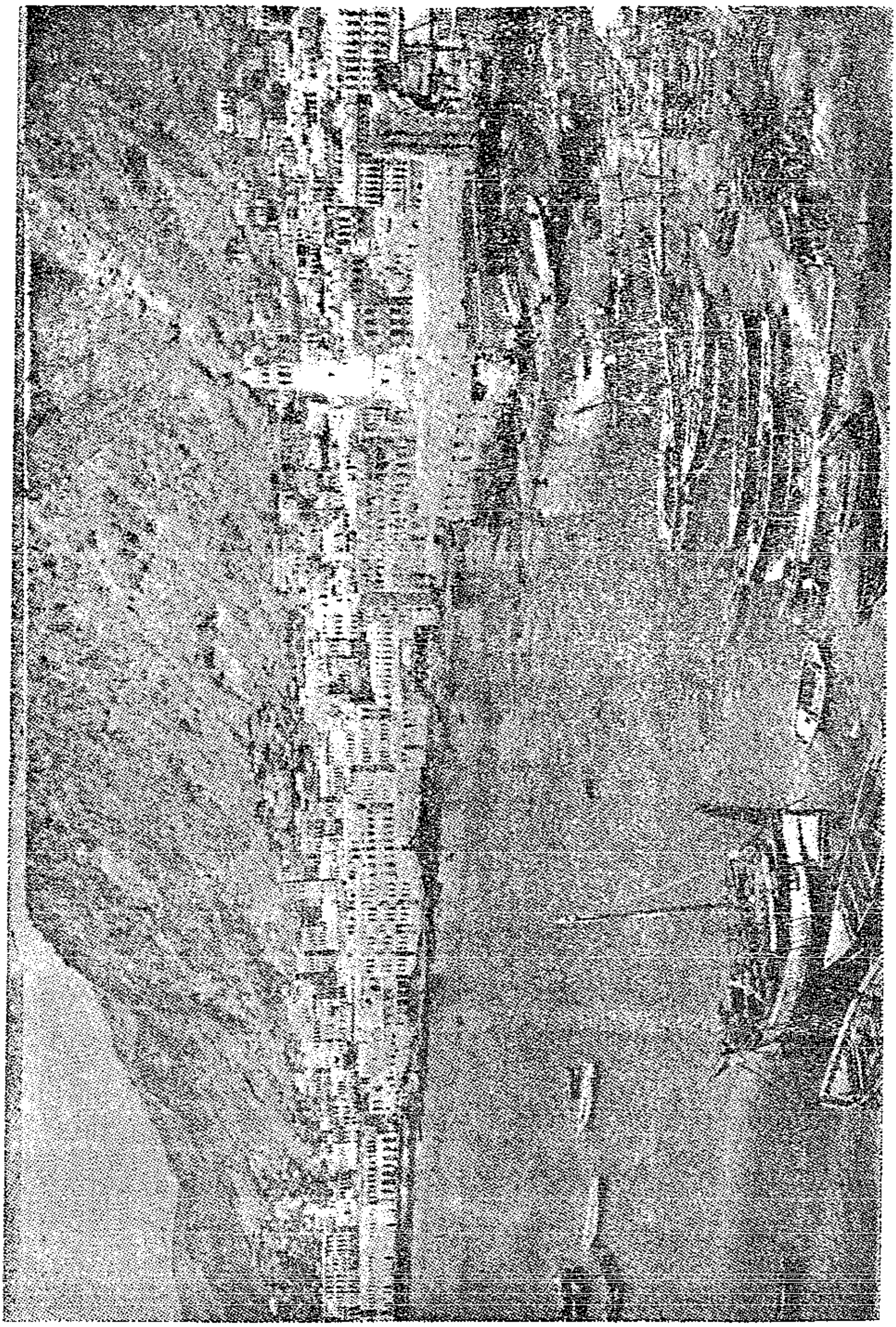
تاريخ حضرموت السياسي

مزين بالخرائط والصور والرسوم الفنية

تأليف
صلاح البكري

الجزء الثاني

الناشر
مكتبة الصنعاني



مدينة المكلا كما هي الآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الخلاف بين القعيطي والكسادي

كان أمير المكلا صلاح بن محمد الكسادي اليافعي يقوم في بادئ بدء بمساعدة السلطان عوض بن عمر القعيطي اليافعي في حروبه ضد آل كثير بما يقدمه له من رجاله على حسابه الخاص ، ولكنه كان جواداً يدفع مرتبات جنوده في المكلا و بروم بسخاء و يبذل من ماله لإصلاح شئون الأهلين ما يتجاوز المقدور حتى أمسى الخارج أكثر من الداخل ، ومما راد الطين بلة ، والخرق اتساعا ، تناقص حاصل الجمرك في المكلا حتى ارتبكت أحوال الأمير ، واضطربت شئونه المالية ، ولما جهز السلطان عوض بن عمر القعيطي للحرب ضد آل كثير في سيون أراد أن يجهز رجاله ويضمهم في صف جنود القعيطي ولكنه عاجز عن القيام بتكاليف التجهيز ، لذلك اقترض من السلطان عوض مائة ألف ريال على أن تبقى في ذمته يدفعها إليه متى استطاع إلى ذلك سبيلا .

زحف القعيطي والكسادي بجنودهما شطر سيون ، فالتقى بهم آل كثير والعوامر وآل باجرى في الغبيضات ، فانكسر يافع وعادوا إلى شبام ، ثم حدث بين السلطان القعيطي والأمير الكسادي خلاف ، فأخذ السلطان جنوده وعاد بهم إلى الشحر ، ثم عاد الأمير بجيشه إلى المكلا ، وأراد الأمير الكسادي أن يمدّ نفوذه في شمال حضرموت و يوسع نطاق حكمه ، فأرسل جيشاً تحت قيادة النقيب محجم إلى دوعن ، واحتلّ قرى كثيرة ، ولما توفي الأمير صلاح بن محمد الكسادي ، وتولى إمارة المكلا ابنه عمر بن صلاح نهض السلطان عوض يطالبه بمائة الألف ، ولما ظهر له عجز الأمير عن الدفع أخذ يعدّ معداته للهجوم على المكلا والاستيلاء عليها ، وعلم الأمير عمر بذلك ، فاستقدم

جنوده الذين فى دوعن ليحصن بهم المكلا و يدافع عن إمارته ، ولـكن دهاء السلطان عوض بن عمر القعيطى كان عظيما ، فقد بعث ١٥٠ رجلا وعلى رأسهم الأمير عمر عوض القعيطى إلى المكلا بصورة ضيوف ، ولما اقترب هؤلاء من المكلا أرسلوا إلى الأمير الـكسادى يطلبون إليه السماح لهم بدخول المكلا للتفاهم معه فى المشاكل المختلف عليها ، ولـكنهم لم ينتظروا الرسول فقد داهموا المكلا ، فبهت الأمير الـكسادى لجرأتهم ولـكنه تجلد وكتم غيظه ، وتظاهر لهم بالبشاشة والاستعداد للتفاهم معهم بالتى هى أحسن ولـكن الأمير عوض ورجاله أخذوا يطالبونه بالمبلغ و يرسلون إليه إنذاراتهم وتهديداتهم الأمر الذى جعل الأمير الـكسادى يجمع كبار رجاله و يستشيرهم فى الأمر ، فبعثوا إلى آل كثير يطلبون منهم المدد لإخراج القعيطى ورجاله من المكلا ، وكادت الحرب تثور بين القعيطى والـكسادى ، ولـكن بعضاً من أعيان المكلا سعوا فى إصلاح ذات البين وأقاموا صلحاً بين الفريقين على أن يحتل عمر عوض القعيطى نصف المكلا ، و يأخذ نصف حاصل الجمرك حتى إذا انتهى الدين يتخلى عن المكلا و يعود إلى الشحر ، ولقد سعى عمر عوض مع شىء من الشدة والجلافة فى بسط نفوذه فى المـكلا وكان يأخذ من حاصل الجمرك حسب ما يريد ، فشكاه الأمير عمر صلاح إلى السلطان عوض ، فأرسل السلطان سعيد بن على النقيب ليقوم مقام عمر عوض ، ولقد نشأت بين سعيد والـكسادى صداقة وولاء ، وكان الأول سليم النية صافى السريرة لذلك استطاع أن يملكه الـكسادى و يتسيطر عليه . أخذ الأمير الـكسادى يوطد مركزه و يقوى عضده ينشئ المراصد و يبنى الحصون بين المكلا والحرشيات ، وابتاع بضعة مراكب شراعية كبيرة ، واستقدم بعض رجاله الذين فى دوعن وحصن بهم الحرشيات ، وكان أكثر يافع الذين فى المكلا فى صفه ، ولم يكن سعيد بن على النقيب يعلم بحركة الـكسادى ونشاطه فى تحصين البلد واستعداده للحرب ضد القعيطى وحزبه أولعله علم بذلك ولـكنه لم يكن يفقه شيئاً من تلك الحركات ، ولم يتوجس منها خيفة على مركزه لشدة حسن ظنه بصديقه الـكسادى ، ولـكن السلطان عوض علم بحركة الأمير الـكسادى ونشاطه حول تقوية مركزه ، وتوطيد حكمه ، فخاف العاقبة لا سيما حينما بلغه استنجاده بآل كثير

خاف أن يثور الأمير على نائبه سعيد بن علي وجماعته ويخرجهم من المكلا بل خاف أن يهجم بقومه على الشحر ويحتلها ، لذلك بعث السلطان عوض جيشاً تحت قيادة عبد الخالق الماس إلى تريم لمحاصرتها ، وليشغل بال آل كثير ، ويقلق راحتهم ، ويلقى في قلوبهم الرعب كيلا يستطيعوا إرسال النجدة لأمير المكلا ، وبلغ ذلك الكسادى فخمدت همته وتضاءل نشاطه ، لأن اعتماده على آل كثير كان عظيما ، فعادت الطمأنينة إلى المكلا ، وساد السكون الأهلين ، وهدأت خواطر الخصمين .

حينما حاصر يافع تريم لم يبد آل كثير مقاومة تذكر لأنهم كانوا يخافون سقوط سيون وتريم من أيديهم ، ولما طال أمد الحصار عرضت الحكومة الكثيرية خمسة عشر ألفاً من الريالات لعبد الخالق الماس ليفك الحصار ويعود بالجيش إلى الشحر فامتنع ، ثم صادف أن جاءه أمر من السلطان عوض بفك الحصار وعودة الجيش إلى الشحر .

استفحال الفتنة من جديد

كانت بين الأمير عمر بن صلاح الكسادى وبين محسن بن عبد الله العولقى صداقة متينة ، وكان للأخير نفوذ قوى لدى حكومة حيدراباد وولاة الأمور من الإنجليز في بومبي ، وكان يضمر للقعيطى من العداء شيئاً كبيراً ، فقد حارب القعيطى أباه في الفيل ، وانتصر عليه ، وهدّ حصنه المسمى « الصداع » فهو بالطبع يكون على أتم استعداد لمناصرة كل من يقوم ضد يافع ، وبالأخص ضد رئيسهم القعيطى ، وحينما بلغه ما حصل بين يافع في المكلا من التخاصم والتنازع سرّ السرور العظيم وأبلغ الأمير الكسادى اليافعى بأنه على استعداد لمؤازرته ومناصرته ضد السلطان القعيطى اليافعى ، لذلك أرسل إليه الكسادى ليسعى لدى الإنجليز في بومبي لاستقدام السلطان عوض إلى المكلا كي يتسنى له إحاطته بقوته ، والتضييق عليه من كل جانب ، وإرغامه على التنازل عن كل مطالبه ، وفعلا أرسلت حكومة بومبي باخرة إلى الشحر وأتوا بالسلطان عوض إلى المكلا ، وكان الأمير الكسادى في انتظاره ، ولكن السلطان القعيطى

أدرك الحيلة ، فنزل من الباخرة خفية فى سنبوك ، وقصد بيت نائبه فى المكلا سعيد بن على النقيب ثم أبحرت الباخرة ، فاندهش الكسادى وكان رجاله فى الميناء فى انتظاره ، وظنوا أن خصمهم لم يأتهم ، ولكن سرعان ما فوجئوا بخبر وجوده فى قصر نائبه ، وكان السلطان عوض قد أعدّ رجاله للقيام ضدّ أمير المكلا وحزبه ، فثارت الحرب بين الفريقين فى المكلا ولكنها كانت أشبه بمناوشات ، وفى النهاية رأى السلطان عوض أن لا فائدة له فى التظاهر بالعداء والخصام ضد الأمير الكسادى ، وخاف أن تزداد الفتنة وتدور عليه الدوائر لأن رجاله كانوا قليلين وفى الوقت نفسه خاف أن يوعز لآل كثير بالهجوم على الشحر لذلك طلب إلى الكسادى إيقاف الحرب لينسحب من المكلا ، ويعود هو ورجاله إلى الشحر ، فأجابه إلى ذلك .

وقعة التخم المشهورة

علم آل كثير بتفاقم الفتنة بين القعيطى والكسادى واتساع نطاقها ، وقد استنجد بهم الكسادى ، وألحّ عليهم فى القدوم ، فلم يسعهم يومئذ غير انتهاز الفرصة السانحة ، فسار منهم ١٤٠٠ إلى المكلا ، فعلم بهم يافع فى الشحر ، وأراد عمر عوض أن يعارضهم قبل أن يدخلوا حدود المكلا فمنعه السلطان عوض وأمره بالبقاء فى الشحر للدفاع ، فلم يجبه إلى طلبه فسارو بصحبته جماعة من يافع والعبيد إلى الغيل ، وطلب إلى واليها سعيد أحمد عامر الحضرص اليافعى أن يجهز جيشه لحرب آل كثير ، ومنعهم من الدخول من حدود البنادر ، فامتنع أيضاً وأراد المحافظة على الغيل بمن فيه من الجيش . أما الأمير عمر عوض القعيطى فقد أظهر من الثبات والإصرار على حرب آل كثير ما استحق الإعجاب والتقدير من قومه سار الأمير بجيش لا يزيد على ٣٠٠ رجل لملاقاة جيش لا يقلّ عدده عن ١٤٠٠ رجل ، وهذه مجازفة بلا شك ، ولكن نفس الأمير أكبر من جسمه و بسالته تجاوزت حد المعقول ، ولما رأى سعيد أحمد الحضرمى إصرار الأمير عمر عوض على الحرب لحقه بمائتى رجل ، ووجده قد أنشأ المراصد فى التخم وحصنها

برجاله ، ولما انحدر آل كثير من أعلى الجبل إلى التخم فى طريقهم إلى المكلا ثارت الحرب بين الفريقين ، وكانت المراصد التى أنشأها عمر عوض وسعيد أحمد غير منظمة تنظيما فنيًّا حربيًّا لوجود خلاف بين القائدين ، وقد أحاط آل كثير بتلك المراصد وأمطروها وابلا من طلقات بنادقهم ، وهجموا على مرصد الأمير عمر عوض وقتلوه وجزوا رأسه ، ثم هجموا على مرصد سعيد أحمد وقتلوه ، وجزوا رأسه وزفوا برأسيهما ، ولما رأى يافع انتصار آل كثير انسحبوا ، وكان عدد القتلى منهم ٤٥ شخصاً ، ومن آل كثير ١٢ شخصاً ، والجرحى من الفريقين كثيرون ، وكان ذلك سنة ١٢٩٧ واستمر آل كثير فى زحفهم إلى المكلا ، ولما وصلوا الحرشيات وأرادوا الذهاب إلى المكلا أمرهم الأمير الكسادى بالبقاء فى الحرشيات خوفاً منهم أن يحتلوا المكلا ويتولوا إمارتها ، ثم أراد آل كثير احتلال شحير التى تبعد عن الشحر بنحو ١٢ ميلا ، ولكنهم لم يستطيعوا ، وقد مرت عليهم بضعة شهور دون أن ينالوا غرضهم فعادوا إلى سيون .

تدخل الانجليز بين القعيطى والكسادى

سافر السلطان عوض بن عمر القعيطى إلى عدن ، وأخذ يشكو أمير المكلا ودسائسه لدى الإنجليز ، وقد استطاع بدهائه أن يملك قلوب ولاة الأمور هناك ويجعلهم فى صفه ، فتوسطت محكمة عدن فى الصلح بعد أن رضى الخصمان بحكمها على أىّ حال ، وكتبت على وثيقة وقع عليها الثلاثة ، فصدر الحكم على غير ما يرومه الأمير الكسادى ، فقد خيرته المحكمة إحدى ثلاث : إما أن يتسلم من السلطان عوض بن عمر القعيطى مائتى ألف على ما فى ذمته ويتخلى عن الإمارة كلها ، وإما أن يدفع المائة الألف فى الحال ، وإما أن يتسلم مائة ألف أخرى ويتنازل عن إمارة المكلا ، وينتقل هو إلى بروم التى تبعد عن المكلا بنحو ١٤ ميلا ، ولكن الأمير الكسادى رفض ذلك ، ورمى محكمة عدن بالميل والتحيز للقعيطى ، وعدم مراعاة العدل فى الحكم ، ثم رحل إلى المكلا

غضبان أسفاً ، و بعد أسبوع جاءته بارجة حربية إنجليزية نزل منها ضباط إنجليز وساروا إلى الأمير عمر صلاح الكسادى وأنذروه أنه إذا لم يقبل الحكم فانهم يضطرون لضرب المكلا بالمدافع وأمهلوه ثمانية أيام ريثما يعدّ معداته للرحيل . أما الأمير الكسادى فقد رفض حكم المحكمة بعزة وكبرياء ، وحاول أن يقاوم الإنجليز بكلّ مستطاع ولكنه وجد أمامه بارجة إنجليزية ضخمة ، ورأى مدينة المكلا معرضة لصواعق تلك المدافع الكبيرة ، ثم إن السلطان القعيطى بعث بألف وخمسمائة رجل إلى البقرين لمحاصرته فهو أمسى بين نارين : أمامه البارجة الإنجليزية ، ومن ورائه جيش القعيطى ، فرأى أنه لاطاقة له بالمقاومة ولا قبل له بالمعارضة ، ففضل الرحيل رحمة بمن فى المكلا من النساء والرجال والولدان أخذ يعدّ معدّاته ويجمع ما أمكنه حمله من ماله وأمتعته ، وفى اليوم الثامن شحن ١٣ مركباً شراعيا ، وأبحر هو وعائلته إلى عدن تشيعه البارجة الإنجليزية وفيها ٥٠٠ من رجال القعيطى ، وحينما مرّوا أمام بروم طلب الإنجليز إلى الكسادى أن يأمر نائبه فى بروم بالتخلى عنها فامتنع وقال لهم : نائبى ورجاله أمامكم فأخرجوهم إن شئتم ، فأرسلوا إلى حاكم بروم فامتنع عن التنازل ، وأخذ يطلق مدافعه على البارجة فأطلق الإنجليز مدافعهم وخربوا حصنه ، ثم نزل يافع أصحاب القعيطى من البارجة وزحفوا على بروم واحتلوها ، ثم استأنفت البارجة سيرها إلى عدن ، وأخذ الأمير الكسادى يحتجّ على المحكمة ، ويتظلم لديها من السلطان القعيطى ، ورجاها أن تحكم بدفع المبلغ بالتقسيط ، فلم تعره المحكمة التفاتاً ، ولم تقم لكلامه وزناً ، ثم أبحر إلى زنجبار دون أن يأخذ المائتى ألف من القعيطى التى حكمت المحكمة بها تعويضاً لتخليه عن إمارة المكلا وملحقاتها ، وكان ذلك سنة ١٢٩٩ .

تألم أهل المكلا لفراق أميرهم

غادر الأمير عمر صلاح الكسادى اليافعى المكلا ، وقلوب الأهالى تكاد تنفطر أسفاً على فراقه . لقد كان لهم أباً شفوقاً ، وحاكما رءوفاً ، أنفق ماله و بسط يده كلّ

البسط فى إصلاح شئونهم وعمران بلادهم وحماية ذمارهم لم يستأثر بشىء لنفسه ، ولم يدخر له ولا لأقربائه مالا كثيراً ولا قليـــلا ، ولو كان أراد المـال وطمع فى حطام الدنيا لاستطاع أن يكون له ثروة عظيمة ، ولـكنه كان يرى أن الأمة شريكة له فى السراء والضراء وفى العسر واليسر ، وأن الوارد إلى الخزينة إنما يحفظ لينفق لإصلاح شئون الشـعب . لم يكن الأمير الـكسادى بضعيف العقل ولا بقصير النظر وليس هو جبانا أو ذا شـخصية ضئيلة ، فقد كان قوىّ العقل بعيد النظر شـجاعاً مهاباً ، ولـكن جيبه كان فارغاً من المـال ، وما كان السلطان القعيطى يستطيع التغلب عليـه لولا خصوبة يده وغزارة ماله ، وما كان هــذا المـال وحده يستطيع إخراج الأمير الـكسادى من المـكلا لولا تدخل الإنجليز فى الأمر ، على أن الـكسادى أقدم من القعيطى فى صداقة الإنجليز وأكثر منه ولاء لوالى عدن ، ولـكن السياسـة كثيراً ما تغض النظر وتلوى الـكشح عن الصداقة أو القرابة متى كانت الغاية محمودة ، والغاية عند الأوروبيين تبرر الواسطة ، والإنجليز من أكثر الأمم تناسياً للصداقة متى ما نضبت منافع هؤلاء أو جاءهم من هو أوفر منهم مالا وأخصب يداً من أصدقائهم الأقدمين .

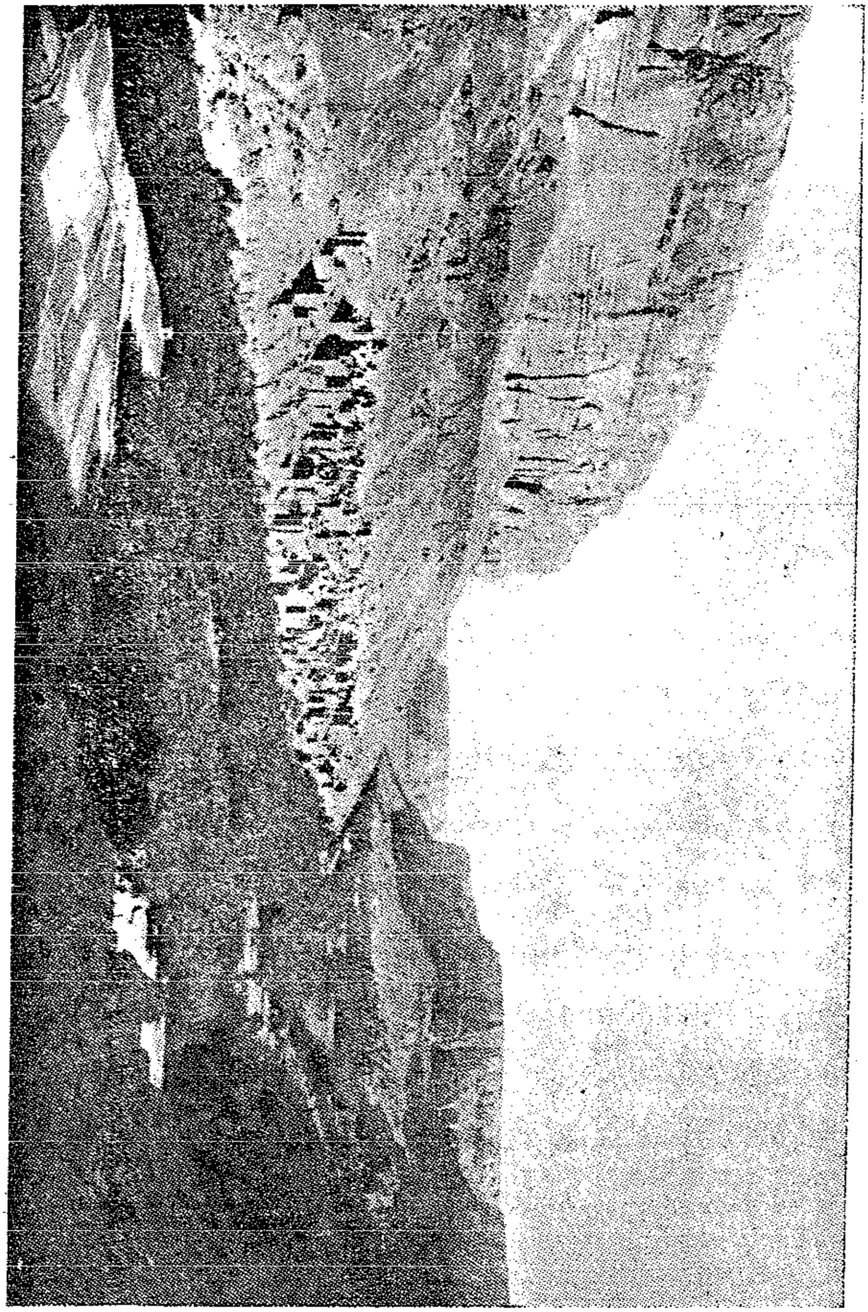
الحالة السياسية فى عهد السلطان عوض

عاد السلطان عوض بن عمر القعيطى اليافعى إلى الشحر وهو مملوء بالآمال العظام ، نظم شئون الأهالى وجعل عليهم أخاه الأمير عبد الله بن عمر القعيطى اليافعى ، وجعل على الغيل الأمير منصر ، وسار هو إلى المـكلا وجعلها مركزاً لحـكومتـه ، وجعل على بلاد القطن الأمير صلاح بن محمد القعيطى اليافعى حا كما من قبله ، وأول عمل اهتم به هو تنظيم الجيش حيث أدخل كثيراً من يافع فى الجندية ، وابتاع عبيداً وضمهم إلى الجيش وجلب من الخارج ســلاحاً كثيراً ، وعقد صلحاً مع الحموم الذين كانوا ينهبون السابلة ويقطعون ، وأرضاهم بالعطايا ، فانتشر الأمن بين الشـــحر والمـكلا ، وساد السلام أرجاء البنادر

احتــــلال دوعن

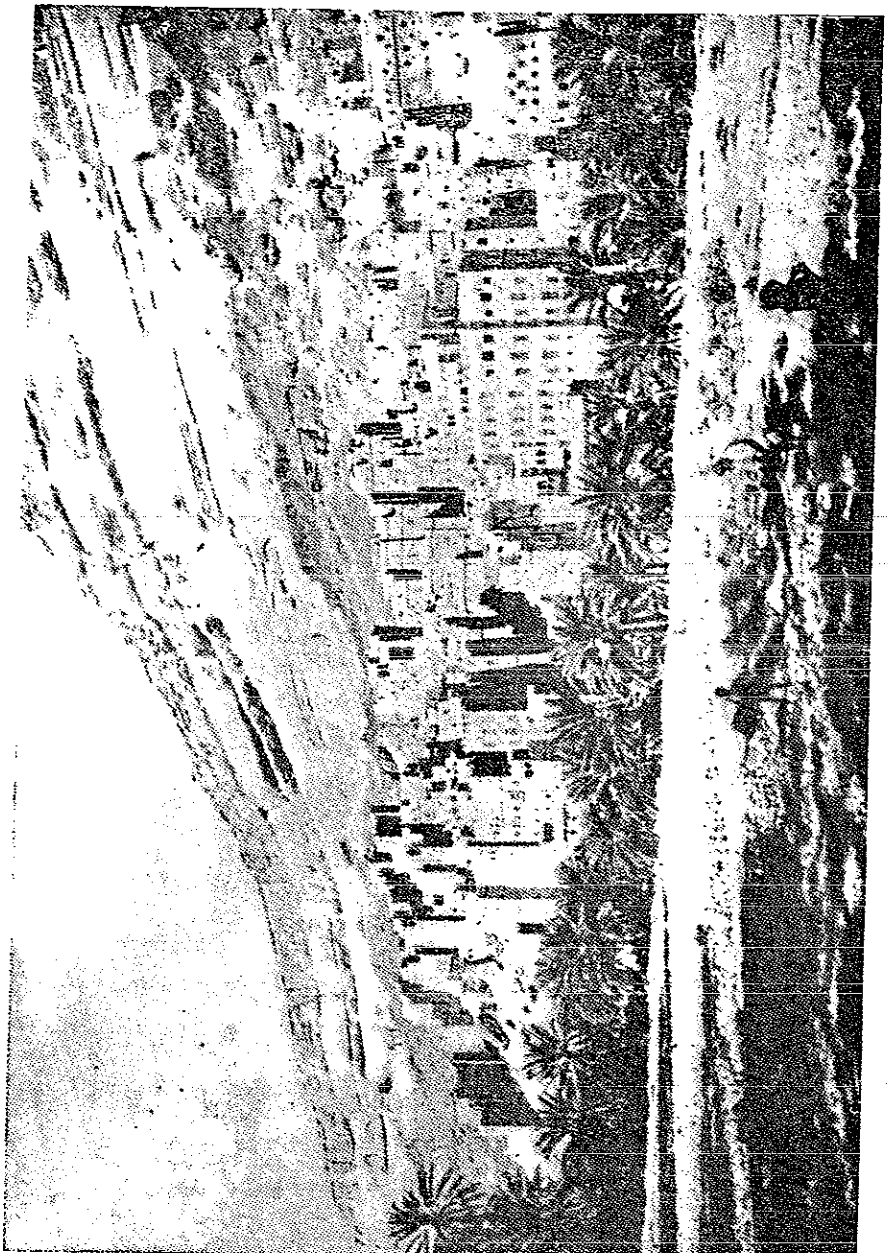
يجمل بنا قبل أن نتناول بالشرح احتلال دوعن أن نلقى نظرة عجلى عليها فى عصر ما قبل القعيطى اليافعى حتى نلم إلمامة سريعة بحالتها السياسية والاجتماعية .

تشمل بلاد دوعن جزءا كبيراً فى شمال حضرموت الجبلى ، وتتفرع إلى فرعين كبيرين ، يقال لأحدهما الأيمن ، وللآخر الأيسر ، كل منهما يشـــبه المثلث الحاد الزاوية تحيط به الجبال الشاهقة الداكنة الجرداء ، وفى المناطق المنخفضة يوجد عالم من الفتنة والجمال تسطع الشمس بأشعتها اللامعة على الوادى الساكن العديم الحركة ، و بين حقول الذرة الخضراء التى تسقى بالسيل تنتشر أحراج النخيل تطاول السماء يخترقها شريط ناصع أبيض كالثلج هو قاع السيل والقرى متناثرة بين كل ذلك ، وهى لاتتصل ببعضها فى سهولة لوعورة الأرض والتواء أديمها ، والقادم من الشمال لايرى شيئاً من دوعن إذ تحجزه الهضاب الشامخة ، وتنحدر تلك الحيطان الجبليـــة انحداراً هائلا يبلغ ٩٠٠ قدم والدوعنيون لم يكونوا أمة واحدة تشرف عليها حكومة واحدة ، بل كانت كلّ مدينة مســتقلة تحكم نفسها بنفسها ، وتخضع لزعيمها خضوع العبد لسـيده ، وهم يشبهون إلى حدّ كبير الاقطاعيين فى القرون الوسـطى « Feudalism » ، وكان معظم تلك المدائن بالغاً من الصغر حدا بعيـداً حتى لم يتجاوز عدد سكان بعضها عدداً ضئيلا من الناس ، ولقـد أدى تفرق القوم فى مدائن أو بعبارة أوضح فى مقاطعات إلى تنافرهم وتناكرهم فتولد بينهم شعور المنافسة ، وتمكنت فى نفوسهم العصبية للمقاطعة .



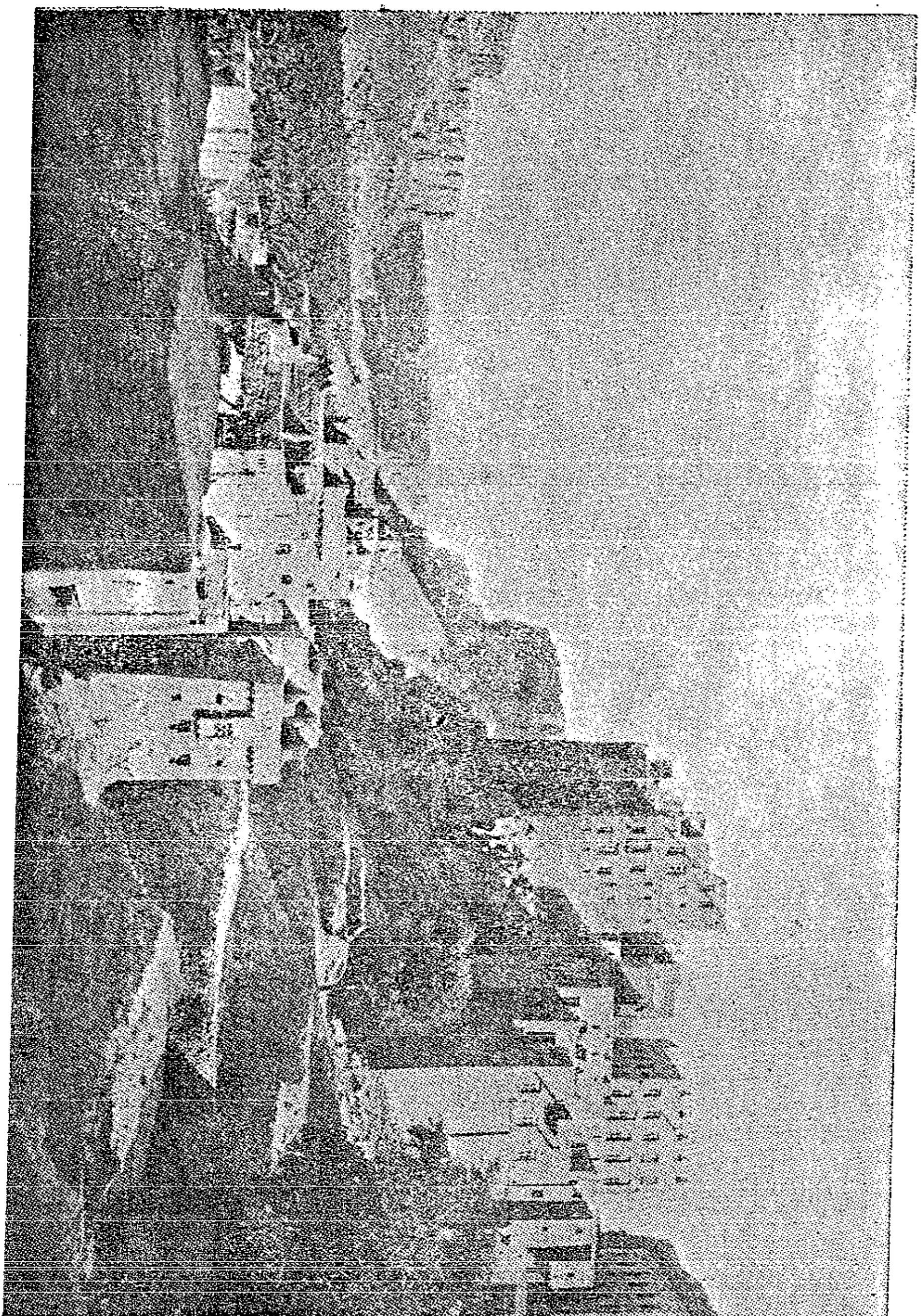
وادي دوعن

وفى الهضاب العاليـة تسكن قبائل بادية كالقثم والديّن ، وكل المتسلحين مشاغبون محبون للحرب لم يخضعوا لحـكومة أجنبية إلا بعد معاناة الأمرّين ، ولقد استطاع الحاكم



مدينــة فى دوعن

الـكثيرى أن يهدئ أعصابهم الثائرة ، ويوجد بينهم كثيراً من الأمن والصلاح ، ولما انكمشت الحكومة الـكثيرية ، وتقلص ظلها تمرد قبائل دوعن ، وكانت النتيجة أن تلاشى الحكم الـكثيرى فى دوعن وزال رسمه ، فعاد الدوعنيون إلى ما كانوا عليه من



مصنعة (قلعة) باصرّه في دوعن

قبل من التفرق والتنازع والتشاحن ، وحينما احتلّ الـكسادى اليافعى جانباً من دوعن



عقبــة دوعن

عادت الطمأنينة ، وساد البلاد السكون ، ولكن حينما سحب الكسادى جيشـه

سـنة ١٢٨٧ تعكر الجوّ ، وطالت أيدى الأقوياء على حقوق الضعفاء ، ففقد الأمن وانتشرت الفوضى ، وتفاقمت الخطوب .

واسـتطاع الزعماء فى ذلك الجوّ المظلم المشبع بالقلاقل والزلازل والمحن والفتن أن يكونوا لهم أقطاعات ، ويخلقوا لهم نفوذاً وسلطانا وماأشبههم بالأشراف فى عهد الأقطاع ولم يكن لأولئك الرؤساء رابطة تربطهم ولا مرجع أعلى يرجعون إليه ، فكل منهم هو الرئيس الأعلى ، وهو الكل فى الكل ، لا يردّ له أمر ، ولا يسأل عما يفعل ، ينهبون أموال الأهالى ويكنزونها لأنفسهم، والويل كلّ الويل لذلك الذى يمتنع عما يطلبه منه الحاكم ، وكان المقدم عمر بحمد باصرة يسكن قرية الرشـيد ، وهو الحاكم المطلق فيها ، ولـكنه كان بالنسبة لغيره من الولاة محبوبا بعض الحب للطفه وظرفه وحسن معاملته ، وكان يخضع لحـكمه من قبائل الخامعة وهم فرع من سيبان يقال لهم الزى ، وكان لآل عمودى فى دوعن العليا نفوذ دونه كلّ نفوذ ، وسلطة دونها كلّ سلطة ، ولم ينالوا هذا النفوذ المطلق بقوّة الحديد والنار ، وإنما جاءتهم بواسط السلطة الروحية التى انحدرت إليهم من المرحوم الشيخ سعيد العمودى ، فقد كان هـــذا الرجل عالما صالحا ورعا مشهوراً بالتفانى فى إصلاح الناس ، وهدايتهم إلى الصراط الأقوم حتى احترمه الشعب وانقاد له وكاد يعبده ، ويسكن الولاة من آل عمودى فى الخريبة وهى عاصمة دوعن وبضة وملحقاتها وأتباعهم من القبائل هم سكان الهضاب الغربية كقبيلة القثم من سيبان وقبائل الدّين ، وهؤلاء يدافعون عن العمودى بكلّ ما لديهم من قوّة دون أن يأخذوا أجراً لأن لهم معهم مصالح سياسـية وعلائق اقتصادية ، ثم إن لقبائل الدّين اعتقادات خرافية فى المرحوم الشيخ سعيد العمودى يقدسون ضريحه ويستغيثون به من دون الله فهم إنما يدافعون عن آل عمودى بدافع سلطة هؤلاء الروحية وبالرغم من أن الحكام فى بضة والخريبة والرباط وغيرها هم من آل عمودى ، فان كلا منهم حبله على غاربه لا يرتبط بالآخر فى شيء ما يحكم مقاطعته بما تلهمه نفسه وما تدفعه إليه إرادته دون أن يتقيد بشيء ودون أن يصغو لنصيحة الناصحين وإرشاد العالمين ، وعلاوة على ذلك فان التنافس والتخاصم والتشاحن قائم بين ابن مطهر صاحب بضة ، وابن عليّ با كريم ، وآل عمر

باحسين ، وآل محمد بن سعيد وغيرهم من بيوتات العمودى ، وهذا التخاصم كان من أعظم الأسباب التى ساعدت يافعاً على احتلال دوعن كما سيأتى ذلك .

التجاء الدوعنيين إلى حكومة القعيطى

قلنا إن ولاة دوعن لم يعملوا للنفع العام ، ولم يؤدوا بعض ما عليهم من الإصلاح نحو الشعب ، وكانت أغراضهم كلها محصورة فيما يعود عليهم بالنفع المادى فقد أرهقوا الناس ، وبالأخص الموسرين بطلباتهم ، واستبدّوا فى أموالهم ، وأرغموهم على تنفيذ ما يشتهون ، ولقد ضاق الأهلون ذرعاً ، وبلغت قلوبهم الحناجر كرهوا أولئك الولاة ومقتوهم كلّ المقت ، وبالرغم من ضغط الحكام عليهم وخنق حريتهم وإرادتهم ، فقد نهض الدوعنيون فى دوعن وفى عدن ، وبعثوا إلى السلطان عوض بن عمر القعيطى اليافعى يستنجدونه ويستغيثون به ويرجونه احتلال بلادهم لإقامة العدالة وحفظ النظام وبثّ السلام ، ولما بلغ ذلك إلى العمودى حاكم الخريبة خاف على مركزه من الانحلال وهو يعلم كلّ العلم أن القعيطى إذا جاء بجيشه لا شكّ يحتلّ البلاد لأن الأهالى يكرهون حكامهم كل الكراهة ولأن الحكام أنفسهم ليسوا على وفاق ووئام كلّ منهم يودّ أن يأكل لحم أخيه ميتاً . أراد السيد العمودى أن يحافظ على مركزه ويوطد دعائم سلطته ، أراد أن يمدّ فى نفوذه ، ويوسع نطاق أمره ، فلجأ إلى السلطان القعيطى وطلب إليه إرسال جيش على حسابه الخاص ليخلص البلاد من ظلم ولاتها ، ويقيم فيها العدل ، وينشر الأمن ، حتى إذا كان النصر فى جانبه سلم مقاليد الأمور إليه وتنحى هو فى مدينة الخريبة ، وأراد القعيطى أن يجيبه إلى ذلك ، ولكن من سوء حظ العمودى أن جاء السيد حسين حامد المحضار وباصرة إلى السلطان ، وهدما مابناه العمودى من الآمال العظام ، فقد استطاع باصرة بسياسته ولباقته وبمؤازرة المحضار له أن يستميل إليه السلطان ويضمه إليه ، وعاهده أنه إنما سيقدم نفسه وقومه كجنود للجهاد فى سبيل احتلاله دوعن .

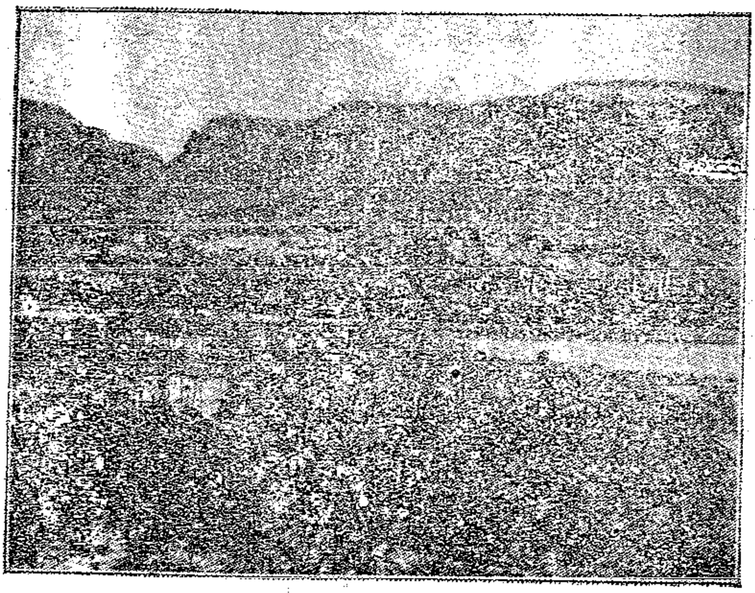
زحف يافع على دوعن

جمع السلطان عوض بن عمر القعيطي كبار يافع واستشارهم في الأمر ، فقرّ رأيهم على احتلال بلاد دوعن وتخليصها من أولئك الولاة الجبارين، فأرسل السلطان ٢٠٠ جندي من يافع وعليهم عبد الخالق الماس ، وكتب إلى السلطان صلاح بن محمد القعيطي ليرسل جيشاً من شبام إلى دوعن ، فأرسل الأمير ٢٠٠ جندي من يافع وعليهم سالم بن علي الدهري اليافعي ، والتقى جيش المكلا بجيش شبام في أعلى وادي دوعن ، وعلم بهم آل عمودي فأرسلوا إلى قبائلهم ، فجاء من الديّن ألف رجل ، ومن القثم ٥٠٠ ، ولم يكن قدوم هؤلاء البدو لمناصرة العمودي فقط ، بل كان الدافع لهم أيضاً حبّ النهب والسلب كما هي عادتهم حينما تثور حرب بين ولاة دوعن حيث ينتشرون في القرى و يهجمون على المتاجر والدور وهم يعدّون ذلك حلالا لهم في مثل هذه الظروف .

انحدر يافع على الخريبة ، فثارت الحرب بين الفريقين ، واحتل يافع بعض الحصون فأحاط بهم قوم آل عمودي وحصروهم ٢٩ يوماً وقطعوا عنهم الماء والقوت ، وكاد يافع يموتون عطشاً لولا أنهم وجدوا في الحصون قليلا من الماء كانوا يوزعونه فيما بينهم بالفنجان ، وكاد الدوعنيون ينتصرون عليهم و يبيدونهم عن بكرة أبيهم لولا أن الأمير صلاح بن محمد القعيطي أدركهم بمائتين من يافع وآل محفوظ ، ودخل بهم الخريبة ، و بنادق الديّن تقذف أعيرتها النارية عليهم مدراراً ، فأعاد ليافع نشاطهم ، و بعث فيهم الثبات والإقدام ، وأما العمودي فقد أرسلوا إلى قبائل عمد ورخية يستنجدون بهم ، فأتوه مهطعين و بلغ ذلك يافع ، فخاف قائد جيش المكلا عبد الخالق الماس الانكسار لتألب قبائل البادية ضدهم ، ولكن بعث السلطان عوض ٥٠٠ رجل من البنادر ، فالتقى بهم ١٢٠٠ من قوم العمودي في أعلى الخريبة ، وثارت الحرب ، وحمل يافع حملة صادقة واندفعوا كالسيل الجارف ، فانسحب قبائل العمودي وهربوا أفراداً وجماعات ، وعلم العمودي وجماعة من رجاله في المصنعة بانكسار قومهم ، فأرادوا الدفاع ولكنهم لم

يستطيعوا إذ أطاق باصرة عليهم المدافع فخرجوا ليلا إلى الجبال ، وكان عدد القتلى من قوم العمودى ٧٤ ، ومن يافع ٢٢ منهم سالم بن عمر بن على الحاج أحد قواد الجيش ، أما الجرحى من الفريقين فكثيرون ، وكان ذلك سنة ١٣١٦ هـ ، ولما هدأت الأحوال وسكنت الخواطر ، وعادت الطمأنينة إلى القلوب أرسل صاحب دوفة عبد الله بن أحمد بحمد العمودى ، وجميع آل محمد بن سعيد العمودى ، وعبد الله بن صالح بن مطهر العمودى ، والى بضة وزعيم آل عمودى الأكبر ، وخليفة الشيخ سعيد العمودى إلى السلطان عوض بن عمر القعيطى اليافعى يطلبون وده ، وكان بين هؤلاء و بين العمودى صاحب الخريبة تشاحن وتخاصم ، ولذلك لم ينجدوه فى حربه و بقوا على الحياد ، ومنعوا قبائلهم من الانضمام فى صفه ضد يافع ، وأرسل أيضاً بلحمر صاحب حوفة ، ومبارك ابن سعيد الخبشى وسعيد بن عبدالله الخبشى وغيرهم من كبار آل خبشى إلى القعيطى يطلبون وده . هكذا أصبحت دوعن موالية للقعيطى ، وقد تولى الحكم فيها سالم بن على الدهرى اليافعى ووزيره عمر باصرة ، وبعد مضى عامين استقال من مركزه ، وقام بالأمر بعده عبد الخالق الماس مولى القعيطى ، ولكن لم تطل مدة هذا الوالى أكثر من سنة فقد انتحر برصاصة أفرغها فى رأسه من بندقيته ، وقد اشتبه فى موته ، فقيل إنه قتل نفسه ، وقيل اغتيل وقد انفرد بالحكم بعده عمر باصرة الذى أخذ يدير دفة الحكم بيد من حديد مع شيء من السياسة التى عرف بها هذا الجسور ، وأبقى عنده من يافع ٢٠٠ رجل ، و ٣٠٠ رجل من قبيلته لحفظ الأمن وللدفاع عن كيان البلاد . ثم أخذ يرسم الرسوم و يفرض الضرائب على أصحاب الأطيان والنخل وعلى التجار ، من غير إرهاق ولا قسوة ، ولكنه لم يعدل فى إعفائه آل باعلوى وآل عمودى عن تلك الضرائب والرسوم .

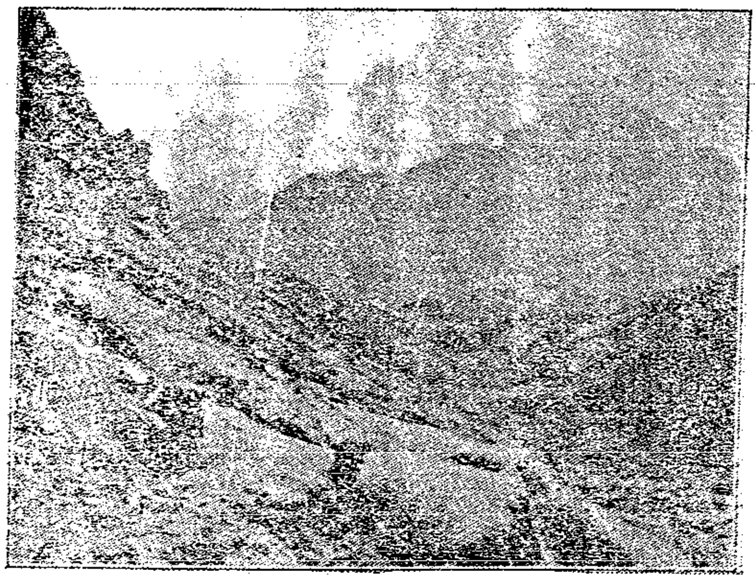
احتـــلال حجر



حجر ويرى نهرها يشقها

تقع بلاد حَجْر شمال ميفع ، وهي أخصب بقعة في القطر الحضرمي إذ يشقها نهر كبير يسمى باسمها ، و يتصل بها من موانى حضرموت ميفع و بئر علي ، والمواصلات بينها و بين السدارة وحبان متينة ، فمركزها الاقتصادي مهمّ ، وأغلب سكانها من قبائل نُوّح الحاملى السلاح ، وكان يتولى الحكم فيها أحد الأعيان من ذوى الشخصيات البارزة ولـكن حكمه كان عبارة عن الفصل في القضايا المدنية والجنائية الصغيرة التي تحدث بين أفراد سكان مدينـة حجر ، فسلطته ضيقة لا تتعـدّى ديار كنينة ، ولذلك كان الأمن خارج المدينة مفقوداً يعتدى الأقوياء على الضعفاء فيسلبونهم حقوقهم دون أن يعترضهم معترض ، أو يقوم في سبيلهم مانع ، وفي سـنة ١٣١٧ جهز السلطان عوض بن عمر

القعيطى ٦٠٠ رجل من يافع وآل تميم ، وفى مقدمتهم محمد عبد القوى غرامة اليافعى ، ومحسن مخارش القعيطى ، وأحمد حبيب الحداد القعيطى ، وصالح بو بك الحضرمى ، وعوض عبـــد الله اليزيدى ، ومنصر بن على جابر ، وجابر بن علىّ بن علىّ جابر ، و بعثهم إلى حجر لاحتلالهـا و إدخالهـا تحت نفوذه ، وقد علم بهم أهل حجر فتعرضوا لهم خارج المدينة وكمنوا فى عقبة حجر ، ولمـا جاءيافع أحاطت بهم قبائل حجر ، وثارت الحرب ، فاندحر يافع ، وعادوا إلى ميفع ثم إلى المـكلا ، وكان عددالقتلى منهم ٦٣ رجلا



منحدر فى جبل حجر ، حدثت فيه الحرب بين يافع والحجريين

ثم فى سنة ١٣١٨ بعث السلطان عوض ٢٠٠ رجل من يافع و بمعيتهم السيد حسين حامد المحضار ابن الشـــيخ أبى بكر باعلوى[١] زوّده السلطان بالمـال ليبتاع أراضى فى حجر توصلا لاحتلالهـا ، وفعلا كان ذلك،فقدخضع الحجريون للحكم القعيطى حينما تعهد

(١) كان حسين حامد عظيم المـكر ، كثيرالدهاء ، حادّ الذكاء ، جاء من حبان يضرب أزدريه واستطاع بدهائه أن ينال لدى السلطان عوض مكانة عليا حتى استوزره ووثق به .

لهم السلطان بحمايتهم ، و بنشر العدالة بينهم ، وعقد السيد حسين حامد حلفاً بين حكومة القعيطى و بين القبائل الضاربة بين ميفع وحجر ، وابتاع كثيراً من أراضى بئر على وبالحاف ، وكانتا تحت نفوذ آل عبد الواحد الذين عقد الإنجليز معاهدة بينهم و بين القعيطى ، وكانت تلك المعاهدة السبب لاحتلال يافع تلك البلاد .

الخلاف بين أعضاء البيت المالك

فى سنة ١٣١٩ احتدم الخلاف والنزاع بين آل عبد الله بن عمر و بين عمهم السلطان عوض بن عمر ، كان الأمير منصر بن عبد الله القعيطى اليافعى والياً على غيل باوزير وأخوه الأمير حسين بن عبد الله بيده الحل والعقد فى نصف مدينة الشحر ، والنصف الآخر تحت نفوذ الأمير غالب بن عوض القعيطى اليافعى بالنيابة عن أبيه السلطان عوض ، وبالطبع أن وجود حاكمين فى مدينة من أعظم الأسباب لإثارة التنافس والتشاحن على استئثار السلطة وحب الظهور ، وعلاوة على ذلك فإن الأميرين حسيناً ومنصرا يدعيان أن لوالدهما نصف أملاك الحكومة القعيطية اليافعية ، فهما يجدان لنيل ذلك الحق ، وهما فى الوقت نفسه لا يريدأن أن يزاحمهما أحد فى إدارة الشحر ، وفى حاصل جمركها لأن السلطان عوض كان والياً على المكلا وإليه يقدم حاصل جمرك مينائها كاملا غير منقوص ، ولقد ازداد الخلاف ، وانضم جانب كبير من يافع الموسطة إلى آل عبد الله كما انحاز فريق كبير من يافع الظبى إلى السلطان عوض بن عمر ، وكادت الحرب تثور بين الفريقين لولا أن هناك أفراداً من كبار يافع بذلوا كل مستطاع فى إصلاح ذات البين ، واستدعوا فى عينات المنصب أحمد بن سالم بن سقاف ابن الشيخ أبى بكر باعلوى ليتوسط معهم فى إيجاد صلح بين الخصمين ، وفعلا كان ذلك ، ولكن الصلح كان أنشئ على أساس واه إذ سرعان ما انهار ، وعاد الخلاف والنزاع بشكل أردأ مما كان ، وحدثت مناوشات بين الفريقين ، وكاد الخطب يتفاقم

لولا التجاء السلطان عوض و بعض رجالات يافع إلى والى عدن ليتوسط فى الصلح فقد جاءت المكلا بارجة إنجليزية وعليها ضباط انجليز وأخذوا السلطان عوض ، ثم ساروا إلى الشحر ، وطلبوا إليهم الأمير حسين بن عبدالله ، فامتنع فى بادئ بدء ، ثم أجابهم إلى ذلك ، وأخذ معه بعض بطانته من يافع ، ولكن الإنجليز منعوهم عن الصعود إلى البارجة وظن الأمير حسين أن الصلح سيفاوض فيه فى البارجة نفسها ، ولكنه لم يكد يصعد إليها إلا وأبحرت إلى عدن ، ولقد اجتمع السلطان عوض بالأمير حسين وجهاً لوجه ، واخذ يعاتبه على إثارة المشاغبات و يذكره بفضائله عليه وعلى أبيه الأمير عبد الله ، ولما جاءوا عدن أقام الوالى صلحاً بين الخصمين ، وعاد السلطان عوض إلى المكلا ، وسار إلى الشحر ، وأخرج من فيها من أنصار الأمير ، وجهز جيشاً وسار به إلى الغيل وحاصره أياماً ، وحاول الأمير منصر الدفاع ولكنه لم يستطع إلى ذلك سبيلا ، فاضطر فى النهاية إلى الانسحاب والتخلى عن الغيل ، و رحل بعائلته إلى الهند ، وهناك رفع هو وأخوه الأمير حسين قضية لدى حكومة الهند ضد السلطان عوض بن عمر ، وتوفى الأميران فى حيدرأباد ، ولكن القضية لا تزال قائمة .

الحالة السياسية فى عهد السلطان عوض

انتصر السلطان عوض بن عمر القعيطى على آل عبد الله بن عمر بواسطة الإنجليز ، وانفرد بالحكم ، فامتدّت سلطته ، واتسع نفوذه ، وعلت كلمته ، فأصبحت هى العليا ، وكان الولاة سواء الذين فى البنادر أو فى داخلية حضرموت طوع أمره ورهن إشارته ، ولم يستطع آل عبد الله بن عمر بعد ذلك أن يعارضوه فى سلطته لأن حزبهم تلاشى ، ولأن الإنجليز فى جانب عمهم السلطان عوض ، ولقد بذل السلطان عوض أقصى مجهوداته لإصلاح البلاد ، ونشر الأمن ، و بثّ العدالة بين جميع طبقات الشعب على السواء ، لا فرق فى نظره بين القوىّ والضعيف ، ولا بين المتسلح والأعزل ، ولا بين الغنىّ والفقير .

ازدهار التجارة فى عهده

كان انتشار الأمن فى أرجاء البلاد من أعظم الأسباب لإحياء الأسواق ، وتنشيط حركة التجارة فى الداخل وفى الخارج ، فقد بلغ عدد السفن التجارية التى يملكها بعض التجار فى الشحر والمكلا نحو ٤٥ سفينة تمخر عباب البحر بين حجر والشحر والمكلا وتبحر إلى سواحل إفريقيا الشرقية ، و إلى عدن ، والخليج الفارسى ، و إلى سواحل الهند الغربية ، وتعود مشحونة بأنواع البضائع ، وأصناف المتاجر .

طرق القوافل

وكانت مدينة شبام أعظم محطة فى حضرموت لجميع القوافل التى تأتى من أقاصى البلاد ومن الخارج .

من صنعاء إلى حضرموت

تقوم القوافل من صنعاء إلى رأس الغيل وتخترق وادى حريب فى طريقها إلى بنى رضيح ، ثم تسير محاذية لوادى الجزة إلى سرحان بلاد قبائل دهمة ، ومن سرحان إلى بيحان بلاد بنى حارثة ، ثم تسير فى وادى الحارثة إلى هصبة شقاق وخبوت ، ثم إلى المشايعة ، وتسير فى رمال إلى بئر عساكر ، ثم إلى البدوع ، ثم إلى قعوصة فإلى شبام ، وتقطع المسافة فى ١٣ يوماً .

من عدن إلى حضرموت

تقوم القوافل من عدن إلى شقرا ، ثم إلى دثينة ، ومنها تسير إلى طلح ، ثم إلى حبان ، ومن حبان تسير فى هضاب إلى نصاب بلاد العوالق ، ثم إلى الفوهة ، ثم إلى قعوضة فإلى شبام ، وتقطع هذه المسافة فى ١١ يوما .

من بئر على إلى حضرموت

ترحل القوافل من بئر على على الساحل إلى الجوارى بلاد بنى عبد المانع ، ثم إلى حوطة الفقيه فإلى الروضة ، ومنها إلى عماقين بلاد آل فهيد ، ومنها إلى جردان ، ثم طلح عقبة ، ومنها إلى شروج الهميم ، ثم إلى عقبة شوحم ، وتنحدر إلى وادى عمد مخترقة قبائل آل ماضى إلى لفحون بلاد آل هلالى الجعدة ، ثم إلى حريضة ، ومنها إلى شبام ، وتستغرق هذه المسافة ١٠ أيام .

من ظفار إلى الشحر ثم إلى شبام

تقوم القوافل من ظفار إلى رحيوت فإلى دنقوت ، ثم إلى غيضة ابن بدر ، ومنها إلى

حصوين ، ثم إلى خشن فإلى سيحوت ، ثم إلى ريدة ابن عبد الودود ، ثم إلى قصيعر ثم إلى الحاص فإلى الشحر ، ومنها تسير إلى تبالة ، ثم إلى عقبة العرشة مخترقة وادى الصفاء ، ثم إلى الفلاغيل مخترقة وادى الفيران ، ثم إلى الغبيضات ، ثم إلى عقبة الرميظة فإلى الغبيرة ، ثم إلى وادى النحر ، ثم إلى الغرّ فالى شبام ، ومدة هذه المسافة ١٥ يوما .

بين حضرموت ومكة

وكان بعض الناس يفضل السفر إلى الحج بطريق البرّ ، وهذا يدلّ على انتشار الأمن فى ذلك العهد فى أجدب البوادى وأقفر البقاع . يقوم المسافر من حضرموت الوسطى إلى رهطان ، ثم إلى سور اليمنة ، فإلى بئر يوسف ، ثم يسير إلى الشاغبة بعد أن يخترق وادى المنقلقة ، ثم إلى العسير ، فإلى غرّ اليمانى ، ثم إلى الرماريم ، فإلى غرّ الزنافر ، ثم إلى المشينقة فإلى المخا ، ثم إلى خب ، ثم إلى النخلة ، ومنها إلى الخرة عقبة عرقوب ، ثم يسير فى أودية يقال لها عتبة عمق المراشى ، ويقطع وادى مذاب إلى المجاد بلاد آل عمار ، ثم إلى شرمات فى طريقهم إلى صعدا بلاد آل سالم ، ومنها إلى رفافة ، ثم إلى عقبة مخارش فى طريقه إلى جياد ومنها إلى الحوض فإلى الحرجة ، ثم إلى نجران ، ومنها إلى درب العقدة فى سهل منبسط ، ومنها إلى المجزعة ، ثم إلى ثايب بعد أن يقطع عقبة تيه ، ومنها إلى وادى حفر فى طريقه إلى مخايل فإلى المصبح ، ثم إلى بارق والجهفة ، فإلى وادى يبه حيث عيون الماء تنبع بكثرة ، ثم إلى حدبة مشرق فإلى القوز ومنه إلى القنفذة ، ثم إلى دوفة فإلى خبت صبوة ، ثم إلى الليث ، ومنه إلى وادى مرخ ، فإلى السعيدية ، فإلى البيضاء ، ومنها إلى مكة ، وتبلغ المسافة بين شبام ومكة ٢٢ يوما على الجمال .

وفاة السلطان عوض

فى سنة ١٣٢٧ توفى السلطان عوض بن عمر القعيطى اليافعى فى حيدرأباد ، فذهل الناس لوفاته كلّ الذهول ، وزلزلوا زلزالا شديداً ، وحزنوا على فراقه أشدّ الحزن ، وبكوه بكاء مرّا وكادوا يصعقون .

شخصيتــــه

كانت شخصيته أعظم شخصية فى الحضارم . كان قويا شديد القوّة لا يعرف الضعف ولا الفتور ، ولا يحبّ التردد ، ذكيا نافذ الذكاء ، ولكنه كان هادئاً فى الوقت نفسه حليما شديد الحلم ، لا يعرف الطيش ، ولا التعجل ، ولا الاندفاع . كان عميق الفكر ، كثير الصمت ، لا يبتسم إلا فى النادر القليل ، ولا يتكلم إلا عند الضرورة ، وإن تكلم كان المثل الأعلى فى اللطف وحسن الحديث ليس كلامه بالهزل ، ولا ينطق عبثاً ، وإن سكت ففى سكوته مهابة ووقار ، بعيد النظر ، كثير الظن ، لا تخدعه الظواهر مهما ضاء بريقها ، وتشكلت بمختلف الألوان ، كان شجاعاً مقداماً ، قاد الجيوش فى الهند ، وخاض غمار الحروب ، وخرج منها ظافراً ، فجازاه ملك حيدرأباد بأعلى الرتب وأسمى الدرجات ، ورحل إلى حضرموت ، فخلق له ملكا من العدم ، وتبوأ من المجد مقعداً عليًّا ، ولقد ساس الناس بحزم وعزم وسياسة وكياسة ، لم يتعلم فى معهد ، ولم تكفله جامعة ، ولكن الأيام ربته ، والسنين هذّبته ، والتجارب ثقفته ، فكان نعم الخرّيج ، ونعم السياسى ، ونعم الحازم ؛ كان صالحاً ورعاً يؤدى الفروض فى أوقاتها ، ولم تغرّه الدنيا ، لم يعبد المادة كما عبدها كثير من ملوك الشرق ، ولم يندفع وراء اللذائذ الجسدية ، كما اندفع هؤلاء وراءها ، بل كان كثير الانشغال بشئون الدولة وأحوال الشعب . كان ليافع أبا شفوقاً ينظر إليهم كما ينظر إلى أبنائه ، فلاغرو إذا عبده هؤلاء ووضعوا أرواحهم بين يديه يتصرّف فيها كيف شاء .

السلطان غالب القعيطي اليافعي

تولى السلطان غالب بعد وفاة أبيه فأبقى شئون الحكومة كما كانت فى أيام والده ، وزاد فى مرتبات الجيش ، واستقدم كثيراً من يافع من بلادهم وأدخلهم فى الجندية ، وقلد عدداً منهم وظائف الحكم فى البلاد ، وساس الشعب بكل هدوء وحنان .

وزيره

استوزر عظمته السيد حسين حامد المحضار باعلوى ، ومال إليه كلّ الميل ووثق به كلّ الثقة ، واتخذه نصيراً له فى شئونه الخاصة والعامة .

وكان السيد حسين حامد جاء من حبان فى عهد السلطان عوض بن عمر القعيطى يضرب أزدريه ، ولدهائه ولباقته استطاع أن ينال مكانة سامية لديه ، وبالرغم من إخلاصه له وتفانيه فى خدمته ، فإن السلطان عوض لم يكن يميل إليه كلّ الميل ولم يفوض شـــئون الدولة كلها إليه ، بل كان يعتبره فرداً من أفراد يافع الذين اتخذهم السلطان بطانة له ، وفى عهد السلطان غالب بن عوض القعيطى سما مقامه ، وعلا مركزه واتسع نطاق نفوذه اتساعا ما كان يحلم به من قبل ، كان الكلّ فى الكلّ يتصرّف فى شئون الدولة كما يشاء ، وهو فى ذلك منـدفع كلّ الاندفاع ، مهاب كل الهيبة ، لم يجرأ لمعاكسته أحد ، كلّ الناس له رُكَّع سُجَّد ، يبتغون فضلا منه ورِضوانا .

مدينـــــة ساه

فى أعلى هضاب عدم تقوم مدينة ساه يحيط بها أحراج النخيل ، فالبلح أم غلات هذه المنطقة ، وأكثر القبائل الساكنة فيها من آل جابر ، وهم دائماً فى نزاع ، والفوضى ضاربة أطنابها فى كلّ البلاد ، والأمن مفقود ، وقد أخـــذ الأقوياء يرهقون الضعفاء بمطالبهم ، ويتعدّون على حقوقهم ، ويذيقونهم ســـوء العذاب ، وأخذ بعض الأشرار يحرقون النخل سفاهة وحمقاً ، ويعطلون الحرث ، وينهبون ويقتلون ، وكان العزل من السلاح ، يستنجدون ولكن لا منجد ، ويستغيثون ولا مغيث ينشلهم مما هم فيه من الشقاء وسوء الحال ، ويقطع عنهم دابر الظالمين ، وفى ســنة ١٣٣٢ بعث الأعيان من حملة السلاح وغيرهم وفداً إلى المكلا ، ورفعوا للسلطان غالب شكواهم ، وطلبوا إليه أن يبسط حمايتــه على ساه ، ويقيم فيها والياً من قبــله ليزيل ما فيها من المظالم ، ويصلح شئون الأهلين ، فأرسل السلطان غالب سالم أحمد البكرى اليافعى وبصحبته ٢٥ رجلا من يافع على أن يقوم آل جابر بجميع مصروفاتهم مدّة قيامهم بالأمر فى ساه ، فأخذ الوالى سالم أحمد البكرى يدير شـئون الناس ، ويصلح ذات البين ، حتى اسـتطاع بما عرف به من لين وحزم أن يعيد إلى الضعفاء حقوقهم من أيدى الأقوياء ، ويزيل المظالم ، ويخمد الفتن ، ويبثّ الأمن ، ولما توفى قام بالأمر بعــده سالم فرج ، ثم تلاه أحمد سعيد الحداد القعيطى .

مقتـــــل الحموم

الحموم من أكبر قبائل البادية وأكثرها عبثاً بالسلام ، ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠٠ نسمة ، ويكسنون الهضاب العالية الواقعة شمال المكلا ..

والحموم فخائذ لكلّ منها رئيس يتحا كمون إليه فيما يشجر بينهم من النزاع ومايحدث من الخصام ، وأراضيهم قاحلة جدباء ، لا تنبت رزقاً إلا إذا نزل المطر ، وقد تمرّ السنون ولا يسقط عليهم مطر ، فتقفر أوديتهم ، ويشتدّ الجفاف ، وتزداد حالتهم تعاسة وضنكا فيهيم بعضهم باحثاً عن قوته وقوت عياله ، فإذا التقى بعابر سبيل نهبه وسلبه وربما قتله . أما الذين يعيشون منهم على التجارة بواسطة جمالهم التى تحمل الأثقال من بلد إلى آخر ، فهم فى شىء من الراحة والهناء ، ولقد اشتهر الحموم بمناوءة حكومة القعيطى من قديم ، وإقلاق راحتها وراحة الأهلين ، قطعوا الطريق ، ونهبوا وقتلوا ، وعبثوا بالسلام فى الشواطئ بين المدن والقرى ، وفى الهضاب والجبال ، ولقد تكبدت الحكومة من جراء مشاكلهم خسائر فادحة ، وبذلت لكبح جماحهم ، وردع شهواتهم أموالا طائلة ، وعقدت معهم صلحاً مرات عديدة ، وجعلت لهم نحو ٤٠٠٠ ريال سنويًا ، ولكنها لم توفق فى أمرها ، وحينما انتهى الصلح سنة ١٣٣٦ أراد الحموم أن يعقدوا صلحاً من جديد على أن تدفع الحكومة مرتباً أكثر مما كانت تدفعه لهم ، فأرسل السلطان غالب بن عوض القعيطى إلى أمير الشحر ناصر أحمد بوبك الحداد القعيطى أن يشعره بدخول الحموم الشحر ، وجاء نحو ٤٠٠ رجل منهم ٢٩ من كبار رؤسائهم وأعيانهم ، وجاء السلطان غالب إلى الشحر فى سيارته الخاصة ، واتفق هو والأمير ناصر أحمد على أن يقتل رؤساء الحموم الموجودين فى الشحر ويسجن أتباعهم ، ثم عاد السلطان إلى المكلا فى نفس الليلة التى أتى فيها ، وفى اليوم الثانى أمر الأمير ناصر برؤساء الحموم ، وقتلوا فى حصن يقال له دار ناصر ، وعددهم نحو ٢٩ رئيساً ، ثم أمر بأتباعهم وكانوا منبثين فى شوارع المدينة ، فألقى القبض عليهم جميعاً وسجنوا ، ومات كثير منهم فى السجن ، ولقد كان لهذا الحادث الجلل وقع فى نفوس فخائذ الحموم ، وهاجوا وماجوا ، وظنّ الناس أنهم سيثورون ثورتهم ضدّ الحكومة ، ولكن لم يحدث شىء من ذلك ، فقد ألقى فى قلوبهم الرعب والفزع . فانكمشوا وهمدوا ، وخمدت ريحهم .

احتـــلال وادى الأيسر

ظل باصرّة والى دوعن من قبل حكومة القعيطى يحكم فى شىء كثير من الشدة ، فهابه الناس،وأطاعوه من غير كره ولامقت ، وأخذ يبسط يديه كل البسط لأصحاب النفوذ الروحى ، حتى توطدت دعائم حكمه ، وتوثقت بينه و بين الأهلين روابط الصداقة والولاء فأحبوه ، ولـكن لرهبة فى قلوبهم ، وانتشر الأمن فى طول البلاد وعرضها ، واستمرّت الحال على ذلك سبع سنوات متتالية ، ثم عطف نظره إلى وادى الأيسر ، فألفى نفوذ آل عمودى الروحية متغلغلة فى أرجاء ذلك الوادى تحميه قوة قبائل الحالكة الذين يدّعى ابن محمد سـعيد العمودى أنهم أتباعه وأنصاره ، وأنهم يخضعون له وينفذون إرادته كما كان يخضع الدّين والقثم لابن مطهر العمودى صاحب بضة .

مقتـــل يافع

وحدث أنه كان فى دار الشيخ العمودى اثنان من يافع هما الحريبى وابن شيهون ، وسبعة من آل بلحمر يتحادثون بحضرة الشيخ فى شىء كثير من الود والصفاء ، ولما خرجوا من عند الشيخ و وصلوا أمام دار الحريبى عرض اليافعيان على آل بلحمر أن يضيفاهم فاعتذروا وشكروهما على لطفهما ، ولما أدبر اليافعيان أطلق عليهما آل بلحمر بنادقهم فأردوهما قتيلين ثم هربوا ، ومرّوا أمام دار الحضرمى اليافعى ، فأطلق عليهم بندقيتـــه وقتل رئيسهم ثم قتل آخر ، وجاء جماعة من آل بلحمر وأحاطوا بالدار ، ولـكن الحضرمى انسلّ وأطلقوا عليـه النار فلم يصيبوا منه مقتــلا ، والتجأ فى دار الشيخ العمودى ، وعلم باصرّة بالحادث ، فبعث ٧٥ رجلا من يافع ومن رجاله البدو ، وكادت الحرب تشتعل من جديد لولا تدخل الشيخ العمودى فى الصلح بين الفريقين ،

ولكن قلوب آل بلحمر ما انفكت تتأجج غيظاً بالرغم من تعادل الكفتين ، ففى ليلة من ليالى سنة ١٣١٧ سرى ان حطبين أحد رؤساء يافع وبصحبته خمسة من عشيرته ، فدلت عليهم امرأة ، فخرج عليهم جماعة من آل بلحمر ، وكمنوا لهم بين النخيل وقتلوهم جميعاً ، فلم ير باصرّة بدّا من إعلان الحرب على وادى الأيسر .

الخلاف بين آل باهبرى وبين الخنابشة

ثم اتفق أنه فى أواخر سنة ١٣١٧ حدث نزاع كبير بين آل باهبرى سلاطين سيبان[1] وبين الخنابشة[2] ، فانتهز هذه الفرصة باصرّه وانضمّ إلى الخنابشة سرّا فى بادئ بدء ، ومنشأ هذا الخلاف امرأة من آل باهبرى تدعى قمر فى قرية يقال لها جريف ، وكان بهذه القرية فخيذة من الخنابشة تسمى آل باشجيرة ، وقد استفحل النزاع وتفاقم خطره ، بين أقارب المرأة آل باهبرى ، وبين آل باشجيرة ، حيث أشهر السلاح بين الفريقين ، واستنجد آل باهبرى بالحالكة القاطنين بوادى الأيسر كما استنجد آل باشجيرة بعشيرتهم الخنابشة الساكنين فى الجحى ، ولما بلغ ذلك باصرّة أنجد الخنابشة بالمال والسلاح والرجال من يافع ومن رجاله البدو ، وأرسل للسلطان غالب يطلب إليه السماح بالتجهيز لحرب وادى الأيسر واحتلاله لنشر الأمن فى ربوعه ، وإقامة العدالة فى الأهلين فأجابه إلى ذلك ، وبعث إليه ذخائر ، فهبت قبائل الحالكة تحارب يافع بكلّ مالديها من قوّة ، وتدافع عن بلادها بما عرفت به من الشدة ، وكان على رأسهم بلحمر ذو الأمر المطاع والكلمة النافذة . أما آل عمودى فى وادى الأيسر ، فقد التزموا الحياد فى هذه الحرب ، ولم تظهر منهم أية حركة ضدّ يافع لأنهم رأوا العبرة

---

(١) يدعى آل باهبرى أنهم سلالة سلاطين سيبان ، وبالرغم عن قلة عددهم فى وادى الأيسر وحمم ، فإن لهم مقاماً محترماً عند قبائل سيبان ، لاسيما الحالكة ، وحينما ينادى أحدهم يقال له : ياسلطان .

(٢) قبيلة صغيرة لايزيد عددها عن ٦٠ رجلا ، وليس لهم صلات متينة بالقبائل المجاورة لهم وهم دائما مشاغبون متعطشون للمشاكل والمحن .

فى جماعتهم فى دوعن العليا ، وهم فى الوقت نفسه يعتقدون أنه إذا انتصرت الحالكة فى حربها ضدّ يافع فسينفردون بالحكم فى وادى الأيسر كله .

استمرّت الحرب نحو سنة وكانت محاربة الحالكة ليافع أشبه بمناوشة العصابات ، أما باصرّة فعلى شىء من النظام والاستعداد ، وقد أتاه مدفع من المكلا وصوّبه على العرسمة مقرّ ـ المقدم ـ بلحمر ، وهدم بيوتاً منه ، وانتهت الحرب باندحار قبائل الحالكة . أما بلحمر فقد غادر العرسمة ، وهام فى الأودية والجبال لا يلوى على شىء حتى إذا جاء ريدة الجوهيين أقام فيها بين عشيرته سيبان ، وكان عدد القتلى من يافع ١٤ شخصاً ، ومن الحالكة وآل بلحمر ٢٦ نفساً .

بعد أن قوض باصرّة السلطات فى وادى الأيسر ، أنشأ استحكامات فى بعض البلدان ، ووضع فيها حامية من يافع ومن عشــيرته ، وأخذ من كلّ فخيذة من فخائذ الحالكة خمسة رجال كرهائن عنده ، وأبقاهم فى دار العرض التى هى بمثابة السجن ، وفرض على الحالكة غرامة الحرب التى بلغت نحو العشرين ألفاً من الريالات ، فمنهم من دفع قسـطه ، ومنهم من امتنع وهاجر إلى ريدة الجوهيين ، ومنهم من أقطع لباصرّة أراضى فى مقابل قسطهم من الغرامة ، وهذه الأرض صارت منطقة احتكاك بين البـدو قبيلة باصرّة و بين الحالكه الأمر الذى جعل الفتنـة تثور بين الفريقين حيناً بعـد حين ، ثم كوّن باصرّة لجنة لفرض الضرائب والرسوم على سكان وادى الأيسر ، وكان على رأسها محمد بن الشيبة العمودى الذى تجسس لباصرّة ضـدّ جماعته آل عمودى فى الحرب الأولى . أخذت هـذه اللجنة تطوف أرجاء الوادى وتفرض الضرائب على الرعايا التى بلغت نحو ٣٠٠٠٠ ريالا ، ولقد فرضت بعض هذه الضرائب على أناس لا يملكون قوت يومهم حتى اضطرّوا لبيع ما يملكون من نخل وأرض ، ذلك لأنهم خرجوا فى حرب أنهكت قواهم ، فان المقدم بلحمر كان قد أخذ فى أثناء الحرب من الحالكة ، ومن أتباع آل محمد بن سعيد العمودى أموالا وطعاما لتجهيز

عسا كره فى الحرب ضد يافع، لذلك كانت الضرائب التى فرضها عليهم باصرّة حملا ثقيلا . فرض باصرّة رسوما ، فجعل على المشترى ٨ ٪ ، وعلى البائع ٦ ٪ ، وجعل فى كلّ بلد وكيلا يجمع تلك الرسوم و يبعثها إليه .

آل محمد بن سعيد العمودى وامتيازاتهم

كان هذا البيت الكريم من آل عمودى ذا سلطة واسعة وكلمة نافذة فى وادى الأيسر ، ولم يكن لهم منافس فى السلطة سوى المقدم بلحمر[1] ، ولكن بالرغم عن قوّة أتباع هذا التى توازى أضعاف قوّة العمودى ، فإنه كان يشعر بشىء من الهيبة والاحترام لآل محمد بن سعيد العمودى لشدّة تأثير سلطة هؤلاء الروحية فيه ، ولذلك فإنه لم يستطع أن يرغمهم ولا أتباعهم على الانضمام إليه ضدّ يافع ، فقد ظلوا على الحياد فى حرب وادى الأيسر ، ولما احتلّ القعيطى وادى الأيسر أبقاهم فى مراكزهم ومنحهم الفصل فى القضايا الصغيرة الجنائية والمدنية على أن يكون المتخاصمين الحقّ فى استئناف الحكم إلى باصرّة والى دوعن العام ، أو إلى المركز الأعلى للحكومة فى المكلا .

وجعل القعيطى لبعض أفرادهم مرتباً سنويًا نحو ٣٠٠ ريال ، ولقد أعفى جميع آل محمد بن سعيد العمودى من الضرائب والرسوم . أما بيوتات آل عمودى الأخرى وهم كثيرون فى صبيح وفيل وحوفة وقيدون ، فقد فرضت عليهم الضرائب كبقية الأهالى .

(١) آل بلحمر من أكبر بيوتات سيبان وأعزّها رجالا وأشرفها مقاماً .

أمـــير تريم

فى عام ١٢٩٥ تولى إمارة تريم الأمير محسن بن غالب الكثيرى ، وقد كانت سيرته فى بادئ بدء حسنة ، ولكن فى أواخر أيامه أرهق سكان تريم بالضرائب ، وفى مقدمتهم السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف ، ولقد عارضه بعضهم وامتنعوا عن دفع الضرائب ، ولكن الأمير أرغمهم على دفعها . أما السيد شيخ الكاف فقد غادر تريم هرباً من الضرائب الفادحة وسار إلى دمون ، ثم أراد أن ينتقم من الأمير ، فأخـــذ يحرّك آل تميم ضدّه ، ويحرضهم على احتلال تريم ، وأمدّهم بالمال والسلاح ، فثارت الحرب بين الفريقين عام ١٣١٥ ، وحاصر آل تميم تريم أياماً ، وكادوا يستولون عليها لولا قيام بعض الأعيان بالصلح ، ثم عاد الكاف إلى تريم ، وكان الأمير محسن ابن غالب قد ضاق ذرعاً من تريم بعد أن أخذ الموت يخطف أولاده الواحد بعد الآخر ، وراجت لديه فكرة خرافية ، وهى أنه لن يعيش له ولد مادام هو فى تريم ، فانتقل هو وعائلته إلى ســـيون سنة ١٣١٧ ، وهناك رزق بأربعة أبناء ، وتوفى عام ١٢٤٣ .

توسط السلطان غالب بالصلح بين يافع وإمام اليمن

فى سنة ١٣٣٧ هجم الزيود وعددهم ٣٠٠٠ رجل على الشعيب لاستردادها من أيدى يافع ، ولم يكن فيها أحد من يافع ســوى سكانها الأصليين ، فاجتمع يافع فى البلاد السفلى لإخراج الزيود ، ولكنهم تنازعوا ففشلوا ، ولم يذهب منهم إلى الشعيب غـير ٨٠٠ رجل فقط ، فثارت الحرب واندحر يافع ، والتجأوا فى القزعة وتحصنوا فيها ، ولكن الزيود أحاطوا بهم ، وقطعوا عنهم الماء والقوت ستة أيام ، وأطلقوا عليهم المدفع ، فهدّوا الحصون ، وأسروا ١٣ شخصاً من يافع ثم قتلوهم فى

السجن ، وكان عدد القتلى من يافع ٢٥٠ ، ومن الزيود ٤٠٠ ، ولقد استفحل الخلاف بين الفريقين ، وأخذ يافع يتجمعون لاسترداد الشعيب ، وبدأت المناوشات من الطرفين ، ثم أرسل السلطان غالب بن عوض القعيطى وزيره السيد حسين حامد المحضار ، وجماعة من كبار يافع بالبنادر للاصلاح بين يافع والإمام يحيي ، وأعطاه عشرين ألف ريال ، وكان السيد حسين حامد مندوبا فى الصلح عن حكومة القعيطى وعن والى عدن الذى أعطاه عشرين ألف ريال فى مقابل مصاريف ذهابه إلى يافع وإلى اليمن ، واستطاع السيد حسين حامد المحضار بدهائه وسياسته أن يرضى الطرفين بالتى هى أحسن ، ويقيم بهم صلحاً لمدة ١٢ سنة .

معاهدة عـــدن

أراد السلطان غالب بن عوض القعيطى أن يجعل للبلاد شيئاً من النظم الحديثة ، ويرفع من شأن حكومته ويعلى قدرها ليكون لهـا القيمة التى تستحقها ، والإجلال الذى يجدر لكلّ حضرمى أن يحمله نحوها ، وألفى الظروف تساعده فيما أراد ، فإن الثغور فى يده ، والقبائل تطلب ودّه ، فسافر إلى حيدرأباد ، واجتمع بأخيـــه السلطان عمر بن عوض ، وبابنه الأمير صالح بن غالب وشاورهم فى الأمر ، فاتفق رأيهم على إنشاء إدارة للباسبورتات فى المكلا ، وسافر السلطان غالب إلى عدن فى طريقه إلى المكلا عاصمة ملكه ، وفاوض الإنجليز فى الأمر بواسطة والى عدن ، ولـكن هذا صرّح له أنه لابدّ لتنفيذ الأمر من اعتراف حكومة آل عبد الله الـكثيرى بالسيادة لحـكومة القعيطى ، فبعث السلطان وزيره السيد حســـين حامد المحضار إلى آل كثير ، وسعى الوزير بما عرف به من الدهاء والـكياســـة لإرشادهم للاعتراف بسيادة حكومة القعيطى على حضرموت ، ولقد نجح الوزير فى رسالتـــه وكان الاعتراف من جانب أعضاء البيت المـالك ، وهم آل عبد الله ، ولـكن قبائل آل كثير عارضوا وأعلنوا جهاراً عدم اعترافهم بالســيادة للقعيطى ، فراودهم الوزير ولـكن من غـير جدوى ، ولقد ازداد الخلاف ، وتطوّرت الحال إلى التجمع ، والاستعداد للحرب ضدّ القعيطى ، فأرسل السلطان غالب جيشاً من يافع ومن العبيد إلى شبام ، وبنى قلاعاً فى الدحقة على مقربة من آل سند ، فثارت الحرب بين الفريقين ، وحاصر السلطان غالب آل كثير من ناحية الثغور ، فلم يستطيعوا السفر إلى الخارج ، أو يأتى المهاجرون منهم إلى حضرموت إلا من طريق القبلة مع أشـــدّ أنواع الأخطار ، ومنع أيضاً صادراتهم ووارداتهم كما طلب من والى عدن حجز واردات آل كثير من حوالات مالية وغـــيرها ، فأصبح موقف آل كثير حرجاً

جدا ، وأخيراً أى بعد سنة و بضع شهورطلب والىعدن من حكومتى حضرموت إيقاف الحرب ليتوصل إلى إصلاحهما ، وأرسل إلى بعض كبار آل كثير فى جاوه وسنقفوره ، فجاءه السادة سالم بن جعفر ، وسالم محمد بن طالب ، وصالح عبيد بن عبدات ، وأرسل إلى السلطان علىّ بن منصور الكثيرى، فسافر السلطان علىّ إلى المكلا من طريقه إلى عدن ، فقوبل من لدن حكومة القعيطى بكلّ إجلال وتعظيم ، وأطلقت المدافع ترحيباً به وإكراماً لقدومه ، ثم سافر عظمته وعظمة السلطان غالب بن عوض القعيطى ، و بصحبتهم السيد حسين حامد المحضار ، و بعض كبار يافع إلى عدن فى باخرة إنجليزية أرسلها الوالى خصيصاً لنقلهم . اجتمع القوم فى عدن تحت إشراف الوالى ، وكتبت المعاهدة التى وافق الجميع على كلّ ما جاء فيها من شروط وتعهدات ، وهذه هى المعاهدة بحذافيرها :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : قال الله تعالى فى كتابه العزيز : «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ» ، وقال الله تعالى : «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» ، وها نحن ولله الحمد مؤمنون ، ومتبعون لهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ومعتقدون بأن فى إجماع الكلمة ما يعود نفعه للمسلمين ، وصلاح العباد والبلاد ، وراغبين فيما يوجب الأمن والراحة للأهالى ورفاهيتهم فى داخل البلاد وخارجها ، فلهذا الدول الكرام القعيطية ، وآل عبد الله عقدوا بينهما معاهدة مؤبدة إلى أن يشيب الغراب و يفنى التراب ، وهما السلطان السير غالب بن عوض بن عمر ، وعمر بن عوض بن عمر القعيطى عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة ، والسلاطين منصور بن غالب ، ومحسن

ابن غالب آل عبـد الله عن أنفسهما وورثائهما وخلفائهما ومن يكفلهما من جهة ، وجعلوا الشروط الآتية :

[الشرط الأول] : يرتضى السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا وسلاطين آل عبد الله أهل كثير أن يكون إقليم حضرموت إقليما واحـــداً ، وأن الإقليم المذكور هو من تعلقات الدولة البريطانية تابعاً لسلطان الشحر والمكلا .

[الشرط الثانى] : يقرّ السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا أن سلاطين آل عبد الله هم سلاطين الشنافر ، ولـكن آل عبد الله يحكمون فى داخل حضرموت على مدن وقرى ســيون وتريم وتريس والغرف ومريمة والغيل ، وصار الاعتراف أن فخذ الشنافر الآتى ذكرهم تابعون لسلاطين آل عبدالله ، وهم آل عمر ، وآل عامر . والفخايذ آل كثير والعوامر ، وآل باجرى ، وآل جابر وماشملته حدودهم ، وهى معروفة مشهورة .

[الشرط الثالث] يتعهد السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا عن نفسه وورثائه وخلفائه من الجهة الأولى بأنه يقرّ و يعترف بالحقوق والسيطرة لســلاطين آل عبد الله وورثائهم وخلفائهم فى المدن والقرى المذكورة، وعلى فخائذ الشنافر المذكورة فى الشرط الثانى المذكور أعلاه ، وأنه لن يعترض لهما فى أىّ أمر كان مطلقا ، وأنهم سلاطين مستقلون فى بلادهم المعينة فى الشرط الثانى .

[الشرط الرابع] : يقبل سلاطين آل عبد الله عن أنفسهم وورثائهم وخلفائهم من الجهة الأخرى بأنهم لن يعترضوا بأىّ طريقة كانت للحكم على حضرموت ما عدا المدن والقرى المذكورة فى الشرط الثانى ، وكذلك الفخذ المذكورة فى الشرط المذكور ويقرّوا و يعترفوا ويقبلوا بأن ليس لهم حقّ فى التعرّض فى محلات أخرى .

[الشرط الخامس] : يرتضى سلاطين آل عبد الله أن يقبلوا أن المعاهدة المنعقدة بين الدولة البريطانية ودولة القعيطى فى ســنة ١٨٨٨ م رابطة لهم وكأنهم جعلوها ، ويرتضون بأن يمتثلوا شروطها بأمانة ، ويرتضون أيضاً أن تكون جميع معاملاتهم ومراسلاتهم مع الدولة البريطانية بواسطة السلطان القعيطى مولى الشحر والمكلا .

[الشرط السادس] : كِلاَ الفريقين يقبلان أن يوقفا الفتن فى الحال والاستقبال حالا ويقبلان أن ينسيا ، ويعفيا عن كلّ ماسلف ، وأن لا يصير من أحدهما انتقام أو مطالبة فى عوض ، ويرتضيان أن يحافظا فى المستقبل على الأمان فى السبل الكائنة فى حدودهما المعروفة ، وإجراء العدالة طبقاً للشريعة ، واحترام السادة العلوية ، وإسعاف المظلوم ، وإقامة العدالة العامة فى حدودهما المعروفة .

[الشرط السابع] : يقبل المذكورون أن يساعد بعضهم بعضاً إذا حصل خلاف من أحد الحزبين على رعاياهم وأصحابهم ومن تعلق بهم ، أو على شريف ، أوعابر سبيل ، أو قاصر يد ، ويقبلوا أن يحافظوا على أرواح وأموال بعضهم بعضاً ، وأتباعهم ورعاياهم ، ومن يلوذ بهم ما داموا فى حدودهم المعروفة ، وأن يعاملوهم بالعدل والإنصاف كمعاملتهم لغيرهم من أصحابهم .

[الشرط الثامن] : يرتضى المذكورون بأن تكون الحرية المطلقة للتجارة ، وأن تؤخذ العشورات بالمقدار المرتب على جميع الناس سواء كانوا رعايا أيًّا كان من السلطانين المذكورين .

[الشرط التاسع] : إذا رغب أحد السلطانين المذكورين أعلاه أن يزور الآخر ينبغى أن يخبر براده حتى يكون الاستعداد لمقابلته بالاحترام الواجب ، ويحتاج أن لايزيد فى أىّ حالة كانت مقدار العسكر عن خمسين نفراً اتقاء لحدوث الفتنة بين العسكر.

[الشرط العاشر] : سلاطين القعيطى وسلاطين آل كثير يقبلون بالسوية أن يعاون بعضهم بعضاً بحسب مقدرتهم واستطاعتهم فى أىّ تدبير فيه صلاح حال حضرموت ورقيها.

[الشرط الحادى عشر] : فمقابلة لقبول الشروط المذكورة أعلاه من لدن سلطان الشحر والمكلا ، وسلاطين آل عبد الله آل كثير سوف تجتهد الدولة البريطانية أن تصلح جميع المخاصمات الناشئة فى المستقبل بين المذكورين بعد تاريخ هذه المعاهدة بالتحكيم بواسطة والى عدن .

حرّر فى ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ

صحيح

غالب بن عوض القعيطى

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

شهد على إقرار المذكور

سالم بن جعفر بن طالب

شهد على إقرار المذكور

ناصر بن عمر بن يمانى بن مرعى بن طالب

وهذه إمضاءات نسخة أخرى من هذه المعاهدة

صحيح

المنصور بن غالب بن عبد الله الكثيرى

شهد بذلك

حسين بن حامد المحضار

صحيح

محسن بن غالب بن محمد أحمد بن عبد الله

شهد بذلك

سالم بن جعفر بن طالب

صحيح

غالب بن عوض بن عمر

شهد بذلك

ناصر بن عمر بن طالب

رفض آل كثير المعاهدة

لا شــك أن الذى يلق نظرة فى شروط المعاهــدة يجدها ترمى إلى غرض مهمّ هو تقوية الروابط بين الحكومتين اليافعية والـكثيرية ، وتوثيق الصلات بينهما ، وإلى التساند والتآزر على إصلاح العباد ، وتعمير البلاد ، وليس من شكّ أن ذلك ضرورى لأمة تريد الحياة ، ولـكن لخاذ آل كثير شعروا بشىء من الغبن فى جانبهم ، ورأوا أن المعاهدة لم يراع فيها مصلحة الطرفين ، فهم وجدوا :

أوّلاً : أن الحـكومة الـكثيرية أصبحت بموجب الشرط الأول تابعة لحـكومة القعيطى اليافعى .

ثانياً : أصبح حكم آل عبد الله محصوراً فقط فى سيون وتريم وتريس والغرف ومريمة والغيل ، وبناء على هــذا لا يجوز بأىّ حال أن تمد الدولة الـكثيرية نفوذها ، وتبسط سلطتها ، أو تتعرّض للحكم فى غير البلدان المذكورة أعلاه ، بينما للدولة القعيطية اليافعية كلّ الحق أن تبسط نفوذها ، وتحكم غير سـيون وتريم وغيرها من أملاك آل عبد الله .

ثالثاً : جاء فى الشرط الخامس أنه لا يجوز للدولة الـكثيرية إنشاء أية عـــلاقة سياسة أو مفاوضة أىّ هيئة سـياسية فى الخارج إلا بواسطة الدولة القعيطية ، وهذا يؤكد مايرمى إليه الشرط الأوّل من بسط نفوذ الثانية على الأولى وسيادتها عليها .

هكذا أدرك آل كثير وعلى هذا التأويل فسروا المعاهدة لذلك رفضوها فى صراحة حينما عاد إليهم وفدهم ، وأعلنوا عـدم الانقياد لـكلّ ما جاء فيها من شروط ، ولما بلغ ذلك إلى الحـكومة القعيطية أرسلت وزيرها السـيد حسـين حامد المحضار وبصحبته خمسون رجلا من يافع ، واجتمعوا فى حوطة أحمد بن زين ، ولما طال الكلام واحتدم الخلاف ، رابط بضع مئات من آل كثير خارج حوطة أحمد بن زين ، وأرادوا الفتك

بالوزير حسين حامد ومن معه من يافع ، ولكن الوزير أدرك التآمر والمكيدة فتظاهر بالرغبة فى المبيت فى تلك الليلة ، وأرسل إلى شبام يطلب أرزاً وغنما وطباخين ، ولما علم بذلك المتآمرون من آل كثير انسحبوا ، وعادوا إلى بيوتهم على أن يعودوا فى اليوم التالى ، ولكن الوزير حسين حامد رحل ومن معه فى تلك الليله إلى شبام تاركا الطعام واللحوم والطباخين لأهل حوطة أحمد بن زين ، وهكذا استطاع الداهية أن ينجى نفسه ورجاله من بين براثن الموت ، ثم أرسل إلى السلطان غالب بن عوض ، فبعث السلطان إلى والى عدن ، فأرسل هذا أحد رجاله من الإنجليز إلى آل كثير بعد أن مرّ على شبام ، وأخذ معه الوزير حسين حامد وأربعمائة رجل من يافع ، واجتمع بأعيان آل كثير ، فوافقوا على كلّ ما جاء فى المعاهدة من الشروط ، وذلك سنة ١٣٣٤ .

وفاة السلطان غالب القعيطي اليافعي



السلطان غالب القعيطي اليافعي

فى سنة ١٣٣٧ توفى السلطان غالب بن عوض القعيطى فى حيدرأباد ، فحزنت الأمة عليه أشدّ الحزن ، وآلمهم فراقه أشدّ الألم . كان صافى السريرة ، حميد السجايا ، كريم الخصال، صالحاً ورعاً ، محبًّا للخير ،كان حليما رحيما متواضعاً كلّ التواضع، لم يكن عظمته يميل إلى متاع الدنيا وزخرفها ، ولم يركن إلى الخمول والهمود والراحة ، بل كان نشيطاً يقظاً ، وكان همه تقوية مركز حكومته ، وتوسيع نطاق نفوذها ، وتوثيق الصلات بينه وبين القبائل المتاخمة لحدود مملكته ، لم يحدث فى حياته أنه أساء إلى شخص أو عاقبه من غير ذنب جناه أو جريمة ارتكبها ، بل كان حريصاً كلّ الحرص على تنفيذ الأحكام فى حدود العدالة ، ولقد نفذ حكم الإعدام على ثلاثة أشخاص : أحدهم كثيرى ، والثانى أحد مواليه ، وآخر سمسار ، ذلك لأنهم قتلوا البكور بى غدراً ، وكان نائماً فى أحد مساجد شبام ونهبوا نقوده ، فأرسل إلى الثلاثة وأعدمهم فى المكلا على مرأى من الناس[1] .

ومن أعماله احتلال ساه . وقمع شوكة الحموم ، وامتداد السلطة على وادى الأيسر ، ومعاهدة عدن .

قام بالأمر بعده أخوه السلطان عمر بن عوض القعيطي ، فظلت شئون الحكومة كما كانت فى عهد الراحل الكريم ، وظلّ السيد حسين حامد المحضار وزيراً لها والحاكم بالنيابة حينما يذهب السلطان عمر إلى حيدرأباد .

---

(١) كان البريكى أحد عبيد القعيطى الأبطال ، وهو من أحبهم لدى السلطان لبسالته وشجاعته ، ولكن السلطان لم يتردّد فى إعدامه تنفيذا لحكم الشرع ، ومما يؤثر عن هذا المولى أنه كان أحد آل كثير يقال له العمسا ، يقطع السابلة فى ضواحى شبام ، ويلق الرعب فى قلوب الناس ، فسار إليه البريكى وبصحبته ٢٥ شخصاً من يافع ، وفى مقدمتهم عمر صلاح الحدى اليافعى ودخلوا داره ، فوجدوه نائماً فى السطح فأيقظوه ، فهبّ من نومه مذعوراً ، واندفع إليهم ليطعنهم بخنجره ، ولكنهم مسكوه وقتلوه فى الحال ، ولما خرجوا من باب الدار ألقت عليهم زوجة القتيل (مرها) فأصابت عمر صلاح إصابة خفيفة .

هينن

بعد أن تخلى الحاكم السيد سالم بن علىّ بن هرهرة اليافعى عن مدينة هينن سنة ١٢٨١ اضطربت شئونها ، وتعدّى الأقوياء على حقوق الضعفاء . ففقد الأمن ، وانتشر الرعب فى الناس ، وفى سنة ١٣٤١ سار وفد من أعيان هينن إلى الأمير على ابن صلاح القعيطى اليافعى حاكم شبام وملحقاتها ، وطلبوا إليه بسط حمايته على هينن ، وإرسال نائب من لدنه يدير شئون الأهلين ، ويصلح أحوالهم ، فبعث الأمير علىّ جماعة من يافع وعبيد ، وجعل السيد محمد صالح لحمدى اليافعى حاكما من قبله على هينن .

حرب العصابات فى دوعن

بقيادة محمد بن عمر باعقيل باعلوى

يسكن هضاب دوعن ومرتفعاتها قبيلة الدّين ، وهى من أكبر قبائل البادية وأصعبها مراساً ، وهم دائما فى ضنك من العيش ، لجدب أراضيهم ، وقفر أوديتهم ، ولا يهنأ لهم مقام ، إلا إذا نزل المطر ، حيث يزرعون فيأكلون . ولما جاء محمد بن عمر باعقيل ، وكان ذا مال أراد أن يكون له مركزاً عظيما ، أو بعبارة أوضح حاول أن يخلق له إمارة فى قيدون ، فاستمال إليه خمسين رجلا من قبائل الدّين بما بذله لهم من المال ، وأخذ يعبث بالأمن ، ويثير المشاغبات والمناوآت ، فأرسل إليه نائب حكومة القعيطى خمسة عشر جنديًا وألقوا القبض عليه وأتوا به إليه ، فاعترف محمد باعقيل بعصيانه ، وطلب إليه العفو ، فأجابه النائب إلى ذلك ، ولكنه عاد إلى بلده ، وجهز ١٥٠ رجلا من الدّين لمناوأة النائب ، فبعث إليه النائب ٢٠٠ جندى ، فهرب محمد باعقيل وعصابته بعد أن نهبوا مواشى بعض الرعايا ، واستطاع النائب أن يلقى القبض عليه وهو ذاهب إلى بظة ، وأرغمه بدفع ٥٠٠ ريال ثمن المواشى المنهوبة ، وأطلق سراحه ولم يكد يصل باعقيل بلده حتى جهز ٧٠٠ رجل من الدّين ، وكمن بعضهم فى وادى دوعن وقتلوا ليلا ثلاثة من جند الحكومة ، وفى الليلة الثانية قتلوا اثنين ، ثم أحرقوا نخلا كثيراً ، ونهبوا عبداً وثلاثة حمير ، ومسكوا ابن البارّ ظنا منهم أنه ابن حسين حامد المحضار ، وفى الصباح اتضح لهم أنه ابن البارّ ، فأطلقوا سراحه. أما النائب فقد أرسل إلى الحكومة بالمكلا يطلب المدد ، فأرسلت الحكومة إليه وزيرها حسين حامد المحضار ، و بضع مئات من يافع ، والتحمت الحرب بين الفريقين ، فانهزمت قبائل الدّين شرّ هزيمة ، وقتل من يافع أربعة وجرح اثنان ، ولما رأى البدو تقدم الجيش

الحكومى واستيلاءه على بعض أما كنهم خافوا العاقبة ، فأرسلوا عدداً من أعيان البارّ وآل عطاس إلى قائد الجيش ليطلبوا إليه إيقاف الحرب ، فأجابهم إلى ذلك بعد أن سلموا إليه زعيم العصابات محمد باعقيل ، و ٢٤ رجلا من الدّين ، وسجن هؤلاء فى دار الصنعة عند النائب ، أما محمد باعقيل فقد سجن فى المكلا ، وكان ذلك سنة ١٣٤٢ ، وظلّ محمد فى السجن أربع سنوات ، ولم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع للحكومة ٥٠٠٠ ريال كغرامة للحرب التى أشعلها بيده .

حادثة الديس

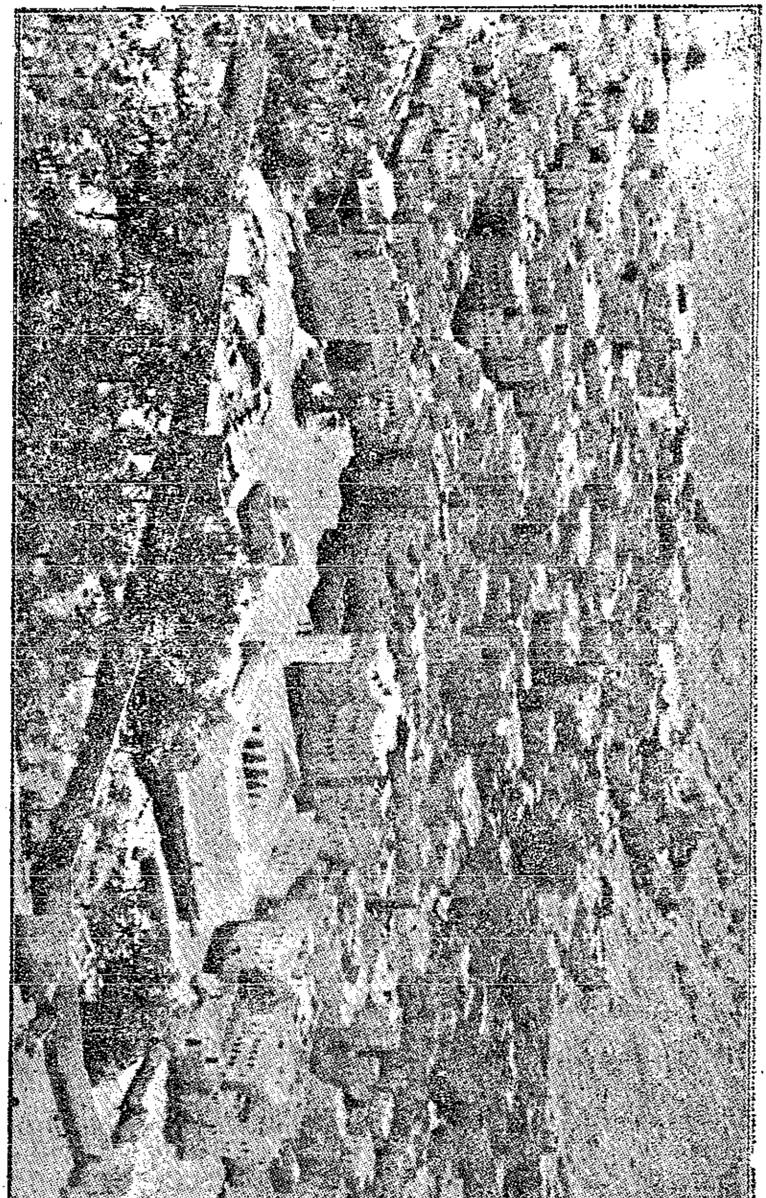
حينما ازدادت مشاغبات قبائل الدّين فى دوعن وتعدّوا على الحرث والنسل أخذ الوزير حسين حامد المحضار بضع مئات من يافع فى المكلا والشحر والغيل والحامى والديس ، وذهب بهم إلى دوعن لقمع مشاغبات الدين ، والقضاء على اضطراباتهم ، وكانت الحال فى بلدان السواحل ، وبالأخص الحامى والديس فى أشدّ الحاجة إلى حامية قوية نظراً لمناوشات الحموم وتحفزهم للنهب والسلب ، ولكن الوزير لم يهتمّ لذلك ، وكان السلطان عمر بن عوض فى حيدرأباد ، فانتهز الحموم تلك الفرصة ، وزحف نحو ٢٠٠٠ رجل منهم على الديس، فخرج لهم محمد ضيف البكرى اليافعى، وبصحبته عشرة من يافع ولكنه قتل وخمسة من رجاله ، وقتل من الحموم أربعة ، وحاصر الحموم الديس وأحاطوا بها أياما ، ولما بلغ ذلك إلى الشحر أرسل واليها بالنيابة عمر صالح بن هرهرة اليافعى كتابا لأهل الديس يأمرهم بالصبر والثبات حتى يأتيهم المدد ، ولكن الحموم مسكوا الرسول واطلعوا على الكتاب ، ثم هجموا فى الحال على الديس ، وظلوا فيها أياماً ينهبون المتاجر وغيرها ، ولما بلغ ذلك إلى الشحر بعث الوالى عمر صالح إلى الأمير سالم أحمد القعيطى حاكم المكلا بالنيابة ، فأرسل الأمير إليه نحو ٣٠٠ من يافع والعبيد وجهز الوالى عمر صالح ٣٠٠ رجل من جند الشحر ، ولما جاء جيش المكلا حدث بينهم وبين الوالى خلاف بشأن تكاليف الحملة ، وكان الرؤساء السادة سعيد بن حسين

الفضلي اليافعي ، وصلاح بن سالم البطاطي اليافعي ، ومحمد حسين بن حطبين اليافعي ، وعوض عبد الله اليزيدي اليافعي ، ثم ساروا إلى الديس ، ولما علم بهم الحموم هربوا بعد أن حملوا معهم من المتاجر ما استطاعوا حمله ، وأسروا بعضاً يافع وفروا بهم ، وتركوا المدينة بعد أن مكثوا فيها أياما ينهبون و يسلبون ، وكان ذلك سنة ١٣٤٣ .

حرب الغـــــرفة

تقع مدينة الغرفة بين شبام وسيون ، يحيط بها غابة من النخيل الباسق ، وتحدها من ناحية الشمال مصنعة آل عبدات ، وفى الجنوب بامتين ، ومن الغرب با بكر ديار آل عبدات أيضاً ، ثم مساكن آل الفاس ، وآل العاس ، وآل مهرى ، وآل عون ، وآل عمر البـدر ، وآل برق ، وآل حويل ، وكان الشـيخ عبد الله باعباد أوّل من عمرها ، وسميت غرفة باعباد .

ولآل باعباد فى الغرفة مآثر وصدقات جارية وأوقاف وامتيازات ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، وكانت لهم سلطة روحية اســـتطاعوا بها أن يحكموا الغرفة و يفصلوا فى المشاكل التى تحدث بين الغرفيين ، وحينما ظهر الضعف فيهم ، وبدأت سلطتهم الروحية فى التقلص والانكماش لافتراق كلمتهم وانشقاق جمعهم ، بسط آل أحمد بن زين الحبشى نفوذهم الروحى ، وتسيطروا على الغرفيين واستعبدوهم ، ولقد ساعدهم فى ذلك أمران : ضعف آل باعباد لافتراق كلمتهم ، ومساعدة بعض أرباب الشـــوكة من حملة السلاح لهم ، ولقد كانت النتيجة من جراء ذلك أن ازداد الخصام والعـــداء بين آل باعباد وآل أحمد بن زين وغيرهم من آل باعلوى ، وظلّ ذلك الخصام ثائراً حتى نهاية سنة ١٣٠٠ .



مدينة الغرفة

ثم استطاع آل أحمد بن زين بدهائهم أن يزيلوا ذلك الخلاف والعداء فى الظاهر، وأصبح الفريقان يتبادلان الزيارة ، ولكن قلوب الفريقين لم تصفُ ، فالعداوة ظلت كامنة فيهم كمون الجمر تحت الرّماد ، وبالرغم عن قوّة سلطة آل أحمد بن زين الروحية

وتأثيرها فى الغرفيين ، فإنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا الأمن فى الغرفة ويديروا شئون أهلها ، فالفوضى ضاربة أطنابها ، والأموال منهوبة ، والحقوق مسلوبة ، والدماء مسفوكة ، والأمن مفقود ، وحملة السلاح يتصرّفون فى أهل الغرفة كما يشاءون ، ويأخذون بأيديهم ما يطيب لهم من مال وطعام وما إلى ذلك ، وكان أهل الغرفة ، وبالأخصّ التجار يستغيثون مما يلاقونه من المظالم، ولكن لا مغيث ويستنجدون ولا منجد، ويستجيرون ولا مجير ، ، وحينما تثور حرب بين القبائل يحتلّ بعضهم الغرفة ، ويتخذون الدور مساكن لهم ومخافر ومراصد ، وهم يأكلون فى أثناء الحرب على حساب الغرفيين حتى تضع الحرب أوزارها ، واضطرّ بعض الغرفيين إلى أن يستنجدوا بأولى السلطة الروحية من آل باعلوى كآل أحمد بن زين ، فينجدهم هؤلاء من بعض المظالم ، ولكن على شروط هى أشدّ وطأة من مظالم حملة السلاح ، ذلك أن أولئك المستنجدين يجب أن يقرّوا عن أنفسهم وأولادهم أنهم خدم لهم ولأعقابهم ، وهكذا ينجو أولئك المساكين من ظلم حملة السلاح المؤقت ، ويخضعون لمظالم آل باعلوى المؤبدة .

وكان السيد صالح عبيد بن عبدات الكثيرى طموحاً ، شغوفاً بالرئاسة والزعامة ، ولقد ساعده دهاؤه وحزمه وثروته الواسعة على نيل ما تطمح إليه نفسه الكبيرة ، فأعدّ عدّته لاحتلال الغرفة وإدارة شئونها ، وكان ذلك سرًّا من الأسرار لم يعلم به الناس حتى ولا أقرباؤه ، حتى إذا كان على أتمّ استعداد ظهرت مطامحه وأغراضه .

سار إلى الغرفة واستولى عليها سنة ١٣٤٤ ، ونادى بنفسه أميراً عليها ، وأخذ يصلح شئون الأهالى ، وينفذ أحكامه العادلة فيهم ، وضرب نقوداً باسمه ونشرها للتبادل بين الناس ، فاتسع نفوذه ، وقويت شوكته ، وهابه الغرفيون ، غير أن ذلك لم يرق لآل جعفر وغيرهم من فخائذ آل عمر ، فحقدوا عليه وأزمعوا وأجمعوا على إخراجه من الغرفة عنوة ، وبلغ ذلك إلى أمير الغرفة ، فحصن مدينته بقوم من عشيرته آل خالد بن عمر وغيرهم من حملة السلاح ، وحفر الخنادق ، وبنى المراصد ، وأعدّ عدّته للحرب والنضال ، ولقد تطوّرت المشكلة ، فانضمّ من جانب آل جعفر آل عبد الله أعضاء البيت المالك ، وجميع فخائذ آل عمر ، وبدأت المناوشات بين الفريقين ، ولحسن حظ

آل عمر أن السيد حسين حامد وزير حكومة القعيطى اليافعى جاء شبام ، وبصحبته بضع مئات من الجند ، ومدافع من الطرز الحديث ، وانضمّ إلى آل عمر ضدّ آل خالد ابن عمر بعد مفاوضات دارت بينه وبين زعيم آل عمر السيد سالم بن جعفر الكثيرى ، ومن أهم أغراض الوزير السيد حسين حامد أن يوفق لعقد صلح متين بين الحكومة القعيطية ، وبين قبائل الحموم بواسطة آل عمر ، أو على الأقلّ أن تلتزم حكومة آل عبد الله الكثيرية بمنع دخول الحموم فى أراضيها ، ولكن الوزير لم ينجح فى عمله .

اتحد آل عمر وابن عبدالله وضموا إليهم الوزير حسيناً حامداً ، ومن معه من يافع البالغ عددهم نحو ٢٠٠ رجلا ، فتكوّن بذلك جيش انقسم إلى فرقتين : إحداهما حاصرت الغرفة من الناحية الغربية ، والأخرى من الناحية الشرقية الجنوبية ، واشتعلت الحرب بين الطرفين يوم ٩ محرم سنة ١٣٤٤ ، وامتدت إلى يوم ٦ صفر سنة ١٣٤٤ ، ولقد أبدى أمير الغرفة ثباتاً وجلداً مما جعل اليأس يتطرّق إلى قلوب أعدائه ، وبنى حصناً غربى سقاية بلخير على مقربة منهم ، وأخذ رجاله يمطرون عليهم بالرصاص ، ثم عقدوا اجتماعاً فى دار السيد سالم بن محمد بن يمانى حضره سمو الأمير على بن صلاح القعيطى ، والوزير السيد حسين حامد المحضار ، والسيد سالم بن عبود ، والزعيم السيد سالم بن جعفر ، والسيد عبيد صالح ، وقرّروا نقل المعسكر من مكان ابن عمر بن بدر إلى مكان آخر ، وإرسال ٦٠ مقاتلا إلى يرقق ديار آل فاس ، واستمرّت المناوشات من الجانبين ، ولما رأى يافع أنه لا فائدة من الحصار ، وأن المناوشات تذهب جفاء أرادوا الهجوم على الغرفة ، ولكن الوزير حسين حامد منعهم عن ذلك فألحوا عليه وأنذروه بالانسحاب إذا لم يسمح لهم بالهجوم ، فلم يجبهم إلى ذلك فانسحبوا ، وعادوا إلى ديارهم فى القطن ، ولم يبق فى جبل شبام غير العبيد وجماعة آل عمر ، واضطر الوزير حسين حامد لطلب المدد من المكلا فلم يأته أحد ، فأمر العبيد بالانسحاب من الميدان ، وتلاهم آل عبد الله ، وانفرد آل عمر بمحاربة آل خالد بن عمر ، وعرج الوزير حسين حامد إلى المكلا خائباً محسوراً ، وقد أرهق الحكومة القعيطية بصرف الأموال والذخائر لحرب الغرفة دون أن يظفر بشىء ما ، ودون أن يوفق إلى توطيد مركز حكومته ،

وتقوية أركانها ، بل كانت العاقبة وخيمة لاعلى الحكومة اليافعية ، بل وعلى الحكومة الكثيرية أيضاً ، فإن انسحابهما من الميدان بعد إعلانهما للحرب ، أظهر للناس عجزهما عن إخراج آل خالد بن عمر من الغرفة .

مشاغبات الحموم

أما الحموم الذين سار الوزير حسين حامد لعقد صلح بينهم و بين حكومة القعيطى بواسطة حكومة آل عبد الله ولم يفلح ، فقد ازدادت مشاغباتهم ومناوأتهم لحكومة القعيطى ورعاياها ، وكانت مواصلات الحموم بسيون وتريم متينة ؛ وكانوا يبيعون بعض المنهوبات من سوق سيون ، وقد أشيع لذلك أن الحكومة الكثيرية تمدّ الحموم بالمال والذخائر للقيام ضدّ الحكومة اليافعية ، فسار الوزير السيد حسين حامد إلى شبام فى أواخر سنة ١٣٤٤ ، واستدعى إليه رؤساء آل كثير وآل تميم وطلب إليهم مقاطعة الحموم ومنعهم من الدخول فى بلدانهم ليضيق عليهم الخناق فيخضعوا للحكومة القعيطية، فعاهدوه على ذلك ، والتزموا على أنفسهم بمقاطعة الحموم من جميع بلادهم ، ولكن الوزير حسين حامد لم يكتف بذلك ، فهو طلب إلى كلّ قبيلة من آل كثير رجلين يبقيان فى حوزة الحكومة القعيطية كرهائن لئلا يجدوا سبيلا لنكث العهد ، فامتنعت القبائل الكثيرية عن تسليم رجالها ، ولقد ظن الناس أن حرباً ستثور بين الحكومتين اليافعية والكثيرية ، ولكن لم يكن شىء ، ثم عاد الوزير السيد حسين حامد إلى المكلا .

جمعيـــة الحق

أقام أعيان مدينة تريم ، وفى مقدمتهم السادة آل الكاف جمعيـــة تدعى « جمعية الحقّ » ، وكان غرضها فى بادئ بدء إصلاح أهل تريم أدبيا واجتماعيا ، ولـكنها لم تلبث أن أخذت تسعى سعياً حثيثاً فى التدخل فى شئون البلاد السياسية ، ولقد استطاعت بقوّة نفوذها المـادى أن تؤثر فى الأمير محسن بن غالب الـكثيرى ، وتقضى على مركزه ، فقد أصبحت شئون المدينة فى يد الجمعية ، فهى التى ترسم الضرائب أو العوائد والرسوم على الأهلين ، وتعهدت للأمير بدفع مبلغ من المـال سـنويا فى مقابل تخليه عن شئون المدينة ، وصار العبيد يستلمون مرتباتهم من الجمعية ، أو بعبارة أخرى من آل الكاف ، وهكذا استطاعت جمعية الحق أن تتولى زمام إدارة تريم ، وتنفرد بالسلطة المطلقة والنفوذ الأعظم ، ولمـا توفى الأمير محسن بن غالب الـكثيرى فى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ قام بأمر تريم بعده الأمير سالم بن عبود بن مطلق الـكثيرى ، ولـكنها ولاية اسماً ، فجمعية الحق هى التى تقوم بإدارة البلد وهى صاحبة الحول والطول وأهم الأسباب التى دفعت الجمعية إلى التدخل فى السياسة والقيام بشئون تريم هو ما رأته من الفوضى فى كلّ النواحي ، فمن جهة كانت الضرائب تفرض على السكان دون أن يراعى فيها العدل والإنصاف ، فقد يرهق أحدهم بالضرائب ، ويدفع الآخر أقلّ ممـا يجب ، ويعفى من الضرائب كبار بعض أصحاب السلطة الروحية ليس لـكونه فقيراً ، فقد يكون ذا مال كثير ، ولـكن لأنه ذو منصب ، أو لأنه من كبار الروحانيين ، ومن جهة أخرى كانت مرتبات العبيد تدفع من غير نظام ، وأحياناً تقطع عنهم ، وهو الأمر الذى كان يدفع هؤلاء العبيد للثورة ضدّ السلطان ، فجمعية الحق أرادت أن تزيل هذه الفوضى وتصلح أمور المدينة ، وليس من شكّ أنّ تدخل الجمعية فى شئون تريم ليس

من صالح منصب آل عيدروس وأتباعه ، لذلك تولد فيهم الحقد ضدّها ، ومما زاد الطين بلة محاولة الجمعية مدّ نفوذها على بعض لخائذ آل تميم ، وأخذ المنصب يحرّك آل تميم ضد خصومهم ، واستدعت الجمعية كبار آل قصير وآل محمد ، وحرضتهم على القيام ضد آل سلمة ، وزودتهم لذلك بالمال والذخيرة ، فسار هؤلاء إلى بلد السويرى وحاصروها ثم أثاروا حرباً عليها ، واتسع نطاق الفتنة ، وحوصرت تريم من آل تميم الموالين لآل عيدروس ، وهبّ عبيد السلطان وغيرهم من حملة السلاح يدافعون عن المدينة ، وآل الكاف يمدونهم بالذخائر ، وأخيراً رفعت إلى الحكومة القعيطية شكاوى مما حلّ بالناس من البوار والدمار ، وطلب أصحابها إليها أن تتدخل فى الأمر وتصلح ذات البين، فأوفدت لذلك وزيرها السيد حسين حامد المحضار وستين رجلا من يافع ، واستطاع الوزير أن يحسم النزاع والخصام ، ويصلح بين الفريقين ، وهدم مخفر تريم ، وجعل فى تريم من يافع ٢٤ رجلا ، وعليهم السيد محمد صالح لحدى اليافعى ، وفى سيوم ٢٤ رجلا من يافع ، وعليهم السيد محمد بن صالح الحداد القعيطى اليافعى ، وكان ذلك سنة ١٣٤٥ وأصبحت السيارات تسير بين سيون وتريم بخفارة يافع ،لأن آل الكاف كانوا يخافون من آل تميم أصحاب آل عيدروس بالرغم عن وجود حاميتين ليافع فى سيون وتريم، وفى ذات يوم خرجت سيارة من تريم ، ولم يكن يخفرها أحد من يافع ، فتعرض لها جماعة من آل تميم وأطلقوا عليها النار ، ومنعوها عن الذهاب إلى سيون ، ولما بلغ ذلك إلى يافع الذين فى تريم ساروا فى الحال والتقوا بآل تميم ، وثارت بينهم حرب ، وقتل من آل تميم اثنان ، ومن يافع واحد ، وبلغ ذلك إلى السلطان عمر بن عوض القعيطى اليافعى ، فأرسل إلى يافع بالانسحاب من سيون وتريم ، والعودة إلى المكلا .

مؤتمر سنقافوره

في سنة ١٣٤٦ كان سمو الأمير المحبوب صالح بن غالب القعيطي اليافعي ولي عهد الحكومة القعيطية نائباً عن عمه السلطان عمر بن عوض القعيطي اليافعي في إدارة شئون الحكومة في المكلا ، وسمو الأمير من أعظم رجالات الحضارم ثقافة وأدباً ، وأحبهم لإصلاح الوطن ، وأكثرهم غيرة على الحضرميين ، وهو في الوقت نفسه خبير بمواقع الداء في أمته ، عليم بطرق علاجها وهدايتها إلى الصراط الأقوم . رأى سموه الفوضى ناشبة أظفارها في طول البلاد وعرضها ، والغباوة تنخر الأمة نخراً وتدفعها دفعاً إلى مستقبل هو أشد سواداً من ظلام الليل ، فأراد سموه إزالة الفوضى بإيجاد نظم عصرية نافعة في البلاد ، وأراد تبديد الجهالة بنشر العلوم ، وأراد إصلاح العباد وترقية البلاد ، فاستدعى سلاطين آل عبد الله ، وبعضاً من أعيان الحضارم للتشاور والتآزر والتعاون في الأمر ، فلبى نداءه السلطان عليّ بن منصور الكثيري ، وجماعة من الأعيان ، وتكوّنت في الشحر لجنة تحت رئاسة كلّ من السلطانين صالح ابن غالب ، وعليّ بن منصور ، وأذاعت الدولتان القعيطية والكثيرية بلاغاً رسمياً إلى كافة أهالي حضرموت ، وهذا نصه :

بلاغ رسمي عام

من الدولة القعيطية ودولة آل عبد الله الكثيرية إلى كافة أهالي حضرموت

بسم الله و بحمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده .

أما بعد : فهذا بلاغ رسمي عام من الدولتين الدولة القعيطية ، ودولة آل عبد الله الكثيرية ، ليعلم الخاصّ والعام من أهالي حضرموت كافة أنه تمّ بعون الله وحسن

توفيقه تجديد الاتحاد ، وتوثيق عرى الصداقة والارتباط بين الدولتين أن يتعاونا جهدهما على الإصلاح ، وإقامة الأمن والعدل والإنصاف كما تقتضيه الشريعة الإسلامية الغراء، وأن يدهما واحـدة على كل مخالف ، وعدوهما واحـد ، وصديقهما واحد ، ومما تمّ الاتفاق عليـــه بين الدولتين أن من تثبت مخالفته للإصلاح وتسببه فى القلاقل والاضطرابات ، ولا يستسلم ، ولا يحتكم للحق على يد الدولتين يجرى التضييق عليه ، وتقطع مصالحه ومواصلته فى أراضى الدولتين ، ويلقى القبض فى البنادر عليـه وعلى أمواله ومن يصلها من أصحابه وجماعته وأموالهم ، ولأجل تحقيق ما ذكر تم الاتفاق بين الدولتين ينبغى أن يكون للدولة القعيطية نائب عنها فى سيون ، ونائب عنها فى تريم ، وأن يكون لدولة آل عبد الله نائب عنها فى الشحر ، ونائب عنها فى المكلا .

والله يتولى الجميع بتوفيقه ورعايته ، ويأخذ بيد المملكة الحضرمية المتحدة إلى أوج التقدم والفلاح ؟

حرّر فى بندر الشحر فى ٢٦ ربيع الثانى عام ١٣٤٦

وتقرّر فى اجتماعهم المنعقد فى الشـحر فى شهر جمادى الأولى سـنة ١٣٤٦ إيفاد الشيخ الطيب الساسى إلى جاوه مندوباً عن الحـكومتين اليافعية والـكثيرية لدعوة الحضارم المهاجرين فى ذلك الصقع النائى للاشتراك فى إصلاح الوطن وترقية أبنائه ، وأذاعت كلٌ من الحـكومتين بلاغين رسميين إلى كافة الحضارم فى جاوه ، وهذا نصهما :

خطاب السلطان صالح بن غالب القعيطى

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد : فهذا خطاب عام إلى كافة أفراد الشعب الحضرمى النبيل القاطن فى جاوه :

أيها الوطنيون النجباء : لقد دعانى الواجب الوطنى أن أبذل قصارى جهدى فى إصلاح وطنى الحضرمى المبارك ، وأجتهد بقدر طاقتى ونفوذى فى إزالة ما فيه من أسباب القلاقل والفتن ، ووضع أساس متين للعدل والأمان ، وحسم الفوضى والاستبداد ، وقد

هدتني هذه الفكرة إلى السعي في وضع خطة أساسية أتمكن بها من إيجاد اتحاد تام بين أفراد الأمة ، و إيجاد وئام وثقة بين الأمة والقوة الحاكمة ، و إزالة سوء التفاهم من بينهم ليتيسر لنا الوصول إلى ما نحن بصـــدده ، فوجهت الدعوة إلى من شممت فيهم رائحة الصلاح من أعيان حضرموت ، وطلبت منهم أن يرسلوا إلىّ وفداً من ساداتها وأعيانها و رؤسائها ، ورجوت منهم تلبية دعوتي إلى الإصلاح ، فلبوا دعوتي بارتياح ، وقالوا حي على الصلاح وحي على الفلاح ، و بعد مفاوضتي مع هيئة الوفد الحضرمي المؤلف من سادات حضرموت وأعيانها وعلمائها ، اســـتقر رأينا على إبرام اتفاق بيننا يكون هو أساس الوحدة القومية لنتمكن به من إيجاد وئام تام بين أفراد الأمة و بينها و بين الهيئة الحاكمة ، وقد تم الاتفاق بيننا ، وتقرّر بيننا أن نرسل وفدين : وفداً إلى حضرموت يطوف على جميع القبائل وسكانها لتفهيمهم مقاصدنا ، ودعوتهم إلى الإصلاح بالطرق الســـلمية ، ووفداً يتوجه إلى جاوه لاستنهاض همم أهل الوجاهة واليسار من الوطنيين الأحرار للأخذ بيد الهيئة الاجتماعية ، والاشتراك في إقامة جمعية من الوطنيين تتساعد مع الهيئة الحاكمة في الأقطار الحضرمية ، وهيئة الوفد الحضرمي في إجراء الإصلاحات الوطنية اللازمة ، كنشر المعارف و إقامة شركات وطنية لإنماء الزراعة و إحياء الصناعة .

و إني أرى من أوجب الواجبات على الأمة الحضرمية سيما أهل اليسار منهم ، والذين تنوّرت أفكارهم باحتكاكهم بالأجانب أن يبذلوا ما في وسعهم لإبادة الجهل السائد على أبناء وطنهم فإنه علة العلل ، ومورث الخمول والـكسل ، وما دام الجهل سائداً على أفراد الأمة فلا تترقى ولا تتبع الخطة العادلة التي يجب أن تسير عليها لأنها لا يمكن أن تعرف مصالحها من مضارها إلا بالتعليم الصحيح ، ولو فرضنا أننا وفقنا إلى إجراء بعض إصلاحات بســعي أفراد من الأمة أو الحـكومة ، فإن تلك الإصلاحات تزول بزوال شـخصية رجال الإصلاح . أما النهضة الإصلاحيـة التي تنتج من مجموع أفكار الأمة وقوة مركزها العلمي ، فهي التي تبقى مسـتمرّة ويكون لهـا شأن عظيم ، ولذلك أرى من أوجب الواجبات على رجال حضرموت وهيئتها الحاكمة أن يوجهوا عنايتهم لنشر العلوم والفنون والصنائع في وطنهم العزيز ، وأريد بالعلوم عامة المعارف التي تؤهل

الأمة لخدمة وطنها ، وتثقيف عقول أبنائها ، وتفيدهم فى إصلاح أنفسهم وإصلاح بلادهم وذات بينهم ، فلا يجب أن يكون التعليم قاصراً على العلوم الدينية واللسانية ، بل لا بدّ أن يشمل نظام التعليم جميع العلوم التى تحتاج إليها الأمة لخدمة وطنها ، كالعلوم الرياضية والطبيعية والاقتصاد السياسى والطب ، فان درس هـذه العلوم لخدمة الأمة فرض كفاية كما صرّح به الغزالى ، ولا بدّ من تعلمها لحفظ نظام الهيئة الاجتماعية ، ونموّ حياتها ، إذ لابدّ أن تكون فى الأمة طائفة من المهندسين ، وطائفة من الأطباء ، وطائفة من أهل الأقلام ، وهلمّ جرّا ، حتى يحصل للوطن الرقىّ الصحيح بتعاون أبنائه على القيام بأعباء الأعمال المختلفة اللازمة لحفظ كيانه .

فهلموا يا معشر الحضارمة إلى التعاون على الإصلاح ، فبالاتحاد فى العمل يسهل كلّ صعب ، وان حكومتنا ستمدّ يد المساعدة ، وستبذل ما فى وسعها لتنشيطكم فهلموا إلى العمل فإنه مفتاح الفرج .

لقد اشتهرت حضرموت على الألسنة بالجدب والقحولة ، وعدم وجود المياه فيها ، ولـكن تبين لى بعد درسى جغرافية البلاد الطبيعية درساً بسيطاً أن موارد المياه توجد بكثرة فى حضرموت وسواحلها ، وأن الأطيان الصالحة للزراعة توجد فيها بوفرة ، ولولا جهل سكانها بالوسائل الفنيـة اللازمة لتخزين المياه ونظام الرىّ لأصبحت حضرموت من أخصب الأراضى الموجودة فى اليمن ، فيجب علىّ [وحالة بلادكم كما قد شرحت لكم] أن أستلفت أنظار أهل حضرموت ، لاسيا أهل اليسار منهم إلى إحياء بلادهم بإقامة شركات زراعية ، وتأليف جمعيات وطنية للنظر فى المشاريع العمرانية . وقد يعترض بعضهم بأن هذه الأعمال تتوقف على إقامة الأمن فى حضرموت ، وحسم الفوضى المخيمة على ربوعها وغير ذلك ، ولـكنى أقول إن من درس أحوال حضرموت عرف أن أكثر أبنائها ميّالون إلى الإصلاح ، وأن أهل البغى والفساد منهم يعدّون على الأصابع ، فإصلاحهم لا يتعسر على القوّة الحاكمة متى ما رأت إقبال أهل الثروة على إحياء بلادهم بتنشيط الزراعة ، وإحياء الصناعة ، وتقوية التجارة وغير ذلك .

فالهمة الهمة فى إبراز نتائج أعمالكم إلى عالم الوجود بعزم ونشاط يثبتان للأمم الحية

ما أنتم عليه من محبة الوطن والإنسانية ، فقد اشتهر آباؤكم بكلّ مزية ، وكانوا قادة التمدن ، والولد يكون سرًّا لأبيه ، فكونوا مثلهم فى النشاط والعزيمة ، وإذا عزمتم على أمر تذكروا قول الصفدى واعملوا عليه :

لقد سعينا فلم تضعف عزائمنا   عما نروم ولا خابت مساعينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى   ولو رأينا المنايا فى أمانينا

وقد سررت كثيراً حينما بلغنى خبر إقبالكم على الأخذ بساعد الهيئة الوطنية ، ومساعدتها على مساعيها المبذولة لانتشال الوطن من الحضيض إلى أوج الكمال ، فأرجو أن تقرنوا أقوالكم بالعمل ، وأن تقدروا الوقت حقّ قدره ، فان الوقت ثمين ، وليكن منكم إقدام على الأعمال الخيرية بسرعة فائقة ، وهمة عصامية .

وقد أوفدت إليكم أحد رجالنا الأخصاء ، وهو الأستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسى مندوبا مفوّضا من قبلى للمفاوضة معكم فى كلّ ما به إصلاح الوطن الحضرمى وأبنائه ، وأرجو أن تتوفقوا معه لما يحقق آمال إخوانكم بالوطن فيكم ، والله يوفقنا وإياكم إلى ما فيه خير البلاد والعباد ، وأن يكلل أعمالنا جميعاً بالنجاح والسلام ؟

حررته بخطى بتاريخ ١٥ جمادى الأول سنة ١٣٤٦

صالح بن غالب القعيطى

خطاب السلطانين على بن منصور وعبد الله بن محسن آل عبد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حقّ حمده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه المهتدين بهديه .

أما بعد : فهذا خطاب عام إلى كافة الوطنيين الحضرميين المهاجرين فى بلاد جاوه عليهم السلام ، وفقنا الله وإياهم للاعتصام بحبل الإسلام ، والاهتداء بهدى سيد الأنام ، عليه وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

أيها الوطنيون الأعزاء : لقد أفادنا تكرّر التجارب أن الاستمرار فى التقاتل

والشجار نتيجته للأمة الهلاك والبوار ، وللوطن الخراب والدمار ، ثم اننا بحثنا عن الدواء الذى استعمله غيرنا من الأمم الغابرة والحاضرة التى ابتليت بمثل ما ابتلينا به من الأمراض ، فوجدناه الاتحاد الذى هو رأس كل خير وسداد ، ومبيد كل شرّ وفساد ، فرأينا لأنفسنا الصلاح أن نسلك الطريق الذى سلكه غيرنا للصلاح .

وعلى ذلك حينما دعانا الأخ الصالح المصلح المكرم السلطان صالح بن غالب بن عوض القعيطى المعظم نحن ونخبة من سادات حضرموت وأعيانها أن نصل إليه للمفاوضة فى وضع قاعدة للاتحاد والتعاون على الإصلاح والرشاد ، وقطع جذور الفوضى والفساد ، لبينا دعوته مسرعين ، فوصلنا البنادر فرحين مستبشرين ، ولخير الوطن وأبنائه عاملين مجدّين ، وتشاورنا وتفاوضنا فى وضع الأساس الذى تتعاون به الدولتان الدولة القعيطية ، ودولتنا دولة آل عبد الله الكثيرية مع الأمة الحضرمية على إصلاح الوطن الحضرمى وأبنائه ، فكانت النتيجة على ما يرام ، وأسفرت المفاوضات عن إبرام معاهدة جديدة عرفت بمعاهدة الشحر ، ونحن لا ندعى أن ما وضعناه من الأسس بلغ حدّ الكمال إلا أننا نقول : ذلك مبلغ الاجتهاد ، ولا يلام المرء بعد الاجتهاد .

وقد فتحت المعاهدة الجديدة باب الأعمال الإصلاحية ، فى كافة الأقطار الحضرمية الداخلية والساحلية على مصراعيه ، وبذلك لم تترك مجالا لنقد الناقدين .

وعلى ذلك نرجو من كلّ من لديه فكرة إصلاحية من الوطنيين أن لا يكتفى بأن ينتقد ، بل عليه أن يبادر للعمل ويجتهد ، ونحن له خادمون مؤيدون ، ولأعماله الصالحة شاكرون حامدون ، فان المقصود الأعظم النهوض بالوطن وأبنائه ، لاجمود كلّ عند أفكاره وأرائه ، والوطن يتطلب اليوم رجال أعمال واجتهاد ، لا رجال أقوال وانتقاد .

ولأجل تحقيق الوحدة الوطنية ، والتعاون بين الدولتين ، وسائر أفراد الأمة الحضرمية ، كما تضمنته معاهدة الشحر الجديدة ، اخترنا أحد أركان الوفد الحضرمى وهو الأستاذ الفاضل الشيخ الطيب الساسى أن يكون مندوباً مفوّضاً عنا لديكم فى بيان الحقائق لكم ، والمفاوضة معكم فى كلّ ما به إصلاح الوطن الحضرمى وأبنائه ، فاعتمدوه

وكونوا عند ظن إخوانكم فى الوطن بكم ، فان الآمال فيكم قوية ، ولا يخفاكم أن المال رأس جميع الأعمال ، ولذلك قدمه الله تعالى فى قوله : «وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ» فعليكم بالاتحاد على الخطة العادلة التى تنتظم بها الأعمال ، والاكتتاب لجمع رءوس الأموال التى تصلح بها الأحوال ، واعلموا أن من يصرف اليوم واحداً لصالح وطنه وأمته سيربح غداً أضعافه مع توفير كرامته ، وفقنا الله وإياكم لمرضاته ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرر فى بندر الشحر ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٤٦

عبد الله بن محسن بن غالب — على بن منصور بن غالب

غادر المكلا الشيخ الساسى إلى جاوه لتبليغ رسالة سلاطين حضرموت إلى الحضارمة فى المهجر ، ولما جاء سنقافوره نزل ضيفاً فى بيت السادة آل الكاف ، والحضارمة فى جاوه وغيرها من الهند الشرقية منقسمون إلى حزبين إرشاديين وعلويين، وكلٌّ من الحزبين نافر من الآخر وناقم عليه ، والشيخ الساسى يجهل تمام الجهل أسباب الشقاق والنزاع القائم بين الحزبين كما أنه يجهل أحوالهم الاجتماعية حتى فى بلادهم حضرموت ، ولا غرابة فى ذلك لأنه دخيل جديد فى الحضارم ، وكان يجب عليه أن يبقى على الحياد ، فلا ينحاز إلى أحد الفريقين دون الآخر وينتخب البارزين من الحزبين بنسبة متساوية ليكون المؤتمر بعيداً عن الحزبيات ، ولئلا يكون للعصبية عليه أثر ، ولكنَّ شيئاً من ذلك لم يكن ، فهو نزل فى سنقافوره ، وهناك طاب له المقام وخصب العيش ، ومال كل الميل إلى حزب آل باعلوى ، واتخذهم أنصاراً له كما اتخذوه نصيراً لهم ، ووثق بهم كل الثقة ، حتى صار فى أيديهم آلة صماء ، وهو بذلك راض كل الرضا مسرور كل السرور ، ونسى أوتناسى أن الحكومتين بعثتاه إلى جاوه لا إلى سنقافوره كما هو مذكور فى المنشور الذى كتبه السلطان صالح بن غالب القعيطى للحضارم بجاوه ، وفاته أيضاً أن مجموع الحضارم فى سنقافوره لا يوازى عشر معشار القاطنين منهم فى جاوه ، وأنه لا أثر لنهضتهم فى سنقافوره بالنسبة لآثار نهضتهم

هناك ، فان لهم فى جاوه جمعيات ومدارس ونوادى كثيرة ، ولـكن حضرته كما قلنا يجهل حالة من أرسل إليهم ، وهو فى الوقت نفسه مرغم على النزول فى سنقافوره ليكون المؤتمر فى مأمن من تدخل الإرشاديين ، ولئلا يكون عليه أثر للجمعية اليافعية الموجودة فى مدينة التقل بجاوه ، والتى يبلغ أعضاؤها نحو ٣٠٠ رجل من يافع ، وكلهم من حزب الإرشاد إلا خمســـة ، أرسل الساسى هو وجماعة من آل باعلوى خطابات إلى أعيان عشيرتهم فى جاوه حتى إذا اجتمعوا فى سنقافوره ، ورسموا الخطط التى سيعقدون المؤتمر عليها بعثوا دعوتهم إلى جمعية الإرشاد ، وامتنعت جمعية الإرشاد عن إرسال مندوبين عنها لحضور المؤتمر ، لأنها رأت أن المؤتمر اصطبغ بصبغة حزبية ، وتكوّن فى جوّ مشبع بالعصبيات ، وقد بعثت لهم خطابا تعتذر فيه عن الحضور ، ولـكن أعضاء المؤتمر رموا الخطاب وراءهم ظهريًا ، ولم يقيموا له وزنًا بدعوى أنه مرسل إلى المؤتمر الأول لا الثانى (١) وعدوا عدم إيفاد الإرشاديين منـدوبين عنهم عقوقاً بالواجبات الوطنيـة ونفوراً عن إصلاح الحضارم ، أما الجمعية اليافعية فلم يبعثوا إليها بدعوة لأنهم يخافون أن ترســل منـدوبها ، أو تنيب عنها أحد كبار أعضائها بسـنقافوره ممن يعرفون ما وراء الأكمة ، فتفسد خططهم ، وتنهار أسسهم التى بنوها للوصول إلى أغراضهم المنشودة .

انعقد المؤتمر الحضرمى بسـنقافورة يوم الثلاثاء ٢٥ شوال سـنة ١٣٤٦ ، الموافق ١٧ إبريل سنة ١٩٢٨ تحت رئاسة السيد إبراهيم السقاف باعلوى والأعضاء من آل باعلوى إلا بضع أشـخاص من غيرهم ، ولـكنهم ممن استعبدتهم سلطة آل باعلوى الروحية ، واستمرّ المؤتمر يوالى جلساته إلى يوم ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ ، وأسفر المؤتمر عن قرارات ننشرها فيما يلى ، ولقد أشيع أن المؤتمر يريد أن يهيمن على شئون الحـكومة القعيطية ويتسيطر عليها ، فهاجت الجمعية اليافعية بجاوه ، وبعثت رسائلها وتلغرافتها إلى الحـكومة القعيطية اليافعية ، وإلى أعيان يافع فى البنادر وفى الهند تحذرهم من الوقوع فى شراك مؤتمر سنقفوره . أما الشيخ الساسى فقد قفل إلى المكلا حاملا

(١) يزعم آل باعلوى أن الاجتماع الذى عقد فى الشحر فى شهر جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ مؤتمر أول ، وفى الحقيقة ليس هو سوى اجتماع تمهيدى لإقامة لجنة تدعو الحضارم لعقد مؤتمر عام .

تلك القرارات وخطابات أخرى معتقداً أنه سيلقى أمامه قبولا حسناً ، ولـكنه لم يكد يضع قدمه على أرض المكلا إلا وألقى عليـه القبض ، وصودر ما معه من القرارات والخطابات السرية ، ثم نفتـه الحـكومة القعيطية اليافعيـة من بلادها كما نفت أيضاً الجاسوس الأكبر ضد الحـكومة محمد بن عقيل بن يحيي باعلوى[1] ، وبعث السلطان عمر بن عوض القعيطى على أثر ذلك إلى جريدة الأهرام بمصر بلاغاً عاما للحضارم بشأن نفي الساسى ، ورفض قرارات مؤتمر سنقافوره ، وهذا هو نصّ البلاغ :

من سلطان الشحر والمكلا إلى جميع الحضارم

ظهر لنا بوادر حركة إصلاح مباركة فى القطر الحضرمى أملنا منها الإصلاح ونشر العلوم ، وتقوية الروابط بين أهالى القطر الحضرمى تجنباً للضغائن التى أخرت البلاد عن الإصلاح أوّلا ، ثم السـير بها تدريجيا فى معارج الفلاح حسبما تقتضيه الحال حتى لا تصطدم الحركة بفشل من المحافظين .

فكر السلطان صالح بن غالب القعيطى النائب عنا وقت غيابنا فى الهند ، وهو مملوء الفؤاد بحبّ النهوض للأمة الحضرميـة ، ورأى مع ذلك يقظة أفكار رجالها فى حضرموت واتجاه أنظارهم للاصلاح فعقد مؤتمراً بالمكلا جمع فيه ذوى اليسار و بعض من أعيان الجهة الحضرميين ، وقرّروا أن يوفدوا إلى سـنقافوره رجلا يدعو رؤساء الجمعيات ، وذوى الشخصيات البارزة من الحضارم فى جاوه ليعقدوا مؤتمراً فى سنقافوره لأجل الشروع فى معـدات الإصلاح ، وتقديم الأهمّ على المهمّ حتى يتسـنى للأمة الحضرمية النهوض من كبوتها فى جوّ صاف من الضوضاء .

---

(١) هذا الرجل من دهاة آل باعلوى ، خبير عليم ببواطن الشئون الحضرمية وظواهرها ، وقد سكن المـكلا لدسّ الدسائس ، وبثّ سمومـه الفكرية التى منها «الرفض» ، وبذل غاية مجهوده فى التجسس لقومه ، وتطلع للرئاسة ، وتذرّع بكلّ الوسائل ، ولـكنه كان سيئ الحظّ تأتيـه الأمور بعكس ما يتوقع .

ولكن عين لهذا العمل المهم رجل غريب يدعى الطيب الساسى الذى ليس له أدنى معرفة بحضرموت وعوائدها وقبائلها غــــير ما سمعه مدّة إقامته القصيرة فى بلد تريم .

ولما وصل الساسى إلى سنقافوره أرسل دعوة لحضرات رؤساء الجمعيات . وذوى الحيثيات ، وكثير غيرهم من الأدباء الحضارمة القاطنين بجاوه ، وذلك بواسطة بعض رجال فى سنقافوره ، فأنكر ذوو العقول الراجحة دعوة رجل غريب لا ناقة ولا جمل له بحضرموت ، فلم يلبّ دعوته إلا أناس قليلون لا يتجاوزون عدد الأصابع ، ومع ذلك عقدوا مؤتمراً كما يزعمون باسم الإصلاح الحضرمى ، وقرروا قرارات كما يدّعون تنطوى على أغراض شخصية تعود على القطر الحضرمى بأضرار جسيمة ، وإن كانت فى ظاهرها لمن ليس له معرفة بحالات الجيد الحضرمى يظنّ أنها تنطوى على شىء من الإصلاح ، ومن هــذا تجنبوا دعوة ذوى المكانة وذوى العقل لحضور جلسات مؤتمر سنقافوره لما يعرف هؤلاء من حقيقة الحالة وماتضمره تلك القرارات من التفرقة بين أهل حضرموت، وحيث إننا بكلّ قوانا وغاية جهدنا مـــهمون على تقدم بلادنا وتحضيرها وترقيتها عارفون منابت الإصلاح ورجاله . فنا من الآن شارعون فى رقيها على يد الرجال الذين نعتمد عليهم فى الإصلاح الحقيقى المرغوب ، فبعد اطلاعنا على ما قرره مؤتمر سنقافوره المزعوم بدعوة الساسى ، فنحن قد رفضناه لمعرفتنا بضرره على أمتنا » .

عمر بن عوض القعيطى

أما آل باعلوى ومن يلحق بهم من أعضاء المؤتمر وهم قليلون جدا ، فقد زلزلوا زلزالا شديداً ، وكادوا يصعقون من تأثير الصدمة الرجعية التى أحدثها رفض قرارات مؤتمرهم ، وتأججت حرارة الغضب فى قلوبهم ، فانقلب بعضهم شـــعلة من نار تلتهب حقداً وعداوة على الحكومة القعيطية اليافعيــــة . وأخذوا يرمونها فى جريدتهم « حضرموت » التى كانت تصدر فى سرابايا بالظلم والقساوة والغباوة ، وأخذ الشيخ محمد ابن عقيل بن يحيى العلوى يبعث لبعض الصحف المصرية مقالات كلها شـتائم وسباب

ونواقر على الحكومة القعيطية وعلى سلطانها المعظم ، ثم أرادوا أن يثيروا فتنة بين حكومتى القعيطى وابن عبد الله و يعيدوها جذعة ، فأخذوا يغرون سلاطين آل عبد الله ويلحون عليهم ليحتجوا على حكومة القعيطى لرفضها قرارات المؤتمر ، ونفيها مندوبها الساسى من حضرموت ، ولكن آل عبد الله لم ينخدعوا بهم ولم يتأثروا بما تظاهر به هؤلاء القوم من الودّ والولاء ، فذهبت أعمالهم أدراج الرياح ، ولم يكفهم هذا الفشل والخذلان ، فحاولوا توجيه أنظار الناس إلى سيحوت و إصلاح مينائها والمرور منه ليقضوا على موانى الحكومة القعيطية اليافعية التى رموها بالفوضى والظلم وما إلى ذلك[١] ، ولكن ذهبت مساعيهم جفاء ، وعادوا بخفَّىْ حنين .

قرارات مؤتمر سنقافوره

الأول

قرّر المؤتمر إرسال وفد إلى البنادر وحضرموت مؤلف من حضرات الذوات الآتية أسماؤهم وهم :

١ — السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف
٢ — السيد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس
٣ — الشيخ سعيد بن عبد الله باجرى
٤ — الشيخ أبو بكر بن محمد التوى

يحمل قرارات هذا المؤتمر المحتوية على الخطة العملية التى انعقد المؤتمر لوضعها بناء على دعوة حضرة المندوب الشيخ الطيب الساسى ليعرضها و يبلغها الحكومتين

(١) كتبت فى هذا الموضوع مقالات كثيرة فى جريدة «حضرموت» للشيخ علوى بن طاهر الحداد وزميله عيدروس مشهور.

القعيطية والكثيرية والوفد الحضرمى ، ويشاركهم فى تأليف الجمعية الوطنية ووضع قوانينها ، ويرفع إلى اللجنة التنفيذية التى ألفها المؤتمر ما يتفق عليه مع الحكومتين والوفد الحضرمى .

الثانى

يفتقر الإصلاح الوطنى العام إلى نفقات كبيرة لامناص عنها بالنسبة لحالة فقر البلاد الحالى ، مع أن الحضرميين فى المهاجر لا يتحقق تمام التحقق اشتراكهم فى هذا الإصلاح المطلوب إلا بالإسعاف والمساعدة المالية ، وقد قرّر المؤتمر تكليف الوفود الممثلة فيه عن الجمعيات تبليغها عقب انفضاضه طلبه بأن تفتح فوراً باب اكتتاب يرصد باسم الإصلاح الوطنى ، وأن تنشر دعاية قوية إليه وتنظم له الوسائل اللازمة ، ثم توافى لجنة المؤتمر التنفيذية بما تمّ من شأن هذا الاكتتاب ، أما المبالغ المكتتب بها ، فتبقى فى أيدى المكتتبين إلى أن تبلغهم تبشير الإصلاح بواسطة اللجنة المشار إليها ، وتتعين الوجوه والطرق التى ينظم بها صرف المال المكتتب به وضبطه ، وهناك يدفع المكتتبون اكتتاباتهم إلى اللجنة التنفيذية .

الثالث

رغبة فى وجود جوّ من الثقة والاحترام بحكومتى حضرموت وتعزيزاً لحسن سمعتهما ، ثم إيجاد ما يقنع الرأى العام بوجوب المساعدة المالية للإصلاح الوطنى العام يرغب المؤتمر إلى كلّ من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تقدم سنويًا ميزانيتها العامة للجمعية الوطنية ، أو ما يقوم مقامها الآن لتبدى فيها رأيها ، وتعدل ما تراه مفتقراً إلى التعديل فى أبواب الإيرادات والمنصرفات ، وأن تكون قراراتها بشأن الميزانيتين مقبولة ومرعية لدى كلّ من الحكومتين ، وأن ينشر بالميزانيتين بعد ذلك بيان رسمى للعموم .

الرابع

بمـا أن تنظيم الجمارك من صالح الحـكومتين والأمة ، فان المؤتمر يطلب منهما تنظيم الجمارك ، ووضع قانون وقواعد لهـا تنحسم بها الشكوى بحيث تكون مواد القانون ، والقواعد واضحة جلية لا تحتمل سوى وجه واحد صريـح ، أما مسئلة تثمين المعشرات فى الجمارك فيوضع لهـا حدّ ، وهو أنه إذا رأى من يجب عليه دفع العشور أن عليه غبناً فى التثمين ، وأراد أن يدفع العشور من نفس الصنف المعشر فله ذلك ، وعلى إدارة الجمرك أن تقبل الصنف بدلا من النقد بشرط أن يضاف إليه خمسة فى المئة مقابل المصاريف حفظ الإدارة لذلك الصنف الذى دفع بدلاً من العشـــور وتصريفه ، إذ الغرض من الجمارك إنمـا هو النقد لا البضائع .

الخامس

يرى المؤتمر أن البضائع لا تجمرك إلا إذا اجتازت الحواجز الجمركية المعروفة ، فالبضائع التى تمرّ بالمكلا مثلا ، ولا تتعدى حواجزها الجمركية إلى الداخل ، ثم تنقل إلى ميناء آخر فلا تعشر بالطبع إلا فيه عند ماتتعدى الحاجز الجمركى ، وهذا هو «الترنسيت» المعروف أو شبهه ، أما البضائع التى تكون قد تعشرت فى أحـــد موانى حضرموت وخرجت منه إلى أحد موانيها الأخرى فلا تعشر مرة ثانية .

السادس

حيث إن الوطن خال من الأعمال التعاونيـة التى من أهمها الأمور التجارية ، فقد قرّر المؤتمر السعى فى تأسيس شركة تجارية وطنية مركزها المكلا تكون أسهمها بيد الحضرميين ، وقد رأى المؤتمر أن السبيل الموصل إلى تأسيس هـــذه الشركة فى الوقت الحاضر هو أن يقوم بتأسيسها ذو شـخصية مالية معتبرة ، فطلب من السـيد الهمام

عبد الرحمن بن شيخ الكاف مباشرة السعى فى تأسيسها والدعوة إليها ، فتفضل حضرته بقبول هذا الطلب .

السابع

رغبة فى تقدم هذه الشركة وانتفاع أبناء البلاد بها يطلب المؤتمر من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعاملا هذه الشركة معاملة تفضيلية ، وأن تمنحها التسهيلات اللازمة لتقدمها ونجاحها ، وقد خوّل المؤتمر للسيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف حق الاتفاق مع الحكومتين فيما يتعلق بالمعاملة التفضيلية والتسهيلات وكيفياتها ووضعها وشكلها .

الثامن

تخصص خمسة فى المئة من صافى ربح الشركة للشئون الخيرية فى الوطن كالمعارف والملاجئ والمستشفيات . ويتولى صرف ذلك مجلس ادارة الشركة .

التاسع

يطالب المؤتمر أن تشترى الحكومتان خمسة فى المئة من مجموع أسهم الشركة كلّ حكومة بنسبة حالتها المالية .

العاشر

يطلب المؤتمر من الحكومتين تشكيل إدارة عامة للمعارف فى الوطن لتتولى النظر فى أمور التعليم بالإشراف العالى على جميع المدارس هناك لتحسين نظامها وتوحيد برامجها وتوسيع دائرة التعليم فى البلاد بقدر الإمكان .

الحادى عشر

استقلال القضاء [ا] يرى المؤتمر وجوب استقلال القضاء بالبلاد الحضرمية وإبعاد كلّ تأثير أو تدخل خارجي عنه .

مرتبات القضاة [ب] دفع الحكومتين مرتبات شهرية للقضاة كافية لسدّ حاجتهم حفظاً لكرامتهم وتنزيههم عن أن يكونوا موضعاً لشبهة .

الشهود [ج] فحص حالة الشهود الذين يؤدون شهاداتهم فى الدوائر القضائية والتثبت من صدق الشاهد بكل ماتساعد عليه الأقوال فى مذهب الإمام الشافعى من اختلاء القاضى بالشهود والتفريق بينهم ، والتدقيق فى استفهاماتهم وغير ذلك ، حتى يقضى على شهادة الزور التى فشا أمرها بين صغار النفوس وأدنيائها .

المحاماة [د] تنظيم قانون للمحاماة بحيث لا يباح لشخص يحترف بها إلا بشهادة فى يده من لجنة تتألف من العلماء والقضاة ، ولا يجوز الاعتراف بوظيفة المحاماة لمن كان موظفاً فى دوائر الحكومة .

دوائر القضاء [هـ] تأسيس دوائر رسمية منظمة للقضاء ، و إيجاد سجلات لجميع الأحكام وتدوينها .

مجلة الأحكام [و] يرى المؤتمر لزوم تفكير الحكومتين من الآن فى إيجاد مجلة تجمع وتنظم فيها الأحكام المعتمدة من مذهب الإمام الشافعى حتى يحفظ القضاء من مسائل التأويل وتناقض الأحكام وتكون هـــذه المجلة على مثال مجلة الأحكام الشرعية التى وضعت فى الأستانة .

الثانى عشر

بما أن الجمعية الوطنية لا بدّ لها من قواعد عامة تأسس بموجبها ، فقد قرّر المؤتمر تخويل وفده حقّ المناقشة والمفاوضة فيها مع الوفد الحضرمى والاشتراك معه فى وضعها لأنه بتبادل الأفكار مع من بالوطن فى المحيط الذى ستتكوّن فيه الجمعية يظهر لهم ما قد لا يلاحظة البعيد .

الثالث عشر

حيث إن المؤتمر يرى أن يبقى الباب مفتوحاً للحضرميين فى المهجر للاشتراك فى الجمعية الوطنية ومساعدتها ، فانه يطلب أن يكون للجمعيات الحضرمية فى المهجر حقّ التمثيل فى الجمعية الوطنية .

الرابع عشر

قد عهد المؤتمر إلى وفده بالاشتراك مع الوفد الحضرمى فى الوطن فى تقرير شروط تمثيل جمعيات المهجر الحضرمية ووضع الحدود اللازمة لذلك .

الخامس عشر

لما أن الإصلاح الوطنى التام لا تتمّ الفائدة المطلوبة منه ما دام الحضرميون متنازعين ومنشقين ومختلفين فى المهجر ، فضلا عن أن اتحادهم ، وزوال الشحناء من قلوبهم هو أوّل درجات الإصلاح ، فالمؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعين لجنة يرأسها سموّ السلطان صالح بن غالب بعضوية فرد من أفراد السادة العلويين ، وفرد من غيرهم تنظر فى هذا الخلاف الواقع بين الحضرميين فى المهجر ، وتسعى للتوفيق بينهم ، فان لم تتمكن من ذلك تدعُ المختلفين إلى المحاكمة

لديها وتطلب منهم إرسال وفودهم إليها ، أو توكيل من يدافع عنهم ، وبعد أن تسمع أقوال الفريقين وحججهم ومستنداتهم ، وتنظر فى أمرهم بدقة وإمعان ، تصدر حكما أدبيا على من يظهر لها خطؤه وتعنته وتعدّيه من الفريقين ، وتشفع هذا الحكم بحيثياته وأسبابه ، ثم تنشره فى الجرائد مع إصدار منشور مستقلّ به ، معززا بالطلب من الرأى العام أن يحتقر الفريق الذى صدر عليه الحكم ، وينبذه حتى يكون لهذا الحكم تأثير يضع حدا لمن تحدثه نفسه بالتعنت ، ويفضّ الناس من حوله فيبقى وجوده كعدمه ، وبذلك يقضى على الخلاف . أما إذا حصل صلح حقيقى ووفاق تامّ قبل وصول وفد المؤتمر إلى حضرموت فلا يبقى لهذا القرار موضع ولا معنى .

السادس عشر

سعياً فى تمهيد السبيل بالقطر الحضرمى للاصلاح العام المطلوب ، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تسعيا وتقيما صلحاً بين قبائل حضرموت فى الدم والثرث والطوارف لمدة أقلها خمس سنوات .

السابع عشر

إذا أخطأ فرد أو أفراد قليلون من إحدى القبائل الحضرمية ، وعجزت قبيلتهم عن رَدْعِهِمْ وأحضارهم وتبرأت منهم ، فلا يحقّ للحكومتين أذى أحد من أفراد هذه القبيلة سوى المتمرّد أو المتردين لكن يجب على قبيلة المتمرّد مساعدة الحكومتين على إخضاعه وتقديم ما يلزم للحكومتين من الضمانات الجارية المعروفة .

الثامن عشر

رغبة فى إيجاد أداة صلة بين الحكومتين ورعاياها الذين فى المهجر تكون أثراً لوجودها بينهم ، فإن المؤتمر يطلب من الحكومتين القعيطية والكثيرية أن تعملا

لتحقيق هذه الرغبة ، كأن تعين موظفاً تلحقه بالقنصليات الإنكليزية فى البلاد الأخرى ، أو موظفاً متصلا بقلم الجوازات فى البـــلاد الإنكليزية ليكون مساعداً لتسهيل أعمال الحضرميين من تصديق على جوازات سفر أو وكائل ونحوها ، و يترك المؤتمر للحكومتين الشكل فى تنفيذ هذا الطلب .

التاسع عشر

لا يحقّ لوفد المؤتمر أن يقبل أىّ تعديل كان فى القرار الثالث المختص بميزانيــة الحـكومتين لأن سمعة الحـكومتين ، واطمئنان الشعب وثقته بحكومتيه متعلقة بتقديم الميزانية السنوية و إعلانها للرأى العام .

العشرون

قدجعل المؤتمر لوفده الحقّ فى قبول تعديل القرار العاشر المختصّ بالمعارف ، فيمكن تعـديله بالاكتفاء بإيجاد ناظر عام لمعارف أو موظف كبير يكون أداة لربط المدارس واتصال بعضها ببعض ، وتوحيـــد أو تقريب بروجراماتها إذا اقتضى الحال فى الوطن هذا التعديل .

الحادى والعشرون

خول المؤتمر لوفده الحق فى قبول زيادة عدد أعضاء اللجنة التى تدعوالمختلفين فى المهجر إلى المحاكمة إليها تبعاً للقرار الخامس عشر إذا طلبت الحـكومتان هذه الزيادة .

الثانى والعشرون

لتعقب قرارت هذا المؤتمر والاتصال بوفده الذى سيسافر إلى البنادر لحضرموت ، وللاتصال بالجمعيات الحضرمية فى المهجر ـ شكل المؤتمر لجنة أسماها [اللجنة التنفيـذية

لمؤتمر الاصلاح الحضرمى الثانى بسنقافوره] من حضرات الذوات الآتية أسماءهم ، وجعل مقرها سنقافوره :

رئيس	: السيد إبراهيم بن عمر بن محمد السقاف
نائب رئيس وأمين صندوق	: السيد عبد الرحمن بن شيخ الكاف
سكرتير	: السيد أبو بكر بن طه بن عبد القادر السقاف
معاون سكرتير	: الشيخ أبو بكر بن محمد بن عليّ التوى

اختصاصات هذه اللجنة وأعمالها تنحصر فيما يأتى :

١ — تعقب قرارات هذا المؤتمر
٢ — الاتصال بوفد المؤتمر الذى قرّر إرساله إلى البنادر لحضرموت
٣ — الاتصال بوفود الجمعيات التى مثلت فى هذا المؤتمر
٤ — مكاتبة الجمعيات والهيئات والأشخاص الشهيرين الذين لم يحضروا المؤتمر
٥ — دعوتهم للاكتتاب باسم الاصلاح الوطنى العام والسعى فيه
٦ — طلبها موافاتهم لها بما ينتج بهذا الشأن
٧ — جمع قيمة الاكتتابات للاصلاح الوطنى العام حينما يأتى دور جمعها
٨ — نشر النشرات التى تراها ضرورية ومساعدة على أعمال الاصلاح الوطنى المطلوب
٩ — إعلان الجمعيات الحضرمية بالمهجر حينما يتمّ تأسيس الشركة التجارية الوطنية وطلبها منها حضّ أفرادها ، وحثهم على الاشتراك فى الشركة للفائدة والتعاون الوطنى .
١٠ — عقد مؤتمر إذا دعت الحاجة والمصلحة إليه

الثالث والعشرون

بما يلزم مبدئيا فتح اعتماد مالىّ قدر بخمســـة آلاف ريال ٥٠٠٠ المصاريف الإدارية للجنة التنفيذية ولســـفر الوفد الذى تقرّر سفره إلى الوطن من أعمال شهر سبتمبر عام ١٩٢٨ .

فقد قرر المؤتمر بعد موافقة جميع أعضائه فتح باب الاكتتاب بينهم ليكتتبوا بما تيسر لذلك : فاكتتبوا بما بلغ مجموعه ٣١٤٠ ريال ، وكلف المؤتمر سكرتيره بالـكتابة للأعضاء الذين لم يحضروا ليشتركوا فى هذا الاكتتاب .

صودق على هذه القرارات جميعها من جميع الأعضاء الممضين أدناه فى حلسة المؤتمر الختامية المنعقدة فى ليلة السبت الموافق ٢٢ ذى القعدة سنه ١٣٤٦ ، و ١٢ فى ماى سنة ١٩٢٨ فى منزل رئيس المؤتمر السيد إبراهيم بن عمر السقاف بطريق چنسرى لين بسنقافوره .

والحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات ؟

رئيس المؤتمر	سكرتير المؤتمر
إبراهيم بن عمر السقاف	أبو بكر بن طه السقاف

الأعضاء

السيد عبد الرحمن بن شيخ الـكاف . السيد أبو بكر العطاس . علوى بن طاهر الحداد . عيدروس المشهور . عبد الرحمن بن عمر جواس . أبو بكر العطاس . سقاف بن محمد السقاف أبو بكر بن محمد التوى . سعيد بن عبد الله باجرى . سعيد بن طالب بن جعفر بن طالب .

وفاة السيد حسين حامد المحضار

توفى السيد حسين حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية اليافعية يوم ١٣ من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٦ ، ولقد كان المثل الأعلى فى النشاط والحركة واليقظة والجلد والحزم ، شديد الذكاء ، سريع البداهة ، حاضر الذهن ، كان سياسيا محنكا ، وكانت شخصيته عظيمة جدا ، له فى قلوب الناس هيبة و إجلال ، ومصدر هذه الهيبة وهذا الاجلال سلطته الروحية وشخصيته البارزة ، وكانت الحكومة واثقة به كل الثقة مفوضة أمورها الداخلية والخارجية إليه، وكان ينوب عن السلطان حينما يذهب إلى الهند ، فيحكم دون أن يسأل عما يعمل ، و بالرغم عن ضعف جسمه ، فانه يندفع وراء الأعمال المتراكمة اندفاعاً ، ويتلقى الشكاوى والدعاوى بصدر رحب ، و يتصدى للأحكام فى النهار وفى الليل دون أن يظهر عليه خمول أو فتور ، وهو فى كل ذلك مخلص للحكومة كل الاخلاص .

قام بالوزارة بعده ابنه السيد أبو بكر بن حسين المحضار باعلوى ، ولم يرث هذا عن أبيه شيئاً كثيراً ولا قليلا من الدهاء والحزم والجلد والنشاط وحب العمل ، فالفرق بين الاثنين كبير جدا ، كان هذا الوزير خمولا كل الخمول ، جنوحاً إلى السلامة .

كان وزيراً وفى الوقت نفسه كان تاجراً ، لم يجهد فكره يوما فى شئون الحكومة ، ولم يؤد شيئاً من واجباته نحوها ونحو الشعب ، ولكنه كان يفكر طويلا و يبحث كثيراً عن مصادر المال لنفسه ، وليس هناك أحد يحاسبه فى أعماله لأنه الكل فى الكل هو الوزير وهو السلطان أحيانا يعز من يشاء و يذل من يريد ، وأهل الوظائف وفى مقدمتهم يافع والعبيد يخافون كل الخوف من ضياع مراكزهم الضئيلة وأهل المتاجر وأصحاب الحرف والمهن يخشون أن يصب الوزير عليهم عذابه الشديد ، أما السلطان فلم يكن يعرف شيئاً من أعمال وزيره، لأنه لم يرفع إليه أحد شيئاً من أعمال الوزير ، ولأنه لا يمكث فى المكلا إلا أياما أو شهوراً معدودات ، ثم يقفل راجعاً إلى حيدرأباد

تاركا أمور حكومته بيد وزيره يتصرّف فيها كيف يشاء ويديرها كما يريد ، وهكذا يصفو الجوّ للوزير ، وينفذ رغباته ، ويصدر أوامره دون أن يلقى أمامه معارضاً ، ودون أن يجد حوله رقيباً .

مشاغبات الحموم

ظلّ الحموم يناوئون الحكومة القعيطية ، ويثيرون القلاقل ، ويقطعون الطريق من عقبة العرشة إلى الديس ، وفى شهر محرم سنة ١٣٤٧ أغاروا على نخل فى الديس ، فخرجت لهم جماعة من يافع ، ووقعت معركة بين الفريقين ، فقتل من الحموم ستة أشخاص وجرح سبعة ، وبعد هذه الحادثة أرسل السلطان عمر بن عوض القعيطى اليافعى ٤٠٠ رجل من يافع وآل تميم وعبيد إلى المشقاص ، فحدثت هناك معركة انتهت بأربعة قتلى وستة عشر جريحا من الحموم ، وأخذت من إبلهم ٤٥ جملا ، وفى شهر رجب سنة ١٣٤٧ استولى الحموم على معيان الديس وقطعوا الماء عن سكان القرية ، فخرج إليهم جماعة من يافع ، وهرب الحموم فى الجبال ، ثم أغاروا على رعاة فى أراضى الديس ونهبوا ما معهم من الغنم ، ولكن آل قرزات وهم من فخائذ الحموم الموالية للحكومة أعادوا المنهوبات إلى أهل الديس ، ثم رأت الحكومة أن تقضى على مشاغبات الحموم ببناء مخفر فى الريدة ، ولما بلغ ذلك إلى الحموم اجتمع منهم ألف رجل وحاولوا هدم المخفر ، ولكن يافع قد استعدوا للطوارئ ، فاندحر الحموم وتفرّقوا فى الجبال .

وفاة السلطان منصور الكثيرى

فى اليوم التاسع من شهر ذى الحجة سنة ١٣٤٧ توفى السلطان منصور بن غالب الكثيرى ، ففقدت الحكومة الكثيرية رجلا أميناً مخلصاً ، ولقد اشتهر بين قومه

بالصلاح والورع وحبّ الخير ، وكان سليم النية ، صافى السريرة ، دمث الأخلاق ، محافظاً على العبادة ، بعيداً عن القاذورات ، وسفاسف الأمور ، وقام بالأمر بعده ابنه السلطان عليّ بن منصور الكثيرى الموجود اليوم فى سيون عاصمة ملكه ، وهو من أشدّ سلاطين آل كثير غيرة على بلاده ، درس فى صغره جزءا من علوم الدين على يد علماء أفاضل ، ودرس شيئاً من التاريخ والأدب .

عزل المحضار من الوزارة

كان السيد أبو بكر المحضار باعلوى وزير الحكومة القعيطية تاجراً ، وفى الوقت نفسه كان وزيراً ، وإن شئت فقل سلطانا ، حرية مطلقة ، وسيطرة واسعة ، لامعارضة ولا معاكسة تعترضه فى سبيله ، وتحول دون مبتغاه ، هو كلّ شىء ، ومادونه لاشىء . كان يجب عليه لو كان لديه شىء من السياسة والكياسة أن يحافظ على هذه النعمة الكبرى ، نعمة السلطة المطلقة ، والسلطان القاهر ، يحافظ عليها بشىء من الإخلاص للحكومة ، و بشىء من الحمية والغيرة على كيانها كما كان شأن والده الراحل الكريم ، كان يجب عليه أن يبدى اهتماما ولو قليلا فى العمل لصالح الحكومة ولصالح الأمة ، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يكن ، وكانت النتيجة أن عزله السلطان عمر بن عوض القعيطى سنة ١٣٥٣ واستوزر النبيل سالم أحمد القعيطى ، فاستبشر الناس بهذا الوزير الجديد استبشاراً عظيما ، وعلقوا عليه الآمال العظام لأنهم يعلمون أنه الرجل الحازم ، الشديد فى مواطن الشدّة ، الرحيم فى مواطن الرحمة .

وفاة السلطان عمر القعيطى اليافعى

توفى السلطان عمر بن عوض القعيطى فى حيدرأباد فى ذى الحجة سنة ١٣٥٤ على أثر اشتداد مرض السرطان والناصور وتورّم الرئتين عليه ، وقد احتفل بدفنه فى مقبرة آل القعيطى بحيدرأباد دكن بجوار والده وجده احتفالا كبيراً ، مشى فيه كبراء وأمراء ووجهاء حيدرأباد ، وقد توفى عن ٦٧ عاماً ، تاركا خمسة أولاد ذكورا ، وقد انتظم فى سلك الجيش غير النظامى فى حيدرأباد ، وعين حكمداراً على فرق العرب الحضارم التى تتولى حراسة خزائن الدولة ، وقصور سموّ النظام وحرمه الخاص ، وقصور الكثير من الأمراء والنواب والحكام ، وتصرف له حكومة حيدرأباد نظير ذلك معاشاً شهريًّا قدره ١٣٣٠ روبية .

ولما تولى السلطنة فى حضرموت بعد وفاة أخيه السلطان غالب بقى فى مركزه كما هو ، ولا يذهب إلى حضرموت لإدارة شئون مملكته إلا أياماً معدودات ، ثم يقفل راجعاً إلى حيدرأباد تاركا إدارة بلاده إلى وزيره وكبرائه من عشيرته .

السلطان صالح القعيطى اليافعى



السلطان صالح القعيطى اليافعى

حيث إن العادة فى ورثة الحكم عند آل القعيطى أن ينتقل الحكم من يد الحاكم

المتوفى إلى أخيه إذا كان حيا أو إلى ابن أخيه إن كان الأخ متوفياً لا إلى ولده ، فقد تولى الحكم السلطان صالح بن غالب القعيطي اليافعي ، ولقد استبشر الحضرميون به في الوطن والمهجر استبشاراً عظيما ، ولا غرو فإنه السلطان المهذب المثقف العادل القادر الرحيم الحليم هو السلطان الذي يحفظ له الناس في جلجلان قلوبهم ، وقرارة نفوسهم الودّ والولاء ، ويعلقون عليه الآمال الطوال ، وقد نادى في الناس أن ابسطوا شكاياتكم ، واعرضوا ظلاماتكم ، ليكبح جماح الظالمين ، ويبتر أيدى المعتدين ، ويعطى كلّ ذى حقّ حقه .

ذاع هـذا النبأ في الناس كالبرق في حضرموت ، ودوى في مسامع أكثر من مائة ألف من الحضارم في المهجر ، فحمدوا الله على أن بعث إليهم صالحاً ليصلحهم ، ويهديهم الطريق الأقوم ، وهـذه هي خطبة العرش التي ألقاها عظمته في صفر سنة ١٣٥٥ على ملأ من أعيان شعبه :

بسم الله الرحمن الرحيم . نحمده ونصلى على رسوله الكريم .

أيها السادات الكرام ـ رؤساء القبائل ـ أصحاب المناصب الجليلة والرعية :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فيسرّنى أن أقدم إليكم أحسن تشكرى وأخلص تحياتى على ما أظهرتم من الحماسة والشوق في ترحيبي عند وصولى إلى الوطن ، وما أثبتم من الإخلاص والولاء ، لأنى أودّ أن أظهر لكم بعض ما يختلج في صدرى ، ويخطر بقلبي من الخواطر لرقيكم وترقية أحوالكم ، وبثّ الأمن ، وإصلاح الوطن .

ولا يخفى عليكم أن فلاح الأمة لا يتأتى إلا إذا كانت عرى الوفاق بين السلطان والرعايا وثيقة ، وكان الأمن والسلام ضاربين في جميع نواحي المملكة وأطرافها . لأن السلطان والرعيـة كالأب الشـفيق وأولاده ، فلكليهما حقوق على بعضهم لبعض ، فعلى السلطان أن يبذل جهده في ترقيـة الملك وترقية أحوال الرعيـة ، ولا ينجح في هذا المرام إن لم تكن الرعية مستعدّة كلّ الاستعداد لمعاضدته في مهامه ، وتوثيق عرى

الوفاق معه . وعليه أن يدفع الظلم والعدوان عن رعيته ، ويحفظها تحت عنايته وعدله ، ويعمل لتحسين كافة شئونها الاجتماعية .

وإنه ليحزنني أن أراكم في الحالة المنحطة التي وقعتم فيها ، فاني وإن كنت بعيداً عنكم ونازحاً عن دياركم ، فقد كنت دائماً مطلعاً ومتطلعاً على أحوالكم وواقفاً على جلية أموركم .

ولا إثم ان كاشفتكم أنكم قد تأخرتم في كل شعب الحياة ، وملتم إلى الجمود والخمول . وإني لأتذكر أن كثيراً من العائلات العاليات اللاتي كنّ في أحسن الأحوال أيام جدي المغفور عوض بن عمر القعيطي قد أعوزت وصارت إلى الهلاك والاضمحلال . وكان عمي المرحوم السلطان عمر يسعى لإصلاح أمور القوم ولكن التقدم يقتضي طول الزمن ودوام العمل . وأرجو من الله تعالى أن تكون الرعية في أيامي في غاية الرخاء والسعادة . وأن ترتقي إلى أعلى مدارج الترقي والفلاح .

أيها السادات : إنكم لتذكرون كيف خاص الملك لجدي المرحوم بمساعدة عشيرته خصوصا وبمساعدة الكل عموما . وكذلك أرجو من جميع رؤساء القبائل وسلاطين حضرموت أصحاب الكلمة والمناصب أن يقوموا بمساعدتي وشدّ أزري لكي تنهض كرجل واحد لاتحاد كلمتنا وإعلاء شأن ملكنا لكي نكون في مستوى واحد مع الأمم الراقية ونجاريهم في مضمار الحياة ، فلنعمل لرقينا من الآن ! لأن الوقت سيف قاطع ، والفرص تمرّ مر السحابّ ، والوقت ثمين يجب علينا أن نغتنمه ولا نضيعه سدى .

وأريد أن أطلعكم على خطتي السياسية التي سأسلكها ، فأقول :

إن روابطنا مع الدولة الإنجليزية ستبقى ودية كما كانت على الدوام ، ونكون مستعدين لمعاونتها بكل وسيلة ممكنة وفي كل حين ، ونستمد منها المعاضدة لرقي بلادنا ، ولقد لقيت من سعادة والى عدن وكيل الحكومة البريطانية الكولونيل السر [ريلى] كما يليق بي من الترحيب والتكريم عند نزولي عدن ومبارحتي إياها . ولم يأل جهداً في أخذ خاطري ، ووعدنا بأنه لا يحرمنا من ثمين مشورته ومساعدته فيما يخصنا من الأمور المتعلقة بشئوننا . وأنا أغتنم هذه الفرصة لتقديم جزيل تشكري إليه مؤكدا له محافظتي على الولاء للتاج البريطاني ، وعلى علائق المعاهدة فيما بيني وبين جلالة ملك بريطانيا .

وأنتم عارفون أن رحى الحرب بين إيطاليا والحبشة دائرة ، فيجب علينا أن لانساعد المتحاربين فى حال من الأحوال . ولا يوجد فى بلادنا تجارة الرقيق — فهى أيضاً محظورة عندنا ، وسنعاقب من يرتكب هذه الجريمة . وليعلم الجميع أن القبائل كلها سواسية ولا أريد أن أفضل إحداها على أخرى لأنى لا أحب التنازع والتنافس .

وأريد أن ألفت أنظاركم إلى أمر مهمّ : ألا وهو مسألة التعليم ، فلا تنسوا أن رقىّ بلادنا يتوقف على نشر المعارف فى جميع نواحى الحياة ، لأن التقدم المادى والخلقى مستحيلان ما دام أولادكم محرومين من العلم والتهذيب ، فسامحونى أن أجاهركم والأسف ملء فؤادى أنه لا يكاد يوجد بين ظهرانيكم أحد فيه مقدرة وأهلية لإدارة الأمور بأحسن وجه ، وسأتصدى لسد هذه الثلمة بعون الله تعالى .

ولا بد أن توجهوا همتكم إلى إصلاح الزراعة فلا تتركوا قطعة من الأرض إلا أن تكون مخصبة ومغطاة بالزرع فيكون المالك مثمراً موسراً وتكونون أنتم متمتعين بالهناء والسراء ، وكل هذا ميسر لمن له عزم صادق ! .

وأريد أن أنشئ معهداً زراعياً لتدريبكم أصول الفلاحة من استعمال آلات الحرث على الطرز الجديد لكى تقدروا على استغلال أراضيكم الخصبة ، وأنا أضمن لكم المساعدة الثمينة لاقتناء هذه الوسائل الحديثة ، وكذلك التجارة تحتاج إلى توسيع دائرتها ولهذا أريد أن أساعد أهل التجارة من بلادنا حسب الاستطاعة ، وأهيئ لهم الأسباب وأنظم الواردات والصادرات بحيث يعود نفعها عليكم وعلى البلاد ، وكلما قدمتم إلىّ طلباً أو اقتراحاً فى شأن البلاد ، فإنى أنظر فيه وأقضى بما يصلح الرعية ، وينبغى لهذا أن تكون الطرق إلى حضرموت ونواحيها مضمونة الأمن لكى يتردد التجار والمسافرون من مكان إلى آخر بدون تعرّض ومعاكسة ، وأنا أرجو من سلاطين حضرموت وسائر القبائل أن يعاونونى فى هذه الجهة حتى يستتب الأمر ويسود الأمن والسلام فى البلاد .

وأريد أن أنشىء محاكم ومجالس عدل لتصفية القضايا على وفق القوانين الشرعية والمدنية فلا يتعدى أحد على آخر .

وليحذر العمال [الحكام] من أن يتطاولوا على الرعية ، فاذا فعل أحدهم ذلك فللرعية أن يرفعوا القضية إلىّ رأساً لأخذ الحق من الظالم .

وأريد أن أشكل مجلسا مشتملا على خيرة رجالكم من ذوى الخبرة لأشاورهم ويشاركونى فى الأمور الإدارية لنقوم بإجراء الواجب نحو الرعية ، والبلاد على أحسن الوجوه .

وفى الختام أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا فيما أردنا ويهدينا إلى الرشاد ، ويلهمنا بما فيه الخير للوطن . وله الحمد فى الأوّل والآخر ، والظاهر والباطن . »

نظام الحكم

تحكم الدولة القعيطية اليافعية المكلا ، وهى العاصمة وميناء حضرموت الأكبر والشحر ، وهى ميناء أيضاً وغيل باوزير وجميع بلدان الشواطئ من سيحوت شرقا إلى عين بامعبد غربا وتحكم دوعن وحوره وهينن وقرى القطن وشبام وعينات وساه ، ولكل بلد والٍ يتولى الحكم ويدير شئون الأهلين بالنيابة عن الحكومة ، وهذه أسماؤهم :

المكلا : عظمة السلطان صالح بن غالب القعيطى اليافعى
الشحر : الوالى عمر صالح بن هرهرة اليافعى
غيل باوزير : « عمر سالم القعيطى اليافعى
الديس : « عمر عوض مخارش اليافعى
الحامى : « عمر محفوظ الكسادى اليافعى
شحير : « الماس عبد الخالق
حجر : « الماس سعيد مرزوق
قصيعر : « عبد عوض مخارش اليافعى

ميفع	: الوالى منصر بن علىّ جابر اليافعى
بروم وفوه	: أحد موالى الحكومة
بالحاف[١]	: أحد أعيان يافع
حبان وعين بامعبد	: حاكم من أعيان الأهالى ويعينه فى الإدارة أفراد من يافع
دوعن	: الوالى باصرّة
ساه	: أحد كبار يافع ويعينه فى الإدارة بضعة من أعيان الأهالى
عينات	: الوالى محمد ناصر الدهرى اليافعى
حوره وهينن	: الوالى على أحمد القعيطى اليافعى
شبام وملحقاتها	: الأمير علىّ بن صلاح القعيطى اليافعى

وسمو الأمير علىّ من أكبر رجالات حضرموت ، دهاء وحزما ، حادّ الذكاء[٢] ، قوىّ الذاكرة ، سريع البداهة ، بعيد النظر ، صريح الفكر ، حرّ الضمير ، نافذ العزم ، قوىّ الإرادة ، له إلمام واسع بالتاريخ القديم والحديث ، شغوف بمطالعة الكتب وقراءة الصحف العربية المصرية ، عليم خبير بحوادث العالم وأحوال الأمم .

وتتكوّن الحكومة من السلطان والوزير والقاضى الشرعى ، والسلطان هو الذى يعيّن الوزير ، ومَن دونه من الرؤساء والولاة ، وليس للشعب أىّ دخل فى الترشيح ، وليس للوزير وغيره من الرؤساء والموظفين حدّ معين ، فقد يبقون فى مراكزهم عشرات السنين ، وتصدر الأحكام ما عدا الأنكحة والمواريث على حسب العرف ، إذ ليس هناك قوانين جنائية ، أو مدنية مدوّنة فى كتاب ، ولا سجلات تجمع فيها الأحكام ، وتدوّن ، وقد تتضارب الأحكام فى مختلف البلدان ، وتتباين من ناحية الشدة واللين ، والدقة والبساطة ، فقد يصدرأحد الولاة أحكاماً فى غاية الشدّة والقسوة ، ويصدر الآخر

(١) تملك الحكومة نصف بالحاف والنصف الآخر لابن عبد الودود ، وفيها نهير بنى على مقربة من مصبه حصن به جماعة من يافع .

(٢) كنت زميله فى مدرسة الحوطة ، وكان مدرسنا الأستاذ الشيخ عبد ربه بافضل ، ولسرعة فهم سموّ الأمير على عجز أكثر زملائه عن مجاراته فى تلقى الدروس وفهم معانيها .

أحكاما فى منتهى اللين والبساطة ، وكلّ واحد حبله على غاربه ، لا يتقيد بزميله فى أمر ما ، ولا يرتبط بالسلطان إلا فيما له علاقة بالجيش وبالحرب ، فان السلطان هو الذى يزيد عدد الجيش أو ينقصه ، وهو الذى يعلن الحرب أو يوقفها ، وليس هناك قانون للمحاماة ، ولا دوائر خاصة للقضاء ، وليس للسجون نظام خاصّ ، فقد يسجن السلطان أو الوالى المحكوم عليه ساعات من النهار ، أو يوما ، أوأياما ، أو شهوراً ، أو أعواما ، ويطلق الحاكم سراحه متى شاء ، ويمدّ فى أجله إذا شاء ، والرشوات منتشرة فى دوعن وغيرها عند بعض الولاة والقضاة .

والحقوق المدنية غير نافذة فى بعض بلدان الحكومة ، فالضرائب فى دوعن تجبى من فئة دون أخرى ، فان كثيراً من العلويين وآل عمودى وآل باوزير معفون من الضرائب ، وليس هناك عذر سوى أن هؤلاء من الروحانيين أصحاب السلطة الروحية التى لا تزال تعمل عملها فى الدوعنيين ، والناس هناك ليسوا سواسية أمام القاضى ، فمن كان ذا مال فهو الفائز فى القضايا ، فالتلاعب بالأحكام فى دوعن بالغ حدًّا كبيراً ، ذلك لأن الحكومة المركزية بالمكلا لا تضع أىّ رقابة على ولاة دوعن ، والسلطان غير عالم بما يحدث هناك من التلاعب بالحق .

أما سيادة الحكومة الداخلية Souverainetè intèrieure فلها كلّ السلطة فى إصدار الأحكام ، وحمل الناس على طاعتها والعمل بها ، وتنفيذ إرادتها فى الأفراد ، وتصريف الشئون العامة ، وحفظ الأمن والنظام دون أن تتقيد فى ذلك بشىء ما ، اللهم الا حقوق الأفراد التى يجب عليها - من الوجهة الأدبية على الأقل - احترامها ومراعاتها .

وأما سيادتها الخارجية Souverainetè extèrieure فالحكومة لا تخضع لأية سلطة عليا ، ولا لسلطان أجنبى ، فهى مستقلة استقلالا شخصيا ، وقد عقدت معاهدة سنة ١٨٨١ بينها وبين الحكومة الإنجليزية ، دخلت حضرموت بموجبها تحت حماية بريطانيا ، ولكن هذه الحماية اسمية ، فبريطانيا لا تتدخل فى شئون حكومة حضرموت ، وليس هناك إنجليزى يشارك السلطان فى الحكم وغاية الانجليز من تلك

المعاهدة ألا تفاوض حكومة حضرموت دولة أجنبية غير بريطانيا فى شأن من الشئون السياسية .

وتنحصر قوّة الحكومة فى الجيش ، وهو مكوّن من يافع ، وهم الأغلبية الساحقة ، ومن آل تميم ومن العبيد ، ولهذا الجيش رؤساء يقال لهم [المقادمة] ، ومرتب الجندى من خمسة إلى عشرة ريالات فى الشهر ، وقبائل يافع الساكنة فى قرى القطن ، وكذلك آل تميم الساكنون فى بلدهم ، لا يأخذون من الحكومة مرتبات ، ولكنهم طوع أمرها ورهن إشارتها ، يدافعون عنها و يضحون فى سبيلها كلّ مرتخص وثمين .

ويوجد لدى الحكومة من السلاح علاوة على البنادق والسيوف مدافع أكثرها من النوع القديم الذى يطلق رصاصه بوضع النار فى البارود المركوم على ثقب فى أعلى فوهة المدفع من مؤخره .

الايرادات

وتتكوّن فى الغالب من الجمارك ، وليس لهذه الجمارك نظام خاص وقواعد ترتبط بها فتثمين المعشرات راجع إلى رجال الجمرك وعرفهم ، وتأتى إيرادات أيضاً من مزارع غيل باوزير .

أما المنصرفات فتنحصر فى مرتبات الوزير والقضاة والجيش والموظفين وهم قليلون جدًّا ، والناس لا يعرفون بالضبط مبلغ إيرادات الحكومة ولا منصرفاتها ، لأنه ليس لها ميزانية خاصة ولا عامة .

الحكومة الكثيرية ونظام حكمها

يحكم آل عبد الله مدينتى سيون وتريم وهما من أعظم مدن القطر الحضرمى ، ومن أكثرها عمرانا وحضارة ، وتريس والغرف ومريمة والغيل ، وتتكون الحكومة من السلطان والوزير أو المعين ، ومن القضاة ، ونظام الحكم فيها هو نفس نظام الحكومة القعيطية اليافعية ، فجميع الأحكام تصدر بحسب العرف إلا ما له علاقة بالأنكحة والمواريث ، فانه يحال إلى الشرع الاسلامى ، وليس لهذه الحكومة ميناء فمركزها السياسى ضعيف ، وتتكون قوتها من الجيش وهم خليط من آل كثير ، ومن العبيد ويوجد عندها من السلاح البنادق والمدافع من الطرز القديم ، والعبيد هم الذين يتسلمون مرتبات ضئيلة من السلطان ، أما فخائذ آل كثير فيدافعون عن حكومتهم بكل مستطاع ومن غير مقابل ، و إيرادات هذه الحكومة ضئيلة جداً ، ولكن لدى السلطان أطيان واسعة ، ومنصرفاتها قليلة جدًّا ، وتتكون الارادات غالباً من الضرائب التى تفرض بحسب العرف على القادرين من الرعايا ، والرشوات منتشرة عند بعض القضاة والولاة .

الرئاسات المستقلة

بالرغم عن صغر مساحة القطر الحضرمى ، وعن وجود حكومتين فيه ، فان هناك رئاسات قبلية فى الحواضر والبوادى كل منها مستقلة عن الأخرى فى أمور معاشها وحكمها ، وفى قسم محدود من الأرض ، وليس للحكومتين اليافعية والكثيرية سلطة قوية عليها .

فالرئاسات فى الحواضر هى : نهد ، وسيحوت ، ووادى عمد ، ووادى العين ، وقسم ورخية ، وآل تميم ، والعوامر ، وآل جابر ، وآل باجرى ؛ والرئاسات فى البوادى هى : سيبان ، ونُوّح ، والمناهيل ، والحموم ، والدّيّن ، والصيعر ، والمعارة .

فى الحواضر

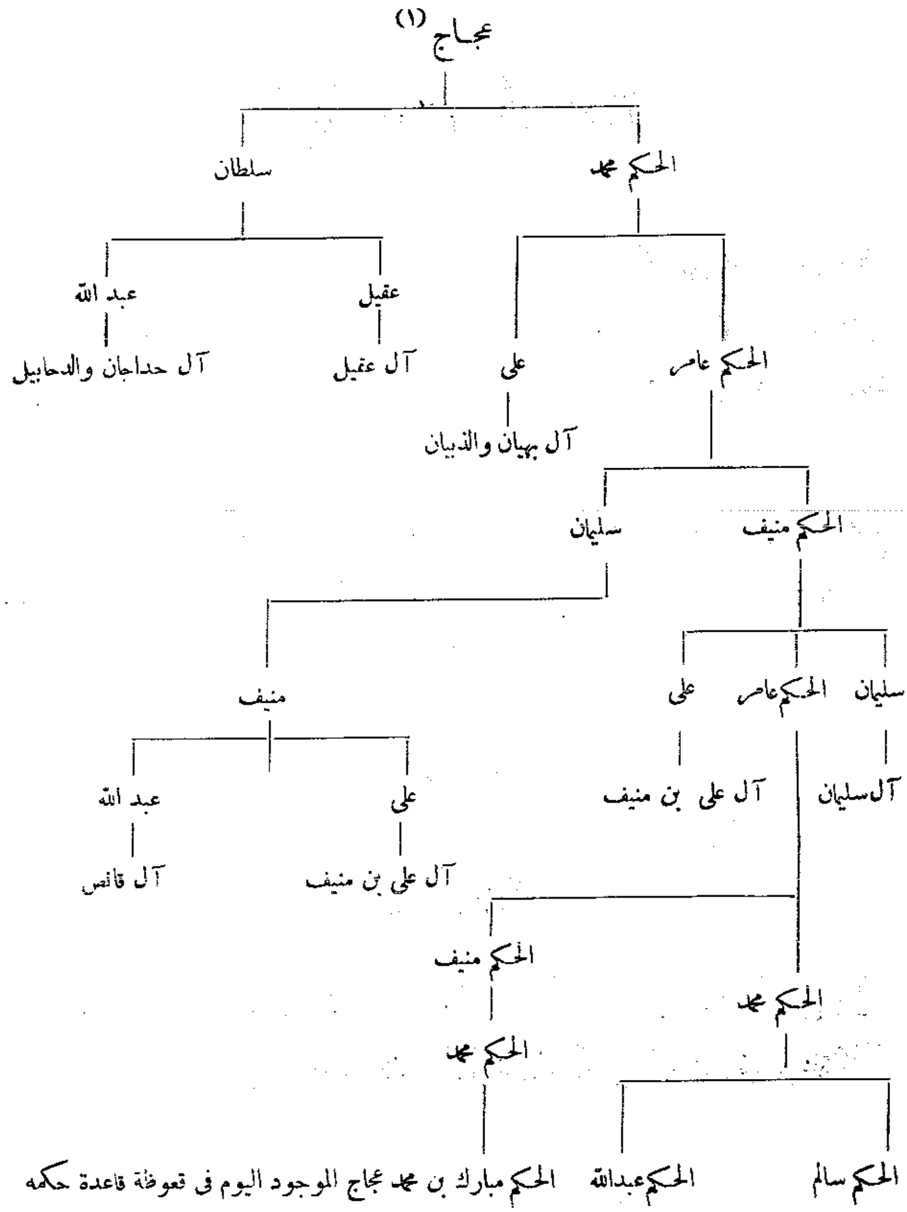
نهـــــد [١]

ذكرنا فى الجزء الأوّل سلالة نهد وقبائلهم وفخائذهم ، ومن بيدهم الأمر من آل ثابت ، وفاتنا أن نذكر عجاج وذريته الذين يحكمون جانباً كبيراً من نهد فى قعوظة [٢] وملحقاتها :

---

(١) راجع ص ١٠٨ من الجزء الأوّل .

(٢) جاء فى الجزء الأوّل أن الحكم على بن صالح بن ثابت فى قعوظة والصحيح أن قاعدة حكمه القارة



ويحكم نهد البلاد الواقعة من لخاس شمالا إلى أقصى العروض جنوبا ، والأحكام عرفية إلا ما له علاقة بالأنكحة والمواريث، و بلادهم فقيرة لا تقوم بحاجة السكان، لأنها لا تنبت

(١) هو أخو بدر ومحمد وعبد الله وحويل الملقب بالطويل أبناء عامر بن فضاله بن روضان وسبق ذكر ذرية إخوانه فى الجزء الأوّل .

رزقا إلا إذا جاء السيل من أودية دوعن وعمد وهم دائما فى مشاغبات ففى سنة ١٣١٤ حدث نزاع وخصام بين آل ثابت وآل بقرى ، وتعدى الفريق الأول على بيت من بيوت الفريق الثانى وحرقه بالبارود بمن فيه من النساء والرجال ، فانفصل آل بقرى من آل ثابت وبنوا حصونا فى شرق شراح وسكنوها .

وأخذوا يحاربون أعداءهم وانضم إليهم آل مقيزح كما انضم إلى جانب آل ثابت آل منيف وآل عجاج وطال النزاع والخلاف وفى سنة ١٣٣٦ قتل محمد بن عمر البقرى وأخوه سعيد فى المشهد ، وكان الشهر الذى قتلا فيه . والذى يزار فيه المشهد شهر سلم على حسب اصطلاح القبائل فاتهم آل بقرى آل ثابت بقتلهما وأنكر آل ثابت ذلك فاحتد النزاع وتفاقم الخصام وعادت الحرب جذعة ، وأخذ كل فريق يحرق نخل الآخر بالغاز وهدموا السد الذى يوزع مياه الأودية العليا على أراضيهم فمات النخل والنبق وأجدبت الأراضى ولم يزل النزاع قائما بينهم إلى اليوم بالرغم عن وجود الحكام من آل ثابت وآل عجاج .

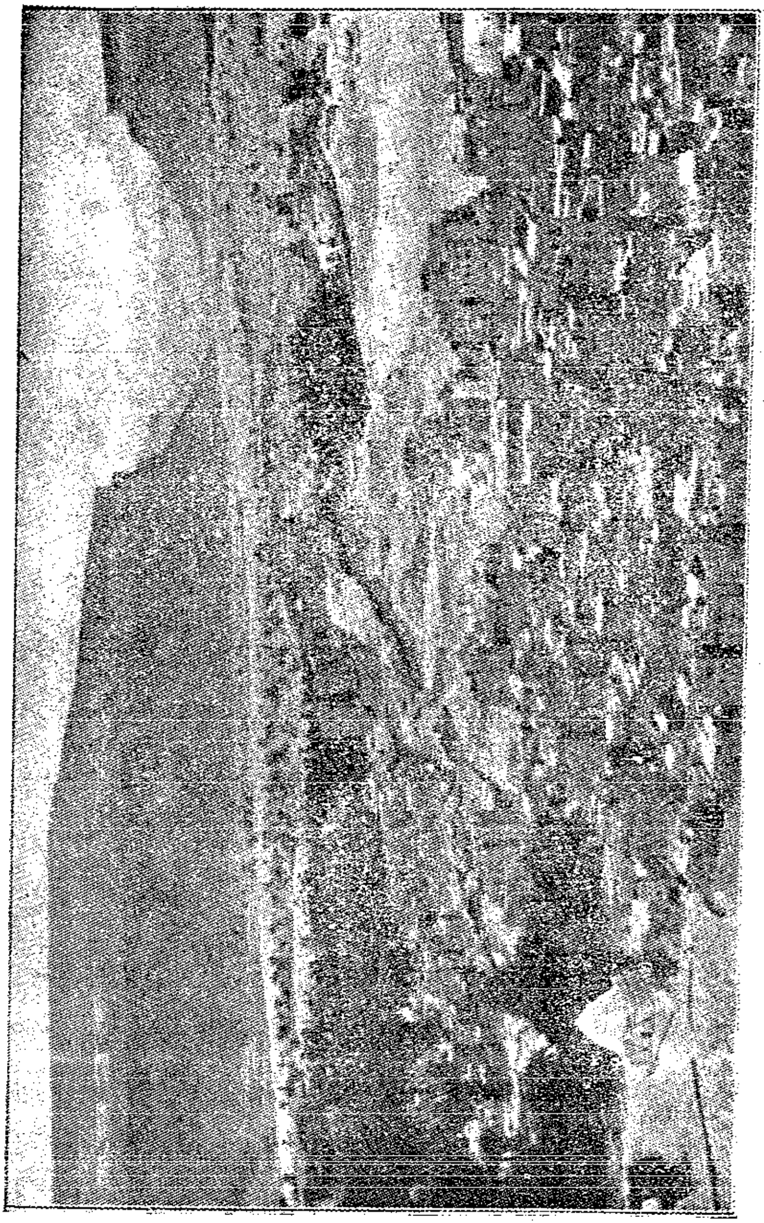
سيحوت

تقع سيحوت على الساحل عند مصب وادى حضرموت ، وأكثر بناياتها من الخشب وسكانها لا يزيدون عن الخمسة آلاف أغلبهم من عينات وقسم ، وحاصلاتها الأسماك ومعظم أنواعه من كلب البحر الذى يجفف ويملح ، ويستعمل كغذاء أساسى مع الأرز والخبز ، وزيت الصيفة المستخرج من السمك ، وليس بين سيحوت وغيرها من البلدان الحضرمية مواصلات اللهم الغيظة وقشن ، فان القوافل تذهب من سيحوت اليهما فى الشهر مرة أو مرتين ، وميناء سيحوت ردىء محل تؤمه المراكب الصغيرة والواردات إلى سيحوت من الخارج قليلة جداً ، وأغلب الواردات : الأرز ، والبلح ،

والبن ، والسكر وتأتى من بندر عباس ومن البصرة ومسقط وعدن والجرك ٥ ٪ . وإذا نزل المسافر فى سيحوت وأراد الذهاب إلى الأراضى الداخلية لا يجد الجمال لحمل بضائعه إلا فى النادر القليل ، ولذلك فقد يمكث أياما ريثما يذهب الرسول إلى الغيظة ويعود بالجمال والمسافة بين سيحوت وعينات ثمانية أيام فى طريق ليس فيها عقاب ولا تلال ، بيد أن الأخطار فيها كثيرة يرحل المسافر من سيحوت إلى عينات فيضطر لأخذ خفير من المهرة يحميه من تعدى البدو عليه ، وبعد أن يمر على قرية العيص يصل إلى المسيلة التى أغلب سكانها عبيد المهرة ، وبعد ست ساعات يدخل فى مفازة عظيمة يقال لها الجزع ، وليس فيها ماء ولهذا يلزم المسافر أن يأخذ معه كمية من الماء لمدة ثلاثة أيام وبعد أن يخرج من الجزع يصل مياه النقرة التى تكونت من جرف مياه الأودية العليا لتلك البقعة ، ومن ثم يدخل فى رمال مدة أربع ساعات حتى يبلغ قبر هود عليه السلام ثم يصل إلى عينات بعد ١٢ ساعة .

وأغلب سكان سيحوت من قبائل المهرة والحاكم ابن عفرير من عشيرة بنى زياد المهرية صاحبة الحول والطول والنفوذ المطلق فى ذلك الصقع النائى ، ومقره بلدة سقطرا وينوب عنه فى سيحوت ابنه وصهره والأحكام عرفية والفوضى ضاربة أطنابها فى البلاد والأمن مفقود ، ولذلك فكل نزيل يفتقر لنفر من بيت زياد ، أو من غيره من المهرة يحرسه من تعديات البدو الذين يأتون من الصحراء للبحث عن القوت وبين بيت زياد وغيرهم من القبائل تنازع وتخاصم وقتال ، ولآل حامد من آل الشيخ أبى بكر بعض نفوذ روحى عليهم ، وأصلهم من عينات ، وقد أثرت البيئة فهم إلى البداوة أقرب منهم إلى الحضارة .

وادى عمد



مدينـــة عمد

يبتدئ هذا الوادى فى الاتساع من حريضة ، وتوجد هناك أغنى بقعة أثرية فى

حضرموت تمتد إلى مسافة ميلين ونصف ميل ، ولكن السيول قد أثرت عليها فجرفت بعضها ومحت معالمها ويترآى الوادى العريض الساحل كأنه منطقة حربية ، وتدل تلك المخلفات الكثيرة على أنه كان غاصا بالسكان فى الماضى ولعل ذلك كان فى عهد الدولة الحميرية لوجود صخور كثيرة عليها نقوش وكتابات حميرية . وعند انعطاف الوادى نحو الجنوب تظهر أحراج النخيل وتكثر مزارع الذرة التى تسقى بماء السيل ، لأن ماء الآبار لا يحصل عليه إلا على عمق ٣٥٠ ـ ٤٠٠ قدم ويستعمل للشرب ويلاقى الناس هناك مشقة كبيرة فى الرى ، لأن السيول تطغى أحيانا فتهدم الخزانات التى يقيمونها من الأحجار والطين ، وتقوم البلدان على حافتى الوادى ، وأكبرها مدينة عمد .

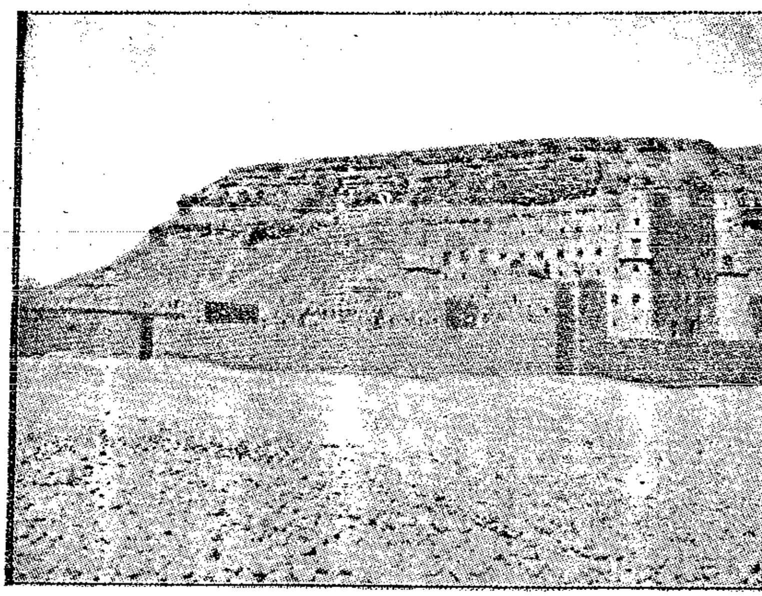
قبائل عمـــد

تسكن وادى عمد قبائل أكبرها : الجعدة ، وآل ماضى، وآل باقيس، وآل باصليب ، والجعدة من بنى مرة ، ومساكنهم فى الوادى إلى الرويضان على مقربة من مدينة حريضة ، ويتفرّعون إلى أفخاذ وبطون ، وهم آل محمد بن حمد وهؤلاء هم آل شملان ، وآل نمارة وآل فيران ، وآل نوبان ، وآل لجذم ، وآل الشيبة ، وآل عامر بن علىّ ، وآل بلخشر ، والمراضيح وهؤلاء هم آل علىّ ، وآل مبارك ، وآل جبل ، وآل حبيش ، والهندى والجابرى ، وآل سلمة بن سليمان وهؤلاء هم آل عفيف ، وآل بو قاسم ، وآل بوجديل ، وآل هلابى ، وآل حميد ، وآل عبد الله بن أحمد وهم آل كريتان ، وآل حمد ، وآل ماضى من سلالة بنى هلال ، وليسوا من سكان الوادى الأصليين ، وإنما هم جاءوا من غرب حضرموت من بلد يقال له البويرقات نزح جدهم ماضى إلى وادى عمد بصحبة الحامد جدّ آل حامد ، وسكن فى بلده طمحان بين قبيلتين إحداهما تسمى آل با كلكا ، والأخرى بآل طيفا ، فانقرض آل با كلكا ، ولم يبق منهم أحد سوى شخص واحد هاجر إلى وادى يون على مقربة من وادى حجر ، وهناك كثر نسله كما كثر نسل ماضى ، وتفرّعت منه ثلاثة فروع ، يقال للأول آل طيف فى حيرة ، والثانى

آل سويدان وهم بن سويدان و بن دق و بن عقيل فى طمحان . والثالث البانيف ، ومنهم آل مرعى فى الوجر ، وآل مسلم فى بامهشم ، وآل سلم فى السمح والدباه والمبارك ، وتوجد شرذمة من آل سويدان فى بلدة ترنبل بأعلى وادى عمد ، وجاء جماعة آل با كلكا ، واندمجوا فى آل ماضى ، واحتموا بهم لوجود روابط ومكاتبات بينهم و بين نزيلهم ماضى وهناك قبائل أخرى ، وهى آل باقيس ، وآل باصليب ، وقبائل من يافع يقال لهم الذبيانى ، وآل طاهر بن راجح ، وقبيلة من كندة يقال لهم آل يمانى ، وقبيلة من آل كثير وهم آل عمر بن جعفر ، وكانت إمارة الوادى فى أيديهم لا سيما فى عهد السلطان بدر بوطويرق الكثيرى ، ولما ضعفت الحكومة الكثيرية تلاشت هيبتهم ، وانحلت سلطتهم ، وظهرت قبائل ذات قوّة وسيطرة أكبرها آل شملان من الجعدة ، وتصدّى هذا البيت للفصل فى القضايا و إصلاح ذات البين ، ولقد حدث نزاع أدّى إلى القتال بين آل شملان وآل عمر بن جعفر ، وسبب ذلك النزاع امرأة كانت متزوجة من رجل غائب فى بلد غيرمعروف ، فسعى أحد آل عمر بن جعفر فى تطليقها حتى طلقت ثم تزوجها ولما بلغ ذلك إلى آل شملان غضبوا أيما غضب وذهب جماعة منهم إليهم فى حصونهم القائمة على تلّ مرتفع من الصخر يقال لها الدكوة ، وأحاطوا بهم وقطعوا عنهم الماء ، وأرغموا الرجل على تطليق زوجته ، فطلقها اضطرارا ، ثم أعدّ آل عمر بن جعفر عدتهم وحفروا بئراً فى الدكوة ، ثم أثاروا الحرب ضد آل شملان ، وقتلوا منهم ثلاثة ، ولا يزال الخلاف قائما بينهم إلى اليوم .

أما الأحكام فى وادى عمد فعرفية ، ولا يتقيدون بالشرع إلا فيما له علاقة بالإرث أو النكاح ، وليس لوادى عمد حاكم عام يدير شئون السكان ، و إنما يكاد يكون فى كل بلد واحد من أعيان القبائل ، وغالبا يكون من الجعدة يفصل فى القضايا الجنائية والمدنية ، و إذا رفض الحكم أحد المتخاصمين فانهما يسافران إلى بلاد نهد للتحاكم عند ابن ثابت فى القارة ، أو عند ابن عجاج فى قعوظة .

مدينـــــة قسم



قلعـــة قسم

يقع إقليم قَسَمْ بين النقرة[1] وقبر هود عليه السلام ، وهو يشمل قسم وسوم وفغمة ويظهر أن هذا الإقليم كان فيما مضى منطقة حربية لـكثرة وجود القلاع القديمة المتهدمة التى منها قلعة العر[2] وتوجد هنا رسوم ونقوش ، ولـكنها قليلة بالنسبة لـكثرة وجودها فى اليمن ، ويمكن تفسير ذلك إذا اعتبرنا حضرموت نهاية ممالك السبائيين والمينائيين ، وقد درس أحد علماء الالمان فى برلين تلك الكتابات ، وفك رموز تلك النقوش التى نقلها السيدان : D. Van Meulen ، H. Vau Wissmann من حضرموت

(١) بقعة فى عينات نحتها سيول الأودية العليا بعد تهدم السدود ، ولقد سببت أضراراً كثيرة بمدينة عينات ، فان منطقة النخيل الفسيحة المحيطة بالمدينة أخذت تتلاشى ، ويقل محصولها .

(٢) راجع صفحة ٦١ من الجزء الأوّل .

فى رحلتهما اليها سنة ١٩٣١ يرى ذلك العالم أن أقوام حضرموت غلبت عليهم الصفات الحربية من عصور متقدمة ، وعلى قوله فقد ذكر الاقليم ، وملوكه فى النقوش السبائية القديمة ، وفى نصوص متأخرة ، وليس لدينا إحصاء يدل على أن الحضرميين خضعوا لجيرانهم السبائيين أو المينائيين ، وقد ذكر الطلاب الإسكندريون أن حضرموت كانت مملكة مستقلة قائمة بذاتها ، وكان لهم إلٰهم المسمى سين كما كان للمينائيين إلٰهم عثنار وللسبائيين المقاه ، وظلوا محافظين أيضا على لهجتهم حتى القرن السادس الميلادى ، وعلى كل فقد كانت هناك قرى ، وحصون فى ثوبى والعر من إقليم قسم لها استحكامات حربية ، ومدينة قسم محوطة بسور متهدم ، ويسكنها بضع مئات من السكان بينما كانت غاصة بالألوف فيما مضى ، وخارج السور تقع المدافن ، وتحدها من الجهة الأخرى قلعة على طرازحصون الأشراف فى عهد الأقطاع فى العصور الوسطى ، وقد تهدم جزء منها ، ولكنها مازالت حافظة لروائها .

وعلى كل زاوية منها يوجد برج مخروطى الشكل يتضخم فى الوسط ، ولا بد أن يجىء اليوم الذى تصبح فيه هذه القلعة كوما من الثرى فى منطقة هجرها أهلوها ، ويسكن فى هذه القلعة حاكم قسم ، وهو كهل شديد الصمم يتكلم جنده بلسانه ، وكان أبوه حاكما شديد البأس ، ولكنه كان فى نضال يائس مع القوى الطبيعية إذ أجدبت الأراضى بسبب النقرة واختفت صناعةالبلح ، وهاجر كثير من الرعية فأفلس حتى أصبح عاجزاً عن دفع رواتب الجند ، وبالرغم عن ذلك فقد ظل جنده ، وهم مائة عبد على ولائهم وإخلاصهم له ، ويرحلون جماعات ، كل بدورها إلى سواحل إفريقيا الشرقية وما جاورها من سواحل بلاد العرب ليحصلوا على رزق من التجارة ، ثم يعودون إلى سيدهم فيشاطرونه مع زملائهم ما أحرزوه . ولهذا الحاكم المنعزل ولدان ارتحلا إلى جزيرة برنيو للارتزاق ، وماتا هناك ضحية الحمى وتبعهما ابنان آخران ، وهما يعملان بجدّ حتى يرسلا لأبيهما جزءاً مما حصلا عليه .

بين قسم وسوم

وتوجد بعد قسم قرى خربة ، وقلاع على شاكلة قلعة قسم ، وتشرب دواب الحمل مياه النهر التى تظهر أحيانا وتختفى أخرى ، متخذة فى باطن الأرض طريقا لهـا ، ويفضل الأهالى الشرب من الآبار ، ويستمر الوادى بعد قسم فى الاتساع ، وتتكون التربة من طبقة سميكة من اللويس (نوع من التربة) ويتعرج الطريق بين شجيرات الأراك الأخضر ، وتوجد منطقة حافلة بالأطلال الأثرية الضخمة . وسوم قرية صغيره فقيرة آخذة فى الانحطاط ، لأنها فى حاجة إلى أيد عاملة للرى ، وتحيط بها حرجة من النخيل .

فغـــمة

تبعد فغمة عن سوم بثلاث ساعات ، وهى مكونة من عدة بيوت من الطوب النىء محوطة بالأكواخ ، وهى آخر محط قبل قبر هود .

آل تميم

تقع منطقة تميم بين عينات شرقا ، وبين آل كثير غربا ، ويحدها من الشمال نجد العوامر ، ومن الجنوب الغرف ، ويتفرع بنو تميم إلى أفخاذ وبطون ، منهم آل شملان وآل سلمة ، وآل بلقصير ، وآل يمانى ، والهندى ، وآل شيبان ، وآل مرساف ، وآل زيدان ، والدحارية ، وآل قرموش والجبارسة ، ولكل فخيذة من الأفخاذ رئيس ذو نفوذ ومقام محترم كريم ، وآل تميم حلفاء يافع من عهد السلطان عوض بن عمر القعيطى اليافعى ، ولقد قاموا بقسط وافر من المساعدة فى صف يافع ضد آل كثير ، وضد الحموم ، ويوجد منهم اليوم فى البنادر أفراد كثيرون فى الجندية تدفع لهم الحكومة القعيطية مرتبات كما تدفع ليافع المتجندين .

رخيـــة (١)

ويوجد من بنى ظنة من آل تميم قبيلتان : هما آل شحبل ، وآل حيدره هاجروا من مريمة إلى رخية سنة ١١٠٤ فسكن آل شحبل فى المخارم ، ويرأسهم اليوم السيدان محمد بن جميل بن على بن مساعد بن شحبل، ومبارك بن سليم بن سالم بن عبد الله بن عمر ابن مظفر بن حيدره ، وسكن آل حيدره فى بقعة يقال لها عطفة ابن حيدره ويرأسهم اليوم السيدان عوض بن عبد الله بن عوض بن عبد الله بن محمد بن غانم بن حيدره ، وجمعان بن سالم بن يسلم بن سالم بن أحمد بلقصير بن حيدرة .

العـــوامر

تسكن قبيلة العوامر فى تاربة ، وتوجد منهم طائفة فى أعلى مرتفعات أودية الغبر وعيديد ومدر ، وتشبه حياة هؤلاء الحياة البدوية فى جميع مظاهرها . أما الذين فى تاربة وما جاورها فهم من الحضر ، وينتهى نسب العوامر إلى همدان فهم من آل كثير ويتفرعون إلى أفخاد منهم آل عبد الباقى ، وآل خطاب ، وآل خميس ، وآل كليلة وآل جعفر .

آل جابر

تقع منطقة آل جابر فى أعلى هضاب وادى بن على ، ويفصلها من الجنوب ريدة الجوهيين ، ومن الشرق وادى عِدِمْ ، ومن الغرب وادى مَنْوَبْ ، وتشبه هذه المنطقة فى

---

(١) يقع وادى رخيـــة بين وادى عمـــد ووادى دعن ، وهو شاكى البادية فى أكثر مظاهره ، ويقوم بلدة المخارم فى أسفل الوادى تمرّ فى حدودها القوافل التى تأتى من شبوة ، ومن العوالق إلى قعوظة وإلى شـــبام ، وتوجد فى رخية قبيلة أخرى يقال لها آل بلليث ، ومقدمهم السـيد سالم بن يسلم بن عبد الله بن عامر بن قربان بلليث .

أكثر مظاهرها منطقة البادية ، وآل جابر من آل كثير ، وهم أفخاذ و بطون ، منهم آل ضوبان وآل صبيح ، وآل سلطان ، وآل هيال ، وآل عليّ بن سهل ، وآل عكشان ، وآل سهيل ، وآل جعفر ، و يوجـــد منهم فى ساه آل يمـانى بن عمر ، وآل شرخه ، وآل عليّ بن عمر ، وفى وادى ابن عليّ آل عليمى ، وآل بدر ، وآل سعيد بن عامر ، ولكلّ فخيذة رئيس ذو نفوذ .

آل باجرى

يسكن آل باجرى فى بور وما جاورها ، وهم من آل كثير ، ومن أفخاذهم بلقصير ، وآل أحمد بن عليّ ، وآل إبراهيم فى ثبى ، وآل كرتم والعوامر ، وآل جابر ، وآل باجرى ساعدوا قومهم آل كثير فيما مضى بكل مقدورهم ضد يافع .

بن سيف

وهؤلاء ينتسبون إلى آل كثير ، و يسكنون وادى ابن عليّ ، وتصدر الأحكام فى جميع الرئاسات القبليـــة التى ذكرناها على حسب العرف إلا فيما له علاقة بالمواريث والأنكحة فإن مرجعه إلى الشرع .

فى البوادى

سيبان

هى أعظم قبائل البادية ، وأصعبها مراساً ، وأكثرها رجالا ، إذ يبلغ عددهم نحو ١٦٠٠٠ شخصاً ، و ينقسمون إلى فخائذ و بطون ، وهم : الخامعة ومراشدة والقثم وحامديين والخالكة وسموح والمحمديين والجوهيين والحسنيين والحيقيين والمشاجرة . وتتفرع الخالكة إلى أربعة فروع : الفرع الأول : آل بادقيل ، وهم بلحمر و بلغيث و باجعيفر و بلشرف وباحميد وبازفين . والثانى آل بانخر ، وهم آل عبود وآل باكزموم وآل بقشان وآل باطويل وآل بالكمع وآل باست وآل باضراح . والثالث آل باسعد ، وهم آل عمر وآل خليسى وآل حاج وآل بخرم وآل بودهش . والرابع الأبايضة وهم قليلون .

ويتفرّع آل سموح إلى الجهنقيمى والغويثى والجودانى والشكمى والخنسى وآل بادسم وآل بابطين ، ويسكن البعض من الخامعة فى دوعن ، ومنهم الباصرّة نواب الحكومة القعيطية ، والبقيـة منهم فى كورسيبان ، وكذلك بعض بيوت من المراشـدة تسكن فى وادى دوعن ، وهم الباخشـوين والباصريح والباصقر ، ويسكن القثم فى مرتفعات الجبال الواقعة بين وادى دوعن وعمد ، ومنهم بيت يقال لهم بامرضاح فى كورسيبان .

وأما الحامديون فأغلبهم فى وادى هوته ، والبقية مجاورون للقثم ، وأما المحمديون فيسكنون فى الساحل الواقع بين المكلا و بروم ، وأما الجوهيون فمنازلهم فى الريدة المشهورة بريدة الجوهيين على مقربة من مشقاص الجوم ، ويسكن الحيقيون فى جبال الربع على مقربة من رأس التخم ووادى حويره ، أما المشاجرة ففى وادى يبعث المتصل بمرتفعات وادى حجر ، ويسكن البعض من الخالكة فى وادى الأيسر بدوعن ، ويوجد

منهم كثيرون فى الجبال الواقعة بين وادى العين ووادى الأيسر ، و يسكن السومحى فى كورسيبان ، وتنحدر سلالة سيبان من حمير .

ومنطقة سيبان على وجه العموم قاحلة ، وكل شىء فيها أغبر اللهم أشـجار النبق [الدوم] وثمـارها غذاء كثير من السكان الذين يقاســون أنواعا من الآلام بسبب الجفاف ، وتبتدئ منطقتهم من الجنوب بوادى لصوب العريض القحل ، و به منازل مبعثرة هنا وهناك ، و يكثر فى هذا الوادى النبق لأن أشـجاره تتحمل العطش سنين متوالية وهو طعام أساسى لسكان هذه القرية ، وتستخدم جذوع أشجاره لعمل قوائم المبانى وفروعه الشائكة لحماية أشجار البلح من السرقة وأوراقه لرعى المـاشية .

كورسيبان

وهو عبارة عن هضبة تخترقها وديان طولية وأخرى عرضية ، ولمـا كان المطر نادراً فى هذه المنطقة لا يمكن أن نعزى تكوين هذه الوديان إلى المطر وحده بل ممـا ساعد على تكوينها أن الأرض عادة مكوّنة من طبقة مسطحة من الحجر الجيرى كثافتها من ٥٠ إلى ١٠٠ ياردة تحتها طبقة ممـاثلة من الحجر الرملى ، و بذلك يسهل على الوديان أن تشقّ لنفسها طريقاً غائراً ، و يبلغ ارتفاع كورسيبان ٧٠٨٨ قدما وهو أعلى قمة فى حضرموت وعلى قمم كورسيبان توجد أشـجار غريبة قد تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فانتزعت أوراقها وغصونها وقشورها ، و إلى الغرب من كورسيبان تمتد هضبة مسطحة لا تشقها وديان كثيرة ملأى بمـا يسمونه النقابات ، وهى عبارة عن نوع صغير من الآبار محفورة فى الصخر الجيرى ضيقة الفوهة ، اتساعها قدم ، وعمقها حوالى ٢٠ قدما ، وتتسع من الداخل ، وهى تســـتعمل لتخزين مياه الأمطار ، وقد جعلت فوهاتها ضيقة لتمنع التبخر ، وهى تحلّ محلّ السقايات فى الوديان ، ولها فائدة عظمى فى هذه البقاع الجافة ، و يبقى ماؤها ٣ سنوات ، وليس به عيب سوى طعمه الآسن ، و ينظم المسافرون سيرهم تبعاً لهذه النقابات ، و بالقرب منها توجد المربعات ، وهى عبارة عن خنادق منسقة لهـا

سقف لحماية المسافرين وحيواناتهم من قيظ الشمس ، وهناك مسطحات من الأرض تفصلها عن بعضها وديان عميقة ، وليس بها أيّ نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ، ولاحيوان سوى السحالى والطيور وفى مسطحات الجبال [الجول] تنعدم النباتات ، وهناك توجد قرى تتكوّن من بيوت مبنية من الحجر والطين المجفف وأهمّ هذه القرى دمه، وعدد العميان فيها كثير جدا ، وحولها حقول تعتمد زراعتها على ماء المطر ، وبها بضع شجرات من النخيل ، وقليل من أشجار النبق ، وفى وادى ثقب على مقربة من قرية البريرة توجد وهدة عميقة يقال إنها كانت مساكن قوم عاد ، إذ يوجد فيها مساكن يبلغ طول الواحد منها عشرة أقدام وعرضه ستة ، وبعضها مسدود بالصخور والبعض مفتوح ، ويوجد على بعضها نقوش باللون الأحمر(١) ، وهذه المساكن مبنية من الصخر الطبيعى ، وملتصقة ببعضها بالطين ، وهى على ارتفاع ٤٥٠ قدما ، وتسمى ديار عاد .

وادى يبعث

وهذا الوادى عبارة عن هضبة صخرية تشقها بعض المنخفضات الشبيهة بالأحواض وتنبت هنا أشجار السنط ، وهناك عقبة تؤدى إلى داخل الوادى حيث تنتشر مجموعة من القرى التى يطلق عليها اسم يبعث ، وعند منحدر هـذا الوادى تنمو المزروعات وأشجار النبق والنخيل ، وتوجد هناك أشجار لها شكل غريب قد أدّى تنازع البقاء بينها إلى التواء غصونها وقصرها وتجرّدها من الورق ، فأصبح لها شكل الصخور .

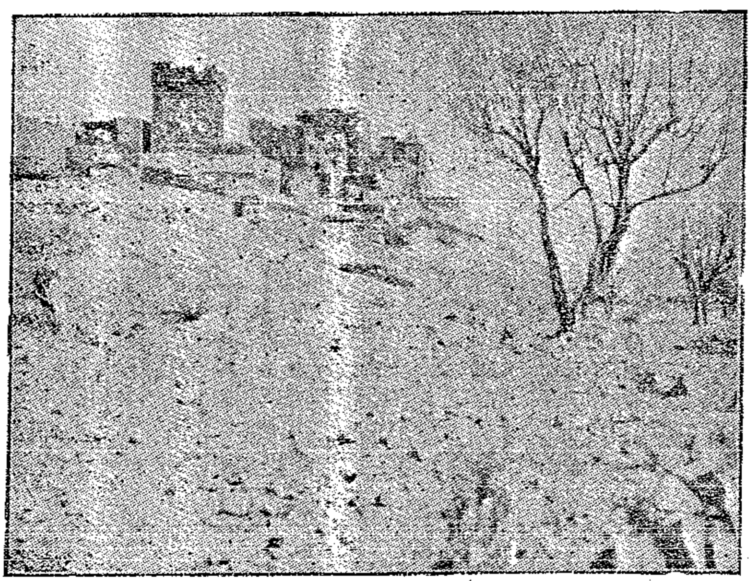
---

(١) نقل هذه النقوش السيدان : D. Van Meulen و H. Vau Wissmann فى رحلتهما سنة ١٩٣١ ، وعرضاها على السيد [موردتمان] أحد علماء الألمان فى برلين ، فوجداها أسماء أعلام .



شجرة متحجرة فى [جول] وادى يبعث

وبيوت يبعث مبنية من الأحجار السوداء .



قرية يبعث

وقد يشتدّ الجفاف فى هذه المنطقة فينعدم الثمر من النخل ، وتزداد حالة السكان

ضنكا وتعاســة ، وهى من المناطق الخطيرة إذ قد يسلب المسافرون ، ويقتلون بأيدى أولئك البدو ، ولابدّ للذاهب إليها أو الخارج منها أن يحتمى بقافلة رجالها من حملة السلاح الأشداء ، وتتصل هذه القرى بالصدارة فى وادى حجر ، وتقطع المسافة فى يومين فى طريق وعر خطير ، والمسافة بينها و بين المكلا ٣ أو ٤ أيام ، وحاكم يبعث أحد الأعيان يقال له الشــيخ أبو بكر ، ولـكن أحكامه كلها عرفية غير نافذة ، فقد يفتك الشبان بالمسافر و يقتلونه و يسلبونه دون أن يســتطيع منعهم ، وعند نهاية هــذا الوادى ينبسط جول قاحل خطير يتصل بمرتفعات وادى حجر ، وعند النزول من هــذا الجول يشــعر الإنسان بالرطوبة لقربه من وادى حجر الملئ بالمــاء ، وتوجد فى ذلك المنحدر منطقة لذيذة من الناحيــة الجيولوجيــة ، فهناك واد تتخلله الصخور ، وتصبح الطبقات عكسية بعد أن كانت أفقية ، وتتكون من طبقات من الحجر الجيرى الأسود ، والحجر الرملى ، وتأخذ الحياة النباتية تفزر شيئاً فشيئاً ، فهناك حقول واسعة من الذرة والسمسم ترويها قنوات تستمد ماءها من ينابيع ذات ماء حار جدًّا قد يصل إلى درجة الغليان ، وهو ملح ، وتوجد هناك برك ومستنقعات عليها طبقة من الملح ، وتتوسطها أنواع غريبة من النخيل لا توجد فى منطقة حضرموت الداخلية ، وهــذه المنطقة وهى منطقة الصــدارة صالحة جدًّا للزراعة ، ولــكن الأيدى العاملة معدومة والجهل ضارب أطنابه فى الأهالى ، وأغلب سكان هذه المنطقة من قبيلة نُوّح ، وليس بينهم أحد من قبيلة سيبان إلا أفراد قليلون جدا ، والحــكومة القعيطية اليافعية لا تعطى لهذه المنطقة الخصبة أقلّ اهتمام مع أن جزءها الأكبر تحت حمايتها ، والناس هناك متعطشون للاصلاح .

نوّح

تعدّ نُوّح من كبريات قبائل البادية ، ويتصل نسبها بحمير وهى تتفرّع إلى أفخاذ ، وهم : بامفاس و بارجاسن و باقروان والمساعيد و بادويس و بارشــيد والصبيحى والجرى وباصم وباحميش وباحكيم والمعوس وبافياض و باشهاب والعكابرة وبابطين و بصقر

وباجندوح وباسـويد وبافنع ، ويسكن كثير منهم فى حجر ، وهؤلاء خاضعون لحكومة القعيطى اليافعى ، وفى المرتفعات الواقعـة بين أودية حجر وحموض وقليل منهم فى الصدارة .

المناهيــل

تقع منطقة المناهيل الماحلة بين وادى المسيلة عند حدود المهرة فى الجنوب و بين قبر هود شمالا ، وكانت المنطقة الواقعة بين قبر هود ووادى سنا من أخصب البقاع فى القطر الحضرمى ومن أكثرها خيرات وأوفرها غلات ، ولـكن حينما انهدّ السد العظيم الذى كان قائمـا فى شمال وادى سنا فيما يرجع إلى ماقبل الإسلام أجدبت تلك المنطقة وأجدب معها كلّ الوادى إلى المهرة حيث تنحدر سيول الوديان العليا بسرعة عظيمة وتصبّ فى بحر سيحوت فى المحيط الهندى على أن منطقة المناهيل من أصلح الأراضى للزراعة لـكثرة وجود الطمى الذى تأتى به سـيول الأودية العليا ، ولـكن حيث انها عرضة للرياح الشمالية الغربية ، وحيث ان الأيدى العاملة معدومة ، فقد تكوّنت هناك أكوام كثيرة من الرمال ، فغطت كثيراً من الأراضى الصالحة للزراعة ، فزادت القحولة والمحولة فى هذه المنطقة وأمسى لونها أغبر ولا شىء فيها يدلّ على الحياة اللهم إلا بعض أشجار النبق القائمة فى وديان الجبال الجنوبية والشمالية ، وفى هذه الوديان حيث تنمو العشب بوفرة ، وترعى العنز والنعاج والجمال ، وتوجد قرى المناهيل ، وهى مكوّنة من بيوت وأكواخ مبنية من الطين ، ويسكن البعض فى كهوف الجبال ، والمناهيل قبيلة كبيرة يتصل نسبها بآل تميم من طريق بنى ظنة ، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبطون ، منهم بالمعشـنى وبنى سـبولة وآل كزيم وآل سماح ، ورئيسهم ابن طناق ، وتتصل المناهيل بالمهرة بواسـطة القوافل ، ولـكن الأمن فى طول الوادى مفقود ، والمخاطر جمة ، والمشاقّ كثيرة ، وهـذه المنطقة لم يطرقها بعد أحد من السياح الأجانب فيما أعلم .

الحمـــوم

تنقسم قبيلة الحموم إلى أفخاذ و بيوت ، منهم آل قرزات واليمنيين وآل باحسن و بيت علي و بيت غراب و بيت عبيد ، وهناك بطون تدّعى الانتساب إلى أهل البيت وهم : بيت حمودة و بيت محمد و بيت زين و بيت قطبان ، ولـكن ليس لهـا سلطة روحيـة ، ولا امتيازات يتمتعون بها دون سـواهم ، و يبلغ عدد الحموم نحو ثلاثة آلاف شخص ، وهم من أكثر قبائل البادية عبثاً بالسلام ، و إخلالا بالنظام ، وهم يسكنون الجبال والوديان بين المناهيل ، ومقد آل عبيد شمالا ، وجبال الشواطئ جنوبا ، و بين سيبان والعوابثة غربا ، ووادى المسيلة شرقا ، ومنطقتهم على وجه العموم قاحلة جدباء ، لا تنمو فيها نباتات سوى النبق والسنط ، و بعض الأعشاب فى بطون الوديان ، ولذلك نجد جماعات منهم ترحل بخيامها من وادى إلى آخر حيث الزرع وحيث المـاء ، على أن لبعضهم علاقات ومواصلات بالأمصار ، كالشحر وسيون وعينات ، وهؤلاء معيشتهم لا بأس بها من الناحية الاقتصادية .

ابن مخاشن

وتوجد على مقربة من حورة فى بلد يقال له عرض المخاشن قبيلة آل مخاشن ، وهى فرع من الحموم ، ولـكنها محالفة الحـكومة القعيطية اليافعية .

الدّين

وهم فخائذ منهم آل هميم ، وقيل ان قبيلة آل عبيد منهـم ، وتمتـدّ منطقتهم من الريدة المشهورة بريدة الدين إلى جروان .

هضبة الدين

وهذه أخطر بقعة فى منطقة الجبال وسطحها [الجول] لا يختلف عن جول وادى دوعن فى تشابه مناظره وأقفاره من كلّ مظهر للحياة ، ولا توجد فيـه نباتات سـوى أشجار النبق ، وتوجد هناك قرى منها شرج الأبيضين ، وهوقرية حقيرة للغاية ، مكوّنة من عدّة منازل صغيرة ، غذاؤهم ثمـار النبق ، وفى موسم البلح يقدم سكان وادى عمد كميات منه لهؤلاء البدو فى نظير حمايتهم من العدوّ .

ريدة الدين

يبلغ سكان هـــذه الريدة نحو ٢٥٠٠ بدوى ، ويحكمهم السيد عثمان بن محمد العمودى الساكن فى قرية نجيدين ، ولهذا الحاكم نفوذ مطاق فى ريدة الدين وهيبة فى قلوب السكان الشديدى الشكيمة ، وهم دائمـا فى مشاغبات ومشاحنات فيما بينهم ، ولـكن العمودى استطاع بسياسته وحزمه أن يوحد صفوفهم ، ويزيل ما يحدث بينهم من خلاف وخصام .

الصـــيعر

تقع منطقة الصيعر من شمال غربى حضرموت يحدّها من الشمال الربع الخالى ، ومن الجنوب هينن وسور وحصن الغراب ، ومن الغرب اليمن و بلاد العوالق ويافع ، ومن الشرق وديان سرّ ، وهذه المنطقة من أقفرمناطق القطر الحضرمى وأجدبها وأنزرها ماء، وتنعدم النباتات فى المرتفعات ، ولا ترى هناك أثراً يدلّ على الحياة ، وفى المنخفضات توجد شجيرات النبق والسنط ، وقليل من الأعشاب القصيرة ، وعدم سـقوط المطر فى المنطقة الشمالية ، وقلة ســـقوطها فى جنوبها راجع إلى قربها من الربع الخالى ،

والسحب التى تأتى من الجنوب تكون غالباً جافة بعد اصطدامها بجبال هينن وسور والجابية ، وتقوم مدينـــة الصيعر المشهورة بريدة الصيعر فى الشمال الغربى لوادى الجابية ، وهى مكوّنة من بيوت أو أكواخ مبنية من الطين ، و بعضها مبنىّ بالحجر ، وهى تمثل البداوة بكلّ معانيها ، وتتصل الريدة بسور بطريق جبلية شديدة الانحدار ، وكثيرة التعرّجات ، ولـكن جمال الصيعر متعوّدة على صعود المرتفعات والنزول منها إلى المنخفضات دون أن تصاب بضرر ، وهـذه الطريق قليلة الأخطار بالنسبة للمنطقة الواقعة بين ريدة الدين ووادى حمم .

والصيعر أفخاذ ، و ينتهى نسبهم إلى كندة ، و بعضهم ساكن فى الحضر كالهجرين وهم آل محفوظ ، ومن هؤلاء ابن طيران وابن مساعـد ، وهؤلاء حلفاء يافع ، وتوجـد جماعة من الصيعر فى مرتفعات وديان سرّ العليا ، وهؤلاء يمثلون ما قبل التاريخ ، فهم يسكنون الـكهوف ، و يلبسون الوبر ، ويعيشون على رعى جمالهم التى يتخذون منها اللبن وهو غذاؤهم الوحيد .

وأذكر أنى لما كنت فى حضرموت سمعت حكاية من أحد الصيعر الذين أتوا بقافلة تحمل حبوبا لبيعها فى شبام ، قال إن لجماعته القاطنين فى أعلى وديان سر جمالا كثيرة العدد ، ولهم إشارات تكاد تكون لغة ذات أصوات يتفاهمون بها مع جمالهم وقال إنه حدث مرّة أن هاجمت عصابة أحد الرّعاة ، وكان غلاماً صغيراً ، وأحاطوا به و بجماله ، ولـكن الغلام استطاع أن ينجي نفسه وجماله من الخطر المحدق به حيث صاح صيحته التى يفهمها جماله ، فانطلقت وراءه كالطائرات ، فبهتت رجال العصابة ممـا رأوا وعادوا آسفين نادمين .

أما الصيعر الذين يسكنون فى الريدة وماجاورها ، فمواصلاتهم باليمن متينة بواسطة الجمال ، وهم يستوردون من اليمن ومن بلاد يافع أنواع الحبوب والبنّ والورس ، و يأتون بالسمن من بلاد العوالق ، و يبيعون ذلك فى أسواق العروض وهينن وشبام .

المعارّة

تسكن قبيلة المعارة فى الوديان ، وفى سطوح الجبال الواقعة بين عقبة الغز شمالا ، وعقبة الفقرة جنوبا ، ويفصلهم من الشرق الحموم ، ومن الغرب العوابثة ، والمعارة من أكثر قبائل البادية ميلا للنهب والسلب ، وقطع الطريق لفقر منطقتهم وهم ينتسبون إلى مذحج ويبلغ عددهم نحو ٣٠٠ نفس ، وقريتهم المكوّنة من بيوت صغيرة تقوم شرق مرتفعات وادى العين ، وتسمى ريدة المعارة ، وهى واقعة فى منتصف الطريق بين عقبة الغز و بظى .

الحياة فى البوادى

الأمن فى كلّ بوادى القطر الحضرمى مفقود ، وكلّ منطقة لا سيما التى تقع بين قبيلتين بدويتين فانها محفوفة بالمخاطر والرزايا ، ويكاد يكون لكلّ فخيذة من أفخاذ القبيلة الواحدة رئيس يرجعون إليه للفصل فى قضاياهم ، وجميع الأحكام عرفية مع شىء كثير من الفوضى ، وعدم الخضوع أحيانا للحاكم الذى لا يستطيع أن يرغم أتباعه على الطاعة ، ومن مزايا سكان البادية الجليلة أن كلّ قبيلة شديدة الغيرة على أفرادها تبذل كلّ مرتخص وغال فى حمايتهم والدفاع عنهم ، ويندر أن يحدث خلاف وقتال بين أفراد القبيلة الواحدة ، ولعلّ السبب فى ذلك عدم وجود فوارق فى المال ، وامتيازات فى المقام ، فجميعهم يكادون يتساوون فى الناحية الاقتصادية ، وكلهم طبقة واحدة ، فلا سيد ولا مسود ، ولا غنى ولا فقير ، اللهم إلاّ الحاكم أو الرئيس فيعطونه من الاحترام ما يستحقه . أما التعليم فى البوادى فليس له أثر ولا وجود ، فالناس كلهم

أميون ، والبدو على وجه العموم يمثلون النشاط وحبّ العمل والجلد والصبر ، فجانب منهم يحترفون الرعى والترحال من مكان إلى مكان بخيامهم وأهليهم ، وآخرون يحترفون التجارة فيجلبون من البلدان النائية أنواع المتاجر بواســطة جمالهم ويبيعونها فى الحواضر ، والثروة عندهم غالباً محصورة فى الجمال ، ولأكثر الرجال طابع خاص ، فشعر رءوسهم طويل خشن غالباً يقطع أحيانا عنـد القمة ، ولـكن أكثر الأحيان يترك هكذا غزيراً ، ولا ينبت لهم شعر فى العارضين إلا فى طرف الذقن حيث ينبت شـعر قليل ، ولـكثيرمنهم وجوه جميلة ، وملبسهم القميص الطويل الذى ينتهى إلى الركبتين وبعضهم يكتفى برداء ملوّن بالنيلة يغطى نصف الجسم ، وحول الخصر حزام من الجلد المدبوغ يوضع فيه خرطوش البندقية ورؤوسهم غالباعارية إلا من سيرمن الجلد يحفظ ذؤابات شعورهم الطويلة من التفكك ويضع بعضهم على رؤوسهم قطعاً من القماش يقال له البرنس وسواعدهم السمراء وأرجلهم فيما تحت الركبة عارية .

أما المرأة فتلبس رداء واحداً مصبوغا بالنيل أشبه بالفستان يصل من رقبتها إلى أخمصى قدميها ، وعلى رأسها غطاء أسود شفاف يصل إلى كتفيها ، ولا يبدو منها شىء سوى وجهها وكفيها وقدميها ، وبعض النساء والفتيات ينقشن وجوههن بكلّ الأشكال والصور ، ويرسمن على العنق والصدر وظاهر اليـد والقدم خطوطا غالبا ما تكون بلون أزرق أو أسود ، ولـكنها فى بعض الأحايين تكون حمراء أو خضراء ، وتحلق الحواجب أحيانا ، ويرسم موضعها خط أجمل منها ، وبعضهنّ يطلين وجوههنّ فى أيام الأعياد والحفلات بطلاء أسمر وأخضر وأحمر ، وقد يضعن نقطاً من طلاء قرمزى فى منتصف الجبهة ، وعلى الشفتين كما هى العادة عند الهندوكيين والحلى كثيرة ، ففى سن باكر ــ ٨ إلى ١٠ تخرق أذان الفتاة فى ستة مواضع غالباً تحلى كلّ واحدة منها بقرط من فضة أو تحلى جميعاً بسلسـلة من الفضة تحملها متعبة صاغرة ، وعنـد ما تصل سنّ البلوغ تثقب طاقة أنفها اليسرى ، وتضع فيها خزاماً ، وحول عنقها قلادة ، أو عدّة قلائد ، ثم أحياناً تلوّن ظافر اليدين جميعاً بالحناء ، وتصبغ أطراف أصابع اليدين والرجلين بلون أسود ،

وراحة اليد بلون أحمر، وفى الأهداب يوضع الكحل حتى الرجال يفعلون هذا، إذ يقال إنه يقوّى البصر.

والزواج عندهم مبكر، وقد يجتمع الشابّ بمن يهوى من الفتيات شهوراً، ويختلى بهادون أن يمسها بسوء حتى إذا توطدت بينهما عرى الحبّ والولاء تزوّجا، والبدوية ولود، وهى تضع أولادها فى مهود مصنوعة تبدو كأنها فواقع مفتوحة ذات أقدام صغيرة وحين كان على الأم أن تذهب كانت تأخذ المهد وما فيه معها، ويرقد الرضيع فوق وبر منسوج، أو على جلد مدبوغ، وتجاس الأمهات فى خوف عظيم من عين السوء، فعلى المرء أن لايبدى اهتماماً خاصا بأىّ طفل، والختان عندهم من أهم الأمور، وله شعائر تختلف غالباً فى كلّ إقليم عنه فى الآخر، ففى بعض الأقاليم يختن الذكر عند البلوغ والأنثى فى يوم الميلاد، وفى أخرى يختن الذكر فى سنّ السادسة، والأنثى فى العاشرة، وفى كلّ البوادى يقطع الجزء الزائد من الجلد عند الذكر، وفى حالة الأنثى يقطع بعضهم طرف البظر، بينما يقطع بعض سكان الجبال كلّ البظر، وبعض البدو لا يختنون ألبتة وهم قليلون جدًّا، ويشبه ختان الذكور هناك، وفى الحضر أيضاً الختان عند قدماء المصريين، لأن المومياوات التى عثر عليها فى طيبة مختونة، والنساء فى البادية يجتمعن بالرجال، ويتحادث الجنسان بمطاق الحرية لأن كلا منهما حافظ شرفه ويستحيل أن يتعدّى حدود الرزانة والحشمة، ويرقص الشبان مع الشابات، والشيوخ مع العجائز، وليس عندهم أىّ أثر للعصبية فأىّ فتى من أية قبيلة كانت يمكن له أن يتزوّج من أية فتاة يحبها، ويفضل الرجل المشهور بالبسالة والبطولة بقطع النظر عن خلقه ولونه، والسذاجة فى البدوية بالغة إلى أقصى حدّ، فهى تمازح أىّ شخص على مرأى من أقربائها، ولقد حدثت حكاية ظريفة بين السيدين :

D. Van Meulan و H. Van Wissmann، وبين جماعة من البدويات تدلنا على مبلغ بساطة وسذاجة هذه النساء، فقد احتكّ السيدان فى رحلتهما عام ١٩٣١ بقبيلة من البدو كانت ضاربة خيامها على سطح هضبة عالية وراء جبال

المكلا قالا إنه حينما اكتشفت إحدى النساء سِنًّا ذهبية فى فم أحدهما أخذت تفحص فمه وتشاهد هى ورفيقاتها الأسنان الذهبية الأخرى ، وصدرت صيحات دهشـة تلاها سرور وبهجة ، وبعد أن فحصت فمه بدأت تدعك الجانب الأبيض الباطن من ذراعه بشدة بأناملها الخشنة السمراء فلم يتغير لونه وظلّ أبيض ! ثم جذبت قميصه الكاكى ، فوسعته عند العنق فكان أبيض أيضاً ، وضحكن رفيقاتها الواقفات ، واستمرّ الامتحان وكشف القميص أكثر فأكثر ، وكانت صيحات عجب «آه! آه!» حين تبين أن بطنه كذلك بيضاء جدًّا ، ولما أرادت تلك الفتاة أن تكمل اكتشاف جسم ذلك الأوربى أكّد لها أن ماتبقى من جسمه لونه أبيض أيضاً، وكانت تعتقد هى ورفيقاتها أن الإفرنج معتادون على أن يحكوا الصابون بأجسامهم ، فسألته إحداهن وقالت :

« أيجعل لوننا كذلك بواسطة الصابون ؟ »

« كلا ! فإن الله قد خلقنا هكذا »

« ليس من شك فى أنكم تعيشـون فى منازل ، فلا تجعلكم الشمس مثلنا ، وليس من شك فى أنكم لا تأكلون إلا اللبن ؟ »

« كلا ! فنحن نأكل ما تأكلون »

« امكث هنا معنا ونحن نرقص لك الليلة على تصفيق الأيدى » .

وبدأت تلك الممتحنة ترقص وتصفق ، وكان ذلك قد أثار الغـيرة فى قلوب الأخريات .

« كنا نود أن نقيم بينكم لولا أنه ليس لدينا وقت يجب أن نرحل » .

« كلا ! بل امكث هنا سنعطيك زوجة »

وهناك استطاع السيد [ويزمان] أن لايجيل بصره بتفحص فيمن حوله فمن كانوا أى شيء إلا ذوى جمال وقرأن أفكاره ، فقالت إحداهن :

« كلا ! فإن الفتيات الصغيرات ما زلن مع القطعان ، ولكنهن يأتين مع قدوم الليل[(١)] » .

ومهما كانت حياة البدوية على جانب كبير من البساطة والخشونة إلا أنها تفعل أىّ شىء لتبدو جميـــلة ، وهى تعلم فى حداثتها أن من تودّ أن تكون جميلة فعليها أن تقاسى .

ويعيش أغلب بدو حضرموت فى منازل وأكواخ مبنية من الطين أو الحجر ، وبعضهم يعيشون فى كهوف ، أو فى العراء بغير مأوى ، وكان المأوى عبارة عن مساحة خمسة أقدام مربعة ، تحوطها أربعة عصى ، ارتفاعها نحو ثلاثة أقدام ، وعصى أخرى تربطها ببعضها ، ونثرت فوقها كومات من الحشيش الطويل الصلب لا يمنع الشمس كثيراً كما أن بعض المنازل أكثر سذاجة ومصنوع من أغصان مقطوعة وخرق قليلة ممدودة عليها لتلقى شيئاً من الظلّ ، والخرافات عنـدهم تكاد تكون معـدومة ، ولا يقسمون بالأضرحة المقدسة إلا القليل منهم وهم المجاورون للحواضر .

الحالة الاجتماعية فى الحواضر

ليس بحضرموت إحصاء رسمى للسكان ، بل لا تجد لهم تعـداداً فى العواصم والمدن حيث توجد مراكز الحكومة ودوائرها ، وعلى وجه التقريب يبلغ عـددهم نصف مليون بما فيهم سكان البادية ، وينقسم السكان إلى أربعة طوائف :

١ — حملة السلاح ٢ — التجار ٣ — الزراع ٤ — الروحانيون .

(١) الحوار مترجم من الإنجليزية طبق الأصل من كتاب : « Hadramaut » للسائحين السيدين : D. Van Der Meulen و H. Van Wissmann مبعوثى الحكومة الهولندية إلى حضرموت سنة ١٩٣١ .

حملة السلاح

وهؤلاء يحمون البلاد ، ويحفظون الأمن ، لا سيما فى الحواضر ، ويحرسون القوافل ، ومنهم تتكون حاشية السلطان وأعوانه وحرسه ، والرئاسات القبلية ، ويسمى حملة السلاح فى اصطلاح الحضارم - القبائل - وهم يافع وآل كثير ، ومن يلحق بهم ، كآل جابر والعوامر وآل باجرى وآل سيف ، وآل تميم ومن يلحق بهم من بنى ظنة كآل شحبل وآل حيدة ، ونهد وكندة وسيبان ونُوَّح وَأُلدَّيْنْ والجعدة والعوابثة والحموم والمناهيل والمهرة وغيرهم(١) ، والبنادق التى يحملها القبائل من نوع الميزر والهتفا والهرتى ، وكانوا يحملون نوعا من البنادق يقال له [العربى] ، وقد انعدم هذا النوع لرداءته وقدمه ، ويكتفى بعضهم بحمل الخنجر [الجنبية] والسيف أو الرمح ، ويتقلد ابن المتسلح الخنجر فى أوائل العقد الثانى من سنه ، ومتى بلغ رشده يتقلد البندقية ، وفى هذه الحال يعدّ من الرجال ، ويوجد بين حملة السلاح رجال كثيرون ذووعقول راجحة ، وأنظار بعيدة ، ذوو عزم وحزم وسياسة وكياسة وصلاح ، ويحبون الخير ، غير أنهم على وجه العموم مشاغبون ، محبون للحرب ، والنظام عندهم من أشقّ الأمور ، فهم يميلون إلى الحرية الشخصية التى لا تعرف قيوداً أكثر مما يحبون الحياة ، وقد يحدث نزاع وخلاف ، وتثور الحرب بين قبيلتين بل بين القبيلة الواحدة ، ولكنهم يتناسون ذلك كله حينما يأتيهم عدوّ من الخارج حيث يتحدون ويدافعون جنباً لجنب ، ويهبون جميعاً لمقاتلة عدوهم ، ثم بعد انتهائهم من أمره يعودون إلى ما كانوا فيه من قبل ، ومن أعظم مزايا المتسلح أنه يقبل كلّ من يحتمى به ، ويدافع عنه بماله وروحه ، ومن المساوئ التى يؤاخذ عليها المتسلحون أن أقرباء المقتول لا ينتقمون من القاتل نفسه ، بل هم إذا لم يجدوه يقتلون أىّ فرد من أفراد قبيلته ، وهذا يوجد عند

(١) يوجد بيوت تركت السلاح من قديم لاشتغالها بالعلم أو التجارة ، ومن هؤلاء الكلالى من حمير وآل باكثير وآل بافضل وآل طرشوم من كندة وغيرهم .

جميع القبائل حملة السـلاح ، ومن المساوئ أيضاً حرق النخل بالغاز فى أثناء النزاع ، وهذا يحدث كثيراً فى نهد [والحشمة] ، وهو قتل الشخص المحتمى بشخص آخر ، فإذا قتل شخص فى حماية فرد من أفراد قبيلة أخرى ، فإن الحامى و يسمى عندهم [المحشوم] ينطلق بكلّ سرعته ، فإذا التقى بأىّ شخص من حملة السلاح فى غير حدود الحكومتين اليافعية والكثيرية فإنه يقتله ، وفى هذه الحال يقال له [بيّض وجهه] ، ومن هذا تنشأ المشاغبات ، و يستمرّ الخصام والقتال بين بعض القبائل ، ولعل من دواعى الغرابة أن يعلم القبائل بتلك المساوئ المضرة لهم ، والهادمة لمجتمعهم ، ولا يعملون لإزالتها من بينهم ، وفيهم ذووا الشخصيات البارزة الذين يشار إليهم بالبنان ، ولعلك تندهش إذا قلت إن بعض حملة السلاح يعدّون تلك المساوئ من دلائل البطولة والشجاعة ، وقبائل حضرموت لا تقبل الدية فى القتيل ، و يعدّون ذلك عيباً وجبناً .

و إذا تلاقى شخصان بينهما ثأر ، وقال أحدهما للآخر : « السلام عليكم » ، وأجابه الآخر : « وعليكم السلام » ، فمعنى ذلك أن العداء زال بينهما مؤقتاً ، وعند بعض قبائل البادية نوع آخر يقال له « ثمن البطن » ، وهو أن يكون الشخص فى حماية شخص آخر ، فاذا أكل ملحه فهو تحت كنفه لمدة ٤ ليال و ٤ أيام ، إذا اعتدى أحد من أفراد قبيلة المضيف على الضيف ، أو ما يخصه ، وجب عليه ردّه ، وعوتب بمنتهى الصرامة .

التجار[١]

وهم أرباب التجارة والصناعات ، ومن يلحق بهم كالبنائين والنجارين وغيرهم ، وهؤلاء عليهم حياة الأسواق وموتها ، والتجار الحضرميون مشهورون بالأمانة والنشاط والصبر والجلد ، والثبات لمكافحة الشدائد ، ومصادمة المصائب ، وهم على جانب عظيم من المهارة فى التجارة وطرائق الارتزاق والعيش .

(١) يوجد من حملة السلاح كثيرون يحترفون التجارة

الزراع

وهؤلاء يحرثون الأرض ويزرعونها بالنخل وأنواع الحبوب ، ومع أنهم أكثر الطوائف الحضرمية منفعة للناس ، لايلاقون احتراماً فى بقية الطوائف الأخرى ، لاسيما حملة السلاح والروحانيين المتغطرسين ، ليس لأنهم زراع فقط بل لأنهم لايستطيعون الدفاع عن أنفسهم ، ولا طاقة لهم بأخذ الثأر لتجرّدهم من السلاح ، وقد نتج من ذلك ضعف الشخصية فى طبقة الزراع ومن يلحق بهم من العمال .

ولقد بلغ امتهان أولئك المتغطرسين بالزراع أن سموهم [الضعفاء] ، وهم جديرون أن يسموا [الأقوياء] لأنهم العمود الفقرى للبلاد ، والفلاح الحضرمى نشيط مجدّ صبور نبيه ذكى ، يعرف الأرض الطيبة من الرديئة ، ويعرف النجوم فيزرع على حسابها ، وهو أُمىّ لايعرف الكتابة ولا القراءة ، ومن مساوئ الفلاح الحضرمى القناعة ، فهو يكتفى بفلاحة جزء من الأرض محدود مع أن فى استطاعته أن يزرع بقاعاً واسعة بكثير من الحبوب والبقول والخضراوات ، لأن الماء وافر بين يديه ، وقريب من سطح الأرض ، وبالأخصّ من منطقة حدرى ، ولذلك لا نجد واحداً منهم يملك ثروة واسعة ، ولعل له بعض العذر فى ذلك لما يلقاه من التضييق والضغط من جانب بعض التجار المرابين الذين يقترض منهم حبوبا للزرع بأرباح كثيرة .

الروحانيون

وهم آل باعلوى [العلويون] ، وآل باوزير ، وآل عمودى ، وآل إسحاق ، وآل باجابر ، وآل باعباد .

آل باعلوى[١]

وينقسم آل باعلوى إلى أفخاذ وبطون ، منهم آل الشيخ أبى بكر ، والعطاس ، وآل عيدروس، وآل حبشى، وآل شهاب ، والجفرى وبلفقيه والكاف والسقاف ، وفى بعض أفخاذ آل باعلوى : كآل الشيخ أبى بكر والعطاس والعيدروسى والحبشى ، رؤساء لهم نفوذ روحى قوىّ جدًّا ، ويقال لهم ـ المناصب ـ ولآل باعلوى على وجه العموم سلطة روحية نافذة ، ولم تأتهم هـذه السلطة من طريق القوّة ، ولا ابتاعوها بالحرب وإنما نالوها بالتظاهر بالصـلاح والتقوى ، ودعوى الانتساب لأهل البيت ، فسلطتهم تشبه إلى حدّ كبير سلطة مشايخ الصوفية وأرباب الطرق والمقامات فى مصر وغيرها من البلاد الإسلامية ، ولقد أكسبتهم هذه السلطة حبّ الشهرة والظهور بمظاهر الـكبرياء والترفع عن غيرهم فى طبقات الشعب ، وعدم التنازل لهم ، وهم يرون أن كلّ شـخص منهم يجب أن يحترم ويفضل عن غيره سواء أكان هذا الشخص كبيراً أو صغيراً عالما أو جاهلا عاقلا أو معتوهاً ، ويغضبون إذا نودى أحدهم بكلمة ـ يا أخ ـ وإنما يجب أن تناديه ـ يا حبيب ـ أو ـ يا سـيد ـ والعلوية ـ يا شريفة ـ وهم يرون أن تلك الـكلمات التى تدلّ على التعظيم يجب أن تكون خاصة بهم دون غيرهم من الطبقات الأخرى ، ويريدون من غيرهم أيضاً تقبيل أيديهم عند المصافحة ، وأن يكون لهم فى المجالس المقام الأكرم والمكان الأعلى، ولا يجوز عندهم أن يتزوّج غير العلوى من العلوية، ويعدّون ذلك حراما ، بينما هم يتزوّجون بنات غيرهم[٢] ، ولقد غلا بعض إخواننا آل باعلوى فى سلطتهم الروحية ، فوجهوا نفوذهم إلى بعض القبائل الـكبيرة ليتصرّفوا فيهم كما يبتغون ، ويسـخروهم فى أغراضهم الشخصية ، فاتجه آل الشيخ أبى بكر إلى يافع وآل عيدروس إلى [آل كثير] ، والعطاس إلى الجعدة ، وتدخلوا فى شئونهم السياسية

---

(١) راجع صفحة ٩٧ من الجزء الأول .

(٢) هذه العصبية المقوتة فى الزّواج ليست هى عند آل باعلوى فقط ، بل هى أيضاً عند القبائل حملة السلاح ، فهؤلاء لايزوّجون بناتهم لغير حملة السلاح من غير أصحاب السلطة الروحية .

على أنه يوجد فى آل باعلوى أفراد ، وهم قليلون اشتهروا بالصلاح والتقوى والورع وحبّ الخير والدعوة إليه ، وإن كانوا متمسكين بعصبيتهم المقوتة ، وامتيازاتهم الموهومة .

ولآل باوزير ، وآل عمودى ، وآل إسحاق ، وآل باجابر ، وآل باعباد سلطة روحية ، ولكنها فى الدرجة الثانية بالنسبة لسلطة العلويين الروحية ، وليس عندهم من الكبرياء والترفع والعصبية مثل ما عند هؤلاء .

الخرافات

ولقد ابتنى بعض العلويين قبابا كثيرة لبعض موتاهم رحمهم الله ، ووضعوا على أجداثهم التوابيت ، ودعوا الناس لزيارتها ، والتبرّك بها ، والتوسل إليها لقضاء الحاجات واستنزال البركات ، وقد يوجد فى القبة خزانة [تيحة] فى داخلها إناءان : أحدهما للنقود ، والآخر للزيت الذى يقدمه المريض لطلب الشفاء ، وأقرباء الميت هم الذين يتمتعون بهذه القرابين والنذور ، وقد يبالغ بعض المرضى فى الضلال فيأكلون قليلا من تراب ذلك القبر لطلب الشفاء ، وإنى لأذكر أنى حينما كنت فى حضرموت وأنا يومئذ لم أبلغ سنّ الرشد أصبت بحمى ، فذهبت إلى قبة المرحوم عمر بن محمد الهدار العلوى الواقعة على مقربة من حوطة أحمد ناصر ، وأكلت قليلا من تراب قبره ، وقبلت تابوته ، وتوسلت إليه ليذهب الآلام ، ويعيد إلىّ صحتى كاملة غير منقوصة ، ووضعت فى الخزانة أوقية وربعا ، وعدت إلى البيت وأنا أرتعد من حمى الورد ، ومن حسن حظى أنى فى اليوم الثانى شفيت من مرضى ، ولكن من سوء حظى أن ازداد اعتقادى فى الهدار واعتمادى عليه من دون الله ، فذهبت فى الحال إلى السوق وابتعت رطلا من زيت السمسم ، ثم ذهبت إلى قبة الهدار ، ووهبت له الزيت فى الخزانة ، وهكذا ذكرت صاحب القبة فى السرّاء والضرّاء خفية وجهرة ، وهو لا ينفعنى بشىء ، ولم أذكر الله عزّ وجلّ ، الذى هو أقرب إلىّ من حبل الوريد ، وبيده كلّ شىء .

ويوجد فى الروحانيين وبوجه أخصّ فى العلويين من يصنع التمائم والعزائم للمرضى وغيرهم من طلاب الحاجات ، ويبالغ بعض الدجالين من أصحاب السلطة الروحية فيسقون المريض ماء ممزوجا ببزاقهم للشفاء ، ويتجرّع هذا المريض [المغفل] ذلك البزاق القذر ، وهو مسرور كل السرور متوهما أن الشفاء آت لا ريب فيه .

وهناك كتب ألفت ، ورسائل دوّنت كان لها أثرها السيئ فى عقلية الشعب ، وتسميم أفكاره ، وإفساد عقيدته ، وفى مقدمة هذه الكتب : [المشرع الروىّ] لصاحبه الشيخ محمد بن أبى بكر الشبلى المشحون بالكفريات والخزعبلات ، ثم كتاب : [الجوهر الشفاف] وغيرها .

ويقسم كثير من الناس بالأضرحة ويخافونها إذا حنثوا فى أيمانهم أكثر مما يخافون الله ، فقد يطلب المشتكى من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خيراً من أن يقسم بالله أو بالقرآن ، ويعتقدون أن لتلك الأضرحة قوّة الانتقام إذا كان المقسم حانثاً ، وأهمّ الأضرحة التى يقسمون بها هى :

الاسم	المكان	الاسم	المكان
أحمد بن زين الحبشى العلوى	حوطة أحمد بن زين	الشيخ أبو بكر بن سالم العلوى	عينات
عبد الله العيدروسى العلوى	تريم	سعيد بن عيسى العمودى	قيدون
عمر بن محمد الهدار العلوى	حوطة أحمد ناصر	معروف باجمال	بضة
على بن حسن العطاس العلوى	المشهد	عيدروس بن عمر الحبشى العلوى	الغرفة
حسن بن صالح البحر العلوى	ذى أصبح	عمر المحضار العلوى	تريم

وفى زعمهم أنه إذا أراد الشخص أن يأتيه كساء من أبيه أو من أحد أقربائه المهاجر فى جاوه أو فى غيرها ، فما عليه إلا أن يذهب إلى إحدى القباب ، ويقطع جزءاً صغيراً من ثوبه ، ويرطبه باللعاب ، ويقذف به فى الحائط ، ولا تمضى سنة إلا وقد نال مطلوبه ولذلك تظهر الحيطان فى بعض القباب كأنها مغطاة بطبقة من الورق المزخرف أو زينت بنقوش مختلفة الألوان .

وبعض المرضى وبالأخصّ إذا كان صغيراً يطاف حوله حَمَلٌ مراراً ، ثم يقطع جزءا من أذنه ويعلقه فى ذراع المريض ، ويذبح ذلك الحمل ، ويوزع لحمه على الجيران بعد أن يأخذ الدجال الذى أشار لهم بتلك العملية جزءا كبيراً منه .

وأوّل ما يعمله الشخص الذى يريد أن يبنى بيتاً أن يدقّ أربعة أوتاد فى البقعة التى سيبنى فيها المنزل لطرد عين السوء ، وذلك بعد أن أخذ رأى أحد الروحانيين ، وعند ما يتمّ بناء البيت يذبح حَملا على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأوّل مرة فى البحر بكسر زجاجة خمر ، وفى بعض أجزاء حضرموت يذبح صاحب البيت شاة ، ويأخذ من دمها بيده ويخضب الباب . وبعضهم فى أثناء عملية البناء ، ويأكل البناءون لحمها ، ويريقون دمها على الحيطان ، وعند ما يدخل صاحب البيت لأوّل مرّة يكسر بيضتين على عتبة الدار ، وأخريين على الدرج ، وأخريين عند الطابق العلوى .

وعند ما يأتى وباء مُعْدٍ ـ والأوبئة قليلة جدا فى حضرموت ـ يذرّ بعض الناس الرماد حوالى بيوتهم لمنع سريان العدوى .

ومنذ عشرين سنة كانت تلك الخرافات والخزعبلات منتشرة فى السكان انتشاراً عظيما ، وكانت سلطة الروحانيين لا سيما سلطة العلويين الروحية نافذة فى جميع طبقات الشعب الحضرمى فى الوطن والمهجر ومالكة لمشاعرهم ووجدانهم ، وحاكمة على عواطفهم وإراداتهم ، وكان نفوذ أولئك المناصب عظيما دونه كلّ نفوذ ، ولكن بعد أن أنشئت فى جاوه جمعية الإصلاح والإرشاد[1] التى تدعو إلى المساواة الشرعية والاخاء الإسلامى تلاشت تلك السلطة الروحية واندرست لا سيما فى أندونسيا ، وأمسى الناس ينظرون إلى مهازل الروحانيين وخرافاتهم بعين الازدراء والاحتقار ، ولم يبق من الحضارم من يخضع لها سوى أفراد قليلين ، لا تزال فى عيونهم غشاوة ، وفى آذانهم وقر ، حتى إن كثيرا من أصحاب السلطة الروحية ، كآل باوزير ، وآل عمودى ، وآل إسحاق نبذوا عصبياتهم المقوتة وراءهم ظهريًا ، وأصبحوا يدعون الناس إلى المساواة وإلى نبذ الخرافات

(١) راجع الكلام عن هجرة الحضارم إلى أندونسيا فى هذا الجزء .

والأوهام ، ومنهم أفراد صاروا رؤساء لبعض مدارس الإرشاد وقادة للنهضة الفكرية ، وبعد أن كان الروحانيون ، وبوجه أخص العلويون ينظرون إلى غيرهم من أبناء حضرموت بشيء كثير من الاحتقار والامتهان ، ويعدونهم كالخدم لهم أصبحوا الآن ينظرون إليهم بشيء من الهيبة والاحترام .

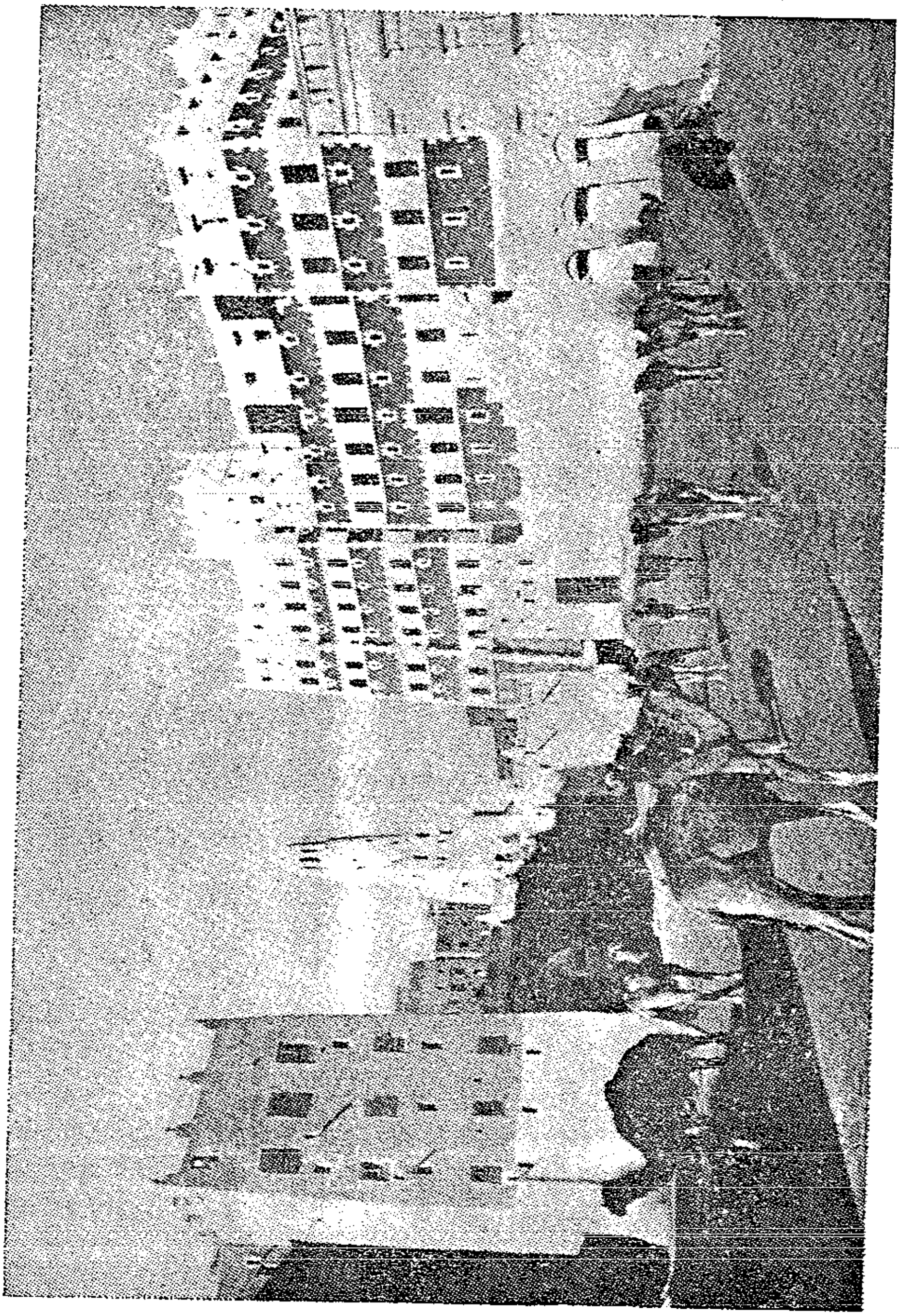
ومما هو جدير بالذكر أن مفعول تلك الفكرة الحرّة فكرة المساواة الشرعية والاخاء الإسلامى قد بدأ يتسرّب إلى حضرموت بواسطة ذهاب أفراد من المتنوّرين إليها ، وليس من شك أنه سيأتى وقت تتحطم فيه تلك السلطة الروحية ، وتندرس معالمها ، وتنعدم آثارها من الوجود ، وليس فى الدنيا إنسان عنده قليل من العقل لا يحبّ الحرية ، وتيارات النهضة الفكرية تسرى فى الشعوب لا سيما الطبقات المتعلمة سريان الكهرباء فى الأسلاك ، وليس فى الدنيا قوّة طبيعية تستطيع مقاومة تلك التيارات وصدّها عن السريان والاندفاع ، والشعب الحضرمى من أوفر الشعوب استعداداً للحرّية ، وأسرعها إدراكا للأفكار والآراء الحرّة .

هندسة المبانى

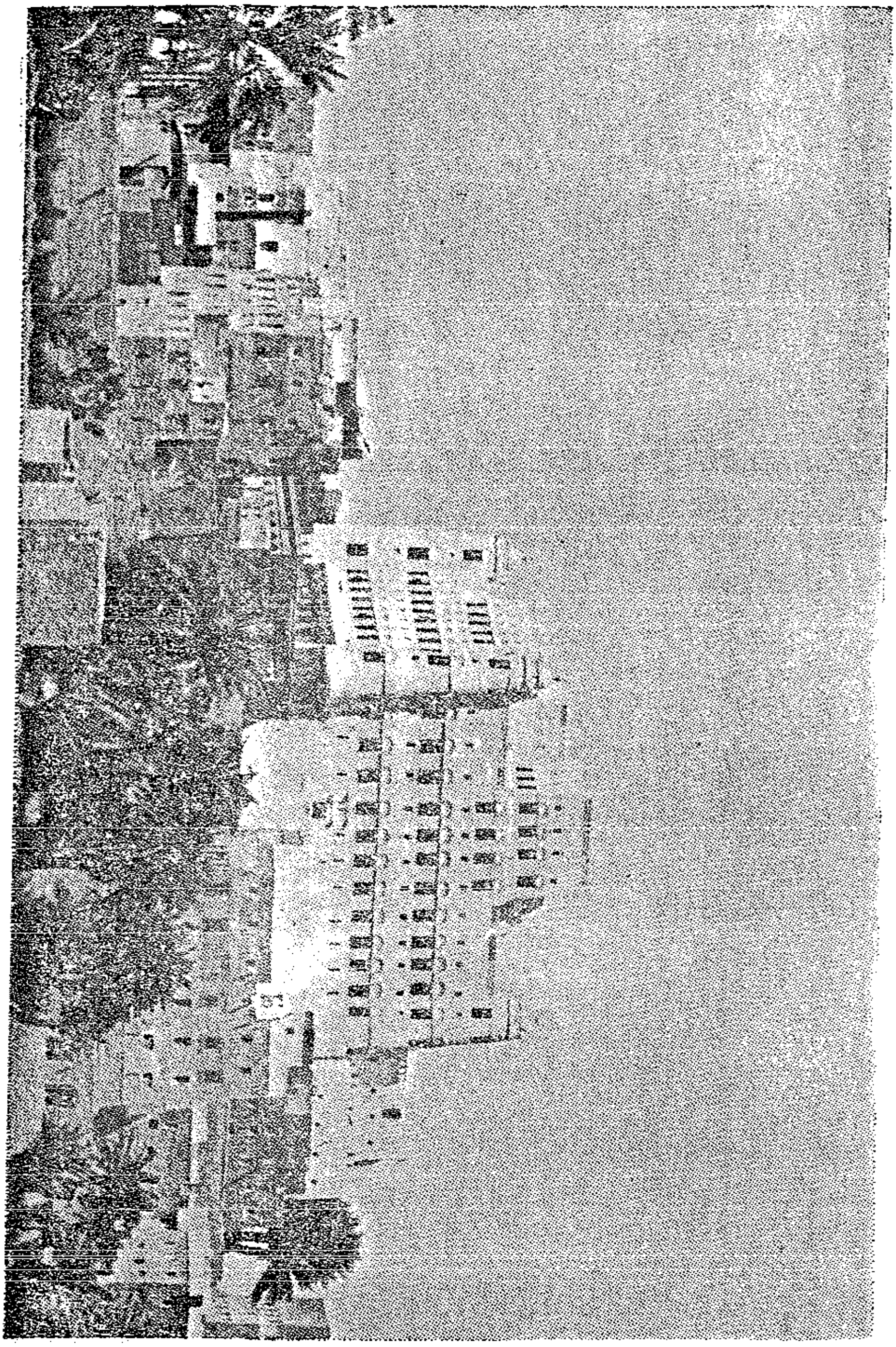
لم يتعلم البناءون فى حضرموت فنّ المبانى ، ولا يعرفون أن يجزئوا الأرض بالطريقة الحسابية ، ولكنهم يعرفون كيف تقام المبانى القوية الضخمة ، والبيوت العالية الجميلة الخلابة ، وهم أدركوا هذا الفنّ بفرط الذكاء ، وكثرة العناية ، وطول التجربة .

وتبنى البيوت بنوع جيد من الطين ممزوج بالتبن الذى يقوم مقام الجير حيث يمتصّ من الجوّ ثانى اكسيد الكربون ، فيتماسك البناء بعضه ببعض ، وتتكوّن البيوت من طبقتين إلى سبع طبقات .

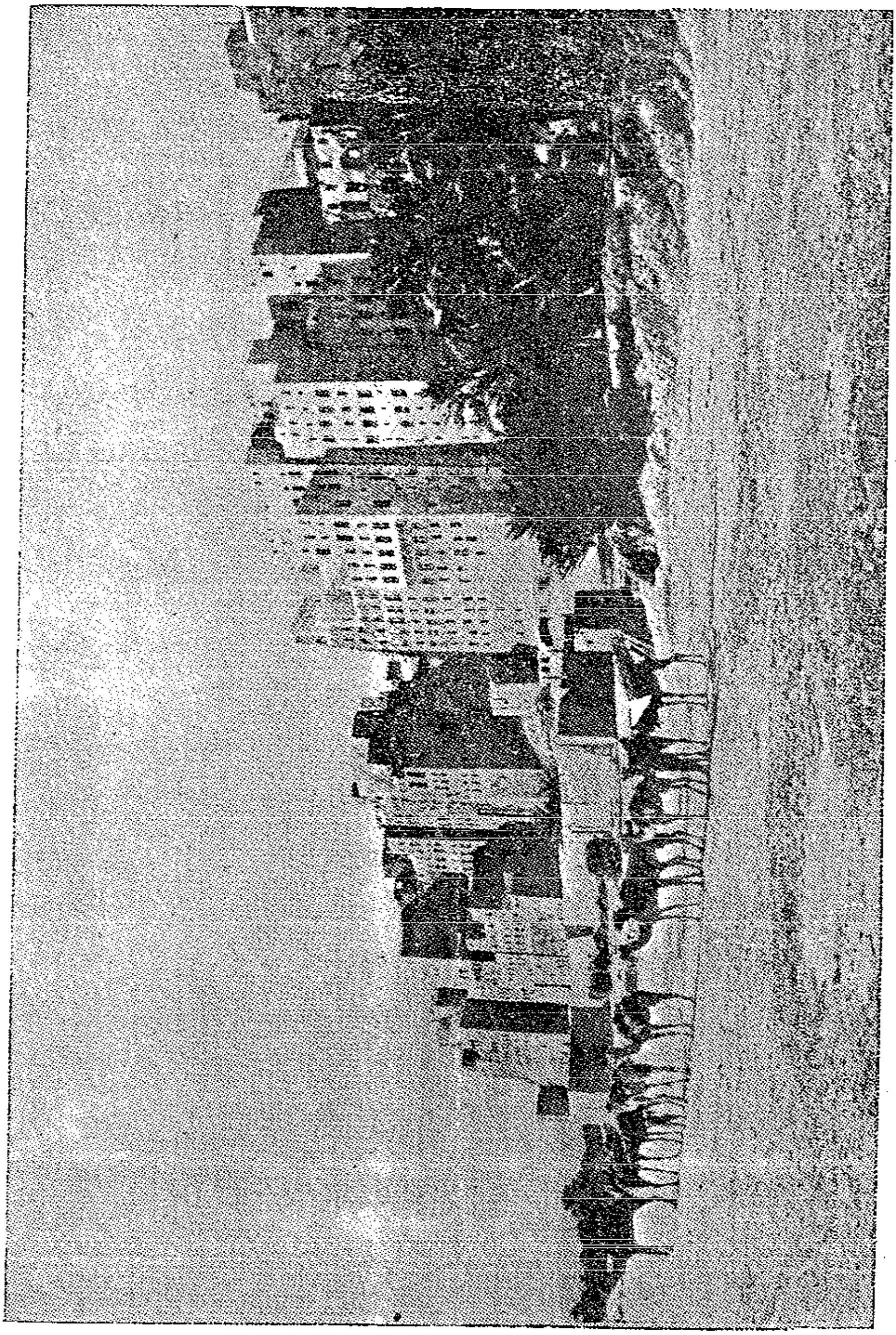
ويظهر جمال الفنّ الحضرمى بأجلى مظاهره فى المدن ، كشبام ، وقرى القطن ، وسيون وتريم وملحقاتها وفى المكلا .



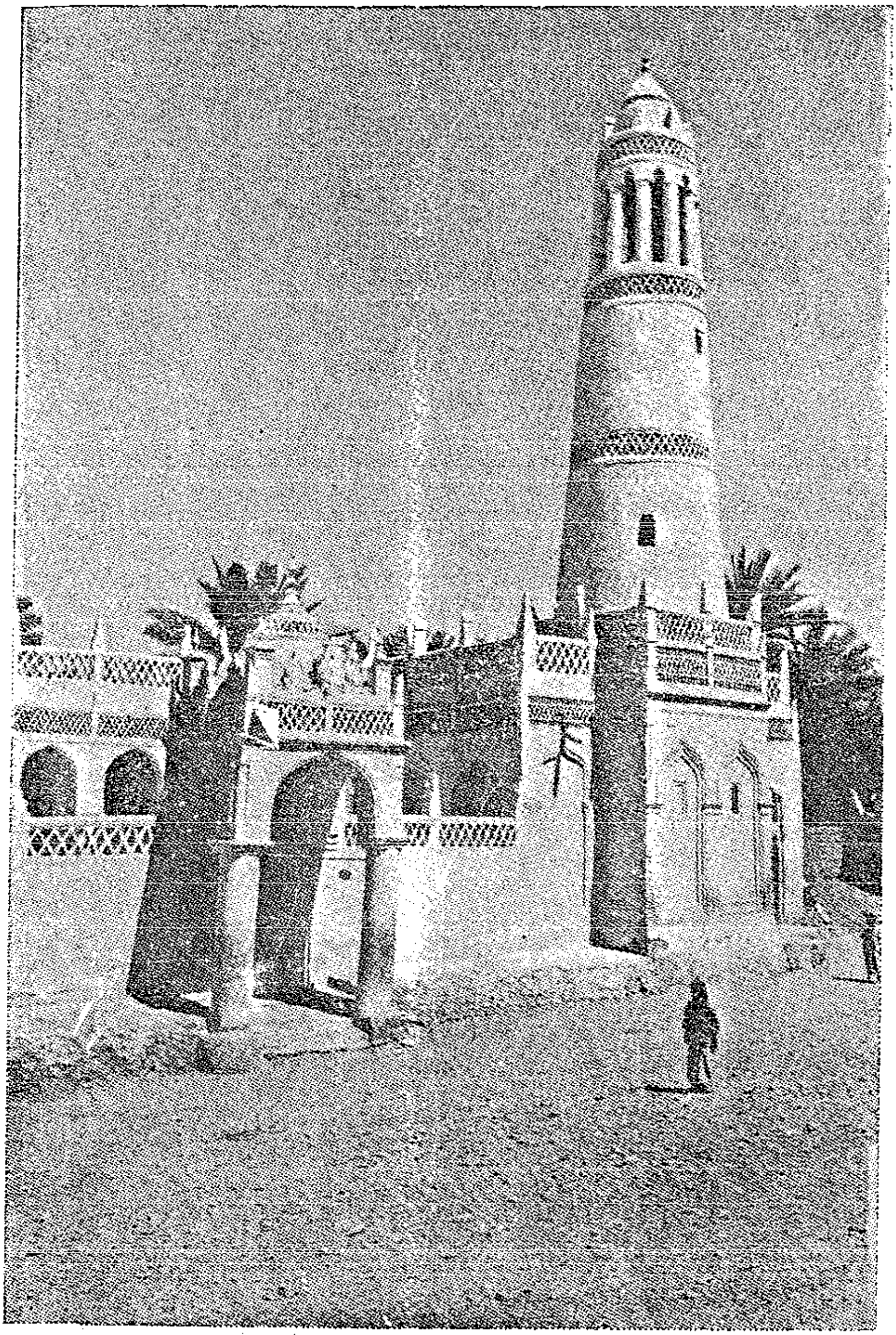
قصر الأمير عليّ بن صلاح القعيطى اليافعى فى شبام



قصر السلطان عليّ بن منصور الكثيري في سيون

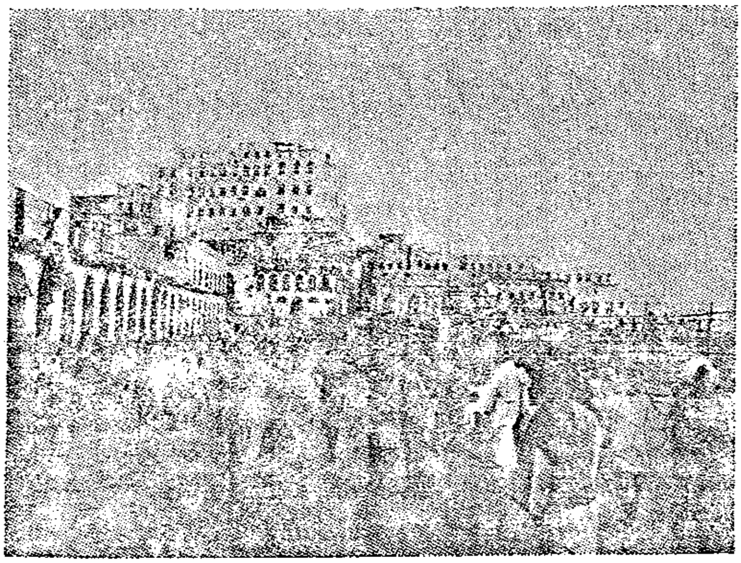


جانب من مدينة شبام



مسجد في سيون

وتطلى معظم البيوت العالية فى هـــذه المدن بالجير الأبيض من الداخل ومن الخارج أحيانا مما جعل لها منظراً جميلا يبعث فى الناظرين الإعجاب .



السوق فى المكلا

وأثاث البيوت بســـيط جدا ، ولـكن الأغنياء يؤثثون منازلهم بفرش وثيرة ، وسجاجيد عجمية غالية الثمن ، وتتجلى النظافة فى كل البيوت حتى فى الأرياف، والشوارع فى المدن ضيقة ، وليس لها أسماء ولا مصابيح ، كما أنه لا يوجد أرقام المنازل ، و بعض المدن محاطة بسور ، ولها باب كبير عريض يقال له ـ السدة ـ لمرور الناس والدواب ، وليس فى حضرموت مطاعم ولا قهاوى سوى فى المكلا ولا هوتيل ، ولـكن يوجد فى كل بيت غرفة يقال لها ـ محضرة ـ مفروشة خاصة للضيوف والنزلاء الذين يهبطون ليلا أو نهاراً ، فيحتفى بهم صاحب البيت ويكرمهم مهما كانت جنسيتهم ودياناتهم ويؤثرهم على نفسه ولو كان به خصاصة ، وقد يضطر صاحب البيت للاستدانة فى سبيل إكرام ضيفه ، وتتجلى الحضارة والترف فى المأكل والملبس ، وفى المبانى فى تريم وسيــيون

وملحقاتها ، وفى شبام ، وقرى القطن ، وفى المدن الساحلية ، وليس مصدر هذه الحضارة البلاد نفسها فقط ، ولكنها أيضاً نتيجة الثروات العظيمة التى يملكها الحضارم فى جاوه وما جاورها من جزائر الهند الشرقية .

وليس هناك مسارح للسينما والتمثيل ، والدكاكين لا تفتح ليلا إلا فى النادر حيث يغلق التجار متاجرهم عند دخول الليل و يتركونها من غير حراس .

الجوّ

والجو قارىّ ولكنه صحىّ ، فالأمراض و بالأخص المعدية منها تكاد تكون معدومة وأشهر الأمراض هناك : الحمى [الورد] ، والجدرى ، والحصبة ، والرمد ، وليس هناك أطباء فنيون ، ولا مخازن للأدوية ، والكىّ هو العلاج المشهور لاسيا فى البوادى ، و بعض الناس يستعملون الحجامة على الظهر وفى مؤخر الرأس ، وهى تفيدهم كما يقولون .

المرأة

و يتغلب اللون الأبيض على المرأة الحضرمية بالرغم عن أن السمرة الشديدة هى اللون السائد على الرجال ، وهى إلى الطول أقرب هيفاء ، وغالباً تكون ممشوقة القدّ ، وهى قنوع صبور مقتصدة ، لا تسأل زوجها شيئاً إلا عند الضرورة الملحة ، مخلصة له كلّ الإخلاص ، مجدة نشيطة ، تقوم بتدبير المنزل وتربية أولادها ، ولا عيب فيها سوى الجهل ، ولكنها المثل الأعلى فى العفة والشرف ، والعزو بة تكاد تكون معدومة ، وهم يزوّجون أولادهم حينما يبلغون سنّ الرشد ، وأصغر صداق يقدمه الرجل ٣٠ ريالاً ، ولا حدّ لأكثره ، والمرأة فى زواجها الأوّل لا يستشيرها أبوها ألبتة ، وعندما تطلق يصبح لها الحقّ فى اختيار أىّ زوج تشاء مادام أبوها موافقاً ، وحق ابن العمّ فى زواج بنت عمه له الاعتبار الأول فى القطر الحضرمى ماعدا بلاد المهرة ، فإن الأب هو

الذى يقرّر زواج بنته بمن يختار ، والرجل لا يتزوّج أكثر من واحدة إلا فى النادر ، وإذا أنجب من زوجته أصبح من الصعب عليه طلاقها ، ومن مساوئ الرجل المرأة أنه يهاجر إلى الخارج ، ويغيب عنها مدّة قد تزيد عن عشر سنين ، فيتمتع هو فى مهجره بزوج أخرى بينما تلك الزوج الأولى المسكينة تنتظره بفارغ الصبر دون أن تسأله العودة إليها ، ولا تطالبه بالطلاق خلال تلك المدة الطويلة لأن ذلك من أكبر العيوب عند العائلات الحضرمية .

الملبس

فى البلاد السفلى المسماة [حدرى] ـ من القرط إلى عينات ـ وكذا المدن الساحلية حيث توجد حضارة تجد النساء محتجبات لا ترى من جسمها شيئاً ، ويلبسن الفساتين المزخرفة ذات الألوان الزاهية ، المستورد قماشها من أوروبا واليابان ، ولها فى مؤخرها زوائد تسحب فى الأرض ، ولا يلبسن الفساتين السوداء إلا نادراً ، ولا يخرجن من بيوتهن إلا منتعلات غالباً ، والفلاحات يستعملن الفساتين السوداء المصبوغة بالنيلة ، ووجوههن وأيديهن وأرجلهن مكشوفة ، أما فى المناطق العليا المسماة [علوى] ، فأغلب النساء يستعملن البراقع ، كالبلديات فى مصر ، وأيديهن وأقدامهن مكشوفة ، وفساتينهن ذات اللون الأسود المصبوغ بالنيلة وهو اللون الوحيد عندهن ، وتتكلم النساء هناك مع الرجال بمطلق الحرّية والبساطة والسذاجة ، وقد ترقص المرأة مع الرجل على مرأى من زوجها أو قريبها . أما فى حدرى وفى المدن الساحلية فلا يتكلمن النساء بحضرة الرجال الأجانب ، وتتكوّن حلىّ المرأة من الذهب والفضة والكهربان وهى أساور [كرايا] وخلاخل [سموط] وحزام وقلائد ونوع آخر يعلق على الصدر على شكل هلال يقال له [الكسرة] وأقراط وخواتم .

ويلبس الرجل مئزراً إلى ما تحت الركبتين ، وقميصاً قصيراً عليه ياكتة [مسدره]

وعلى رأسه طربوش أو طاقية [كوفية] ويتعمم غالباً ، ولا يوجد هناك من يستعمل اللباس الافرنجى إلانادراً ، وأكثر الفلاحين ومن يلحق بهم من العمال نصف عرايا صيفاً وشتاء ، وكذلك الشأن فى المناطق العليا ، فان الســـواد الأعظم منهم نصف عرايا وحفاة ، ورءوسهم مربوطة بقطعة من القماش الأسود يقال له البرنس، أومكشوفة إلا من سير من الجلد يحفظ ذؤابات شعورهم الطويلة من التفكك .

الزراعـــة



فلاحات فى مزرعـــة

أجود الأراضى الصالحة للزراعة هى الواقعة بين الفرط غربا إلى عينات شرقا حيث يوجد المـاء على مقربة فى سطح الأرض ــ ١ ــ ٨ قامات ــ لا سيا فى منطقة شـبام ، وحيث يتكون الطمى الذى تأتى به سيول الأودية العليا ، ويسقى الزرع بالمـاء ينزح من الآبار بواسطة الثيران أو الجمال أو الحمير أو بالآلات ، وأهم أنواع الحبوب التى تزرع القمح والذرة ، ثم الدخن والسمسم والمسيبلى ، ومن التوابل والخضراوات : البرسيم

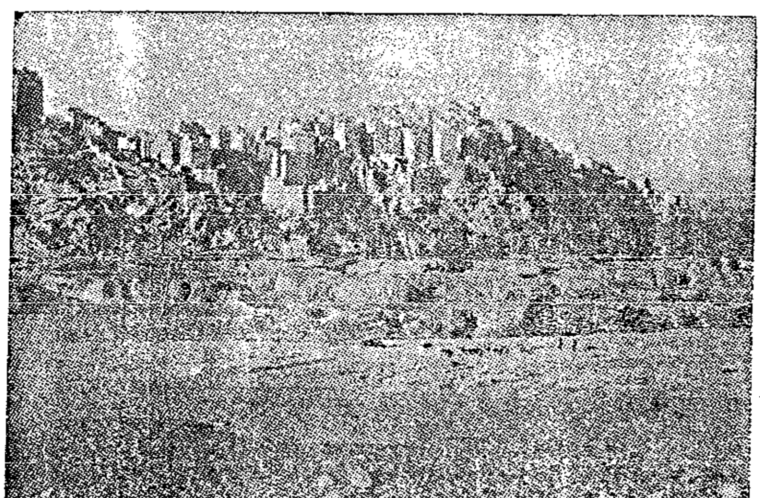
والباذنجان والبصل والجزر والفوم والكمون والشبرم والحبة السوداء ، ومن الفواكه : البطيخ والموز .



فلاح يحصـــد القمح

ويوجد النخل بكثرة وهو أنواع مختلفة منها المديني والحمراء والجزاز والسريّع والمجراف والحاشدي إلى آخر ماهناك من الأسماء التي اصطلح عليها الحضرميون ، والبلح من أهمّ الأغذية وهو أرخص قيمة من الحبوب التي هي الغذاء الأساسي عند أكثر الناس . أما في المناطق المرتفعة ، كنهد ودوعن ووادي العين وعمد وغيرها في المرتفعات ، فلا يزرع فيها غير الذرة والنخل الذي يسقى بماء المطر لبعد ماء الآبار الذي لا يحصل عليه إلا على عمق ٣٥٠ ـ ٤٠٠ قدم وتستعمل للشرب ، وقد ينقطع المطر شهوراً أو سنيناً ، فيشـــتدّ الجفاف ، ويحصد الزرع أو يموت ، ويذبل النخل فيقلّ محصوله ، وتستحكم الأزمة ويكون لها أثرها السيئ ، ليس في هذه الهضاب المرتفعة فقط بل وفي سائر حضرموت على أن هناك عيوناً في دوعن وعمد ولكنها ضحلة ، ولا تستعمل إلا لسقي البقول وللشرب ، وهناك في جبال المكلا عيون ويظهر أنها غزيرة ، ولكن الأيدي العاملة تكاد تكون معدومة .

وفى غيل باوزير فى الجبال الواقعة خلف المسطحات الساحليـة تنبع عيون غزيرة تسقى مساحات واسعة من أراضى الغيل ، ويزرع فيها الطباق الجيد [الحمّى] وهو أهمّ الحاصلات ، ولا ينمو إلا فى الغيل حيث تلائمه التربة والمناخ ، ويتقن الناس زراعته ، وقد حاول البعض زراعته فى لحج واليمن فلم يحصلوا إلا على نوع آخر أقلّ مرتبة من الحمّى فى نكهته ، وفى الغيل يسمد الطباق ثلاث مرات بأسمدة مختلفة كلّ فى وقت وبقدر محدودين ، ففى أول مرة يسمد بخرء الطيور ، وفى الثانية بالسمك ، وفى الثالثة بالموادّ البرازية المختلفة من الإنسان والحيوان ، ويصـدر معظم المحصول إلى عـدن ومصر ، ومنهما إلى سوريا ، وشجرة الطباق تجفف بورقها وساقها وفروعها ، ثم تقطع إلى شرائح صغيرة ثم تضمّ إلى بعضها فى حزمات تزن الواحدة منها ٣٠٠ رطل وهى حمولة جمل ، وثمنها من ١٢٠ ـ ١٣٠ .



مدينة كنينة عاصمة حجر

وفى حَجْر ينبع نهر ويصبّ فى بحر العرب فيما بين رأس الكلب ومرسى رقيمة ، وتكوّن دلتاه إقليم ميفع الخصيب ، وهو يشـقّ طريقه فى ثلاث خوانق : الأوّل بين

ميفع ونيفع ، والثانى يسمى وادى القم ، والثالث بين وادى عروس وجول باحوة ؛ وفى كل منها عــدة غدران عميقة ، وفى المناطق المتسعة يبلغ عرضه من ٥ - إلى ٩٠ أمتار ، وعمقه من ٥ - ٢٥ سنتيمتراً ويبلغ طوله نحو ٢٠٠ كيلو متراً ، وعلى امتداده توجد قرى بها أكثر مساحة ممكنة من الأراضى الزراعية ، وإلى جانب الأنهار وإن كان ماؤها صالح نوعا ما توجد كميات من المياه عند رأس كل واد تقريباً ، ويحفر لهـا الناس القنوات على جانبى الوادى إلى مسطحات من الأرض يبلغ ارتفاعها مترين واتساعها خمسة حيث تستعمل للرىّ ، وبعد رىّ هذه المسطحات تغوص المياه فى باطن الأرض ، ثم تظهر بعــد مسافة طويلة ، إما من تلقاء نفسها ، وإما بحفر آبار تتباين أعماقها ، وقد يبلغ عمق البئر ٤٠ متراً كما فى وادى يوان ، على أن هناك قرى تعتمد على مياه الآبار مثل مزينب ومحمرة وغيرها ، إذ بها مساحة تتراوح بين ٤٠ و ١٠٠ فدان يزرع فيها ما يسدّ حاجة سكانها من القمح والنخيل والتبغ ، وفى حجر ينمو النخل بكثرة ويزرع القمح والذرة والسمسم ، وهى تتصل بالمكلا بواسطة طريقين : أحدهما مستقيم يخترق الجبال ، والآخر ملتو يصـــل إلى الساحل ثمّ إلى المكلا ، وطريق الجبل أقصر ولكنه أخطر .

وفى الصـدارة بأقصى الشمال الغربى لحجر توجـد ينابيع مياه حارّة ويروى بها النخل ، وهى لا تؤذى جذوره ، والناس هناك يســتخرجون عصارة أثمـار النخل ويشربونها كنوع مخدر ، وهو مسكر إذا أخذ بمقدار كبير ، وهذا الشراب منتشر فى بلاد حجر . أما جوز الهند [النارجيل] فلا يوجد منه سوى عدد ضئيل فى حجر وفى المكلا وفى المناطق العليا [علوى] تنبت أشجار السدر بكثرة على ضفاف مجارى السيل ومحصوله كثير ، ويطحن بعض الناس هناك النبق [الدوم] ويأكلونه ممزوجا بالمـاء أو بالزبيب [الروبه] وقد يتخذونه أحياناً كغذاء لا سيما عند اشـتداد القحط وهو من أحسن المبردات فى الصيف ، ويسمى هـذا النوع عنـدهم [حتيًّا] وهى كلمة عربية فصيحة ، وينبت فى بعض المناطق الجبلية أشجار السنط [السمر] واللبخ الطويلة

ذات الأزهار المستطيلة ، وشجيرات البخور وتمتاز هذه برائحتها النافذة ، وبأن لا أوراق لها أو بأن أوراقها صغيرة جدا ، وفى بعض الوديان الصغيرة تنبت أشجار خضراء رطبة ترتفع إلى ستة أقدام ويكسبها لونها الأخضر الغض ، وحمرة أزهارها فى أطراف أغصانها منظر الطاقات الجميلة فى تلك البيئات العارية الجرداء .

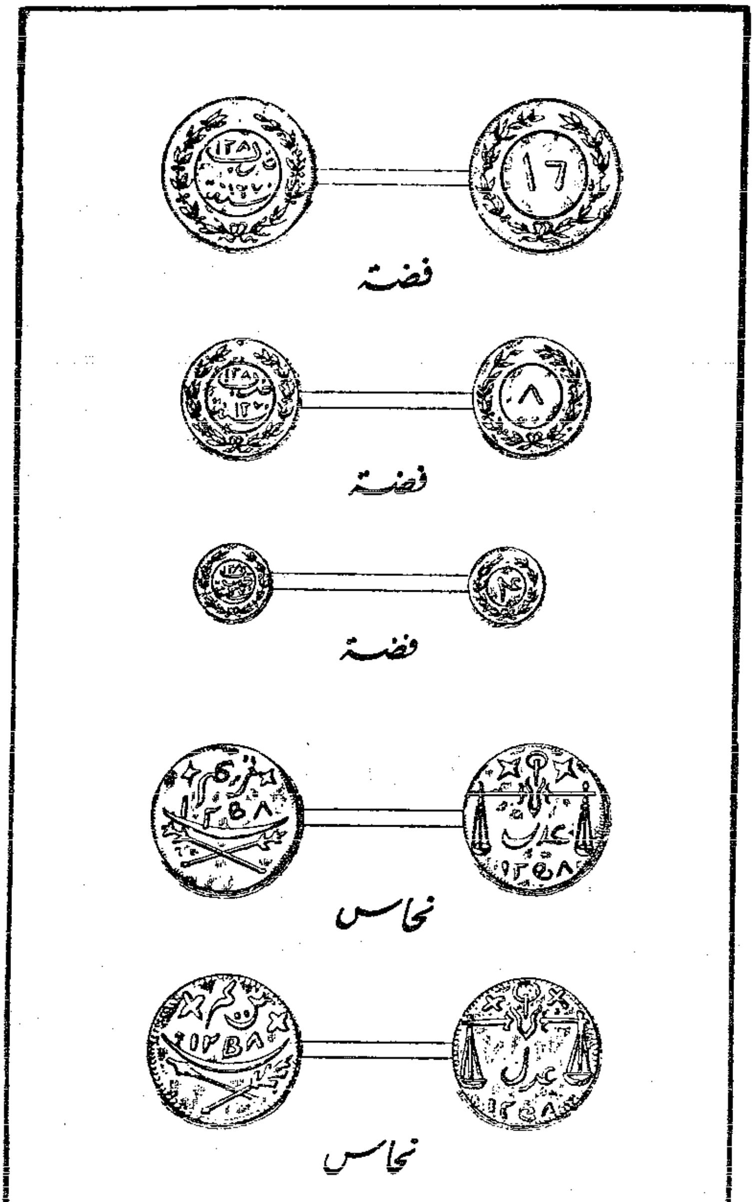
أما الأساليب المتبعة فى الزراعة وتربية المواشى ، فلا تزال فطرية والبلاد فى أشدّ الحاجة لإدخال الأساليب العصرية كما أنها فى حاجة شديدة للمشروعات الزراعية .

التجارة

أهم السلع الحبوب بأنواعها والبلح والعسل والتبغ والزيت والسمسم والسمن والتوابل – وهذه من غلات البلاد – والسكر والبنّ والشاى والغاز والمنسوجات بأنواعها والسلاح – البنادق – . والمواشى : كالجمال والحمير والخيل والبقر والغنم ، وهذه ترد من الخارج ، ولا يصدّر شىء من حاصلات البلاد إلى الخارج سوى التبغ [الحُمِّى] من غيل باوزير ، ويصدّر من دوعن فقط من العسل الجيد حمولة ٤٠٠ أو ٥٠٠ جمل سنويًّا ، وأعظم مركز للتجارة مدينة شبام ، وهى قلب حضرموت ، فكلّ البضاعات التى تأتيها مهما كانت كثيرة وغالية تباع بأسرع وقت ، وتجارها مشهورون بالجدّ والنشاط وحبّ العمل وبالمهارة فى ترويج متاجرهم ، ولقد عرف الشباميون بذلك حتى إن بعض التجار فى المدن الأخرى يبعثون أبناءهم إلى شبام ليستخدموا عند التجار من غير مقابل ، وليتمرّنوا على التجارة ، ويعرفوا كيف يكسبون ، وتلى شبام : سيون وتريم والمكلا .

والنقد المتداول فى حضرموت هو الريال الفضى ، وكان متداولا فى الأمبراطورية النمساوية فى القرن الثالث عشر ، وبنوع خاص فى عهد الأمبراطورة مارتريزا ، وكان يعرف فى مصر [بأبى طيره] ثم الربية الفضية البنقالية ، ثم نقود فضية صغيرة يقال لها

أوقية وربع وحرف وأم خمس ، ثم نقود أخرى من النحاس صغيرة ، وهذه صور بعض تلك النقود المتداولة :



النقـــود

أما الذهب والورق فلا وجود لها ، وليس للحكومة نقود مضروبة باسمها ، وفى

إمكان الواحد ضرب ما يشاء من النقود ، ولكن الفضة غالية الثمن ، والنحاس قليل الوجود ، ولا يوجد هناك بنك يحفظ أموال الناس ، ولا شركات تجارية منظمة .

تجارة الرقيق

لا تزال تجارة الرقيق موجودة فى حضرموت ، وأصلهم من الحبشة ، ومن سواحل إفريقيا الشرقية ، وللحكومتين اليافعية والكثيرية عبيد كثيرون ، ولبعض الأغنياء من حملة السلاح عبيد أيضاً يبتاعونهم من البدو الذين يأتون بهم من العوالق ومن اليمن ومبلغ قيمة العبيد أحيانا خمسمائة ريال ، وهذا أقصى ثمن ، والأمة التى يتخذها سيدها كخادم فى بيته نحو مائتين إلى أربعمائة ريال ، وجميع هؤلاء الموالى مخلصون لأسيادهم كل الإخلاص لأنهم يلاقون منهم احتراما ومعاملة حسنة ، وقد يلقون من أسيادهم ثقة تامة لدرجة أنهم يتولون الحكم فى بعض البلاد كما هو الشأن عند الحكومة القعيطية اليافعية .

الصناعة

لا تزال الصناعة فى حضرموت فى دورها الأول البسيط ، فمعامل النسيج قليلة جدا لا تقوم بعشر معشار حاجة السكان ، والمنسوجات التى تنتجها رديئة جدا ، ذات طرز واحد قديم ، وهناك معامل لاستخراج الزيت من السمسم ولصناعة النيلة .

ويصنع الحدادون من الحديد أنواعاً من السلاح الأبيض وغيره من آلات القطع والحفر ، وكذا القدور وغيرها من أوانى الطبخ .

ويوجد صائغون ماهرون فى صناعة الحلى من الذهب والفضة ، كالقلائد والأساور والخلاخيل والأقراط والخواتم والأحزمة وما إلى ذلك ، وأمهر الصناع هم آل باحشوان ، ولا يفوقهم أحد فى هذه المهنة .

وتدبغ الجلود بنوع من النبات يقال له القَرَظ ، وتصنع منها القِرَبْ والأنعل والدلاء ، وما إلى ذلك .

و ينسج النساجون والعقادون الأقمشــة على اختلاف أنواعها ، وكلها لا تزال فى دورها الأول البسيط ، وتصبغ الأقمشة بالنيلج الأزرق الداكن ، و ينبت شـجره فى حضرموت وهو من النوع الجيد ، ولـكن الناس هناك لا يعتنون بزراعته .

و يجفف السمك ـ ومعظمه من كلب البحر ـ و يملح و يرســل فى زكائب إلى داخل البلاد حيث يستعمل كغذاء أساسى مع الأرز والخبز ، والأسماك على اختلاف أنواعها كثيرة جدا فى البحر بين المكلا والشحر .

وتصنع من الأخشاب : أعمدة المبانى والأبواب والشبابيك والدواليب وغير ذلك ، إلا الـكراسى لأن الناس يجلسون على البسط على الأرض ، والنجارون لا يستعملون الطريقة الحسابية فى تجزئة الأخشاب ، ولـكنهم يستعملون خيطاً ملوّناً باللون الأسود يمدّ على الجزء المراد قطعه ، وهم يرسمون على واجهة الأبواب والشبابيك زخارف دقيقة تدلّ على ذوق جميل .

المواصـــلات

المواصلات فى حضرموت صعبة ، لوعورة المسالك، وكثرة العقبات ، ذات الانحدار الهـائل ، فالمسافرون من بلد إلى آخر يركبون الجمال أو الحمير أو يمشون على أرجلهم ، والواردات التى تأتى من الخارج تحملها القوافل ، ولا توجد هناك سيارات إلا فى المدن الـكبيرة ، كتريم وسيون وشـبام والمدن الساحلية ، وليس هناك بريد ولا تليفون ولا تلغراف ، وترسل الخطابات لأصحابها من غير طابع بريد بواسطة المسافرين أو بواسطة رجل يقال له [المـكتب] ، فيسرع هذا المـكتب فى إيصال الرسائل لذويها بأخصر طريق ، فهو يقطع المسافة بين المكلا وشبام مثلا فى ثلاثة أيام ، بينما يقطعها بالسير المعتدل

فى ثمانية أيام ، ويدفع المستلم للمكتب مبلغاً زهيداً من النقود ، أو قليلا من الحبوب كأجرة لإيصال الخطاب إليه .

وصف شامل للمدن الساحلية ومواصلاتها

تقع مدينة المكلا [1] ، وهى عاصمة حكومة القعيطى اليافعى فى الإقليم الساحلى على بعد ٢٣٠ ميلا تقريباً من عدن ، وهى أنيقة ، بيوتها عالية شامخة ، مطلية بالجير من الداخل والخارج ، فهى تشبه شريطاً أبيض اللون يحفّ بالبحر الأزرق ، وقصر السلطان الجديد والقديم يطلان على البحر، وفى أقصى المدينة من الجهة اليمنى يقوم قصر ثالث أنيق للسلطان ، و بين هذه القصور الثلاثة يمتدّ لسان من الأرض هو وسط المدينة القديمة ، و به الجامع والقلعة القديمان ، وعلى أحد جانبى هذا اللسان ترسو السفن ، وهناك ترى القوارب والسنابيك تغدو وتروح حاملة الركاب والبضائع ، ويخترق المدينة من الشرق إلى الغرب شارع كبير ، وهو الطريق الرئيسى تزدحم فيه الناس الذين يمثلون كلّ القبائل الحضرمية ، وهم لا يحملون سلاحا لأنهم يتركونه عند حراس باب المدينة ، وهناك يقوم سوق السمك ومعظمه من كلب البحر وحوانيت الصباغين حيث تصبغ الأقمشة بالنيلج الأزرق الداكن ثم حوانيت النساجين والعقادين حيث تنسج الأقمشة ، ومتاجر مختلفة من البلح والحلوى والسكر والبنّ والحبوب والزيت والسمن والطباق الحمى ، والبضائع اليابانية والهندية والهولندية ، والشاى المستورد من جاوه وسيلان والسلاح الأبيض، وتقوم المساجد الناصعة البياض بمنائرها الشامخة الساذجة وسط تلك المبانى العالية وخلف المدينة أسوار صخرية شاهقة يبلغ ارتفاعها ٦٠٠ قدم ، و باب المدينة عظيم الارتفاع محصن محفور وأمام هذا الباب يقع وادى سديد حيث أكل البحر جانباً عظيما من الأرض، وهنا على الساحل تحط القوافل رحالها فى ذهابها وجيئتها من الداخل، وهذه البقعة واسعة تسع مئات من الجمال التى تجثو على هيئة دائرة تأكل الطعام الموضوع فى الوسط ، و ينام البدو وأصحاب

(١) صورة المدينة فى أوّل الكتاب .

القوافل ملفوفين فى معاطفهم ، أو يجلسون حول نار قليلة يأكلون من صحاف خشبية [قدحان] العيش المفتت مخلوطاً بدهن ، ويجمع الأطفال فى سلال روث الجمال الذى يستفاد منه فائدة عظيمة كوقود ، وعلى مقربة من قصر السلطان القديم توجد المقابر تتوسطها قبة على ضريح الشيخ يعقوب ، وكان الهنود يحتكرون التجارة وأعمال المصارف فى المكلا ، أما اليوم فقد بدأ الحضارم يزاحمونهم ، ويبلغ عدد سكان المكلا نحو ١٩٠٠٠ بما فيهم الأجانب [الهنود والعدنيون] ، ويقوم من حضرموت إلى جاوه والعكس ١٠٠٠ تقريباً حضرمى منهم نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ يأتون ويرحلون من طريق الشحر ، ومنهم من يذهب فى قوارب ، ومنهم من يذهب إلى عدن ومنها إلى سنقافوره ، ولا يعرف شىء عن حركة الصادر والوارد ، ولا عن مقدار الرسوم أو الدخل السنوى لأن الحكومة لا تنشر بيانا بوارداتها ومنصرفاتها ، وكل ماهو معروف أن الأرز أهم الواردات وأكثره من بنغال ، ويليه الشاى من جاوه ، وإن مقدار مايستورد سنويًا من الكيروسين والجازولين ٤٠٠ صفيحة ، وهى آخذة فى الازدياد .

وعلى بعد أميال قلال من المكلا توجد أحراج من النخيل ، وبها مصايف السلطان والوزير ، وهناك ينبع ماء عذب يحمل إلى المكلا بطريق أنبوبة حديدية قليلة السمك ممدودة على الأرض يشرب منه أهل المدينة ، وهناك توجد ضيعتان [البقرين] وعلى الطريق حصنان محصنان معدان بالجنود ، وعلى مقربة من البقرين تقوم صخرة بيضاء ، ومقابل الجدارين المرتفعين الصخريين على جانبى الطريق توجد علامتان بيضاوان أقيمتا لتدلا على أىّ المواضع يعمها الهدوء ، وعلى أيتها تستعر فيها الحرب ، وليس هناك ثأر يؤخذ أو عداوة قديمة تحسم بالسلاح فى المدينة أو فيا حولها ، وتتدرج الطريق بين صخور منحدرة انحداراً عنيفاً ، وتلتوى فجأة حتى تصل أخيراً إلى هضبة يبدو أنها من الحجر الجيرى المرجانى ، وهناك فى واد صخرىّ تقوم ضيعة [هُوحس] ، وبعد هذه توجد الحرشيات وهى قرية حقيرة ، وبعد ذلك توجد قرية [بويشن] ، ويزرع الموز فى هذه الجهة فى حافة الحقول ، وفى الوادى الذى يدخل فى البحر بالقرب من بويشن توجد أشجار نخيل كثيرة وأشجار فواكه أخرى يملكها سراة المكلا ،

ولا يزيد عمق الآبار التى تروى منها الحقول هنا عن عشرين قدما ، وعلى الساحل بين بويشن والمكلا تقع روكب ، ويعلو الطريق ثانية ، وتأخذ المسطحات الجيرية المرجانية فى الامتداد إلى أعلى من مستوى الأرض حيث تنمو شجيرات البخور وأشجار اللبخ الطويلة ذات الأزهار المستطيلة ، ثم يبدو واد عريض هابط ذو تربة من الصلصال حيث ينمو العشب بوفرة ، وهنا ترعى الأغنام والحمير والجمال ، وعلى قمة عالية تقع الريدة ، وهى مركز الشحير حيث المراعى ، ومحط البدو الرحالة القاطنين بتلك الجهة ، وينحدر الممر إلى واد حيث يلتقى ، ويختلط ماء عذب من غيل باوزير ، وماء ملح من البحر ، وتقع قرية شحير على الشاطئ الآخر ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة يعيشون جميعاً فى أكواخ من الطين ، وفى مكان مرتفع تقع دار الرئيس التى تعتبر فى الوقت نفسه حصناً ضدّ كلّ مهاجم ، وأمام الدار مدفعان من النوع القديم قد علاهما الصدأ .

غيل باوزير

وراء الهضبة المرجانية على طول الشاطئ يوجد هناك حوض واسع ضحل يمدّه بالماء مجرى ينبع من الجبال الواقعة خلف مسطحات ساحل هذا الحوض والقطعة من الأرض الصالحة للرىّ هما أهم بقعة فى القطر الحضرمى لزراعة الدخان الحمى ، وتقوم مدينة الغيل التى تحمى مدخل هذا الوادى الخصيب من حافة الهضبة المرجانية ، وحين يقترب المرء آتياً من الشاطئ يبصر بجلاء حدائق النخيل ، وسرعان ما يجد المرء نفسه أمام جدار أبيض عال فيه باب كبير محصن ، ويرى قصر السلطان رازحاً ناهضاً إلى ارتفاع كبير بجوار الحائط ، ويستعمل اليوم ثكنة للجنود ، وبيوت الغيل قصيرة ، ولا شىء فيها يدلّ على ذوق سليم ، وليس هناك مناظر خلابة سوى القصر السلطانى الجميل العتيق .

وحول المدينة توجد الأرض الزراعية ، وللسلطان مساحات واسعة منها يزرعها تبغاً فتدرّ عليه ربحاً وفيراً ، وقد ابتنى لنفسه قصرين محوطين بحديقتين خارج المدينة

المصيف فيهما كلّ الفواكه التى تنمو فى حضرموت ، وقبالة أحد قصريه توجد بركة صناعية للعوم طولها ٣٠٠ قدم فى عرضها ، وعلى صفحة مائها الرقراق زورق صغير ، وتنقل محاصيل الطباق إلى المكلا على سيارات النقل كما يستجلب السماد اللازم لزراعته من الشاطئ على ظهور الإبل .

الشحر

تتصل شحير بالشحر بطريق ينحدر على الضفة الشرقية للوادى إلى الساحل ، وعلى الشاطئ يجمع الصيادون الأسماك ، والسماد أكواما وهو شاطئ رملىّ به كثبان رملية يبلغ ارتفاعها من ٢٠ إلى ٣٠ قدما ، وفى أوقات المدّ يرتفع الماء حتى يغمر بعض هذه الكثبان ، وبالقرب من الشحر ترى صخوراً مرجانية ناتئة عن الرمال ، وتقع مدينة الشحر على سطح متسع من الشاطئ الذى ينحدر تدريجيا إلى البحر ، ولهذا ترسو السفن بعيداً عنه لضحوته ، وباب المدينة كبير وجديد ، ولكن ليس به ذوق فنىّ ، والداخل إلى المدينة يفاجأ عند أوّل خطوة يخطوها برائحة كريهة ناجمة من السمك المتعفن ، وهى تكاد تكون مهجورة ، فإن هناك بيوتاً كثيرة غير مسكونة وخرائب عديدة تحاكى الشجر المسلوب أو العظام النخرة ، ولقد كانت الشحر أهمّ مركز تجارى فى القطر الحضرمى ، وكانت تعجّ بالسكان الذين يمثلون كلّ القبائل الحضرمية ، أما اليوم فقد أقفرت وأصبحت يسودها الصمت والعدم ، وتقع أبنية الحكومة فى أقصى الغرب ، وعليها مسحة من الجمال والذوق الفنى ، ولا شك أن شرفاتها المسقوفة تلائم رطوبة الجوّ فى الشحر ، وعلى مرتفع من الشاطئ تقع القلعة القديمة ، وقد عملت فيها إصلاحات حديثة ، وجعل الدور الأوّل منها مدرسة بها بضع مئات من التلاميذ ، وبالقرب منها مدافع قديمة عاطلة قد اتخذت ذلك المكان المنعزل مقعداً لها بعد أن أدت واجبها فيما مضى ، وإلى الشرق يمتدّ سهل متسع به المقابر والقباب ، ويبلغ عدد سكان الشحر ٩٠٠٠ نسمة تقريباً ، ومساجدها ٣٦ مسجداً ، ويسافر

سنويًا من ميناء الشحر من الحضارم إلى جزائر الهند الهولندية نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ ، وكلهم يسافرون تقريباً إلى عدن ، ومنها إلى حيث يقصدون ، ولا يعرف بالضبط مقدار الصادر والوارد ولا الدخل السنوى من الميناء ، وكلّ ما يعرفه الناس أن الأرز والشاى وغاز البترول أهمّ الواردات .

وطريق السيارات من المكلا إلى الغيل وإلى الشحر ممهدة معبدة ، ولكنها فى حاجة إلى زيادة الإصلاح والتعمير .

وصف شامل للمواصلات بين الثغرين والسهول المنخفضة الداخلية

من المكلا إلى دوعن

أول ما يبدو للراحل من المكلا بعد خروجه من حدود الحرشيات روابى وادى حمم الشامخات حيث يتدرّج فى الصعود مخترقا وادى اللصب ، وأرض هذا الوادى عبارة عن مجموعات من الصخور الحمراء ، وبه بعض أشجار اللبخ والسنط ، وبعد مسيرة ساعة يصل قرية لصب ، وهى تقع عند النقطة حيث يبدأ الوادى فى الضيق ، وتقترب السلسلتان الجبليتان من بعضهما ، وقد حفر مجرى لرىّ حقول الذرة والنخيل يتخذ ماءه من نهير صغير ، وعلى حافة هذه الحقول تنمو أشجار الموز وأكثره من النوع المسمى فى جاوه [Pisng Ambon] ، ومنازل هذه القرية أشبه بالقلاع ، وشبابيكها عبارة عن كوى صغيرة ، وبعد القرية يضيق الوادى ويتقارب الجبلان ، ويبدأ ذلك النهير فى الظهور ، وعلى حافتيه تنمو نباتات سرخسية ، وبه أسماك وضفادع سوداء ، ويتدرج الوادى فى الصعود ، وينعدم ذلك النهير ، ويصبح الصعود صعب المرتقى ، ولكن الذى يدعو للعجب هو تعوّد تلك الجمال على صعود الجبال ، وإذا اختلّ توازن أحدها نبهه صاحبه قائلا : « إلى اليمين ، إلى اليسار » ، فسرعان ما يستعيد توازنه ، وفى نهاية الوادى تقوم هضبة وعليها تنمو أشجار النخيل والذرة ، وعند نهاية الهضبة تقوم قرية لبيب ، ثم

يعرج المسافر إلى وادى حمم ، وكلما بعـد أوغل الوادى فى الضيق ، و بعد مسيرة أميال توجد بئر ذات أدراج يشرب منها الإبل ، واسم هذه البقعة الخلاّف ، ووادى حمم من المناطق الخطيرة ، فيجب على المسافرين أن يحترســـوا و يأخذوا حذرهم ، وعلى أحد منحدراته تنمو أشجار النخيل والنارجيل والموز والطباق ، وفى تلك المنطقة وما بعدها تكثر السقايات ، وهى عبارة عن أحواض صغيرة عليها قباب ، و يملؤها بالماء يوميا أشخاص تدفع رواتبهم من الأوقاف التى وقفت على هذا العمل الإنسانى النبيل ، وفى كلّ سـقاية إناء صغير من الخزف أو الصفيح ، أو نصف قشرة من النارجيل لتناول الماء بها ، والكلّ يشربون من إناء واحـد ، لا تمييز بين العزيز والوضيع ، والظمأ الشديد يجعل العزيز لا يأبه لمثل هذه السفاسف ، و بعد زمن قصير تبدو قريتا الغيضة والغياضة فى وسط حقول الطباق وأحراج النخيل ثم يســير فى مجرى السيل مخترقاً الهضبة ، وعلى ارتفاع خمسين قدماً عند نهايتها تقع بلدة حمم ، وبها سمى الوادى ، وعند سـفح التلّ توجد أجمة مرتفعة من النارجيل ، ومجرى صغير من الماء المستمدّ من العيون يروى حقولا خصيبة من الذرة والطباق ، و يبلغ عدد سكان قرية حمم بين ٢٠٠ و ٣٠٠ نسمة ، ومصدر قوتهم زراعة الطباق .

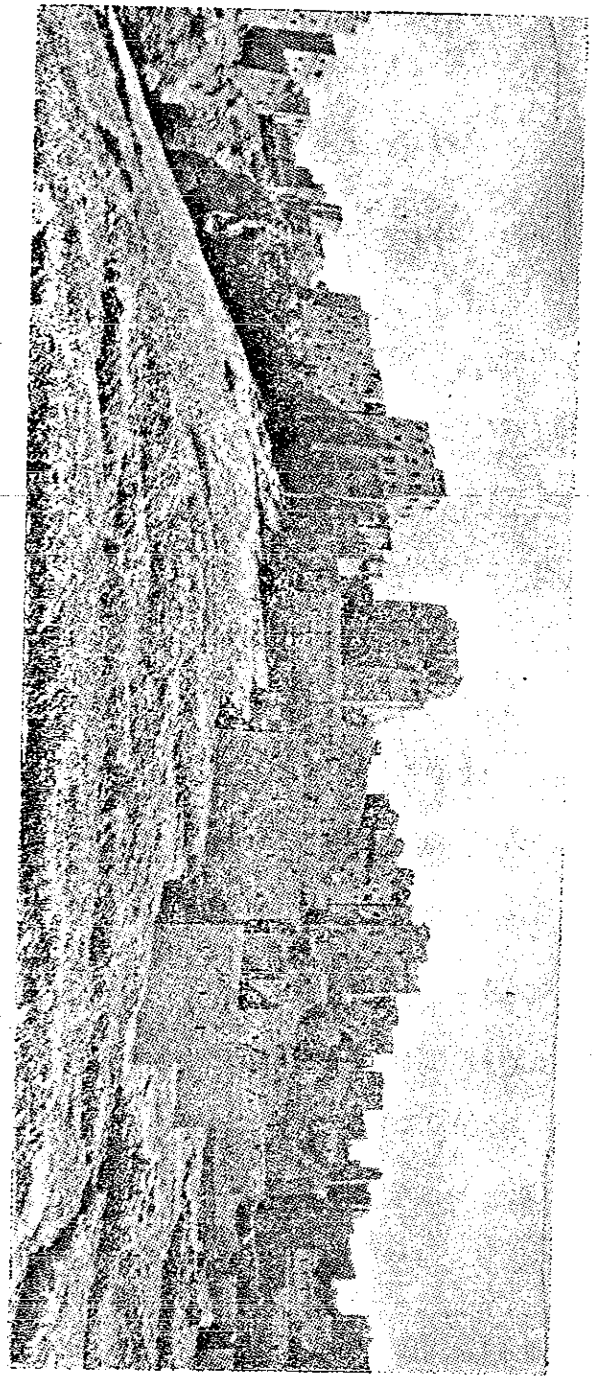
و بعد اختراق العقبة يصل إلى حافة الهضبة ومن أعلاها ترى الشحر و إلى الشمال كورسيبان ، و إلى الشرق والغرب تقوم جبال مختلفة الارتفاع تشــقها الوديان ، ثم يأخذ الطريق يتعرّج فى ذلك الوادى المنحدر حتى تصل إلى نهايته . ثم يخترق هضبة صغيرة ، و يدخل وادى لصوب العريض القحل ، و به منازل صغيرة مبعثرة هنا وهناك ، وفى هذه المنطقة تنمو أشجار النبق بكثرة ، ثم يسير على أرض مسطحة من الصخر الجيرى تخترقها وديان طولية وعرضية ، و إلى الغرب من كورسيبان تمتد هضبة مسطحة ملأى بما يسمونه النقابات ، ثم يســير فى الجول ، وهو عبارة عن مسطحات من الأرض على قمم الجبال تفصلها عن بعضها وديان عميقة ، وليس بها أىّ نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ، ولا حيوان اللهم إلا بعض السحالى والطيور ، وجوّها حارّ قائظ أثناء النهار ، وبارد قارس أثناء الليل ، والبدو لا يتأثرون به حيث ينامون فى

العراء ، والنصف الأعلى من جسمهم عار ، ولكنهم يوقدون ناراً يجتمعون حولها ردحاً كبيراً من الليل يغنون أغانيهم التى لايستطيعها غيرهم ، وبعد مسيرة أميال عديدة يلقى قرية يقال لها دمحه ، وتتكوّن من بيوت طبقاتها الأولى من الحجر ، والأخرى من الطين المجفف ، ويسكن رئيسها فى قلعة منيفة ، والعميان فى هذه القرية كثيرون ويستمرّ فى السير فيصل بعد ساعات البريرة وبها قرية صغيرة ، ثم يأخذ فى الاقتراب من وادى دوعن ، ويسير فى أراضى مسطحة ذات أحجار داكنة حتى يصل إلى قمة مهبط عظيم يؤدى إلى الوادى ، وعند مبدإ ممرّه تقوم قلعة حصينة من الصخر الصلد ، ومثيلها فى الحافة الأخرى ، وتوجد قلاع أخرى فى كلّ منطقة تشرف على سلامة ذلك الوادى ، وعند نهاية ذلك المهبط فى المناطق المنخفضة توجد حقول الحبوب الخضراء ، وتنتشر أحراج النخيل ، والقرى متناثرة على مسافات متقاربة ، ويقيم باصرّة حاكم دوعن بالنيابة عن حكومة القعيطى فى قصر منيف يقال له المصنعة ، ولهذا القصر شبه كثير بقلعة فى القرون الوسطى بحصونه الجانبية وأسواره وأبوابه الثلاثة الخشبية الثقيلة ويبلغ عدد القرى فى وادى الأيمن من دوعن خمسين قرية بها نحو ٢٠ ألف نسمة ، ونحو ٢٠٠ مسجد بعضها جميل للغاية ، وثلاث مدارس صغيرة ، أحدها فى خريبة عاصمة وادى دوعن ، وهى بلدة صغيرة بها سوق صغير وأربعة مساجد عظيمة وعشرون مسجداً صغيراً ، ولما كان اسمها يدلّ على « الخرائب » ، فقد استنتج بعض الجغرافيين أنها تقوم على أطلال مدينة دوعن القديمة التى سمى الوادى باسمها ، وقدكانت مقرا للاباضية ، ولما أبيدوا هدمت مدينتهم وقد ورد ذكرها عند الجغرافيين القدماء أمثال بطليموس الذى ذكرها باسم Toani « توانى » ، والطريق إلى العقبة الغربية يؤدى إلى عمد وعند ملتقاه بوادى دوعن تقوم قلعتان حصينتان بهما حامية من يافع ، وتقطع المسافة بين المكلا ودوعن بالسير المتوسط فى أربعة أيام ، وأهل دوعن من أنشط الحضارم هجرة إلى الخارج ، ففى كلّ سنة يهاجر من وادى الأيمن حوالى ١٠٠٠ شخص إلى الحبشة ، وسواحل إفريقيا الشرقية ، ويذهب منهم حوالى

١٠٠ شخص إلى جاوه وما جاورها من الجزائر ، ويهاجر من وادى الأيسر سنويًا إلى جاوه وجزائرها حوالى ٥٠٠ شخص .

من دوعن إلى المشهد

تبتدئ الطريق من دوعن إلى صيف فى الانحدار ، وتقل المزروعات والقرى تدريجيا ، وتأخذ أشجار النبق تحل محل النخيل ،وهو مصدر ثروة الاقليم ، ويعتنى الأهلون بأشجاره عناية تفوق الوصف ، وعلى حافة تلك الأحراج توجد حقول يزرع فيها الذرة صيفاً والبرّ شتاء ، وهى متوقفة على ماء المطر الذى قد يهطل فى الخريف ، وقبل صيف تنعدم هذه الحقول ، ويصبح الوادى أحجاراً عارية ، وعلى طول الطريق توجد السقايات ، وبعد بضع ساعات تظهر قرية صيف وهى قرية فقيرة وغير صحية ، إذ يظهر على وجوه سكانها القليلين شحوب وهزال ، ثم يأخذ الوادى فى الاتساع وتنتشر الحقول ، ولكن ليس للنخيل أثر ، والتربة هنا عكس تربة أعالى دوعن فهى عبارة عن تراب ناعم يسهل السير عليه ، ولكنه يثير غباراً يجفف الحلق ، ومن حسن الحظ أن السقايات منتشرة على طول الطريق تخفف وطأة العطش ، ثم تنعدم النباتات اللهم إلا بعض أشجار النبق تتفيأ ظلالها الراعيات بقطعانهنّ التى تلتقط الورق المتساقط ، وبعد مسيرة بضع ساعات يبدو جبل الهجرين ، وعند سفحه تنمو بعض أحراج النخيل ثم تظهر الهجرين ، وهى بلدة عليها مسحة من الفقر ، إذ ليس بها بيوت مطلية باللون الأبيض ، ويبلغ عدد سكانها نحو ٣٠٠٠ نسمة .



مدينـــة المجرين

وبعد الخروج من حدود المجرين . وهى منطقة نفوذ القعيطى فى دوعن تظهر



مسـجد الهجرين الأثرى

منطقة فاحلة ، وليس لليافعى ولا للكثيرى ولا للنهدى سـلطة عليها ، فهى فى نظر

الناس منطقة حياد ، ولذلك أصبحت مسرحاً لقطاع الطرق واللصوص ، وهى فى مسيرة نصف ساعة ، وتكتنفها قلاع وحصون قديمة وأطلال دارسة ، ويظهر أن هـذه المنطقة كانت فيما مضى مدينة قديمة .

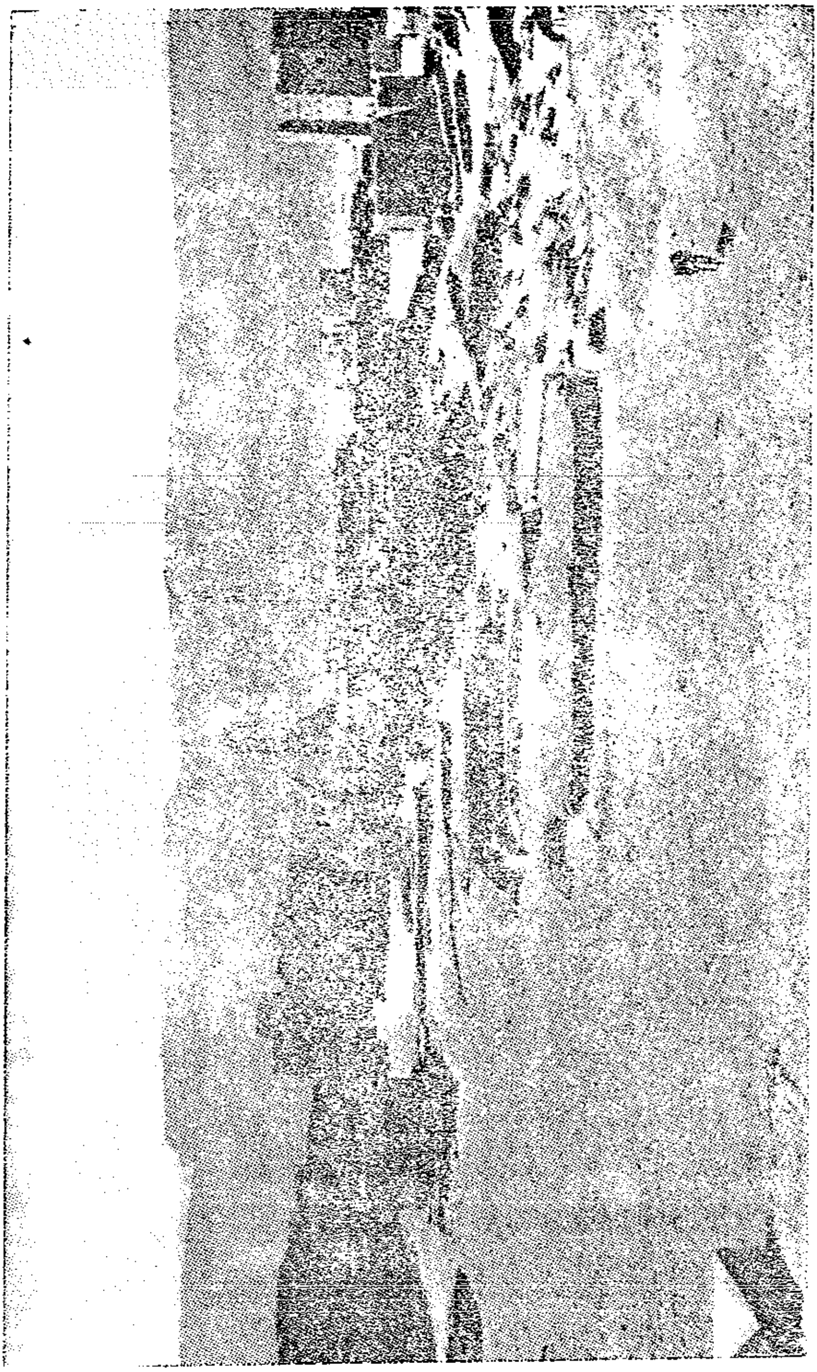


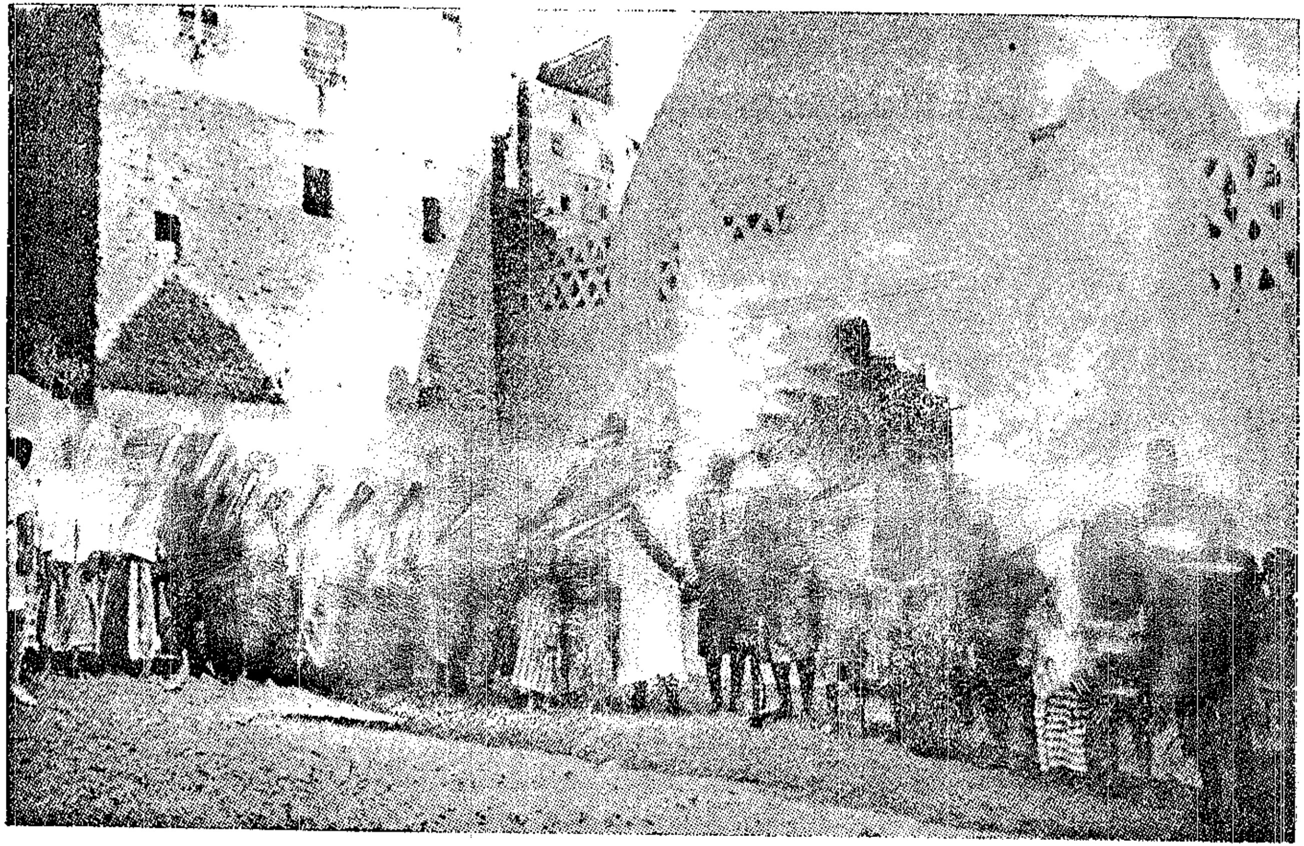
منطقة حياد بين الهجرين والمشهد

ثم تبدو المشهد وهى قرية تقع فى وسط الوادى الممحل ولا يسكنها أحد إلا الزائرون الذين يأتون فى العام مرّة ، ويقضون هناك بضـعة أيام لزيارة ضريح علىّ بن حسن العطاس ، وينتهز التجار تلك الزيارة ، فيعرضون متاجرهم ، وهكذا تتحوّل الزيارة إلى سوق كما هو الشأن عنـد زيارة ضريح عمر بن محمد الهدار فى القطن ، وعلى مقربة من المشهد توجد أطلال غيبون[1] ، وتقطع المسافة بين دوعن والمشهد فى يومين بالسير المعتدل .

---

(١) راجع صفحة ٥٧ من الجزء الأول .





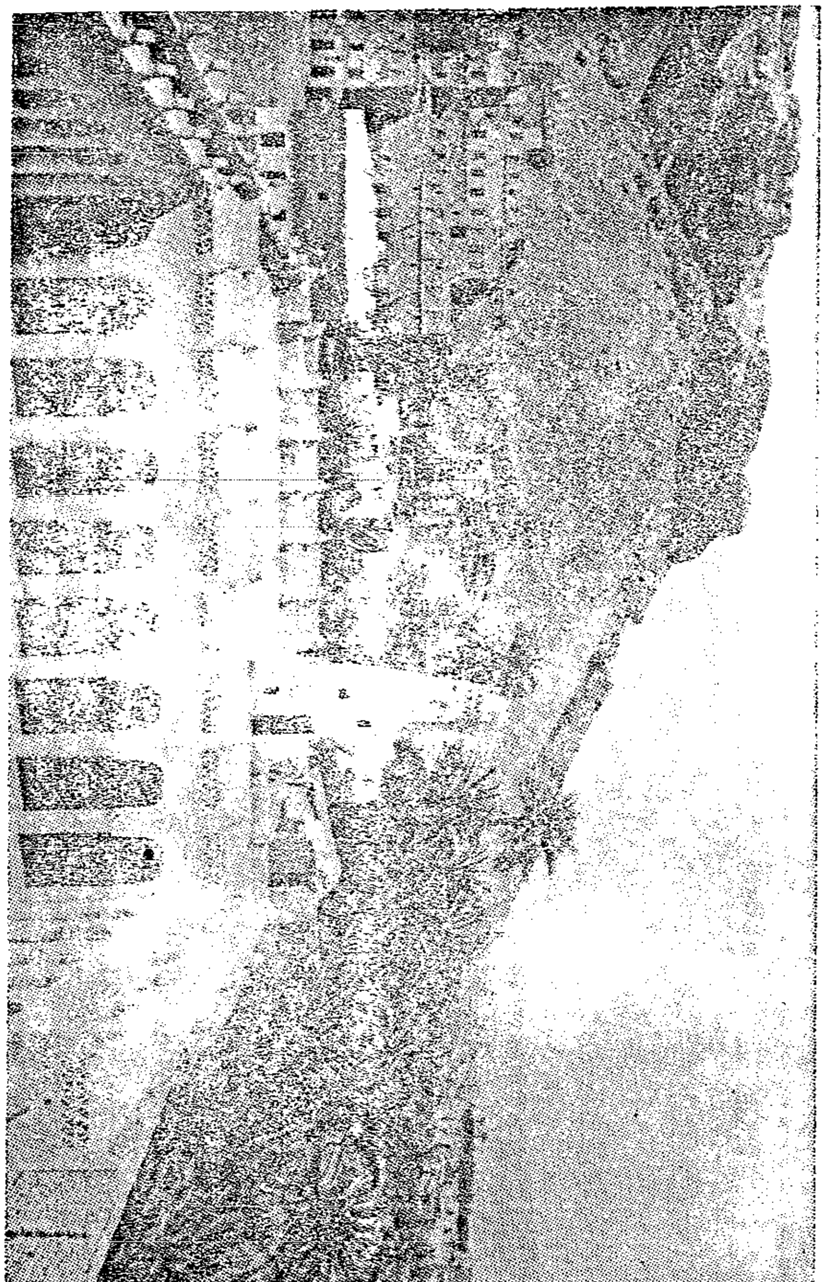
المنصب وهو شيخ المشهد وحوله جماعة من العوام السذج

من المشهد إلى شبام



قــرى القطن

لا يلقى المسافر فى هذا الطريق بل إلى نهاية الوادى [سيحوت] عقبات ولا تلالا

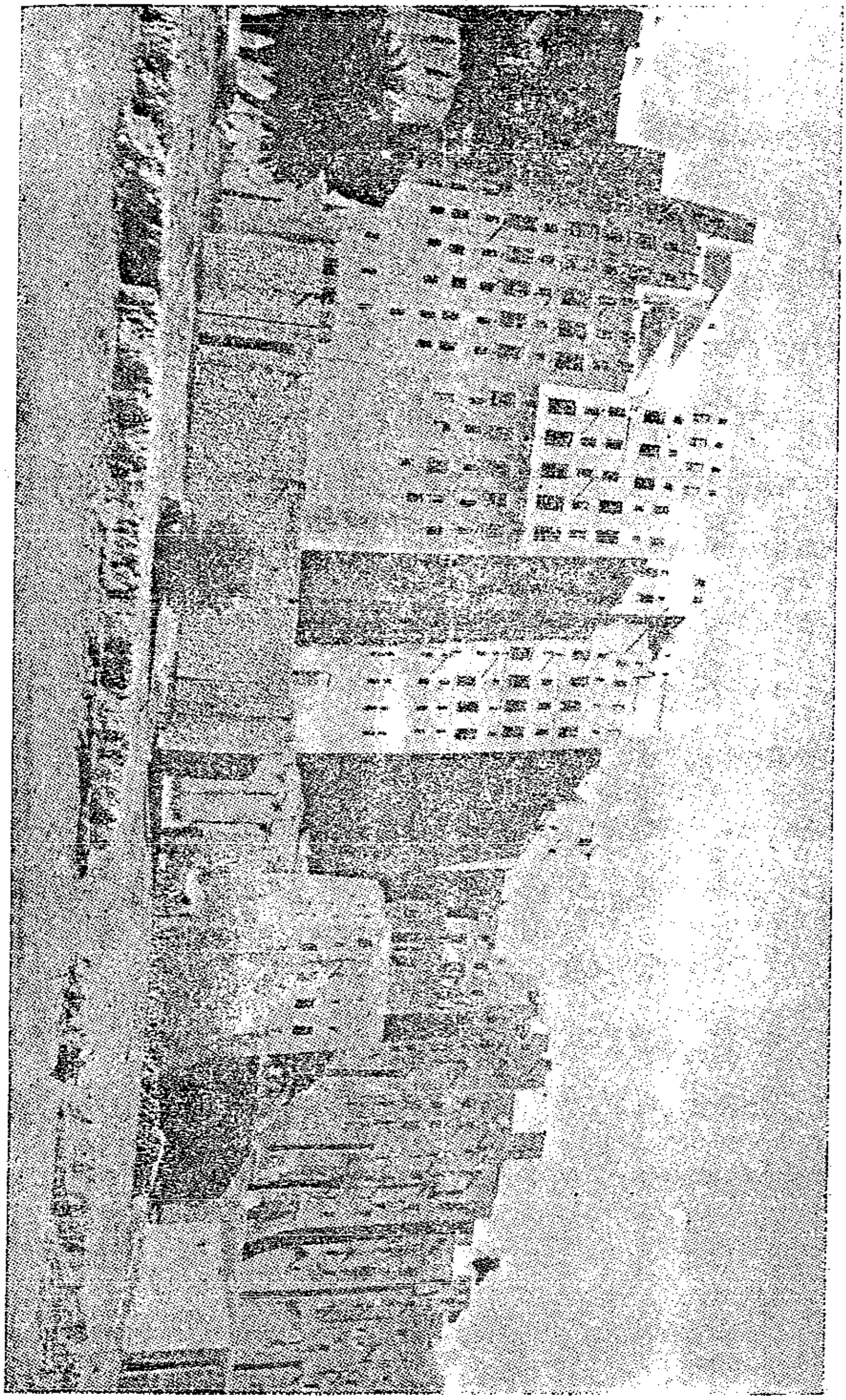


مدينـة الطـور

صخرية ، وكلّ الأرض فى هــذا لوادى رئيسى العريص مســطحة . وتتقارب

فيه المدن والقرى ، وتكاد تتصل هناك أحراج النخيل بعضها إلى فضة ، والماء متوفر والأمن موجود ، فلا قطاع طريق ولا لصوص .

يخرج المسافر من المشهد فيخترق منطقة نهد ، ويلقى على جانبيه سلسلتين من القرى : فإلى الغرب قرى نهد من لحماس إلى تموظة ، وإلى الشرق سد به وحورة والمجلانية وديار آل عمر باعمر ، وأمام كلٌ من السلسلتين تقوم أحراج النخيل فى حواجز من الأرض يشقها نهران تمرّ فيهما سيول الأودية العليا ــ دوعن وعمد من الغرب ووادى العين من الشرق ــ ثم يمرّ فى الباطنة ، وهى قرية صغيرة مكوّنة من بيت ضخم شاهق لأحد أعيان آل باعلوى وكوخ ومسجد كبير مغلوق لا يصلى فيه أحد ، ثم تبدو أمامه القرط ، وهى أوّل قرية من قرى القطن ، ومن هنا تكثر أنواع النخل مما ليس لها وجود فى المناطق العليا ، ويصبح الماء عزيزاً وقريباً من سطح الأرض ، وتنتشر المزارع التى تسقى بماء الآبار ، ويستمرّ فى طريقه مخترقاً قرى القطن بحصونها الشامخة ، وأحراج النخيل الشماء والحقول الخضراء ، وتكاد تكون هذه المنطقة أكثر أمناً من جميع مناطق القطر الحضرمى ، ثم يصل إلى شبام بعد بضع ساعات ، وتقطع المسافة بين المشهد وشبام فى يوم ونصف تقريباً ، وشبام من أمهات مدن الحضر وهى عاصمة الحكومة القعيطية فى الداخل . وأكثر بيوتها عالية ، ومطلية من الداخل والخارج بالجير مما جعل لها منظراً يتجلى بياضه الناصع من بعيد ، وهى مع كثرة عدد سكانها الذين يبلغون نحو ١٥ ألف نسمة محصورة وسط سور كبير ، فالبيوت ملتصقة ببعضها والشوارع ضيقة ، وهى أنشط مدن حضرموت تجارة وأكثرها حركة ، وبها مساجد كبيرة منظمة .



جانب من مدينة شبام

ومما تؤاخذ عليه مدينة شبام قذارة شوارعها ، فمياه المراحيض تسيل فى مجار ضيقة مكشوفة وسط الأزقة ، ولذلك يلقى السائر فى هــذه الشوارع الصغيرة روائح كريهة تنبعث من تلك المجارى القذرة ، وأمام شبام بالقرب من الجبل الشمالى تقوم مبان جميلة وسط الحقول وأحراج النخيل يملكها أفراد من ذوى اليسار ، وهــذا المكان أشبه بمنتزه ، ويقال له سحيل آل مهرى ، وتعد شبام من الناحية الاقتصادية قلب حضرموت وحلقة اتصال بين البلاد فى المناطق السفلى [حدرى] وبين بلاد العوالق واليمن ، فجميع القوافل ترد إليها ، وتباع فى يومها على يد سماسرة [دلال] هم أمهر سماسرة حضرموت ، وفى استطاعة التجار الشباميين أن يرفعوا أسعار المتاجر ويخفضوها ، وهم حجة فى ذلك فى سائر البلاد الداخليه .

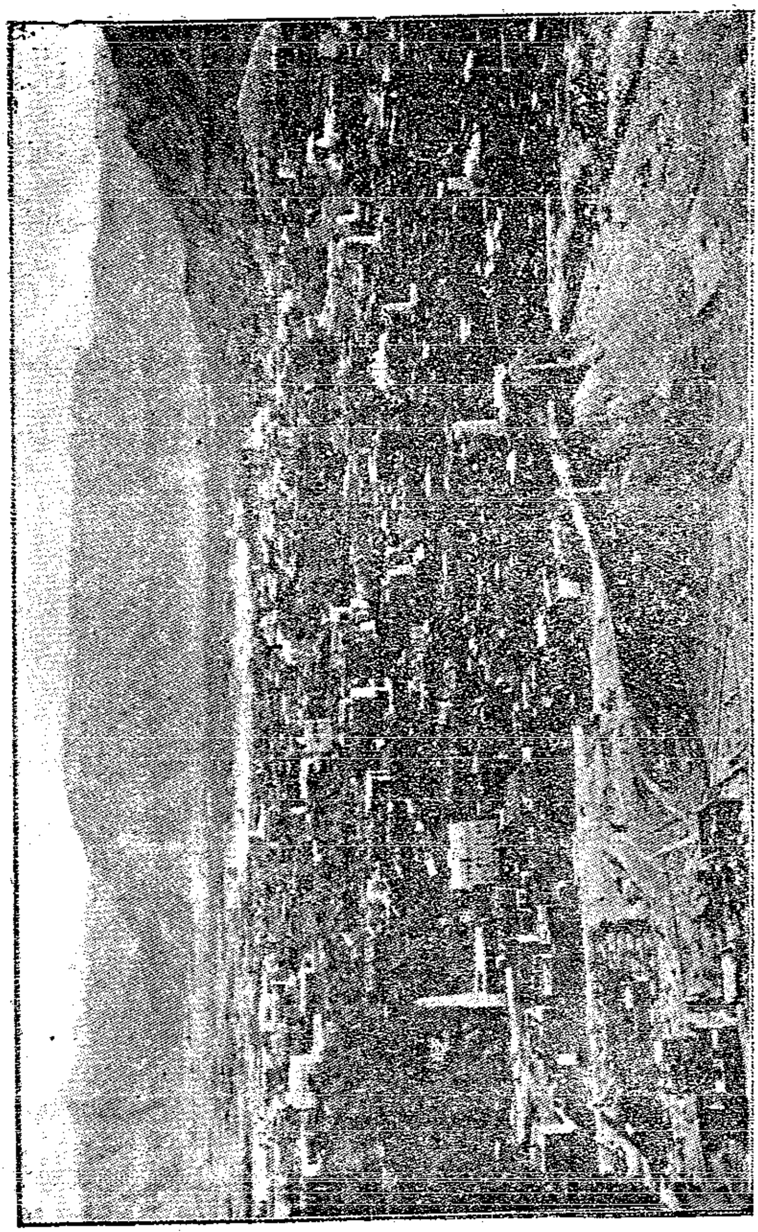
من شبام إلى سيون

وتنبسط أحراج النخيل من شبام إلى سيون بشكل يبعث الإعجاب ، وتنتشر المزارع الخضراء ، والقرى منتشرة ، ويأخذ الوادى فى الاتساع ، ثم تبدو مدينة سيون بعد مسيرة بضع ساعات ، وسيون عاصمة الحكومة الكثيرية ، وهى من أكبر مدن حضرموت ، وهى محاطة بسور كبير وبيوتها عالية ، وتوجد بها شوارع واسعة وسوق كبير ، ولكنها أقل حركة ونشاطاً من سوق شبام ، ويبلغ عدد سكان سيون ٢٥ ألف نسمة تقريباً ، والمسافة بين شبام وسيون نحو خمس ساعات ، وبها مدرسة النهضة العلمية وهى أكبر مدرسة فى القطر الحضرمى تأسست سنة ١٣٣٩ .



جانب من مدينة سيوة

من سيؤن إلى تريم



مدينة تريم

تبعد تريم عن سـيون بنحو ٨ ساعات فى طريق سهل مخترقاً مزاع وأحراجاً —

من النخيل ، وهى من كبريات المدن التى يشار إليها بالبنان ، وتوجد بها مبان ضخمة وبيوت شامخة يتجلى فيها الفنّ الحضرمى الجميل ، والحضارة فى هـذه المدينة أظهر مما هى فى شبام وسيون ، والعمارة فيها آخذة فى ازدياد ، وبها مساجد كبيرة ، وشوارعها لا تختلف فى شكلها عن شوارع سيون فى كثرة منعطفاتها وأزقتها الصغيرة التى تشبه الشرايين ، وتعدّ تريم أنشط مدينة فى القطر الحضرمى من الناحية العلمية الأدبية ، فهناك كتاتيب ومدارس ابتدائية تبذل غاية مجهودها فى علوم اللغة والدين ، ويبلغ عدد سكان تريم ١٥ ألف نسمة تقريباً .

والطريق من حوطة القعيطى بالقطن إلى شبام فإلى سيون ثم إلى تريم ممهدة تمشى فيها السيارات من غير صعوبة كثيرة لانبساط الأرض فى هذه المنطقة .

من تريم إلى قبر هود

بعد مسيرة ساعات من تريم تظهر عينات ، وهى مدينة كثيرة المساجد والقباب شوارعها ضيقة تحيط بها غابة من النخيل ، وموقعها عند ملتقى كلّ الطرق المؤدية إلى قبر هود ، ويبلغ عدد سكانها نحو خمسة آلاف ، ويجلب إليها الماء من مسافات بعيدة لأن ماءها لا يصلح للشرب ، وكانت مدينة عينات فى سابق عهدها من أكبر مدن حضرموت ، ولكنها فى السنين الأخيرة أخذت تتدهور بسبب وجود النقرة الناجمة عن نحت السيول بعد تهدم السدود أضف إلى ذلك أن قوّة السيل قد تتزايد بمياه الأودية الجانبية ورخاوة التربة ، وعندما تتعرّى جذور النخيل يقلّ محصولها ، وفى النهاية تسقط ، فمنطقة النخيل الفسيحة المحيطة بعينات آخذة فى التلاشى بسبب تلك النقرة ، وقد تهدمت مشروعات الرىّ ، وتغطى كلّ شىء بطبقة من الرمل الأبيض ،

ولهذا فان أشجار النخيل مقضى عليها ، وبعد عينات تقع مدينة قسم وهى محوطة بسور متهدم ، وقد تأثرت أراضيها بتلك النقرة فاختفت صناعة البلح وهاجر أكثر أهلها وأمسى عدد سكانها بضع مئات بينما كانت غاصة بالألوف فيما مضى ، وبعد الخروج من حدود قسم تمرّ بقرى خربة وقلاع على شاكلة قلعة قسم والماء موزع هنا وهناك بين قيعان السيول وهو ماء أجاج فى الغالب ، ولو أنه فى بعض البقاع صالح للشرب نسبيا ، ويفضل السكان مياه الآبار ، وتشرب دوابّ الحمل مياه النهر التى تظهر أحيانا وتختفى أخرى متخذة فى باطن الأرض طريقاً لها ، وفى ذلك الصقع المنكود تقوم قرية باحفار ، وهى قرية بائسة سكانها فقراء يعيشون فى أكواخ ، وقد تهدمت منازلها الطينية فى نزاع قبلى ، ويكثر هنا النساء لأن كثيراً من الرجال قتلوا فى الحروب ومن بقى منهم هاجر إلى بلاد غريبة عنه ، وكذلك الشأن فى أكثر القرى التى فى هذه المنطقة المقفرة بين عينات وقبر هود ، ويستمرّ الوادى فى الاتساع وتتكون التربة من طبقة سميكة من اللويس ، ويتعرّج الطريق بين شجيرات الأراك الأخضر ، وكلما توغل فى السير كلما يقحل الوادى العريض ، وبعد مسيرة بضع ساعات تدخل فى منطقة حافلة بالأطلال الفخمة أكبرها أطلال العر[1] وثوبى ، وبعد بضع ساعات من هذه المنطقة الأثرية تقع قرية سوم الصغيره تحيط بها حرجة من النخل ، والماء هناك عذب وهو قريب من سطح الأرض ، ولكن الناس هناك لايهتمون بالزراعة كثيراً ، وبعد مسير ثلاث ساعات من سوم تقع قرية فغمة ، وهى مكوّنة من عدّة بيوت من الطين محوطة بالأكواخ ، وهى آخر محط قبل قبر هود ، ولا بدّ من السير بعدها أربع ساعات ، وبعد فغمة تخترق أحراجا صغيرة من النخيل بها أكواخ حقيرة ، وهنا تجتمع أفواج من البدو كلّ عام يحتفلون بزيارة أحد الأولياء ، وهى أيام هدنة للزيارة والتجارة عندهم .

ثم يبدأ الوادى فى الضيق والطريق فى جملته لا بأس به ، وهو يمرّ تارة فى تلال

(١) راجع صفحة ٦١ من الجزء الأول .

رملية قاحلة ، وتارة بين شجيرات الأراك والأثل حتى تصل إلى قبر هود[١] بقبته البيضاء، وأمامه بيوت يلجأ إليها الناس أيام زيارة ذلك الضريح المقدس ، ومن ورائه تلال شماء سمراء كأنها شهود عدل منذ القدم على هلاك قوم عاد بصمتها البليغ الرهيب .

من قبر هود إلى سيحوت

يبتدئ النبات يقلّ تدريجيا من قبر هود ، ويأخذ الوادى فى الانحدار ، وبعد مسير بضع ساعات تخترق منطقة الجزع ، فينعدم النبات والماء مسافة ثلاثة أيام ، وتكثر أكوام الرمال فى الجنوب الشرقى من الوادى حتى تصل إلى المسيلة ، وهى قرية أغلب سكانها عبيد المهرة ، ثم بعد مسير ساعة تقع قرية العيص ، وهى مكوّنة من أكواخ طينية ، ثم يستمرّ الطريق فى الانحدار والانحناء نحو الجنوب حتى يصل سيحوت حيث ينتهى الوادى الرئيسى ، ويبدو البحر العربى ، وتقطع المسافة بين قبر هود وسيحوت فى نحو سبعة أيام بسير الجمال المعتدل ، وبالرغم من قحولة هذه المنطقة وقفرها فان الأخطار التى تعترض المسافر فيها قليلة بالنسبة لمنطقة الدّين وكورسيبان ، على أن المسافر لا بدّ له من استصحاب خفير من المهرة أو من المناهيل ليكون فى مأمن من تعدّى اللصوص وقطاع الطريق .

من الشحر إلى تريم

يفضل كثير من سكان سيون وتريم وملحقاتهما المرور من طريق الشحر حينما يسافرون إلى مهجرهم أندونسيا ـ أو عند ما يئوبون إلى وطنهم ، وذلك لأن مهبط هذا

---

(١) راجع صفحة ٦٢ من الجزء الأول .

الطريق وهو عقبة المسندة ينحدر على تريم ، ثم إن المسافة فيه أقلّ بيوم تقريباً من المسافة التي يقطعها المارّ فى طريق المكلا مخترقا دوعن أو وادى العين ، فالمسافة من الشحر إلى تريم نحو سبعة أيام ، أما من المكلا إلى تريم فلا تقلّ عن ثمانية أيام ، ولقد حاول أحد سراة تريم ، وهو السيد المفضال أبو بكر بن شيخ الكاف العلوى إصلاح طريق الشحر وتعبيده ليتسنى للسيارات المرور فيه ، وتقطع المسافة من تريم إلى الشحر فى ساعات معدودات بدلا من سبعة أيام ، وفعلا شرع يصلح الطريق ويمهدها ويعبدها على حسابه الخاصّ مبتدئاً من تريم ، ثم انقطع العمل فجأة عند ريدة المعارة بعد أن أصلح نحو ١٠٤ أميال ، وأصبحت السيارات بفضله تمرّ من تريم إلى ريدة المعارة من غير صعوبة تذكر ، ولم يبق من الطريق سوى ثلثه تقريباً .

والحقّ أن إصلاح طرق حضرموت ذات العقبات الوعرة من أكبر المشاريع الوطنية الخيرية ، وليس فى استطاعة الواحد مهما كان غنيا أن يقوم باصلاحها ، ولكن المفضال أبا بكر بن شيخ الكاف استطاع بهمته العالية التى دكت عقبة المسندة أن يقوم بتعمير جزء كبير من ذلك الطريق الوعر .

ولقد كان من المنتظر أن يقوم غيره من ذوى الهمم العالية ، كولاة الأمور ، وأرباب المال بتعمير ما بقى من الطريق لتنشط المواصلات بحضرموت ، ويأخذ هذا الوطن البائس حظا ولو قليلا من مدنية القرن العشرين ، ولكن لم نحسّ لهم ركزاً ، وبقيت المواصلات كما هى على ظهور الدواب منذ آلاف السنين .

يخترق المسافر من الشحر إلى تريم هضبة يبلغ طولها نحو ١٥ ميلا ، وترتفع عن سطح البحر تدريجيا مخترقة الصرك والقياعين ، وتعلو فجأة عند عقبة العرشة التى يبلغ ارتفاعها نحو ٣٥١٠ أقدام ، وهى كثيرة المنعطفات والتعرجات ، ولكنها سهلة المرتقى وعند سفح العقبة ينبسط الطريق تقريباً ، ويمتدّ فى خط شبه منكسر إلى ريدة المعارة مخترقا الغلاغيل ، ثم يستمرّ فى طريقه إلى جرو ، وليس بهذه المنطقة من الريدة إلى حرور أىّ نبات اللهم إلا على الحافة حيث تصطدم بها بعض السحب ولا حيوان

إلا بعض السحالى والطيور ، وكلّ الأرض ملأى بالصخر الرمادى الداكن ، وهى على وجه العموم لا تختلف عن جول وادى دوعن فى تشابه مناظره واقفاره من كلّ مظهر للحياة ، ثم تظهر عقبة المسند ، وهى كثيرة التعاريج والمنعطفات تكتنفها هوّات عميقة هائلة ، ولـكن الطريق معبد يسع لمرور سيارة واحدة ، وتنحدر تلك الحيطان الجبلية انحداراً يبلغ نحو ٩٠٠ قدم ، ومن هـذا المنحدر تظهر مدينة تريم الغناء ببيوتها ومساجدها ومنائرها البيضاء كأنها ركامة من الثلج وسط تلك الأحراج من النخيل والمروج الخضراء .

من ميفع إلى الصدارة

تقع ميفع على مقربة من البحر ، وهى منفذ وادى حجر ، وتعدّ أخصب منطقة فى الإقليم الساحلى إذ يغور فى أراضيها الجزء الأكبر من ماء نهر حجر ، ولعـدم وجود مشروعات زراعية تردم تلك المستنقعات تجد حمى الملاريا منتشرة فى أهالى ميفع الأمر الذى بعث فى أولئك السكان الهمود والخمول عن القيام باستغلال أراضيهم الخصيبة ، واستنزاف بركاتها الواسعة وخيراتها الوافرة ، ولذا تلقاهم فى فقر مدقع ، وأفراد الخاميـة القعيطية اليافعية قد ذهبوا ضحية الحمى ، ولم يبق منهم فى قيد الحياة سـوى واحد لا غير ، وتتكوّن بلدة ميفع من بيوت ضئيلة هى أشـبه بأكواخ صغيرة ، وبعد سير ثمـان ساعات تقريباً يقوم جبل هوته ، وبه السور المتهدم الذى احتمى به يافع فى حرب حجر الأخيرة ، وعلى مقربة من هـذا السور قبور القتلى منهم ، وعليها علامات من الحجر ، ثم تنحدر من الجبل إلى بقعة بها عين يسيل ماؤها من غير هدى ولـكنه آسن حتى الإبل لا تقوى على الشرب منـه ، وتخترق بعـد ذلك جبال ذات مناظر فى غاية الفخامة والجمال ، ويتعدم المـاء فيها لمدّة ساعات طوال ، ثم تصل الغبر وتخترق الوادى ماشـياً على ضفة النهر اليمنى أو اليسرى ، وبين مسافة وأخرى توجـد حقول الذرة ، وبها أكواخ لإقامة حرّاسها ، وفيما عـدا ذلك يكون الوادى عـديم السكان

ويأخذ الوادى فى الضيق ، وتقلّ الأراضى الصالحة للزراعة ، وفى بقعة ينحنى النهر فجأة فى زاوية قائمة ، فاحتفر لنفسه مجرى فى غاية العمق ، ويكثر الرمل الأبيض على شاطئه ، وتنتشر الأشجار ومنها النخل ، ثم تصعد جبلا ، وهناك يختفى النهر حيث يتخذ طريقه فى ناحية أخرى ، وتسير فى ممرّ ضيق ، ثم يظهر الوادى خانقاً يمرّ فيه النهر تحت الأرض ، وقاعه مغطى بالصخور الهشة ، وتظهر بعد ذلك قرية مصينع الحقيرة ، وهى مكوّنة من منازل بدون حيطان أماميـة وخلفية ، فهى عبارة عن أنفاق تصل ما بين النهر والجبل ، وسكانها متوحشـون ، وهم أشبه بعراة يحتقرهم سكان الوادى ، وتمرّ فى السهل الذى به القرية ، وأرضه مغطاة بالأحجار الحمراء القاتمة ، وبعد ساعتين تنعدم الأرض المنزرعة ثم تظهر ثانية ، ويقترب الجبل من النهر ، ويضيق الوادى ثم تخترق منطقة خصيبة جدا ، وهناك توجد سدود قليلة الارتفاع لحجزه المياه هى أشبه بالحواجز الأرضية فى داخل حضرموت المسماة [جروب] ، وتكثر أحراج النخيل التى تمتدّ على طول النهر والتلال تجعل الإقليم حصيناً من الوجهة الحربية ، وهو من الأقاليم التى كان عليها نزاع بين يافع وقبائل حجر ، وتظهر بعد ذلك قرية حُوت الصغيرة ، ثم أحراج النخيل ، ويأخذ الوادى فى الضيق ، ثم بعـد ساعة توجد قلعة بها حامية من يافع ثم قلعة أخرى بها حامية من قبائل حجر ، وتنتهى الطريق أخيراً إلى أشجار اللبخ ، ثم أعشاب كثيفة ، ثم شـجيرات ، ثم حقول الذرة الواسـعة ، فحدائق النخيل ، فبلد الصدارة ، وبالقرب من الصـدارة توجد ينابيع مياه حارّة ، ويروى بها النخل ، وهى لا تؤذى جذوره .

ويلبس مرشدو القوافل فى وادى حجر نوعا غريباً من الأحذية يغطى كل القدم من أعلى وأسـفل ، ويحدث صوتاً عالياً عند المسـير ، وذلك راجع إلى كثرة الثعابين والعقارب لأنه فى البلاد التى لا تكثر فيها الزواحف ، لا يلبس الناس الأحذية إلا فى وقت الظهيرة لتحمى الأقدام من الرمضاء ، والمسافة بين الصدارة وميفع نحو ثلاثة أيام .

من الصدارة إلى وادى عمد

تنبسط حقول الذرة والسمسم بكثرة فى شمال الصدارة التى تروى بمياه العيون المتفجرة ووادى حجر هو الوادى الوحيد بحضرموت الملىء بالماء ، وتأخذ الحبات النباتية فى الاختفاء شيئاً فشيئاً ، ثم تصعد إلى واد تتخلله الصخور ، وطبقاته من الناحية الجيولوجية عكسية ثم أفقية ، وتتكوّن من طباق من الحجر الجيرى الأسود والحجر الرملى ، ثم تخترق منطقة يبعث ، وهنا تتضاءل الحياة النباتية ، ويصبح الأمن مفقوداً ، وكلما توغل الوادى إلى حوطة يبعث كلما ازداد الخطر حيث يوجد لصوص لا همّ لهم سوى سلب المسافرين وقتلهم أحياناً ، وحوطة يبعث قرية بدوية حقيرة يكثر فيها البق ثم تتوغل فى الوادى نفسه ، فتخترق بعض مزروعات ، وأشجار النبق والنخل وهو عديم الثمر لشدّة الجفاف ، وتمرّ فى أعلى الوادى على مجموعة من القرى التى يطلق عليها اسم يبعث ثم تصعد عقبة ، وبعد مسافة بضع ساعات تخترق هضبة صخرية تشقها بعض المنخفضات الشبيهة بالأحواض ، ثم يظهر الجول العريض الماحل ، ويستمرّ السير ساعات مارّا ببعض النقابات ، ثم تنحدر فى هضبة وتصعد فى وادى عزبة ، وهو وادى صغير سهل المرتقى ، ثم تخترق منطقة الديّن فى طريق محفوفة بالمخاطر حتى تصل النجيدين ، وهى قرية حقيرة ، وبعد مسافة ساعات تقع قرية خليفة باسويد ، ويشتد الجفاف فى هذه المنطقة كثيراً ، وتصبح مناظر الوادى بغيضة مملة ، وبعد بضع ساعات تصل شرج الأبيضين ، وهى قرية حقيرة للغاية مكوّنة من عدة منازل صغيرة ، وتسكنها أسرة واحدة وعماد الأهلين ثمار النبق ، ثم تخترق هضبة بها بعض النقابات ، ولكنها شحيحة الماء بسبب الجفاف ، وتقوم هناك قلعة حصينة خالية من السكان ، ثم تبتدئ الهضبة بعد بضع ساعات فى الانحدار تدريجيا ، وتمرّ فى منطقة عمودية من الحائط الصخرى يؤدى إلى بقعة تسكن فيها بعض قبائل الدين ، وهى من المناطق المحفوفة

بالمخاطر ، وينعدم الأمن حتى تصل إلى وادى عمد ، وتقطع المسافة بين الصدارة وعمد فى أربعة أيام تقريباً .

المعارف

الجهالة ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها ، والأمية منتشرة انتشاراً عظيما فى كلّ الطوائف الحضرمية لا سيما سكان البوادى والهضاب العليا ، والمدارس الموجودة اليوم أولية وابتدائية ، وهى كثيرة فى مدن البلاد السفلى [حدرى] وفى البنادر ، ويهتمّ الحضرميون كلّ الاهتمام بتعليم الدّين واللغة العربية وقواعدها كالنحو والصرف ، وما إلى ذلك ، وليس للعلوم الرياضية والطبيعية والجغرافية والتاريخية أثر يستحقّ الذكر ، وأحسن المدارس هى مدرستا المكلا والشحر ، ففيهما مبادئ بسيطة جدا من الرياضة والتاريخ ، وتقوم الحكومة القعيطية ببعض المساعدة لهما والرباط بسيون ، وهو أشبه بمعهد دينى تدرس فيه الديانة الإسلامية واللغة العربية وقواعدها بتوسع قليل ، والتعليم فيه مجاناً ، ولقد انتفع بالرباط كثير من الناس ، والفضل فى ذلك يعود لمؤسسه العلامة الشيخ علىّ بن محمد بن حسين الحبشى وغيره من أهل الخير الذين أوقفوا عليه صدقات جارية إلا أنه قلّت العناية به فى الزمن الأخير ، وقلّ عدد الطلبة إلى حدّ كبير ، ورباط تريم وهو أكبر معهد فى القطر الحضرمى ، وتدرس فيه العلوم العربية والعلوم الدينية ، ومؤسسه العلامة الشيخ عمر بن أحمد الشاطرى ويتولى إدارته والتدريس فيه نجله العلامة الشيخ عبد الله بن عمر الشاطرى ، ومدرسة النجاح بشبام التى أسسها المرحوم أبو بكر التوى ، وأنفق عليها أموالا كثيرة ، وهى أيضاً تعنى بالعلوم الدينية ، وجميع المدارس أهلية يقوم بها أفراد من الشعب ، وليس للحكومتين اليافعية والكثيرية مدارس خاصة باسمها [أميرية] ، وطريقة التدريس فى جميع المدارس قديمة وعقيمة ، والروح فيها خامدة لا تبعث فى الناشئين النشاط والحركة وحبّ العمل ، ولا توقظ أفكارهم ، ولا تنير عقولهم ، ولا تزيل ما علق بعقيدتهم من الخرافات

والأوهام ، والتعليم مقصور على الذكور ، أما الإناث فليس لهن حظ منه ، ولعله من دواعى الدهشة إذا قلنا إنه لا يوجد فى حضرموت اليوم إلا عدد قليل جدا من النساء يعرف القراءة والكتابة .

الأدب الحضرمى

لا نريد هنا أن نتكلم طويلا عن الأدب الحضرمى . ونستقصى الشعراء الحضرميين الأقدمين والمحدثين ، فذلك يستلزم كتابا قائما بذاته ، وموضوع كتابنا لا يسمح لنا بذلك ، فهو كتاب سياسى لا أدبى ، ولكنا نحب أن نأتى بنظرة عجلى عن الأدب الحضرمى ، ونذكر بعضاً من الشعراء والأدباء لنعطى القارئ فكرة عامة عن الأدب بحضرموت .

للأدب الحضرمى دوران مهمان : الأول يبتدئ من بعد انتشار الإسلام بحضرموت حتى أواخر القرن الثالث عشر الهجرى[1] ، والثانى : يلى الدور الأول إلى العصر الحديث .

ففى الدور الأول كان الشعر قديماً فى أسلوبه وألفاظه وخياله . كان لأولئك الشعراء أفكار خاصة واتجاهات دفعتهم إليها طبيعتهم ومزاجهم ، وما يحيط بهم من جبال جرداء ، ورمال غبراء ، ونياق ضامرة ، ونخيل باسقة ، فذكر الأطلال والديار ، والتفاخر بالأنساب والأحساب كان من ديدنهم ، ولم تسعدهم الظروف بالرحيل إلى بغداذ أو الأندلس ، ومشاهدة حضارة العباسيين والأندلسيين ، وما هم فيه من رغد وهناء وترف ولهو ومجون ، ولم يتصلوا بمعاصريهم من الشعراء الأفذاذ أمثال أبى تمام والمتنبى وبشار وابن الرومى والشريف الرضى وأبى نواس ، ولم يعكفوا على أشعارهم وبنات أفكارهم ، ولو عملوا لكانت معانيهم غزيرة ، وأفكارهم عميقة ، ونظراتهم

---

(١) لحضرموت شعراء جاهليون ، ولكن لم نعثر على شىء عن حياتهم الأدبية وما قالوه من الشعر ، لذلك أغفلنا ذكرهم .

بعيدة ، ولكانوا من الشعراء العباقرة الخالدين لأن ملكة الشعر في الحضرمي قوية ، والغناء والرجز والزجل كلّ ذلك منتشر في كلّ القبائل بحضرموت ، لم يتعلموا لغات غير لغتهم العربية ، ولم يأخذوا حظهم من الفلسفة اليونانية أو الإسلامية لذلك نجد شعرهم خالياً من الكلام حول المعضلات الكونية ، كانوا يرون الجوّ مفتوحاً ، والسماء صافية ، والنجوم زاهرة ، والشمس شارقة ، كانوا يرون أمام أعينهم جهلاء يسعدون ، وحكماء يشقون ، وفتاة هيفاء يخطفها المنون ، وعجوزاً شعثاء يمدّ في عمرها عشرات السنين ، فلم يبدوا بشيء من آرائهم إزاء ذلك ، ولم يحاولوا أن يسألوا أنفسهم ما هي الحياة ولماذا جاءوا إليها وإلى أين المصير ؟ إلى غير ذلك من الأمور التي يحار فيها العقل وترتبك فيها النفس ، لقد عكفوا على العلوم الدينية البحتة ، وشغفوا بمطالعة كتب التصوف والزهد وانقطعوا للعبادة ، لذلك كانت الروح الدينية هي السائدة على أشعارهم ، والماسكة بزمام أفكارهم ، وفي مقدمة الشعراء المتصوّفين العلامة الشيخ عبد الله الحداد ، فقد كانت أشعاره ولا تزال إلى اليوم يتلوها الشباب والشيوخ كتعاويذ دينية يقصد بها استنزال البركات ودفع الكربات .

أما الدور الثاني : فيبتدئ من أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، وينتهي إلى العصر الحديث ، والشعر في هذا الدور يختلف في بعض نواحيه عن شعر الدور الأول ، فقد تأثر الشعراء الحديثون بأدباء مصر وسوريا والعراق ، وأكبوا على قراءة الصحف العربية التي تصدر في هذه الأقطار الشقيقة ، وكانت النتيجة أن أخذت معانيهم تغزر نوعا ، وألفاظهم تتهذب ، وأخيلتهم تسمو وتصطبغ بالصبغة الفنية الحديثة ، وبدأت سحب التصوّف والزهد التي كانت تغشى أشعارهم تتلاشى وتزول ، على أن أغلبية الشعراء لا يزالون إلى اليوم متمسكين بأسلوبهم القديم الجافّ ، وتكاد تكون أشعارهم عبارة عن مواعظ ونصائح ، ذلك لأن العلوم التي تدرس في المدارس الحضرمية دينية بحتة ، ومما زاد الطين بلة اعتزالهم مطالعة الكتب الأدبية الحديثة .

وأول الشعراء المجددين ، وأغزرهم علماً ، وأكثرهم نظماً ، وأبعدهم صيتاً ،

وأوسعهم شهرة فى القطر الحضرمى ، هو الأديب الكبير العلامة الشيخ أبو بكر بن شهاب[١] ، فقد كان أسلوبه سهلا ، وموسيقاه عذبة ، وأفكاره واضحة ، ومعانيه غزيرة سامية ، وقد أثر شعره فى الأدب الحضرمى تأثيراً حسناً ، وبعث فى الأدباء نشاطاً ويقظة ، ونفخ فيهم روحا جديدة ، فهبوا من قديمهم البالى يقلدون ابن شهاب فى نظمه ، ويحاكونه فى أسلوبه .

ومن الشعراء المجدّدين فى العصر الحالى الأديبان الفاضلان : على أحمد باكثير ، وصالح بن على الحامد العلوى .

ولنأت هنا بمقتطفات من بعض شعراء الدورين : الأول والثانى .

---

(١) ولد هذا الأديب فى حصن فلوقة من ضواحى تريم سنة ١٢٦٢ ودرس العلوم الدينية واللغة العربية على عشرات الأساتذة بتريم وغيرها ، وقد كان حادّ الذكاء ، حاضر الذهن ، سريع الفهم ، قوىّ الذاكرة ، ومن طرائف ما يحكي عنه : أنه كان مرة أصابه نعاس فى أثناء درس علم الفرائض كان يلقيه عليه وعلى زملائه أستاذه العلامة الشيخ على بن محمد الحبشى ، ولما أتم الأستاذ درسه سأل تلميذه أبا بكر ، وقد لاحظ عليه النوم قائلا : هل فهمت الدرس ؟ فأجابه بالإيجاب ، فقال : أفى مقدورك أن تعيده علىّ غداً ؟ فقال : نثرا أم نظما ؟ فاندهش أستاذه وقال : نظما إذا استطعت . وفى صباح اليوم الثانى جاء إلى أستاذه بمنظومة حاوية لكل أبواب المواريث وقد افتتحها قائلا :

لله حمدى وارث الأرض المتين ومن عليها وهو خير الوارثين

واختتمها بقوله :

فاصفح وأصلح ما بها من الغلط فقد أتى من ذا الذى ما ساء قط

وعذر من لم يبلغ العشرين يقبل عند الناس أجمعين

وفى سنة ١٣٠٢ هـ رحل إلى عدن والحجاز ومصر والقدس والشام والأستانة ثم إلى الهند ، واستقر فى حيدرأباد ، وهناك تولى التدريس بالمدرسة النظامية ، فانتفع بعلمه خلق كثير ، وفى ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٤١ توفى بحيدرأباد ، وكان لفقده رنة حزن فى القطر الحضرمى وخسارة كبرى على الأدب .

من شعراء الدور الأول

ابن عقبة الحضرمى الشبامى

من شعراء القرن السادس الهجرى

قيل إن له ديوانا من الشعر النفيس المتين ولكنه مفقود ، ولم يحفظ الناس شعراً له سوى مائة وخمسين بيتاً تقريباً . ومن شعره :

أصبرت نفس السوء أم لم تصبرى ... بينى ومن تهوين يوم المحشر
إنى امرؤ عف الازار عن الخنا ... لم أغش منذ نشأت باب المنكر
والله ما صافحت كفّ بغيـة ... أبداً ولا نادمت شارب مسكر
إلا على كسب العـلوم مخيما ... وبكاى فى طلب العلى وتحسّرى
ما همتى إلا اقتناء مكارم ... قصر الزمان وهمتى لم تقصر
وقسمت حالاتى ثلاثا دونها ... يأبى الهمام المصرخى الشمرى
كرماً تدين له الأنام وحالة ... ظهرا جواد وحالة للمنـبر
فكفى بذا فخراً على كلّ امرئ ... يسعى على أثرى ليدرك مفخرى
حسـبى بما أوتيته من همة ... قعساً تنيف على السماك الأزهر
إنى من العرب الذين نجارهم ... من خالص العقيان لبّ الجوهر
من شم خولان ابن عمرو منبتى ... وهمو قبيلى فى الأنام ومعشرى
وإذا اعتزوت فآل عقبة عزوتى ... وبنو زناد الغرّ منبت عنصرى
وتخذت أصحاباً إذا نادمتهم ... لم أخش منهم من ينم ويفترى
علمى وحلمى والحصان وصارمى ... ندا يمينى والعفاف ودفترى

عبد الصمد بن عبد الله با كثير

المتوفى سنة ١٠٢٥ بمدينة الشحر

كان شاعر السلطان عمر بن بدر الكثيري اختصه بعيون شعره وغرر قصائده ، وتجد ترجمته فى خلاصة الأثر المحبي والسلافة وغيرهما ، وله ديوان ضخم لم يطبع ، ومن شعره :

يا مطيل الصـــد مهلا   فالكرى عنّى ولّى
واشـــتياقى فى مزيد   واصطبارى عنك قلّا
ودموعى كالغـــوادى   غدقات السكب هطلا
ليس لي عنك ســـلوٌّ   لا أرى لى عنك شغلا
لم يزل فيك حـــديثى   أبداً يُروى ويتـــلى
كلما لاح لعيـــنى   بارق فوق المصـــلّى
بتّ من شوق ووجدى   وغرامى أتقـــلّى

وله :

وبى من العرب ظبى ما رأى بصرى   شـــبهاً له فى الورى بدواً ولا حضرا
كالبدر وجهاً ونظم الدرّ مُبْتَسَماً   والظبي جيداً وغصن البان إن خطرا
والورد فى خده المحمرّ من خجل   يدعو إلى حسنه الفتان من نظرا
كم ليلة زارنى فيها على وجل   مســـتعجلا خائفاً مستوفزاً حذرا
يمشى الهوينا حذار الكاشحين وقد   أرخى الستور ظلام الليل واعتكرا
يا ليلة سمحت لى بالذى اقترحت   نفسي وقبلت فيها الأشنب العطِرا
أمسيت أحسو رضاباً عن مرشـــفه   حتى تزحزح ثوب الليل وانحسرا
لم أنس تلك الليلات التى سلفت   مضت ولم نقض من لذاتها وطرا

فليت شعرى والآمال ما برحت مطامعاً طال عمر المرء أو قصرا
هل يسعد الحظ ممن حلّ فى خلدى بموعد أو تلاقٍ أو خيال كرى ؟

ومن نماذج شعره الجزل قوله يهنئ السلطان عمر بن بدر بانتصاره على أحد زعماء القبائل الخارجين عليه :

نصر عزيز من الرحمن قارنه فتح وطالعه بالسّعد يبتدر
من كان معتصما بالله كان له عونا وسار بما يختاره القدر
وكلّ باغ فان الله خاذله ولم يفز مَن بغير الله ينتصر
لما تألبت الأعداء واعتصموا بحبل غدرهمُ باءوا بما غدروا
هم هادنوك على غدر به جبلت طباعهم ، لالعاً للقوم إذ عثروا !
جاءوك زحفاً إلى آجالهم وسعوا لحَيْنهم وإلى تنكيلهم نفروا
ما راقبوا عقد مِثاق ولا صحبوا رشداً ولا لصنيعٍ منكمُ شكروا
بل استمرّوا على طغيانهم وأبوا إلا الفساد فهاروا فى الذى احتفروا

لله [بالنقعة] الغرّاء معترك دسنا الأعادى به والنقع معتكر
فكان أخطاهم من فرّ منهزماً يبغى النجا حيث لامنجى ولاوزر
لقد أصرّوا على نقض العهود وكم بدت لهم عبر فيه وما اعتبروا
راموا أموراً وليسوا أهلها سفهاً تعلُّقاً بمحال قاده الأشر
فأمكن الله منهم فانثنوا هربا كمثل ما نفرت من قَسْوَرَ حمر

وله موشحات بديعة غاية فى الرقة وجمال القافية حتى ليخالها القارئ من نظومات هذا العصر الحديث :

يا معير الظبى طرفاً أدعجا والرحيق اللطف والبدر التماما
هل ينال العاشق المفتون من ورد خديك استلاماً والتثاما ؟

أنت والله فتنتى ومحياك قبلتى
* أنت نارى وجنتى ! *

يا بديع الحسن قل ما الذى أوجب للهجران والإعراض عنى ؟
طال سقمى وتمادى كمدى رِقّ لى ما فاتنى ! كم ذا التجنى ؟
إن قلبى قد انكوى وتمادى بى الجوى
* لو منى قلبى ارعوى ! *

أحمد بن عمر باذيب الشبامى

من شعراء القرن الثالث عشر الهجرى

من شعره :

يا واسع الجود يا من جوده جارى أو سرّ إحسانه فى خلقه جارى
يا ربّ عفوك غير أننى رجل ظلمت نفسى بزلاتى وأوزارى
وقد دعوتك أرجو منك مرحمةً فارحم عُبَيْدَك يا خلاّق يا بارى
وأنت حسبى ومعبودى ومستندى وعدتى فى إقاماتى وأسفارى
وأنت قصدى ومأمولى ومعتمدى على تغاير أحوالى وأطوارى
فكن كفيلا بما أرجوه منك وهب لى مطالبى واقض حاجاتى وأوطارى
إنى أناديك بالتوحيد معتمداً ومخلصاً لك إعلانى وأسرارى
فانظر إلىّ بعين اللطف يا سندى بالمصطفى خير محبوب ومختار
محمد سيد الكونين شافعنا يوم القيامة عند المُشْكل الطارى
أعلا البرية مقداراً ومنزلة إليك آثر ذى قرب وإيثار
من جاء بالحق والذكر الحكيم ومن محا الضلال وأردى كلّ جبار
ومن أتى هاديا للخلق يرشدهم إلى الفلاح بآيات وأذكار

من شعراء الدور الثانى

أبو بكر بن شهاب



الشاعر الكبير أبو بكر بن شهاب

من شعره :

ذهبت من الغريب بكل مذهب ... ومات عن النسيب وكان أنسب
ركبت من الحماسة كلّ صعب ... ولم تجنح إلى كنس وربرب

كأنك لم تكن تهوى قديماً ولم تعكف على طرب فتطرب
تريد تصبراً فتضيق ذرعاً وما أنساك أن الطبع أغلب ؟
فكم قد أوقفتك يد التنائي دليــــلا حيثما العبرات تسكب
ورب مهفهف أقصاك هجراً ومن بعـــد العباد دنا وقرّب
أتذكر إذ هصرت بفود سلمى وكانت من عقاب الجوّ أصعب
فمالت مثل بدر في ظلام على غصن على رمل مكثّب

ومن قصيدة أخرى يتشوّق فيها إلى وطنه حضرموت وهو بالهند :

أهكذا ليت شعري كل ذي كرم يصبيه تذكاره المأوى ويقلقه
يأيها الراكب الغادي إلى بلدٍ جرعاؤه خصبة المرعى وأبرقه
ناشدتك الله والودّ القديم إذاً ما بان من بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عنك [الغنّاء] غادرها مخضلة باكياً الوسمى مغدقه
أن تستهلّ صريخاً بالتحية عن باك من البعد كاد الدمع يغرقه
يثير أشجانه فوج الصبا سحراً وساجع الورق بالذكرى يُؤرقه
له فؤاد نزوع لا يفارقـــه حرّ الغرام وجفن ليس يطبقه
بالهند ناء أخى وجد يحن إلى أوطانه وسهام البين ترشقه
إلى العرانين من أقرانه وإلى حديثهم عبرات الشوق تخنقه

على بن محمد الحبشى

ولد بقسم سنة ١٢٥٩ ، وتوفى بسيون بعد أن ذاع صيته ، وعظم أمره ، وكثرت تلاميذه ومريدوه ، وله ديوان شعر مطبوع فى جاوه ، ومن شعره قوله :

إليكم رأيت الشوق يجذبنى جذبا ويوردنى من ذكركم منهلاً عذبا

فيا نازلى ربع الصفا لا برحتمُ … تراعون لى حقّ المودة فى القربى
فهل من سبيل لى إلى القرب منكم … فانى أرجو الوصل ماعشت والقربا
رعى الله أياماً مضت لى بحيكم … يتيه بها قلبى إذا ذكرت عُجْبا
متى تجمع الأيام بينى وبينكم … وأحظى بوصلٍ يغمر الجسم والقلبا

ومن شعره فى المذهب الصوفى :

إن فى سرّ عالم الأنفاس … مشهداً للقلوب لا للحواس
يالك الله ياأخا الذوق فيها … عند تحقيق علمها ما تقاسى
كم رأيناك ذاكراً للمعانى … وسفير الحياة فى ذاكر ناسى
قابل اللين بالقساوة حتى … ظهر اللين منه فى كلّ قاسى

محمد بن محمد با كثير

المتوفى حديثاً بسيون

يعدّ من أقطاب الحركة الأدبية والعلمية بحضرموت ، تخرّج على يده كثير من رجال العلم ونبغاء الأدب ، وله ديوان شعر لم يطبع ، ومن شعره قوله : يستعطف سلطان المكلا ليأذن له فى أخذ رسائله الموقوفة بسبب الحرب القائمة بين السلطنتين إذ ذاك :

أطيل السير فى البيد ارتحالا … لعلى أن أرى الميمون فالا
وفى الشوق المبرّح لى ظنون … تناولنى من الأفق الهلالا
ومن قصد الملوك ورام خيراً … تكن فى العود خيبته محالا
وقد فارقت أصحابى ودرسى … وتقريرى وإفتائى الرجالا
وتحقيقى وتدقيـــقى وجمعى … وتحريرى جوابى والســـؤالا
وجئت تقودنى الآمال فيكم … وليست تلكم الآمال مالا

وما أملى سوى أنى أراكم   وأدرك من محيّاكم نوالا
وإن لبانتى أقصى مرامى   لها فارقت ربعى والعيالا
وقوفى بالرسائل واردات   علىّ ولم أنل منها وصالا
ولى قوم نأوا عنى فقلبى   بهم مضنى وهمى قد توالى
وقطع رسائل الأحباب عنى   كقطع الروح عن جسمى انفصالا
ولى قلب أقلبه اصطبارا   فلم يسطع على الصبر احتمالا
وذا أرب يهون على علاكم   وان تجدوا جوانبه ثقالا

وله فى تقريظ كتاب :

قالوا شغفت بذا الكتا   ب وأمره أمر الكتبْ
قلت اتباع الحق حق   فانظروا نحو السحبْ
بيض وسود فى السما   هل كلّ معترض يصب ؟

عيدروس بن سالم السقاف

من أدباء سيون وشعرائها

ومن شعره :

أخفى الأسى دمعى ونم لسانى   لما ورى زند الهوى بجنانى
هيهات أن تخفى بوادر شجو من   نزل الهوى منه بكلّ مكان
عبث محاولة السلو لعاشق   أضحى يكابد شجوه ويعانى
يرجو التعلل بالسلوّ سفاهة   إن التعلل بالسلو أمانى
حال الذى علق الغرام بقلبه   سهر الدجى وتراكم الأشجان
يرتاح إن مرّ النسيم تعلّة   إن النسيم تعلة الولهان

أو أنَّ من شوق غريبَ نازح ... سالت محاجره بأحمر قان
أو ناحت الورقاء تندب إلفها ... سحراً على فنن من الأفنان
تندى بذكراهم عروق فؤاده ... كالماء يُنْدى ذابل الأغصان

محمد بن شيخ المساوى

من أدباء سيون وشعرائها

ماذا على وقد جرى نفس الصَّبا ... أن أسبل الدمع الهتون وأسكبا
إن النسيم يجدّد الذكرى لمن ... أضحى بطارقة الغرام معذّبا
وافى بريّا من أحب لقاءه ... أهلا بما حمل النسيم ومرحبا
لم أنس تطوافى وجر الذيل ما ... بين المعالم والمنازل والرُّبا
ياعاذلى لمنى فإنى واجد ... حرّ الملام من العواذل طيّباً
طرباً إلى ذكر الحبيب ومن ... يكن صبًّا إذا ذكروا أحبته صبا

أحمد بن عوض بافضل

شاعر رقيق ومترسل كبير

من شعره يرثى بعض العلماء :

لمثل ذا الخطب تجود العيون ... بوابل الدمع الغزير الهتون
مرزئة هدت متين القُوى ... فى جنبها كل الرّزايا تهون
أوحشت الربع وسكانه ... وأذبلت للمجد غصن الغصون

أشد خطب وقعه مؤلم يقدح فى القلب زناد الشجون
ذهاب أهل التقى إنهم يهدون بالحق ، به يعدلون

محمد بن حسن بن شهاب

من صفوة أدباء تريم

ومن شعره ما قاله وهو بسنقافوره تحت عنوان :

المدنيـــة والعصر

مدنيـــة لكنها جوفاء وحضارة لكنها أفيـــاء
مرجت عقول الناس حيث استحسنت من صنعها ما استهجن العقلاء
تدعو التهتك والسفور فضيلة ونتاج ذاك الشر والفحشاء
أوحت إلى الجنس اللطيف بأنه هو والرجال لدى الحقوق سواء
وبأن جبار السماء ورسله هضموا عليه حقوقه وأساءوا
قادت إلى السوق الفتاة وسوقها لم يخفهن عن العيون كساء
والنحر والعضدان والفخذان كل أولاء باد ما عليـــه غطاء
وبكفها المرآة تصلح شأنها كيف اشتهت ومتى وحيث تشاء
وسط «الترام» وفى الطريق تهتكاً إن التهتك للفتاة شـــقاء
جزت غدائرها فصارت وفرة لا حبذا بالوفرة الحسناء
تلهو وترقص فى « المراسح » مثلما ترتج فوق غصونها الورقاء
يرتج منها كل رجراج كجد ول زئبق لعبت به نكباء
وهناك تعتنق الفتى ويحوطها بذراعــه فتليهما الأهواء

بالاحتكاك وبالتلامس والتها مس والشذى تتكهرب الأعضاء
وإذا غشيت المستحم ترى من الـجنسين أسراباً حـواها الماء
جنباً إلى جنب تعوم وقد علا ذاك الفضاء الضحك والضوضاء
فكأن ميل الجنس جرد منهما أفما تفر من الذئاب الشاء ؟!
لا وازع يزع الفتاة كمثلما تزع الفتاة صيانة وحياء
وإذا الحياء تهتكت أستاره فعلى العفاف من الفتاة عفاء

عبد الله بالخير



الأديب عبد الله بالخير

ولد فى بلدة غيل بلخير سنة ١٣٣٣ وسافر إلى الحجاز سنة ١٣٤٥ والتحق بمدرسة الفلاح بمكة حتى نال الشهادة النهائية ومن شعره ما قاله تحت عنوان :

ثلاثة أعياد

لِمَنْ موكِبٌ قَدْ سار يتلوهُ موكبُ ... بأوله سال (النقا) و (المُحَصبُ) ؟؟
«أهارونُ» فى الركبِ العظيمِ توافدتْ ... إليهِ الورى - أم سار فى الجيشِ (يعرُبُ) ؟؟
أمِ البطلُ «المنصُورُ» ما جتْ بخيْلِهِ الـبـلادُ أم الجمْعانِ فيها «المُهلَّبُ» ؟؟
أمِ (الفيْصلُ الغازِى) تبدتْ شُموسهُ ... فقامتَ لهُ كلُّ البـلادِ ترحبُ
تبدَّى فأمْستْ كلُّ عـيْنٍ قريرةً ... وكلُّ فُؤادٍ بالسُّرُورِ مُكهْرَبُ

قدُومٌ بهِ (أمُّ القرى) قدْ تزينَّتْ ... (ففِى كلِّ حىٍّ مِهْرجانٌ وموكِبُ)
ولَولَمْ يعجَّ (السَّيْلُ) بالشَّعْبِ يوْمَ أنْ ... قدِمْت وكلٌّ لِلقـا يترقَّبُ
لَوافَى إليْك «الحِجْرُ» يَمْشى مُرحِّباً ... وسارَ يُلاقِيك «الفِناءُ» المُحجَّبُ !!
توالتْ مسرَّاتٌ على الشَّعبِ منذُ أنْ ... قدِمْتَ . فكُلٌّ بالمسرَّةِ مطْربُ
«ثلاثةُ أعيادٍ» قُدومُك سالمـا ... وإقْبالُ «عيدِ الفِطْرِ» باليُمْنِ مُعْرِبُ
(وعيدُ) جُلوسِ العاهِلِ المنْقِذِ الَّذى ... تميسُ به (نجْدٌ) وتفْدِيهِ (يثْرِبُ)
فأنْعِمْ بهِ يومًا . لِذِكْراهُ كُلما ... يُردِّدُها «التَّاريخُ» يزْهُو ويطْرَبُ
هو النِّعْمةُ الكُبرى على العُرْبِ كيْفَ لاَ ... وفيهِ ابْتدا (عصْرُ السُّعودِ) المذهَّبُ !!
وفيهِ خطَوْنا خطْوةً . سُجِّلتْ لَنا ... علَى صفحاتِ الدَّهْرِ بالفخْرِ تُصحبُ !!
وفيهِ غضِبْنا غضْـبةً مُضريَّةً ... بأمْثالِها الأمْثالُ فى الناس تُضْربُ
وفيـهِ أرينْا النَّاسَ كيف اتِّحادُنا ... فاعْجبْ بروحِ المجدِ إنْ كنْت تعْجبْ !!
وفيهِ الْتقَى (نجْدٌ) بقُطْرِ (مُحمَّدٍ) ... فسارا إلى القصْدِ الَّذى نحنُ نطْلبُ !!
إلى (الوَحْدَةِ الكبرى) يقُودُ جُمُوعَهُمْ ... مُوحِّدُهُمْ (عبدُ العَزيزِ) المُحبَّبُ !!

مليكٌ له « تاجٌ » (بنجْدٍ) مُرصَّعٌ « وعرشٌ » عَلَى أُفق «الحجاز» مُطَنَّبُ !
دَعَائمُهُ فوق « الحطِيم » و « وزَمزمٍ » وَ قِمَّتُهُ الْعَليا . إلى الشَّمْسِ أقْرَبُ !!
تَحُفُ به مِنَّا القــلوب وذُونَهُ يَلِذُّ لنا الْمَوت الزُّؤامُ وَيَعْذُبُ !!

ومن شعره الذى حيى به الـكشاف العراق بمكة ما يأتى :

تحية شباب العراق

(شبه الجزيرة) موطنى ، وبلادى من(حضرموت إلى حمى (بغداد) ! !
أشدو بذكراها وأهتف باسمها فى كلِّ جمع حافل — أو نادى
منها خلقت . وفى سبيل حياتها سعيى . وفى إسعادها إسعادى ! !
كل له فى من أحب صبابة وصبابتى فى (أمتى) و (بلادى) ! ! !

يامرحبا بنى (العراق) ومن بهم يعتز كل موحد (بالضاد)
بنى الذى ملك البلاد بأسرها هرُون رافع راية الارشاد
رسل (السلام) إلى (العروبة) كلها و بناة (وحدتها) بكل بلاد
بمحررين بلادهم بسيوفهم والقاطعين لدابر الإفساد
بمطهرين بلادهم من كل من عُرِفوا بكل دعارة وعناد
بالسائرين إلى الأمام بشعبهم المهتدين بسنة الأجــــداد

يا (وحدة العرب) التى نسعى لهـا حتى نشيدها على الأعماد
هذى بوارق نهضة محمودة علقت مبادئها بكل فؤاد
ومشت (مواكبها) وأقبل (جمعها) و (الله) قائدها و (أحمد) حادى !!!
سارت تطالب فى الحياة بحقها بالسيف سلته من الأغماد

من بعد أن فشل اليراع ولم تجد   أحداً يخلصها - من الأوغاد
وكذا (دساتير) الحياة تنص أن   لا حق إلا للقوى العادى !!

صالح بن على الحامد

من الأدباء البارزين



الأديب صالح بن على الحامد

ومن شعره قوله تحت عنوان :

قيثارة العيـــد

لا زلت خفاق اللواء سعيداً   تبلى بنا عيداً ، ونلبس عيدا

في كلّ عام تستقلّ بنهضة ... وتجوز شوطاً في العلاء بعيدا
نادي العروبة !! لابرحت مزيداً ... وعلى التآزر والوئام مشيدا
أصبحت في العيد الأغر كروضة ... غناء ، ألبسها الربيع برودا
تزهو أزاهرها ، ويملأ دوحها ... شادي الطيور أغانيا ونشيدا
ويسرني إذ كنت روضاً زاهرا ... أن كنت فيك البلبل الغريدا
فاقبل تهاني شاعر قد صاغها ... لك ضمن أكمام القريض قصيدا
تسري لرقتها نسيا سجسجا ... وتفوح مسكا في حماك وعودا
وجهت تهنئتي إليك وإنما ... هنأت فيك : الناهضين الصيدا
الخاطبي العلياء ما بخسوا لها ... مهراً ، ولا منّوا لها مجهودا
الطالبين العزّ كسباً طارفا ... من بعد ما ورثوه ـ قبل ـ تليدا
لم يكفهم مجد الجدود فأقبلوا ... يتأثلون إلى القديم جديدا

يه ، بني النادي لقد أعليتمو ... ركن المعالي باذخا وشديدا
قد أصبح النادي بفضل جهادكم ... تاجا على فرع العلا معقودا
فعلى أساس العلم فابنوا مجدكم ... وابغوا له الخلق الكريم عمودا
فالعلم ، والأخلاق مهما استجمعا ... للشعب أدرك شأوه المنشودا
ما كان أسفه من جهول طامع ... في أن يعزّ بجهله ويسودا
واستجمعوا الآراء واسعوا للعلا ... صفا وضموا للجهود جهودا
لا تحقروا داء التفرّق إنه ... قد كان داء للشعوب مبيدا
يا أيها العرب الكرام ! تفطنوا ... ماذا بدينكم الحنيف أريدا ؟
يا إخوة الإسلام إن لدينكم ... ذمما على أعناقكم وعهودا
هل ترقبون من السماء ملائكاً ... يتنزلون لنصره وجنودا
انا لأجدر في الأنام بنصره ... وبأن ندافع دونه ونذودا
هذي صدور العرب وهي حصونه ... كانت له عهد الرضاع مهودا

غذته من دمها فتيا بعـــد ما ... منحته أخلاف الحنان وليدا
سرت الحياة إلى الشعوب ولم نزل ... فى حلمنا نطوى الزمان رقودا
كنا ملوكا فى الحواضر سادة ... أمن الترقى أن نصير عبيداً ؟

ومن شعره ما قاله فى تأبين ملك العراق فيصل الأول فى النادى العربى بسنقافوره :

نَمْ إن بَنْدك خافقٌ منشورُ ! ... ما زال وهو الفاتح المنصورُ
تهفو القلوبُ له وتصحبه المُنى ... أبداً تُحَوِّمُ حوله وتدورُ
نم ؛ إن مجدك سوف يبقى خالداً ... وتدين أجيال له ودهور
واهدأ يكفنك الجلال فكافل ... لك بالبقاء جهادك المأثور
لك فوق أسماء الأماجد سطرت ... بالنور فى لوح الخلود سطور
واسكن بأفياء الجنان منعما ... يهفو عليك ظلالها والنور
لك تنشد الأملاك ألحان الهنا ... وتطوف حولك فى رباها الحور
لك فى الوجود مآثم من دونها ... طرف الخيال يعود وهو حسير
قد قام فيها الدين يندب حظه ... وبكاك فيها ذكره المسطور
فى الشرق لولا الدين ، دين محمد ... شقت صدور للأسى وستور
ما كان قبرك فى البسيطة واحداً ... لك فى النواظر والصدور قبور

ويح الأثير ! وما يردد موجه ... كم ذا يهيج من الأسى ويثيرا!
يابؤسه ! إذ قال : أودى فيصل ... بطل العروبة ، فردها المنظور
نبأ دوى كالصور يخترق الفضا ... كادت جبال الشرق منه تمور
صُمَّتْ له منا المسامع واغتدى ... وصـــداه فينا رنة وزفير
رجفت له أرض العروبة رجفة ... منها انحنى رضوى وماد ثبير
لم لا تذوب لهوله مهج الورى ؟ ... ولو أنها بين الضلوع صخور
خوت القلوب له وصوحت المنى ... وتداعت الآمال ، وهى قصور

لم يرزأ الدهر العراق بفقده ... كلّ الشعوب لفقده موتور!
الخطب خطب الشرق قد أضحى له ... فى كلّ جانحة يشبّ سعير
فى حضرموت أسًى وفى مصر جوًى ... وبمغرب دمع يفيض غزير!
وكذاك فى صنعاء والأردنّ بل ... فى سنقفور أسى عليه مرير!
أما الحجاز فلا تسل عن حالها! ... فالحزن أوقع والمصاب كبير
أمّ أصاب الثكل حبة قلبها ... فغدت تجمجم والفؤاد كسير
لو تستطيع لولولت وزفيرها ... لهب وأسراب الدموع بحور
والشام يندب فيه شهماً طالما ... عهد التعطف منه وهو أمير
ملكا فداه بنفسه وبماله ... ونضى الشباب عليه وهو نضير
لم يحدُه فى ذاك حبّ تملك ... لكن حدته عقيدة وضمير
صدقت عزائمه وجد مضاؤه ... للشأو، لكن عاقه المقدور!
لولا انشقاق عصى العروبة لم يكن ... ليغير يوما فى حماها (غورو)

وله فى الغزل:

أنا يا هند فى هواك قتيل ... يا ابنة القوم هل إليك سبيل؟
اتقى الله وارحمى لمشوق ... زفرات تعلو ودمعا يسيل
أفترضين أن أموت غراماً ... ودوائى رضابك السلسبيل؟
هند لا تسفكى دماء محبّ ... إن قتل المحبّ ذنب ثقيل
كيف تنسين عهد خلّ وفىّ ... ويك ما هكذا يجازى الخليل

سدرات الوادى عليك سلام ... كم لنا فى ظلالكن مقيل
حين نلهو مع من نحبّ صغاراً ... نتبع الفىء منك حيث يميل
ولنا فى ظلالكنّ أغانٍ ... حين للطير فى ذراك هديل
هل لأيامنا المواضى رجوع ... أم إلى من نهوى لقاء وصول

ما على الغادة البخيلة لو جا　　دت علينا وقد يجود البخيل
وأتتنا يوما وغاية ما نســـأل منها الحديث والتقبيـــل
كم سنين مضت لنا تلو أخرى　　وفؤادى بهجرها متبول
أســـأل الله كلما هلّ شهر　　أنها باللقاء فيـــــه تنيل
هى فى الحسن مالهـا من شبيه　　وأنا فى الغرام مالى مثيـــل
يمحى حسن كلّ وجه ويخفى　　إن بدا وجهها المليح الجميل
لست أدرى لحاظها حين ترنو　　أهى سحر أم أسهم ونصول
ملك أم حورية أم غـــزال　　حار فيها التشبيه والتمثيـــل

الشاعر الأديب على أحمد با كثير



الشاعر الأديب على أحمد باكثير

هو من أشهر الشعراء الحضرميين في العصر الحديث ، ومن أوسعهم خيالا ، وأغزرهم بيانا ، وأقوامهم منطقاً ، عالج مسألة الشقاق الحضرمى فى المهجر ، وله فى ذلك قصائد عدة كان لها أثر عند الطرفين لأنه كان لا يتحيز إلى فئة دون أخرى .

من ذلك قوله فى قصيدة :

أرى الإنصاف طبكم جميعاً — متى يا قومنا تتناصفونا
وليس كقلة الانصاف شيء — يغيظ على أصولهم البنينا
وما نيل السيادة بالأمانى — وما خلقت لقوم عاجزينا
ولكن أمهروها بالمعالى — تكونوا فى الشعوب مسودينا
ولم أر قط أسمج من يمين — تسيد نفسها قطعت يمينا
ومادح نفسه بالحق يقلى — فكيف بمادح فى الكاذبينا

مضى زمن الجمود فودعوه — ووافاكم زمان العاملينا
زمان ليس يعلو فيه إلا — عصامىّ جرى فى السابقينا
وإن لنا مواهب ساميات — بنى الأحقاف أدهشت القرونا
ألا فاستعملوها فى المعالى — تنالوا فى الورى المجد الأثينا
فقد لعبت بأدوار كبار — جدودكم الكرام السالفونا
ولو ثقفت يوما (حضرميا) — لجاءك آية فى النابغينا

وقال فى قصيدة أخرى :

إذ لاح لى شبح انقسام بنى أبى — فيها بحيث تمايل العماء
فتمثلت لى صورتان : فصورة — قيد العيون ، وصورة نكراء !
بين الشعوب تجد فى نهضاتها — لعبت بقومى جهدها البغضاء
شطوا وغالوا فى الشقاق و بينهم — دين ، ووحدة موطن ، و إخاء
ظلموا المبادئ إذ أساءوا هضمها — يا للرجال المحسنين أساءوا !
إن المبادئ لا تفيد ثمارها — ما لم يجدها الرفق والإغضاء
فتصافحوا بيد الإخاء فإنما — فوز العشير على العشير بلاء
وضعوا على أقدامكم ما قد مضى! — ما بينكم ترة ولا أشلاء !

ودعوا السباب فإنه عار بكم إن كان يجمل بالكلاب عواء
قدآن أن تشفى الحقود . وتنتهى سنة الرقود . وتنبذ الأهواء
فإلى متى تبقون فى حال لها يبكى الحليم وتضحك السفهاء

وهو شديد الإيمان بالوحدة العربية ، وتكاد لا تخلو له قصيدة من هـذه الروح ، ونكتفى بأن نسوق للقارئ مثالا لذلك فى رثاء الملك فيصل بن حسين ملك العراق :

حائط العرب على العرب انهدم فعلى العرب سـلام فى الأمم !
طويت لما انطوى « فيصلها » ما بقاء الجيش من بعد العلم ؟

ومنها :

ليت شـعرى سامع أسئلتى أنت ؟ أم فى مسمع الموت صمم ؟
فيم ودعت ـ على أجراحها أمـة العرب ولما نلتئم ؟
فيم غادرت بنى قحطان فى مرجل يغلى ، ونار تحتـدم ؟

ذالكم « فيصل » ابكوه وقد غاب عنكم شـخصه والروح لم
من إذا ما عزم الأمر مضى وإذا ما أبصر الرأى عزم
وإذا ما قـدمٌ زلت به وقام يمشى ـ غير وانٍ ـ بقدم
وإذا ما وقف الدهر مضى وإذا ما عبس الدهر ابتسم

ولما كان فى الحجاز وضع أقصوصته الشـعرية التمثيلية « همام ، أو فى عاصمة الأحقاف » عالج فيها وجوه الإصلاح فى بلاده ، وانتقد فيها العادات السيئة ، والجمود المخيم ، وتهكم فيها بالدجل والتخريف وقد طبعت بمصر سنة ١٣٥٣ .

ونورد فيما يلى نموذجا من شعره الفنى ، ونظنّ أن هـذا يكفى لإعطاء القارئ صورة مصغرة عن هذا الشاعر الشاب الذى لم يتجاوز بعد العقد الثالث من عمره :

بين الهدى والهوى

في طلوع الفجر الوليد على الكو ن ، وإيذان ليله بالهروب
وهبوب الأنفاس من رُدْنى الصبـــح برَوْح يحيي النفوس وطيب
رنّ في مسمع الكون أذانٌ قُدُسيّ الترجيـــع والتثويب
سال ـ حتى عمّ الفَضاء ـ حَناناً ذائباً في شعاعه المسكوب !
خالقاً عالَماً من النور والفتـــنة والسحر والجمال الغريب
رَعَشاتٌ من الغناء السماويّ (م) تخطّى الأسماع نحو القلوب !
إنما الدين الحقّ فنٌّ طهور قد سما في معناه والأســلوب !

وقف (الشاعر) التقيّ يصلّي في خشوع لذي الجلال المهيب
فرحاً قلبـــه يطير استناناً في مجال من الأماني رحيب
مطمئناً لو انه احترق الكو نُ جميعاً ما مســـه بلهيب !
عامراً بالهدى يكاد يرى الله (م) بعينيــه فهو جــدّ قريب
ربّ ! لِمْ لا تراكَ عيني ؟ ألا تبـ ـدو لعينَيْ عبدٍ إليك منيب
كَلِفٍ بالجمال يصبو إلى المنـ ـبع بعد الأنبوب فالأنبوب !
فاطْوِ عني الحجاب تشهدْ جفوني لمحةً من جمالك المحبوب

مرّ في سمعه حَفيفٌ لسَهمٍ ناشبٍ في فؤاده المنكوب
ما وعى السمعُ أو درى القلبُ إلاَّ بعد حين من وقعه والنشوب
مَنْ رماه ؟ وأيّ نصل وعن أيـ (م) ـةِ قوس رمى ؟ وفي أيّ حُوب ؟
ولوَى الجيـــدَ يَسْرةً فإذا هُوَ بمثال من الجمال النجيب
قمر طالع عليـــــه من الشر فة يرنو إليـــــه كالمذهوب
لفَتَتْهُ الصلاةُ نحو المصلى فادَّرَاهُ بكلّ سهم مصيب

ربّ ! ما ذا أرى ؟ ألمحة نور منك ، أم وهم ناظرٍ مكذوب ؟
أم مَــلاكاً بعثتَه بقبولى ونجاح المؤمّــل المطلوب
ربّ ! قلبى صبا إليه ! كأن لم أكُ فى موقف الصلاة الرهيب
أين وَلّى اطمئنان نفسى ! ومن لى بخشــوعى إليك والترحيب
ربّ ! حل الهوى محل الهدى فى الـ ـقلب، ويلاه ! ربّ عافِ الذى بى !
وانتهى من صلاته وهو يهذى بضلالات شــعره والنسيب !

« ألهمينى وحى الجمال ! فعهدى بشهود الجمال غــير قريب
إن تكن نظرتى لوجهك ذنباً فالْتِياعى كفّارة لذنوبى
وابعثى لى – لتدفئ بُرَدَائى – وقدةً من ذراعكِ المشبوب !
واصبَحينى من خمر عينيك كأساً تنفِ عنى متاعبى ولُغوبى
وابسمى لى – والابتسام يسير – تبتسمْ لى الحياةُ بعد قطوب »

« هى لغز يحلو التأمل فيـــه لحكيم وشاعر وأديب
هى فى إبْســة التفضل حُسْنٌ من يد الله ، ليس بالمجلوب
يا لَهـا حــلوةً عليها من النو م بقايا تثاؤب محبوب !!
وبأهـــــدابها خيوط ضياء عَلِقت من أحلام ليل عجيب !
مُرسلاً شَعرُها على غير ترتيـ ـب ولـكن أحلى من الترتيب !
خطّ فى خدها الوِساد – سعيداً – آيةً من بدائع التذهيب !
وأذاع النســيم عنها بلاغا أفعم الجو من أريج وطيب
إن طيباً فى الحُق ليس كطيب مرســل من غلائل وجيوب
بكرت تنضح الشجيرات بالمـا ء فينعَمْنَ بالبنان الخضيب
وفؤادى أحقّ بالرىّ منهن (م) فهــلاّ تمدّه بذنوب !
وقفتْ وقفة الدّلال أمامى تتلهّى فى كفها بقضيب !
أرسلت كهرباءها فتمشت فى عروقى بهزّة ولهيب

فكأنا (قُطْبا عمودٍ) ترى التَّيـ ـيار فيه من جيئة وذهوب
(بين جهدى وجهدها أبداً فر قٌ) فما إنْ تكفٌ عن تعذيبى
أيها (السالب) الجميل حنانيـ ـك ترفق بمهجة المسلوب»

واستهل الصبح الجديد على الكو ن مُلَقًّى بالبشر والترحيب
وأتى (الشاعر) الصلاةَ بقلب شاعر بالملام والتثريب
مستنيب إلى الإله يُرَجِّى عفوه عن ضلاله والحوب
فدوى فى أعماقه رَجْعُ صوتٍ كصدى الرعد أو دوىّ النُّوبِ
كيف يقوَى على سنا (الربّ) قلب جُنَّ لما رأى سنا (المربوب) ؟
والكمالات لا تناهى لدى الله فلا بدّ من بقاء الغيوب

النثر

النثر فى حضرموت سواء القديم منه أو الحديث قديم فى أسلوبه وخياله بسيط فى أغراضه ومعانيه ، ولم ينل حظا كثيراً ، ولا قليلا من التطوّر الذى ناله الشعر، وملكة النثر عند الحضرميين ضعيفة ، وروح الكتابة خاملة كلّ الخمول ، إذ ليس هناك صحف ينشرون فيها المقالات ، ولا أحزاب سياسية يؤيدون خطتها ، أو يحطون من قدرها ، ولا نواد يتبارون فيها بإلقاء الخطب أو المحاضرات . و يبدون ما يجول فى عقولهم من الآراء والأفكار ، فالظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على تقوية ملكة النثر ، ولم تهيئهم للبروز فى هذا الميدان الفنىّ الخطير ، ولكن نجد كتابا منهم فى المهجر فى أندونسيا ، فقد ساعدتهم الظروف هناك إذ وجدت لهم صحف عربية ينشرون فيها ما يكتبون ، ونواد يلقون فيها المحاضرات ، وكانت النتيجة من النزاع بين القديم والجديد ، أو بين الأفكار العتيقة والآراء الحرة أن وجد حزبا الإرشاديين والعلويين كل منهم يؤيد حزبه ، و يجاهد بالفكر والقلم لتبيان صلاحية مبدئه للمجتمع الحضرمى

فكان ذلك من أعظم الأسباب التى شحذت أفكارهم ، وأيقظت أذهانهم ، وهذبت إنشاءهم ، وأمدت نثرهم بشىء من روح الكتابة الفنية الحديثة .

اللغة العاميـــة

واللغة العامية منتشرة انتشاراً عظيما فى الحواضر والبوادى بين جميع طبقات الشعب المتعلمين منهم والأميين ، ولكنها على وجه العموم أقرب إلى اللغة الفصحى منها إلى العامية المبتذلة ، هذا بالنسبة للغة العامية بمصر والشام والعراق والمغرب ، فهم يثبتون النون فى الأفعال الخمسة سواء المذكر منها أو المؤنث إلا المثنى ، فيعبرون عنه بصورة الجمع ، وهناك كلمات عربية صحيحة كثيرة جدا ، ولكن طرأ عليها بعض تغيير فى النطق ، فهم يفتحون الحرف المكسور مثلا أو يضمونه ، فكلمة الحُزْن ينطقونها الحَزَن بفتح الحاء والزاى ، والجهل بضم الجيم ، وينطقون حضرموت بضم الميم لا بفتحها ، والحضارم يعبرون عن كاف المخاطبة بالشين ، فيقولون مثلا هذا ثوبش أى ثوبكِ ، ولعلّ ذلك من بقايا لغة بنى أسد ، وهم يبدلون حرفى التسويف بالباء ، فيقولون مثلا : فى الشهر الآتى باسافر إلى جاوه ، أى سأسافر ، وإذا أرادوا نفى شىء يقولون ـ ماهو ـ هذا ما هو طويل ، أى ليس بطويل ، ويعبرون عن الشىء الجميل بكلمة ـ زين ـ كما هو الشأن فى العراق ، فيقولون : هذا الشىء زين ، أو ماهو زين ، وكلمة ـ عيف ـ أى قبيح أو ردىء هى الشائعة عندهم وهم يستعملون [جم] بدلا من جدا ، فيقولون : طويل جم ، و [لى] تقوم عندهم مقام أسماء الموصولة سواء المذكر منها أو المؤنث والمفرد أو المثنى والجمع ، فيقولون لى جاء أو لى جاءت أو لى جاءوا .

وتختلف اللهجة فى البوادى ، أو ما يشبه البوادى كدوعن وعمد ونهد وغيرها عنها فى الحواضر ، كبلدان السواحل ، وحضرموت الوسطى من الفرطة غربا إلى عينات شرقا ، ففى البوادى تجد الخشونة تسود كلّ الكلمات ، وكثيراً ما يستعينون بحركات الأيدى

فى التعبير لإيصال المعانى إلى ذهن السامع ، ويتكلمون بسرعة وبصوت عال ، وإذا مررت بمجلس من مجالسهم خُيِّل إليك أنهم فى معركة ، وذلك لأنه قد يتكلم اثنان أو أكثر من اثنين فى آن واحد ، أما فى الحواضر ففى كلامهم مسحة من الرقة والسلاسة ، ومن عيوب الحضريين أن كثيراً منهم ينطقون بالجيم ياء فى التخاطب دون الكتابة ، وقد بدأت الكلمات الملايوية تتسرّب إليهم لكثرة مواليد جاوه هناك ، فكلمة إزار يقولون عنها سارونق وتوًّا تروس .

والشعراء باللغة العامية كثيرون جدا فى الحواضر والبوادى ، وأكثرهم يقولون الشعر ارتجالا ، وأشعارهم تمثل الحوادث وتصف الأبطال وماقاموا به من الأعمال العظام وما أشبهها بالشعر القصصى ، وقد تشمل أشعارهم الهجو والتعبير لإثارة الحمية وإيقاظ الفتنة أو للأخذ بالثأر ، وقد تشمل النصائح والمواعظ ، وتشمل أيضاً الغزل ، ولبعض شعرائهم أمثال ابن زامل ، وعمر باعطوه ، وعبد الحق الدمونى ، ويحيى عمر اليافعى وغيرهم صفة الخلود ، فأشعارهم وأقوالهم تتلى من أمد بعيد إلى اليوم ، ولنأت بنماذج من الشعر باللغة العامية :

قال عمر بن محمد باعطوة يحيى السائح الألمانى ليوهرش[(١)] :

يا الله يا رباه ياجزل العطا	يا منطلع لحوال لى مسروره
اغفر ذنوبى يامجيب الداعى	يامنشى البارق وخصب ثغوره
فى ساعة الحسبة تعاون عبدك	على الشهادة يجيبها تسبوره
ولا يفزعنا نكير ومنكر	إذا عظامى فى الترب مقبوره

---

(١) جاء ليوهرش Leo Hirseh حضرموت سنة ١٨٩٣ ، ونشر رحلته فى كتابه سنة ١٨٩٧ بعنوان : Sud - Arabien Mahra -Land und Hadramut ، وقد استمر سنة فى طريقه إلى داخل البلاد وقد ذهب من عدن إلى الشحر ، ثم إلى سيحوت فالقشن ثم إلى المكلا ، وهنا خانته شجاعته وآب إلى عدن ولكنه عاد ثانية مزودا بحماية الحكومة البريطانية إلى المكلا ، وهو أول أوربى وقع نظره على مدن شبام وسيون وتريم .

يقول باعطوه ضوانا طارش [١]   من الولاية شاهره مشهوره
هوهرش من سلطان قوم الجرمل [٢]   له البيارق كلها منشـــورة
يلا [٣] أصبحوا بآلاتهم وأقوامهم   تفقع له الخـانات والدندوره
يلا مراكبهم تخوض الغبــه   ياطارف ارفع يلا نفخ طنبوره
أهـل المناور لى [٤] ثمنها غالى   منتحســـه والقوا عليها نوره
ذا فيك يامولى خيول صوافن   ذى فلك من ضرب الخلص مقدوره
وأنت عمود الباب وأنت السده   وأنت قوام الباب والتيسوره
خرج لوادى حضرموت يطوفه   فيه القعيطى ينكر المنكره
عزك ورحب بك صلاح محمد   ودولة الجرمل تبا [٥] تستوره
وبعـد ياعانى بخط مسـطر   للصاحب إلى [٦] له بلد محزوره
والترجمان أنشـد عليـه وقل له   ابر بيع معرفه ومنشـــوره
يشير من له فى الرياسة مدخل   هرش الذى هى زائدات حزوره
ذا لى حصل واعـذر عمر باعطوه   نقاد يافع فى الفـتن مـذعوره

وتتجلى النغمة الموسيقية فى شعر باعطوه ، وذلك لأن أكثر أشعاره تقال فى الأغانى الشعبية لاسيما تلك الأشعار التى تصف الحروب بين يافع وآل كثير والتى لهـا علاقة بالغزل ، وآل باعطوه وهم ينتسبون إلى بنى هلال أشهر قبيلة فى حضرموت تعشق الطرب وتحترف به .

وقال أبو بكر بن شهاب يرثى السلطان عوض بن عمر القعيطى :

ســـبحانك الله ياقيوم يا كافى   يالمنفـــرد بالبقا يا دايم السلطان
حكمت بالموت مافى وعدك اخلافى   وكل من هو عليها غير وجهك فان
ساويت بين الخلايق ناعل وحافى   ماباقى إلا أنت وحدك ياعظيم الشان
نطلبك ياذا الكرم ياعالم الخافى   تصفح عن الذنوب ياتواب يامنان

---

(١) أتانا ضيف (٢) جرمن (٣) إذا .
(٤) التى (٥) تريد (٦) الذى .

إلى أن قال :

ناول كتابى رفيع الرتبة الوافى   سامى المنازل عظيم القدر عالى الشان
راقى سرير الرياسة كفوها الكافى   غالب خليفة عوض سلطان بن سلطان
بوصالح الصقر فوق الجيش هفافى   نزاع الارواح ذى تعصيه فى الأبدان
وصالح السيف مافى وعده أسوافى   شبل الليوث الضوارى مقصع العمدان

إلى أن قال :

بموته اهتزت البـلد والأطرافى   وبات سارى ينعيه مركب الدخان
والخلق ضجت ولجت بالتافـرافى   إلى الملوك الذين فى روسها التيجان
سرح عوض بن عمر قفاز الانوافى   بيت الحروب به وملجى حجرها الرشان
ضجت عليه الملا وكل الأصنافى   قريبها والبعيـد النازح الاوطان
والسادة أهـل المعارف والتعفافى   عالم ومنصب وشيب القوم والشبان
والعلم وأهله شـوافعهم والأحنافى   وأهـل المنابر خيمت الاحزان
حزن يافع على هزاع الاشـنافى   إذا قـدم قبلهم ناطح جبل شمان

إلى أن قال :

شـديد بأسـه على عاصيه والجافى   رحيم قلبه على من جانب العصيان
يكرم ويطعم ويتحنن على العافى   ويجبر المنكسر خاطره والقصران
يبلغ مراده ويأمن كل مختافى   إذا التجا به ولو هو فى حنك ثعبان
قسـمه من العزم والهمة وقع وافى   سوس ممالك قويه ثابتة الأركان

وقال الشاعر انهدى على أبو زيد القانص القصيدة الآتية تحية لجلالة مليك العرب عبد العزيز آل سعود :

أبدى بمن سخر جميع السحائب   بين السماء الأرض تسمع رعودها
ويا كم له فيها خاق من عجائب   وآيات يصخر من كفر عن جحودها
ورتب عبيده كلهم فى مراتب   ذا فى أسفل الدنيا والآخر عمودها

راجيه يكفيه جميع المصائب ويغفر ذنوبي ليلة أمسى لحودها
وصلوا على من نال خير المراكب جبريل للبيت المقدس يقودها
المصطفى حبيب رب الحبائب مولى الشريعة ذى وثيقة عهودها
وثم قال من قد بات ذا الليل غائب عن هذه الدنيا وفاقد نفوذها
يحكم قوافيه فى الشعر راغب قوافيه عجيبة ما تخطى حدودها
وهاجسى تهيص يجيب الغرائب لأنا على بوزيد شاعر نهودها
بامدح وبانثى على الكرام الأطايب لى هزوا الدنيا وحلوا نجودها (١)
إخوان من طاع العزيز المحاسب وسيوفهم فى الحرب تروى حدودها
هم فرقة التوحيد خير المذاهب أمة على التوحيد يصعب صدودها
قانونها القرآن لى به تخاطب لا هى من الرفضة ولا من زيودها .
يسوسونها فرسان خير المناسب إذا شاب فيصلها تولى سعودها

إلى أن قال :

وعبد العزيز الرأس له رأى صائب هو لى قيدها ويطاق قيودها
رجل الشجاعة والدهاء والتجارب يعرف يصدر لها ويحكم ورودها
يغالب بأمر الله والله غالب وأمته فى طاعته بلغت جهودها

الأغانى الشعبية

والأغانى الشعبية منتشرة فى الحواضر والبوادى ، وأكثر ما تظهر أيام الرخاء حيث تهدأ الهواجس وتطمئن الخواطر ، وللحوادث المحلية دخل كبير فى إبراز الأغانى وإذاعتها بواسطة الأفراد المتنقلين من مكان إلى آخر ، فنزول الأمطار بكثرة وقدوم السيل وما ينتج عنه من خير أو تخريب والإصلاح بين المتحاربين ، وانتشار الأمن ، والسلام

---

(١) يشير إلى النجديين .

بعد الخوف والجزع ، والقيام بالمشروعات النافعة العامة والكرم والعدل والبطولة والمروءة كل ذلك يخلق أغانى شعبية يتغنى بها الرجال والنساء والولدان ، وكل الأشعار التى تقال للأغانى عامية ، ولكنها تمثل عواطف قائليها وأحاسيسهم بوضوح تام ، والنغمات حلوة عذبة ومتجددة فى حضرموت الوسطى [حدرى] ، ولكنها فى غير هذه المنطقة تسودها الخشونة والتذبذب ، وتكاد تكون الأصوات ذات نغمة واحدة والتجديد فيها غير محسوس .

ونورد هنا بعضاً من الأشعار العامية التى تقال للأغانى السائرة :

«بَلرّبِيْدَانْ تَحْتَ الطّسْ مَحْوِىْ ، وين لِى هُمْ يحبون الفضيلة . وادى العين ياحيا مسيره»

و بلر بيدان : أحد كبار المرابين كان يسكن داراً على مقربة من وادى سَرْ وصادف أن جاء سيل عظيم [سيل الكاين] سنة ١٣٣٥ . وأحاط الماء بداره من كلّ جانب وأخذت الجدران تتداعى للسقوط ، فاحتضن بلربيدان الطس ، وهو القدر الكبير ، وكان مملوءا بالنقود التى ادخرها ، لئلا يكتسحه السيل ، فيصبح فقيرا ، ولكن البيت انهدم عليه فالقائل يسأل الناس أن ينتشلوا جثة ذلك المسكين من تحت الأنقاض.

وقال آخر :

«وِشْ يَصبّرَكْ مِنْ خلك خَمْسَة أَيَّامْ مَحْسُوبَهْ : ليلة السعد معروفه .»

فالقائل يصرح بأنه من الصعب أن يغيب الشخص عن حبيبته خمسة أيام .

وقال آخر :

«ريتناقعْ شَارِحِ الجراف ، بَاتْـكِىْ على السّعَفْ وَبَانقرِ الْقِرَافْ ،
وَبَاقْزِّ الْفَرِيحْ وَالْقَـبَرْ فِى نَحْرُهُ : ياشـعب الخضيرة ريتنا حِلّه »

وهذا نوع آخر من الغزل ، فهو يشبه حبيبته بالجراف ، وهو أحسن أنواع النخل ، ويتمنى أن يكون على مقربة منها لينال منها وطره ، ثم يموت بين يديها شهيد حبه .

وقال آخر :

أَلاَ يَا طَيْر يَا خْضَرْ ، فين ممساك الليلة ، أَنَا مَمْسَايْ عند اهلى وَانْتِهْ مَمْسَاكْ بالسيله :

هو يخاطب حبيبته التى شبهها بالطير الأخضر ، وهو أجمل الطيور التى تأتى فى الربيع ويسألها فى شىء كثير من التواضع أن تبيت عنده .

هذه هى أربعة أصوات من الأغانى الشعبية ، وكلها أصوات [حدرية] ، وكنا نريد أن نكتبها بالنوتة الموسيقية ليفهمها غيرالحضارم ، ولكن ليس فى استطاعتنا ذلك .

الرقص

وآلات الطرب فى حضرموت لا تتجاوز العود والمدراف والمزمار والطبل الصغير [المرواس] ، والطبل الكبير [الهاجر] ، وتتألف الفرقة من واحد إلى خمسة ، وهم يغنون بصوت واحد ، وعلامة الإعجاب عندهم قول : [الله] مع مدّ الصوت كما هو الحال فى مصر ، وقد يضيفون إلى لفظ الجلالة كلمة [وَلَكْ] مرتين ، وعند ختام الغنوة أو الدور يقولون المطرب [أحسنت] ، وهم لا يصفقون المطربين لإظهار سرورهم منهم سواء عند الابتداء أو الانتهاء ، ويختلف الطرب عند النساء عنه عند الرجال ، فعند النساء تتألف الفرقة الموسيقية من مطربة واحدة تغنى على ضربات الطبل الذى تحمله بين يديها ، وجلّ ما تقوله المطربة من الشعر مدح العريس والعروس ، وأشهر المطربين أو المحترفين بالطرب ، هم آل باعطوة وآل بطيق ، وعليهم تتوقف حفلات الزواج وغيره ، وهم يتناولون فى مقابل ذلك أجراً قد يكون كبيراً .

والرقص يخالف فى أكثر مظاهره الرقص الأوروبى الحديث ، وكذا الرقص الشرقى المعروف بهذا الاسم فى مصر ، فهو فى حضرموت نحو ثلاثة أنواع :

الأول : ويقال له [الزفين] ، وهو أن يرقص [يزفن] اثنان على نغمات الطبول والعود ، ويتجهان فى رقصهما إلى المطربين دون أن يتماسكا ، ثم يعودان إلى الخلف مسافة خمسة أمتار تقريباً ، ثم يتجهان أيضاً إلى المطربين ، وهكذا حتى ينتهى الدور ،

أما المتفرجون فيجلسون على شكل مستطيل ، و بينهم فسحة واسعة للرقص ، وهـذا النوع أحسن أنواع الرقص إذ عليه مسحة من الفن الجميل و يحتاج إلى شيء من المهارة .

الثانى : يقال له [الشَّرِحْ] ، و يستعمل له طبل واحد فقط ، و يقف المتفرجون على شكل دائرة كبيرة ، و يصفقون تبعاً لضربات الطبل ، و يغنون أغانى بصوت مرتفع جدا ، وفى وسط الدائرة يرقص اثنان قد يكون أحدهما امرأة ، فيمسك كل منهما يد الآخر و يرقصان وجهاً لوجه محاذيين محيط الدائرة ، وهـذا النوع منتشر فى البوادى أكثر منه فى الحواضر ، وهو محبوب عند العبيد ، و يتفرع من هذا نوع آخر يقال له : [الدحيفة] ، و يوجد بكثرة فى دوعن وعمد ووادى العين ، وهو لا يختلف كثيراً عن النوع الثانى فى مظاهره .

الثالث : هو المسمى [الْبَرْعَهْ] ، وهذا لاتلقى فيه أغانى ، و إنما تضرب الطبول المسماة : [الطياله] ، و يقف المتفرّجون على شكل دائرة كبيرة ، وفى الوسط يرقص اثنان أو أكثر من اثنين مشهرين الخناجر [الجنابى] ، و يتجهون فى رقصهم اتجاهات حلزونية .

الشـــبوانى

و يوجد نوع آخر من الألعاب يقال له لعب الشبوانى ، ولاتستعمل فيـه شيء من آلات الطرب ، ولـكن يتبارى فيه الشـعراء ، و يرتجزون الشعر بحماسة شـديدة ، و يتناول ما يقال من القصائد المدح والهجو ، وسياسـة الحكم ونقد الولاة ، فالشبوانى عبارة عن مدرسـة يتعلم فيها الناشئون الشعر ارتجالا هو من أكبر العوامل لسرعة البداهة ، وشحذ الذاكرة ، وتقوية ملكة الشعر .

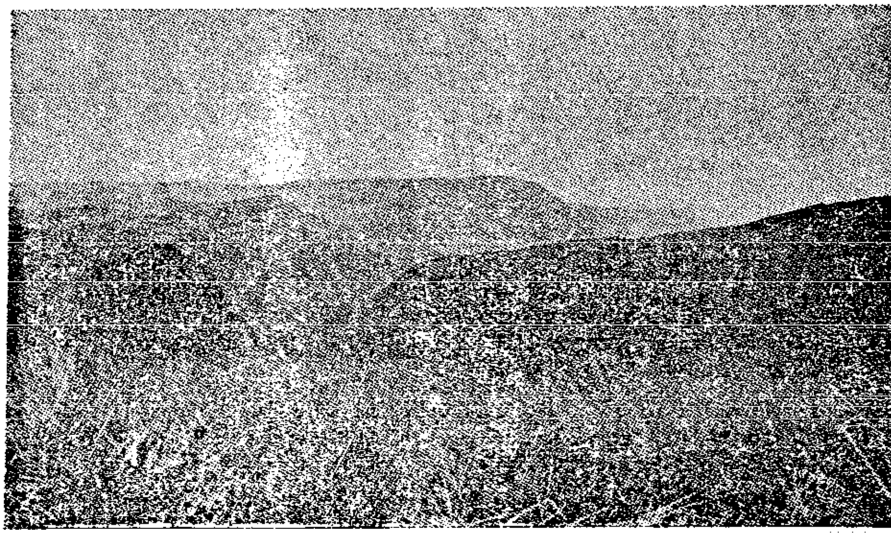
ظفار



مدينة ظفار

يمتد إقليم ظفار من سيحوت غربا إلى حدود عمان شرقا ، وهو عبارة عن هضبة يبلغ ارتفاعها ٣٠٠٠ قدم تتدرج نحو الشاطئ شرقاً وغرباً ، وتتراجع فى الوسط فتضم بينهما سهلا يشبه فى شكله الهلال ، وتهب على هذا الإقليم الرياح الموسمية الجنوبية الغربية صيفاً ، فتلطف مناخه ، ويسقط المطر على الجبال فتفيض خيراً ورخاء ، وفوق هذه الجبال تنمو أشجار الكندر الذى تشتهر به بلاد العرب ويصدرونه إلى بلاد الهند ليستعمل فى معابدها ، ويحصلون بدله على الأرز والأقمشة والبن والطيب ، وهو مصدر ثروة ظفار منذ أمد بعيد ، وعلى الرغم من أن هذه الجبال تكونت هى وجبال حضرموت فى عصر واحد ، وهو العصر القديم ، فإنها تخالفها من نواح جمة ، فهى هنا

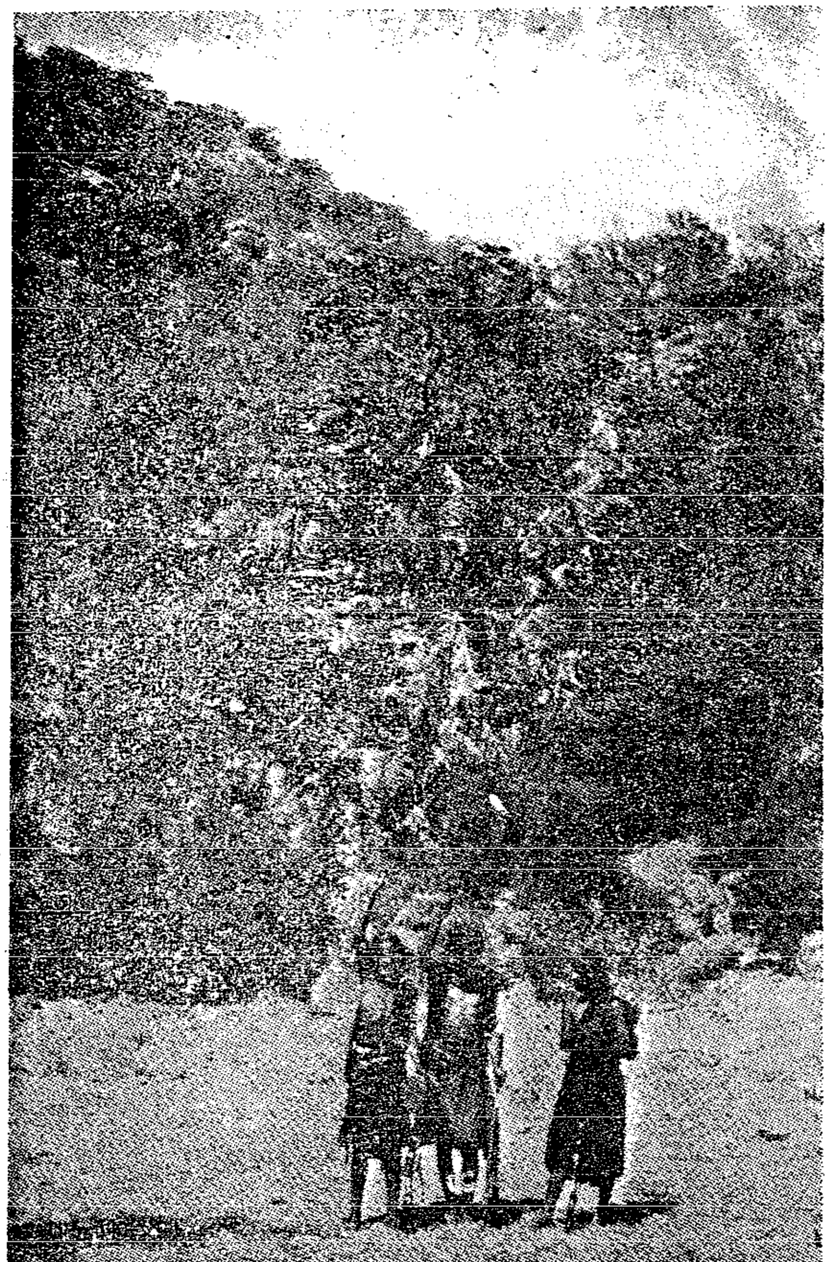
مقوّسة الشكل تنحدر إلى الساحل وإلى الداخل تدريجيا ، وتضمّ بينها و بين الساحل سهلا واسعاً ، والصخور الجيرية تكاد تكون مفتتة مختلطة بالرمل وتشقها وديان طولية وعرضية ، وتكسوها الأعشاب ، تتخللها أشجار كثيفة .



جبال قـــرا

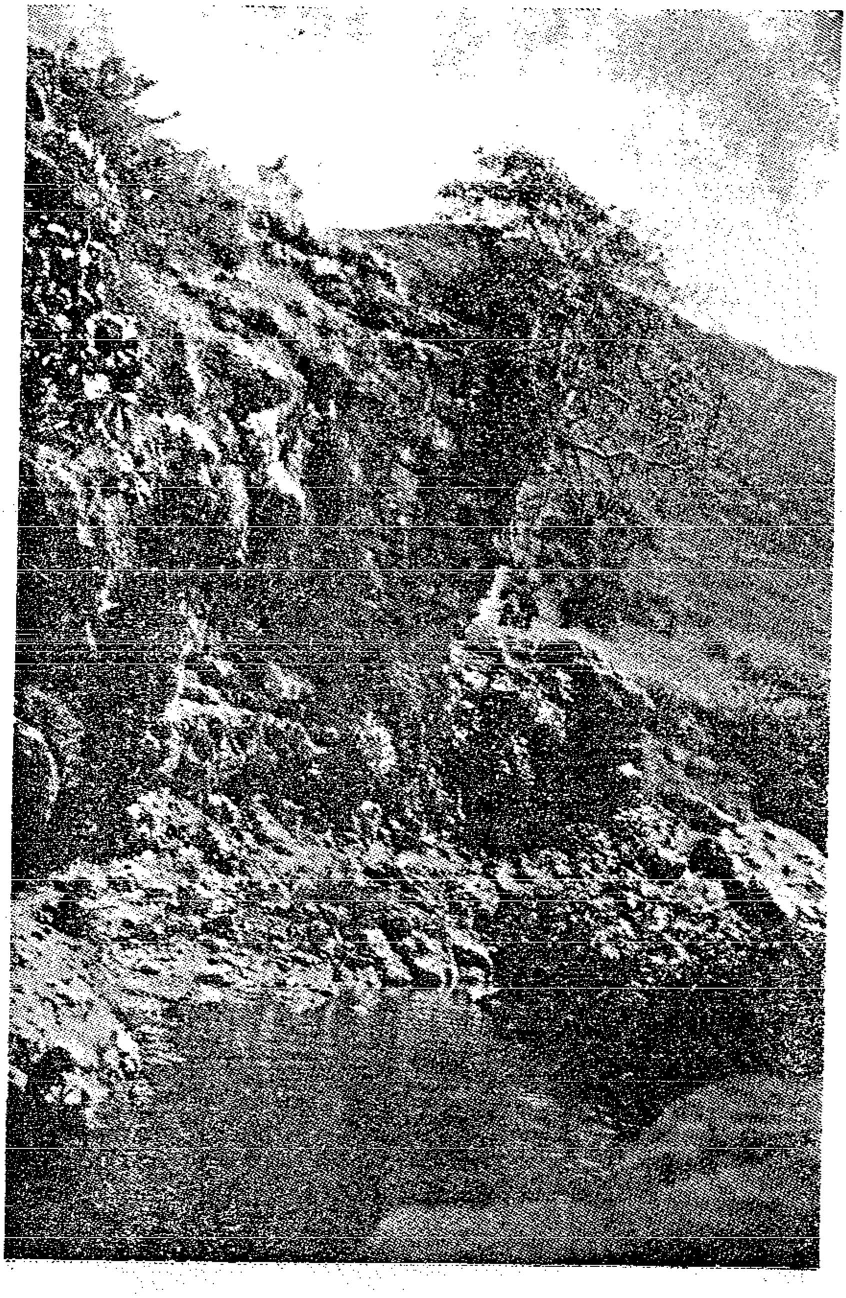
وجبال قرا تبدو كأنها مأوى طبيعي للأقوام النازحين قديمـا الذين هاجروا تحت ضغط شعوب أكثر رجولة وشدة منهم نحو الجنوب أو الشرق ، أو هوجموا من ناحية البحر ، يالروعة هذا البقعة من الأرض ! جبال طاعنات فى السماء ترتفع إلى أكثر من ثلاثة آلاف قـــدم تشارف محيطاً يقع فى المناطق الحارّة ومنحدراتها نحو الشاطئ أرجوانية ملأى بالأجمات .

وذراها زكية بالمراعي الصفراء ، ومن بعدها تنحدر الجبال نحو الشمال إلى منطقة الإستبس رمالها حمراء ، وتكثر هناك الصخور الحمراء يزيد ارتفاعها عن ثلاثمائة قدم ، ومقدم الصخور قد حضرت فيها الطبيعة فجوات ، و يكثر فى هذه الجبال الضباع والذئاب



أجمات فى قرا

والأفاعى وغيرها من الزواحف ، وكثير من أنواع الطير والفراش والحشرات ، والماء



نهــير فى جبل قرا

موجود بكثرة أغزر مما هو فى إقليم حجر . فالعيون التى تكون النهيرات منتشرة فى الأودية .

وأشهر هذه النهيرات نهير الريزات ، وينبع من كهف فى بقعة مسطحة من المدرج الجبلى على بعد ميلين من بلدة العود ، ويتدفق ماؤه فى بركة متسعة تحفّ بها أشجار البوص فى ارتفاع الإنسان ، ويلقى الأهالى فى هذا النهير بعض الأطعمة ، وهى تمثل لديهم أرواح أسلافهم ، ويقولون : « نحن أبناؤكم وبناتكم لاتلحقوا بنا أىّ أذى واطردوا عنا الأرواح الشريرة » ولهذه العادة خرافة شائعة فحواها أنه فى عهد ولاية سليمان بظفار تقاتل بيت زيان ، وهو فرع من قبيلة الشحارى مع بنى قرا على رمى الضحايا والنذور فى تلك المنطقة ، واحتكموا لسليمان فقضى بأنه سيمدهم بالمواد اللازمة لعمله ، ويصبح للحكومة نصيب فى غلة الأرض ، ولما حارب بنى قرا حرضوا عليه أجدادهم (المتمثلين فى ماء النهر) ، فأصبح النهر يسير إلى أعلى الجبل ، فجف السهل ولم ينبت شيئاً فخسرت الحكومة ، وتحدث فى هذه البقاع خزعبلات كثيرة ترجع إلى

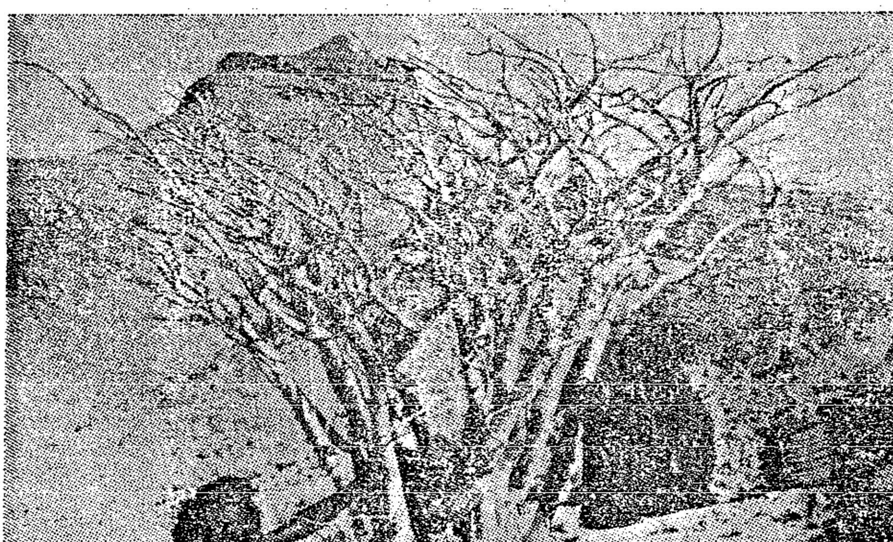


مزارع فى ظفار

أصل وثنى ، ففى جُزْبيب مثلا يطوف قبل الحصاد ببقرة حول الحقول ، ثم يذبحونها ويريقون دمها فى ماء الجدول ثم يقطعونها إربا ويرمونها فى وسط الحقول ، والماء

العذب متوفر حول المدن على عمق قامة من سطح الأرض ، ولولا منافسة القبائل لحفرت الآبار الارتوازية تجعل السهل جميعه نضيراً ، ويستخدم العبيد أو الثيران أو الجمال لرفع المـاء من الآبار لريّ حقول القصب والقمح والذرة والقطن والنيلج ، وتستولى الحـكومة على جزء من ستة عشر من المحصول كضريبة فى السهل ، وعلى جزء من خمسة من محصول الجبل ، ولـكن قرارات الحـكومة لاتسرى على أهل الجبل تماما.

وتقيم فى هذا الأقليم قبيلتان : بنوقرا أو القريون فى الجبال ، وتعيش على الرعى وزراعة الـكُندر .



شجرة الكندر

وبنو كثير فى السهل ، وتعيش على صيد السمك والزراعة والتجارة ، وفى فصل الصيف الممطر عند ماتتعذر الملاحة بسبب الأعاصير يصعد أهل السهل إلى الجبل لحصاد الـكندر ، والقبائل فى نزاع مستمرّ ، والفوضى ضاربة أطنابها فى طول البلاد وعرضها تتخللها فترات قليلة من الحكم القوى ، وليس للبلاد تاريخ مدوّن ، والجهل متفش بين

الناس بحيث لا تجد شخصاً يقص عليك ولوطرفا مشوها من تاريخ بلاده إلاالـكهول ، وعامة الناس مشاغبون محبون للحرب والقبائل متنافرة متنافسة ، ولهذا كان النظام والقانون أشق الأمور ، فالناس هناك يحبون الحرية الشخصية التى لاتعرف قيوداً أكثر مما يحبون الحياة ، ولم يخضعوا لحـكومة غريبة عنهم إلا بعد معاناة الأمرّين ، وبعد أن استنفدوا كل مجهوداتهم فى مقاومتها يبدأ تاريخ ظفار فيما بعد الإسلام بحكم محمد بن أحمد المنجوى ، وما زالت بقايا عاصمته الدارسة قائمة فى خوروري ، وهو اسم قديم لايتداول إلا على شفاه هؤلاء الناس ، وهم يعزون كل تخريب فى البلاد إليه .

وخلفه سليم بن إدريس الحبوضى سنة ٦٩٧ هـ و ١٢٧٩ م ، وأصله من حضرموت وفى القرن السادس عشر حكم البلاد سيف الإسلام الغسانى ، وهو من صنعاء اليمن ، وكانت قلعة بَلِدْ مقرّ حكمه ، وهى اليوم أفخم مخلفات سهل ظفار ، وبعد قرن من النزاع بين القبائل حكم شخص من بنى كثير تلاه عصر لايعرف عن تاريخه شيء اللهم انه استمرّ طيلة القرن الثامن عشر ، ثم حكم شخص آخر من العلويين عشرين سنة فى أوائل القرن التاسع عشر حتى قتله بنوقرا ، وفى سنة ١٢٩٨ هـ قدم شخص يدعى فضول ابن عليوى ، وهو حضرمى الأصل ، وادعى أنه موفد من قبل الحـكومة العثمانية ولـكنه طرد ، فوجه أهل ظفار أبصارهم إلى البيت الحاكم فى مسقط ليحكمهم أيضا ، وقد استقرّ الحـكم نوعا ما بالنسبة للبلاد الأخرى ولو أن أسسه قد وضعت بالدماء ، وهى قصة تستحقّ الذكر لا لأنها تكون جزءا من التاريخ الحديث فحسب بل لأنها تلقى ضوءا على نفسية الحكام والمحـكومين فى ذلك الصقع النائى من بلاد العرب

كان سعيد تركى بن سعيد جدّ سلطان مسقط الحالى هو الذى طلب إليه أهل ظفار حكمهم ، وكان له عبد اسمه سليمان بن سويلم كان قد عينه قائداً لجيوشه ، وهو أمر مألوف فى بلاد العرب ، وكانت له شهرة واسعة بين قبائل عمان إذ اشتهر بالشجاعة والإقدام وشدة المراس ، وهو خير كفء لحـكم بلاد مضطربة كظفار ، ولذلك عينه تركى والياً عليها ، وقد أتى سليمان على رأس فئة مكونة من ١٨ جنديا وضم إليها شرذمة من الأرقاء وغيرهم ، واستطاع بذلك أن يستولى على قلعة مدينة

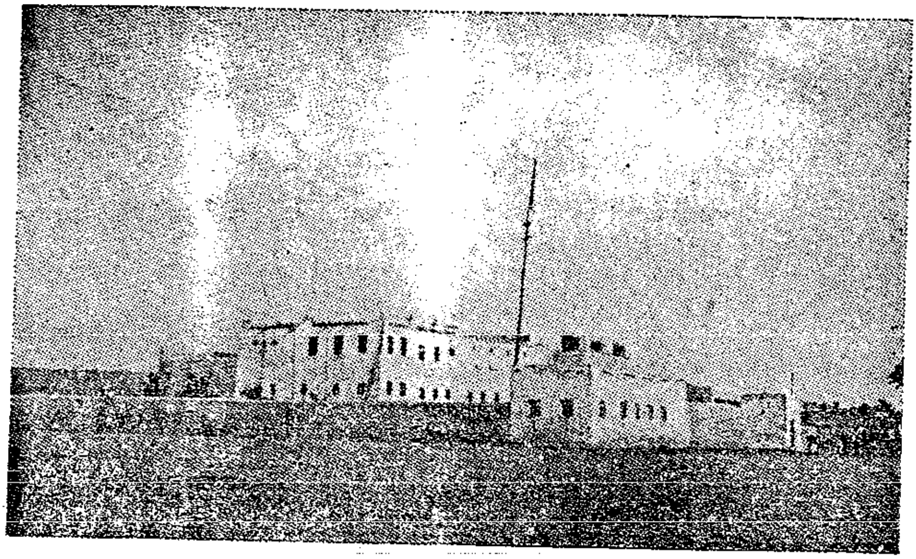
سلالا ، وهى أكبر مركز تجارى فى ظفار ، ولكن القبائل المتمردة لم ترض عن أحكام سليمان القاسية وجمعه الضرائب ، وسرعان ما تذمرت قبيلة قرا ، ولو كان شخص غير سليمان لجبن ، ولكنه كان لا يعرف التراجع ، فظلّ على صرامته إلى أن قتل بنو قرا أحد جنده غدراً فى حمران ، فاضطر لمنازلتهم وانضم إليه بنو كثير وحاربهم ، وكانت النتيجة فى صالح سليمان إذ أقسم بنو قرا يمين الولاء وقدموا له ١٠٠ رأس من الماشية هدية ، وبالرغم من كل ذلك ظل سليمان يتبع طرقه الإرهابية فى الحكم فمثلا قتل أحد أفراد القبائل بعد أن عذبه لأنه اعتدى على قافلة حتى يكون عبرة لغيره ، فبدأت القبائل تتذمر من جديد،واندلع لهيب الثورة ، فاضطر لمحاصرة بنى قرا فى الجبال بمنع السردين عنهم وهو طعام أساسى للجمال فى فصل الشتاء ، وبعد ثلاث سنوات حافلة بجلائل الأعمال استدعى سليمان لعمان ، وبذلك نجا من سخط القبائل ونصب بعده ولديه علىّ وسعد فانتهز الأهلون فرصة غيابه ، وعاثوا فى البلاد فساداً ، ومن ذلك أن قبيلة كثير دبرت مؤامرة محكمة للاستيلاء على مخازن الحكومة ، وهى ملأى بالزبدة والأرز والبلح من الضرائب والعشور ، وتنطوى هذه المؤامرة على أن يأتى شخصان من القبيلة يحتكمان إلى الوالى فى خصومة بينهما ويستدعيان شهودا من القبيلة حتى يغص بهم مقرّ الحكومة ثم ينفذون المؤامرة ، وقد نجحت تماما إذ فى صبيحة أحد الأيام جلس على وسعد عند باب القلعة وحضر المتخاصمان والشهود ، ثم أديرت على الجميع أقداح القهوة وبإشارة من الزعيم انقضّ المتخاصمان والشهود على الواليين ومن كان حاضراً من الجند ، لأن أغلبهم كانوا قد انبثوا فى أرجاء البلد لقضاء عملهم اليومى ، واستولوا على ما فى المخازن وهدموا القلعة من أساسها ، ولم ينج من الجند إلا عبد اسمه بخيت ابن نوبى وأربعون جنديا هربوا إلى مرباط فى كنف صديق لهم من بنى قرا ، وكان هذا العبد مولى سعيد ، وهو أمر عادى أن يشترى العبد عبيداً له ، ولكنه لا يتصرف فيهم بالبيع أو الهبة ، وإذا مات أصبحوا ملكا لسيده ، وكان على بخيت أن ينتظر حتى تصل الأخبار إلى مسقط ويأتيه المدد ، ولكنه تصرف بذكائه وكياسته فأقنع الثوار بأن خير منجاة لهم انضمامهم إليه ، ولم تسمح الظروف لسليمان بالحضور ،

فبعث السلطان مندوبا من لدنه على دارعة إنجليزية ، فقضى على الثورة ، وبنى مقرّ الحكومة من جديد ، وعين بخيت والياً على ظفار ، وقد ترك سليمان بعد مقتله تعليمات لبخيت . منها : إذا تركت أيّ رئيس من قبيلة كثير يعيش بعد انتخابه فثق أنّ رأسك ستنقطع ، وفعلا نفذ بخيت تعليمات سيده ، فقتل عشرة رؤساء من بنى كثير فى خلال ولايته لمدّة سبع سنوات مع أن مندوب السلطان كان قد أعلن العفو العام إلا أن الغدر عادة متأصلة فى نفوس القوم .

القريون

أصلهم وأوصافهم وعاداتهم

أصل القريين من حضرموت ، ولا يعرف بالضبط ابتداء هجرتهم ، ويسميهم الناس القريين ، ولكنهم يسمون أنفسهم الحقالى ، ويسكن هؤلاء فى جبال القرا التى تقع فى وسط الجنوب من بلاد العرب بين خطى طول ٥١° ١٠َ و ٥٦° ٢٠َ ، ويجاورهم من الجنوب الغربى الشمالى الشحاريون ثم المهرة ، والشحاريون أعرق القبائل فى هذه البقاع وهم اليوم مضعضعون منحلون ، لا يحفل بهم أحد ، ولا يتزاوج واياهم أحد ، سلالة فى قرا يجتثون غاباتهم ويستخرجون مياههم ، وأهل قرا كانوا سادة ولا نزاع ، والبقايا المبعثرة التى تتخلل بعض أراضيهم كلها أدلة ناطقة على وجود حضارة قديمة كما تدل الآبار الخربة وأنابيب المياه ، وبقايا المحاريث على وجود صناعة فى تلك الأزمنة الغابرة كما تدلّ المحاجر المنبثة هنا وهناك على استعمال الأحجار فى البناء إذ ذاك ويستخدمها الأهلون الآن للزراعة ، ويتبع سكان هذه الجبال سياسيا حاكم ظفار .



قصر حاكم ظفار

ولكن هــذا لا يستطيع تنفيذ أوامره فيهم مهما كان من الشدة والصراحة على جانب عظيم .

ولرجال الجبال هؤلاء طابع خاصّ تماما ، فشعر رءوسهم طويل خشن يقطع أحيانا عند القمة ، ولكن أكثر الأحيان يترك غزيراً ، ولا ينبت لهم شعر فى العارضين إلا فى طرف الذقن حيث ينبت شعر قليل خشن ، وكثيرون منهم لهم وجوه جميلة غير عربية الطراز ، وملبسهم هو ذلك الرداء الملوّن بالنيلة المفصل بحيث يغطى نصف الجسم ، ويجمع فوق الكتف ، وحول الخصر زنار من الجلد المدبوغ كأنه حزام يوضع فيه خرطوش البندقية ورءوسهم عارية إلا من سير من الجلد يحفظ ذؤيبات شعرهم الطويلة من التفكك ، وسواعدهم السمراء وأرجلهم فيما تحت الركبة عارية تماما ، وأغلبهم يلبسون قرطاً واحداً فى الأذن اليمنى ، وسواراً واحداً فوق الكوع الأيمن ، ويماثلون فى ذلك المهرة والقبائل المجاورة .

وثروة أهالى جبال القرا تقدر بقدر ما يملكونه من رءوس الماشية ، ويعدّ من يملك ٢٠ رأسا متوسط الحال ، ولا يحتفظ الناس إلا بالاناث من الأبقار ، ويبقون

ثوراً أو اثنين للقطيع كله ، وتربى الجمال فى الوديان التى بها غابات ، ولكن عددها محدود لأنها تحتاج إلى تكاليف باهظة ، ومجهودات شاقة ، ولا تستعمل النوق الحلوب للركوب غالباً بل تربى لتنتج الجمال التى تستعمل فى نقل البخور من الجبال إلى الشاطئ ، ونقل السردين من الموانئ إلى الجبال ليستعمل علفاً الماشية وقطعان الماشية كثيرة على جبل القُطُوف وفى سهل جُربيب ، وفى إقليم زَولول فى سفح جبل سَمْحان وهى عادة من الماعز فقط ، إذ يكره الجبليون لحم الضأن ، ولا توجد كلاب بالمرة ، وبها عدد قليل من الحمير ، ويربيها الشحاريون وبنو كثير .

والقتل شيء عادى ، والعداوات بين آل كثير وبنى قرا والمهرا قديمة ، فهم لا يعترفون بسلطة رئيس واحد ، وتتغير علاقات الأفراد بعضهم ببعض من وقت لآخر وهم يعتبرون حكومة ظفار قبيلة لها شيء من الرياسة .

ولحكم الحَوْز شأن عظيم عند أهل القبائل ، والحوز هو رئيس القبيلة ، وهو مختصّ بفضّ جميع المشاكل ، إذ قلما تلجأ القبائل إلى الحكومة إلا فى الأحوال الزوجية ، ولا تنفذ الحكومة حكم الشرع إلا فى المدن الساحلية ، والغدر من شيمة الجبليين .

وفدية القتل تتراوح بين ٤٠٠ ، ١٠٠٠ ريال ، وفى جبال قرا إذا كان الشخص المقتول فقيراً جمعوا مبالغ من المال من قبيلة القاتل لمساعدة أهل القتيل ، أما الشحاريون والعبيد فلا فدية لهم إذ ليس لهم قبائل تأخذ بثأرهم . ولكون هذه القبائل مستقرّة غير رحالة ، فعندهم نوع من ملكية الأراضى ، وهذا ما لا يعرفه البدو ، فالأشجار والمراعى ، ولو أنها نظريا ليست لشخص معين إلا أن كلّ فرع من القبيلة يختصّ بملكية جزء منها ، والكهوف كذلك يملكها الأشخاص ويتوارثونها ابناً عن أب .

ويؤدى أهل الجبل فروضهم الخمسة ، وهم لا يؤدونها بانتظام سواء فى الحركات أو فى القراءة بسرعة كبيرة ، ويقال ان النساء يؤدون صلاتهنّ أيضاً ، وفى رمضان يصوم الجميع رجالاً ونساء .

والسحر منتشر ، وغالباً ما يقتلون الكهول لاعتقادهم أنهم ما وصلوا إلى هذه السن المتقدمة إلا بمساعدة قوى غير طبيعية ، ويعتقدون أن الموت مسبب غالباً بسحر ساحرة .

وفى هذه الجبال قانون لا يمكن كسره : هو أن يذبح نحو نصف ما يملك الرجل من البقر بعد وفاته كتضحية ، وفى حالة الرجل الفقير يكتفى ببقرة أوشاة واحدة ويضحى الغنى بعشرين بقرة (والغنىّ ما زاد ما يملك عن أربعين رأساً) ، وقد يضحى بجمل وبضع خراف ، وفى يوم الدفن تذبح بقرة أو بقرتان على القبر ، وتتلى هـذه الكلمات « دى بى حدكتوس حضيل إرّحضيل » تمرّ ليلتان وفى الثالثـة تذبح بقرة أخرى ، وهذا يسمى ختوم ، وتمرّ فترة أخرى قد تكون أسبوعين ، وقد تمتدّ إلى ثلاثة أشهر ، وبعدها يحلّ موعد التضحية الكبيرة ، وهـذه تتألف من عشر أو خمس عشرة أو عشرين بقرة ، وهذا يسمى يوم النحيرة ، ثم يبدأ توزيع الممتلكات بين الأقارب ، وفى جبال القرا وفى بيت كثير لا يحصل الدائنون على أكثر من ثلث ممتلكات الميت .

والميراث فى جبال القرا نظام خاصّ يخالف فى كثير من نواحيه نظام الإرث فى الإسلام ، فهو مرتبط بمراسيم التضحية الميت والثروة هناك غالباً محصورة فى الأبقار وفى حالة موت رجل يذبح نصف أبقاره كتضحية ، وللدائنين أن يطالبوا بعشر الميراث وماتبقى يوزع على الزوجات والأبناء والبنات ، والزوجات يأخذن العشر ، ومن خصائص هذه القبائل البدوية أنه إذا كان لامرأة بنت واحدة أو ثلاث بنات ، وليس لديها ولد لا يرث أشدّ الذكور قرابة من أسرة الزوج المتوفى شيئاً ، وإذا كان لها بنتان فإنه يرث ، ومن هنا يبدو أن هناك معنى خاصاً للرقمين ١ ، ٣ ، ويختلف قانون الجبال عن قانون القبائل العربية الجنوبية فى نقطة أخرى ، ولكنه يتفق مع نظام الشحاريين ، وهذه النقطة هى أن الزوجات ينلن أنصبة متساوية بصرف النظر عن أنجاب الأولاد ، والزوجة فى هذه القبائل غالباً لا تترك الحزن على زوجها والأمهات والبنات والأخوات قد يبكين ، وقد يرفعن أصواتهن بالعويل ، وعند القريبين يرسلن شعورهن ويضربن رءوسهن ويصببن عليها التراب ، وسكان الجبل يأكلون لحم الضبع أو الثعلب ، ويحرمون على أنفسهم أكل البيض والكتاكيت ، وحين يمرض أحدهم تذبح بقرة أو نعجة وينثر دمها على كتفى المريض وصدره عندما تكون الشمس مرتفعة فى السماء ،

ولا بدّ أن يكون الحيوان المذبوح أنثى ، وهذه التفرقة فى الجنس لا تراعى عند التضحية فى حالة الموت .

والشحاريون لا يتزاوجون مع غيرهم ولذا كانت مميزة عن غيرها ووجههم أعرض من جيرانهم ، ولهم سلام خاصّ ونادراً مايحملون الغدارة وهم جبناء يرضون أن ينهبوا أو يتركوا واحداً منهم يقتل ، ولا يحركون ساكناً للدفاع عن أنفسهم .

ويزعم سكان الجبل أن الشحاريين من نسل أولئك القوم الذين قتلوا ناقة صالح عليه السلام ، ولذا فهم ينظرون إليهم بعين الاحتقار والإهانة ، والسلاح من مميزات القبائل عن بعضها ، فسلاح أهل الجبل يتكوّن من سيف مقوّس ذى حدين وعصا مدببة الطرفين مصنوعة من خشب ثقيل جداً بحيث يغطس فى الماء ولا ينبت أشجاره إلا فى ظفار ، ويحمل أغنياء القرا غدارة وسيفاً .

والختان عندهم من أهم الأمور ، ويختن الذكر عند البلوغ والأنثى فى يوم ميلادها وهذا عكس مايحدث فى بقاع أخرى من بلاد العرب ، ففى عمان يختن الذكر فى سن السادسة والأنثى فى العاشرة ويشبه ختان الذكور هناك الختان عند قدماء المصريين لأن الموميات التى عثر عليها فى طيبة مختونة ، وللختان عند القريين حفلات عظيمة وشعائر لا بدّ من عملها ففى يوم الختان يجتمع عدد كبير من الرجال والنساء على شكل حلقة وفى الوسط يجلس الصبى على صخرة وفى يده سيف ، ثم يرمى السيف فى الهواء ويتلقاه براحة يده ، وأمامه يجلس الرجل الذى يقوم بالعملية وخلفه عذراء غالباً ما تكون أخت الصبىّ أو بنت عمه وفى يدها سيف أيضاً ترفعه وتخفضه وتدقّ به على راحة يدها اليسرى ، ثم يقوم الرجل بالعملية والصبى رافع كفه بالسيف ، وبعد تمامها مباشرة يقوم والدم يسيل منه ويجرى حول هذه الحلقة يرفع السيف ويخفضه ، ويحكمون على شجاعته بذلك ، وبينما هو يقوم بذلك تدقّ الطبول وتنشد الأناشيد الحماسية وترفع النساء ملابسهن فيكشفن عن صدورهن ، ولكن ختان البنت يحصل سرا .

ويترك الصبى خصلة من شعره فى وسط رأسه تشبه لباس الرأس عند الهندوكيين ،

وربما كانت لها علاقة بالخصلة التى كان يتركها قدماء المصريين من أجل حوريس ، وتحلق هذه الخصلة فى يوم الختان ، وبعد ذلك ينمو الشعر نموّه العادى ويحلق شعر البنت بطريقة غريبة ، وهى حلق منطقة من الشعر وترك منطقة أخرى ، وعند ما تخطب فى سنّ الثالثة أو الرابعة عشرة يتركون شعرها ينمو نموا طبيعياً ، وبعد زواجها بشهر لكى تدل على أنها ليست عذراء يستأصل الشعر تماما من وسط رأسها بقطع قطعة من الجلد تبلغ $\frac{3}{8}$ من البوصة بموسى ، فلا ينمو فيها الشعر أبداً وهى عملية مؤلمة قد تكون عاقبتها وخيمة .

وتطلى النساء وجوههن فى أيام الأعياد والحفلات بطلاء ملون أسمر وأخضر وأحمر ، فتصبح لوجوههن هيئة مضحكة كما تطلى حافة الوجه من عند الشعر والذقن والفك والخد بخطوط سمراء دائمة كما تضعن خطوطا سمراء من الأنف إلى الأذنين وتحت العينين وعلى الرقبة ، وقد يضعن نقطا من طلاء قرمزى فى منتصف الجبهة وعلى الشفتين كما هى العادة عند الهندوكيين ، وقد يضعن على ذقونهن هذه العلامة — ا — كما تفعل النساء البلديات فى مصر والحلى كثيرة ، ففى عهد الطفولة تثقب الأذن فى ستة مواضع تحلى كل واحدة منها بقرط أو تحلى جميعها بسلسلة من الفضة ، وعند ما تصل البنت سن البلوغ تثقب طاقة أنفها اليسرى وتضع فيها خزاماً ، وفى كل أصبع خاتم وحول رقبتها قلائد ، ولكنها لاتلبس أساور كما تفعل نساء المدن الساحلية ، ومن غرائب العادات أن السعوط [النشوق] عادة متفشية بين النساء لابين الرجال إذ يكتفى الرجال بالتدخين ولكن الرجال والنساء جميعاً يمضغون خليطا من الطباق والليمون الحامض ، ويقال إن له تأثيرا مخدراً . وطريقة السلام تختلف ، فقد يسلم الشخص على امرأة يضع يده فى أطراف أصابعها وتسحبها بسرعة ، ولكنه إذا ضغط على يد بنت كما يفعل الأوربيون يعتبر إهانة لها فيستاء أهلها لها ، وسلام الرجال هو المصافحة والتقبيل على الخد الأيسر بينما تبقى اليد اليمنى على كتف الشخص الآخر وقد يحدث هذا وهم جلوس ، وإذا كان أحد المتصافحين شيخ قبله الآخر فى خده الأيسر وفى جبهته . وإذا كان المتصافحان من طبقة راقية قبلا بعضهما ، ثم يقفان لحظة واجمين احتراما واجلالا قبل الجلوس .

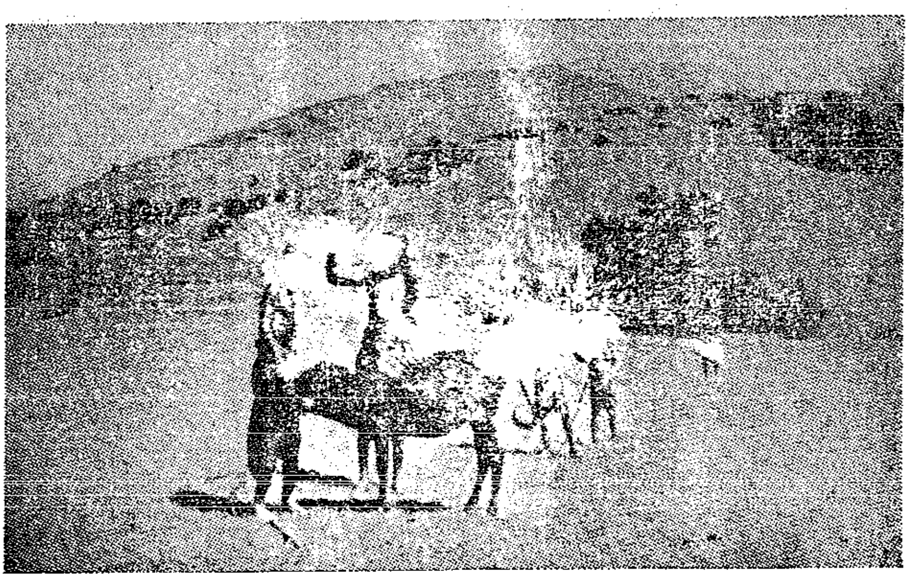
والسن العادى للزواج للبنت والولد هو ١٥ سنة لمنعهما من التخلق بخلق فاسدة وقد يتزوجان قبل هذه السن .

وطريقة الزواج عند هؤلاء الناس هو أن يتفاوض الزوج مع ولى أمر الزوجة على الصداق و يسمونه الجياب ، وأكبر صداق هو ٢٠ بقرة [٤٠٠ ريال] وأقله بقرة أو عشرة ريالات ، ثم يذهبان إلى قاض فيعقد العقد وعند عودتهما يصحب الزوجة نساء من قبيلتها يمشى أمامهن ثلة من الرجال ، حتى تصل العروس إلى كهف زوجها ، وليس لها متاع سوى قطعة من البساط ، وقد يذبح الزوج بقرة أو اثنين للوليمة و يغنى الرجال ولكنهم لا يرقصون كما يحدث فى حفلة ختان الصبيان - والطلاق من أيسر الأمور للرجل إذ يكفى أن يضايق الرجل زوجه فترحل إلى بيت أبيها وعند ذهابها يعطيها نصف بقرة ، ولكن الطلاق من جانب المرأة صعب إذ يجب عليها أن تعطى زوجها نصف صداقها ، ولا يحتاج الطلاق إلى موافقة القاضى ، ولذا كان منتشراً ، وأغلب الرجال لا يتزوّج أكثر من اثنتين ، و إذا أنجب الرجل من زوجه أصبح راغباً عن طلاقها ، فإذا أراد الزواج من غيرها أعطاها بقراً مساويا لصداق زوجه الجديدة ، ولهذا كان للنساء ثروة خاصة . والزوج لا تحلب البقر ولا تقوم بطبخ الطعام ، بل هذا من أعمال الرجل بل تقوم برعى الماشية ، وجلب الماء ، وجمع الوقود ، وعمل الفخار ، وجمع الدريس ، ولكن أهمّ أعمالها إنجاب الأولاد ، وفى إبان حملها تقوم بعملها العادى حتى يوم الوضع ، وهى تضع تحت شجرة أو فى كهف ، إما وحدها أو بمساعدة إحدى قريباتها أمها أو أختها غالباً ، وتستأنف عملها فى اليوم التالى . و إذا زنت المرأة ، وهذا نادر جدا يطردونها من القبيلة إلى الشاطئ ، و يتبعون الزانى حتى يخرجونه بالسيف ، فإذا لم يتمكنوا قبضوا على أى قريبة من قريباته ، وارتكبوا معها نفس ما ارتكبه قريبها ، ولما كانت البنت تخطب قبل أن يتمّ تكوينها جسمانيا وعقليا ، فإن هذا يمنع اعوجاج سيرتها ، وفى زواجها لا يستشيرها أبوها ، وعند ما تطلق المرأة يصبح لها الحقّ فى اختيار أىّ زوج تشاء ما دام أبوها موافقاً ، وحق ابن العمّ فى زواج بنت عمه له

الاعتبار الأوّل فى كلّ بلاد العرب ما عدا هذه الجبال إلا عند قبائل المهرا ، فإن الأب هو الذى يقرّر زواج بنته بمن يختار .

وللناس هنا خرافات وخزعبلات ، ففى القرى الساحلية حيث يقيم السكان بيوتا لسكناهم ، أوّل ما يعمله الشخص الذى يريد أن يبنى بيتاً أن يدقّ أوتاداً فى البقعة التى سيبنى فيها المنزل لطرد عين السوء ، وعند ما يتمّ البيت يذبح حَمَلا على عتبته كما يفعل الفرنجة عند الاحتفال بإنزال السفينة لأوّل مرّة فى البحر بكسر زجاجة خمر ، وفى ظفار تذبح الشاة فى أثناء عملية البناء ، ويأكل البناءون لحمها ويريقون دمها على الحيطان ، وعند ما يدخل صاحب البيت لأوّل مرّة يكسر بيضتين على عتبة الدار وآخرتين على الدرج وآخرتين على الطابق الأول .

ويعزى الناس هنا عدم إدرار البقرة لِلّبن إلى عين السوء أو عين إبليس كما يسمونها ، ولطردها يقوم صاحب البقرة بتبخيرها بإحضار وعاء به نار ، ويحضر ثلاثة قطع من البخور ، ويبصق على كلّ واحدة منها مرّتين ويلقيها فى النار ، ويساعده اثنان فى هذه العملية يمسك أحدهما بفكّ البقرة الأسفل ، ويرفع رجلها الأمامية عن الأرض ، ويمسك الآخر ذيلها .



تبخير البقرة

ثم يقرأ صاحب البقرة التعويذة التالية ، وبينما يدير النار على رأسها : « انظرى إلى قربانك بخور ونار من عين السوء من عين الإنسان قريباً أو بعيداً ، قريباً أو غريباً طُرِدَت إن كانت منى أو من أىّ شخص آخر من عين السوء رجل أو امرأة ، انظرى إلى قربانك هذا بخور ونار » ، ثم يطلق رفاقه سراح البقرة لتلحق بزميلاتها فى المرعى .

وللناس خاصية أخرى هى القسم بالأضرحة والمحنة بالنار ، وهذا يقوم به الحوز ، والقسم باسم الله الذى يعتبره العرب جميعاً لا يعتد به بنو قرا إذ كثيراً ما يقسمون بها حانثين ، وقد يطلب المشتكى من خصمه أن يقسم على ضريح مقدس خير من أن يقسم بالله أو بالقرآن كما هى الحال فى حضرموت ، ويعتقدون أن لهـذه الأضرحة قوّة الانتقام إذا كان القسم حانثاً ، وأهمّ الأضرحة التى يقسمون بها هى :

الاسم	المكان
صالح بن هو	بين حَسِك وراس نوس
بير عربية	ريوت
الشيخ عيسى	خور طاقة
النبى عمران	حافا
بير على	مرباط
الشيخ عفيف	طاقة
زهير	مرباط

أما المحنة بالنار أو التريط أو البشعة كما يسمونها ، فيقومون بهذه العملية عادة بين

صلاة الفجر والظهر . وطريقتها أن يحمى طرف الخنجر فى النار حتى يحمرّ ، ويبرز المتهم لسانه ويقبض عليه المـابشعة « القائم بعملية المحنة » بينما يتناول الخنجر بالأخرى ويمرّ على لسانه ، ويجعله يبصق فى الحال ، وبعد ساعتين يخرجون لسانه ، فإذا ظهرت عليه علامات الحروق أو احتقان فى عنقه عدّ مجرما ، وعليه أن ينفذ كلّ ما يطلبه خصمه ، وإذا كان العكس اتضحت براءته .

هجرة الحضارم إلى الخارج

هجرتهم إلى الأندلس

كان بدء هجرة الحضارم إلى أسبانيا فى أواخر القرن الأول للهجرة ، وكان على رأس هؤلاء المهاجرين أسرة خلدون ، ويدعى خالد بن عثمان بن الخطاب بن كريب بن معديكرب بن الحارث بن وائل بن حجر الكندى ، وفى أواسط القرن الثالث كان لهم نفوذ كبير لاسيما لأسرة ابن خلدون ، وقد كانت عندئذ تقيم فى إشبيلية . فى سنة ٢٨٠ ﻫ خرج على حاكم إشبيلية أحد الحضارم ذوى الشخصيات البارزة اسمه كريب سليل لأسرة ابن خلدون ، واستولى على المدينة بعد كفاح وجهاد ، واستطاع بدهائه وسياسته أن ينشئ بلاطاً سطع بهاؤه إبان القرن الرابع ، وإلى نهاية حكم الأمويين ، وشغل أبناؤه مناصب الوزارة بنى عباد فى القرن الخامس[١] ، وممن اشتهر من علماء الحضارم

(١) هاجرت أسرة خلدون إلى أفريقيا فى القرن السابع ، والتحقت ببلاط بنى حفص فى تونس ، رمضان سنة ٧٣٢ ولد ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعى الشهير .

فى الأندلس محمد بن إبراهيم الحضرمى من أهل إشبيلية يكنى أبا عبد الله ، و يعرف بالشرفى كان عالما موصوفا بالفضل والعبادة ، وعبد العزيز بن الحسن بن سعيد بن عسكر الحضرمى محدث فقيه يكنى أبا محمد مولده سنة ٤٤٧ سكن قرطبة وتوفى بها سنة ٥٢٦ ، ونعمان بن عبد الله بن النعمان الحضرمى قتلته الروم حينما خرج غازيا ، وولى القضاء فى إشبيلية معاوية بن صالح الحضرمى .

دخل الأندلس قبل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية ، فنزل إشبيلية ، وكان من جلة أهل العلم ورواة الحديث ، روى عنه جملة من أئمة أهل العلم ، منهم سفيان الثورى وسفيان بن عيينة والليث ، وذكر أن مالك بن أنس روى عنه حديثاً واحداً ، وكان راوية لحديث أهل الشام ، وقال محمد أبو عمر ومعاوية بن أبى أحمد صالح بن عثمان المعروف بجرير بن سعيد بن سعد بن فهر الحضرمى ، وذكر محمد بن محمد بن وضاح قال لى يحيى بن معين : جمعتم حديث معاوية بن صالح ؟ قلت لا ، قال ومامنعكم من ذلك ؟ قلت قدم بلداً لم يكن أهله يومئذ أهل علم ، قال أضعتم والله علماً عظيما .

لما قدم الأمير عبد الرحمن بن معاوية إلى إشبيلية وتمت له البيعة ، واتسقت له الأمور أرسل معاوية بن صالح الحضرمى إلى الشام ليأتيه بأخته أم الأصبع ، فأبت عن الانتقال ، وقالت : كبرت سنى وأشرفت على انقضاء أجلى ولاطاقة بى على شقّ البحار والقفار ، وحسبى أن أعلم ما صار إليه من نعمة الله ، ولما عاد من الشام ولاه القضاء والصلاة ، وغزا الأمير سرقسطة وغزا معه معاوية بن صالح الحضرمى ، فكان يحيى الليل بالصلاة حتى إذا أصبح لبس قباءه وسلاحه ، ومضى إلى الصفّ حيث القتال ، فلايزال واقفاً فى مركزه متوكئاً على قوسه حتى تنجلى الحرب .

وخرج معاوية بن صالح الحضرمى حاجا ، وخرج معه حينئذ زياد بن عبد الرحمن فلما قدما المدينة توجه زياد بن عبد الرحمن إلى مالك بن أنس ، فدخل عليه وأعلمه بقدوم معاوية بن صالح ، فسأله أن يأتيه فأتاه فدخلا عليه ، فسأله معاوية بن صالح عن نحو مائتى مسئلة ، فأجابه مالك عن جميعها ، فكشف زياد بن عبد الرحمن مالكا وقال

له : يا أبا عبـد الله ، كيف رأيت معاوية بن صالح ؟ فقال له مالك : ما سألنى أحد قط مثل معاوية بن صالح ، ثم سـأل زياد معاوية عن مالك ، فقال له : ما سألت أحـداً مثل مالك .

ومات معاوية بن صالح الحضرمى وهو قاض على إشبيلية ، وكان عظيما فى موته ، فقد خرجت لتشـييع جنازته جموع غفيرة من الناس ، وفى مقدمتهم الأمير هشام بن عبد الرحمن الأموى .

هجرتهـم إلى مصر

كان بدء هجرتهم إلى مصر فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنـه ، ومن أعلامهم الذين ولوا القضاء فى مصر هو :

القاضى يونس بن عطية الحضرمى

أول من تولى القضاء فى مصر العلامة يونس بن عطية الحضرمى فى أيام عبدالعزيز بن مروان فى جمادى الأولى سنة ٨٤ كان من أكابر العلماء . ويحكى أن عبد الله ابن مروان كتب إلى عبد العزيز بن مروان يُعلمه أن أهل الشام اختلفوا عليه فى نفقة المبتوتة فاكتب إلىّ بما عند أهل مصر فيه ، فجمع عبد العزيز الأشياخ وسألهم ، وكان يونس بن عطية الحضرمى فى أخرياتهم ، فقال له فتكلم ، فأعجب عبد العزيز ، فسألهم عنه ، فقالوا له : هذا من سادات حضرموت ، فولاه القضاء والشرطة ، ويروى الوليد ابن سليمان عن أبيه سليمان بن زياد قال : سمعت عبد العزيز بن مروان يقول ليونس ابن عطية الحضرمى : ياأبا كثير كيف أخبرتنى عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنـه ؟ فقال له يونس : نعم أصلح الله الأمير ، إن أبى وأعمامى هاجروا زمن عثمان رضى الله عنه فى آخر إمرته ، وكنت معهم وأنا غلام جَهِر أعقل ما أسمع فخرجنا من حضرموت فى مائة

راكب حتى أتينا المدينة فأقمنا بها شهرا ، وكان أبى وأعمامى يجالسون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فدخلوا يوما على عثمان رضى الله عنه فاستأذنوه فى المصير إلى مصر فدخلت معهم ، فبينما نحن جلوس عنده إذ دخل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكأنه غضبان فجلس ، فلم يحفل به عثمان ، فجعل علىّ رضى الله عنه يقول : إن لى فقهاً وإسلاما وهجرة وعثمان مُعرض عنه ، إذ دخل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، فضرب عثمان بمخصرته الأرض وقال : ربّ مفتخر بهجرته عرق هذا أطيب من عرقه ، يعنى العباس ، فتذمر علىّ رضى الله عنه وقام غضبانا .

القاضى أوس بن عبد الله الحضرمى

وفى سنة ٨٦ ولى القضاء أوس بن عبد الله بن عطية الحضرمى من قبل عبد العزيز بن مروان يروى عن محمد بن يوسف قال : حدّثنى يحيى بن أبى معاوية عن خلف عن أبيه عن جدّه قال : مرض يونس بن عطية فصرفه عبد العزيز عن القضاء والشرطة ، وجعل أوس بن عبد الله بن أخيه على القضاء ، وعبد الرحمن بن معاوية بن خديج على الشرط فوليها شهرين المحرم وصفر سنة ٨٦ ، ثم مات يونس بن عطية فى ربيع الأول سنة ٨٦ ، فصرف أوس عن القضاء فوليها أوس شهرين ونصفاً .

القاضى يحيى بن ميمون الحضرمى

وفى يوم الأحد لتسع بقين من شهر رمضان سنة ١٠٥ ولى القضاء يحيى بن ميمون الحضرمى من قبل أمير المؤمنين هشام ، وكان يحيى بن ميمون هو القاضى الحضرمى الوحيد الذى لم يهتمّ برقابة من دونه من الكتاب الذين كانوا لا يكتبون قضية إلا برشوة ، روى قيس بن جُمْلة الغافقى عن ياسين بن عبد الأحد قال : حدثنى فضالة ابن المفضل عن أبيه قال : كان كتاب يحيى بن ميمون لا يكتبون قضية إلا برشوة ،

فكلم يحيي فى ذلك فلم ينكره ، ثم كلمه مرّة بعد مرّة فلم يعزل منهم أحداً عن كتابته .

وعن أحمد بن دواد بن أبى صالح قال : حدثنا محمد بن أبى المغيرة عن أحمد بن قديد عن أبى زيد أن يتيما من مراد كان فى ولاية يحيي بن ميمون الحضرمى وهو على القضاء فرد أمره إلى عريف قومه وكان فى حجره ، فتظلم اليتيم بعد بلوغه من العريف إلى يحيي زمانا فلم ينصفه منه ، وأتى اليتيم ببينة من قومه فشهدوا أنه مظلوم فلم يستمع يحيي منهم فكتب إليه اليتيم بأبيات أبى شمر :

ألا أبلغ أبا حسانَ عنى ... بأن الحكم ليس على هواكا
حكمتَ بباطل لم تأت حقا ... ولم نسمع بحكم مثل ذاكا
وتزعم أنها حقٌ وعدل ... وأزعم أنها ليست كذاكا
ألم تعلم بأن الله حقٌ ... وأنك حين تحكم قد يراكا

فبلغ يحيي بن ميمون ذلك فسجن اليتيم ، فرفع أمره إلى هشام ، فعظم ذلك عليه وكتب بعزله ، وكان فى كتابه إلى الوليد بن رفاعة : اصرف يحيي عما يتولاه من القضاء مذموما .

القاضى توبة بن نمر الحضرمى

ثم ولى القضاء توبة بن نمر الحضرمى يكنى أبا مِحْجن وأبا عبد الله من قبل الوليد ابن رفاعة ، وكانت ولايته مستهلّ صفر سنة ١١٥ يروى ربيعة عن غوث أن الوليد ابن رفاعة أرسل إليه حين مات الجبار بن خلد ومعه امرأته عفيرة الأشجعية على سريره وكانت امرأة برزة فولاه القضاء ، فقالت له عفيرة : أما والله يا توبة ما حاباك ابن رفاعة بهذه الولاية ، ولو أنه وجد فى قيس كلها من يسد مسدك ، أو استضلع بهذا الأمر لآثره عليك وقدمه وأخرك .

ويروى أبو سلمة عن يحيي بن عثمان عن لهيعة بن عيسى : أن توبة لما ولى القضاء دعا امرأته عفيرة ، فقال : يا أم محمد ، أى صاحب كنتُ لك ؟ قالت خير صاحب

وأكرمه ، قال فاسمعى : لا تعرضى لى فى شىء من القضاء ، ولا تذكرينى بخصم ، ولا تسأليني عن حكومة ، فإن فعلت شيئاً من هذا فأنت طالق ، وفى رواية : أن توبة لما ولى القضاء دعا امرأته ، فقال لها : كيف علمت محبتى لك ؟ قالت جزاك الله من عشير خيراً ، قال : قد علمت ما قد بلينا به من الناس كلهم فأبت الطلاق فصاحت ، فقال : إن كلمتنى فى خصم أو ذكرتينى به ، فإن كانت لترى دوابه قد احتاجت إلى الماء ، فلا تأمر بها أن تمدّ خوفاً من أن يدخل عليه فى يمينه شىء .

وكان كاتبه مُغيث من حضرموت ويروى عبد الله بن المُسيب : أنه حضر توبة بن نمر قضاء فى مكاتب هلك سيده ، وقد أقام قبل ذلك حيناً لم يؤد شيئاً ، ثم إن ورثة الرجل أرادوا بيعه ، فلما رُفع أمره إلى توبة ، قال توبة يؤخرك سنة على أن تودّى مكاتبتك ، فقال : أرأيت إن أديت هذه السنة ثم عجزت ؟ قال توبة إذن أبيعك ، قال المكاتب فبعنى كيف شئت الساعة فردّه إلى الرقّ وأمر ببيعه .

ويحكى أن رجلا وامرأته اختصما عند توبة الحضرمى قاضى مصر فطلقها ، فقال توبة متّعها ؟ فقال لا أفعل ، قال فسكت عنه لأنه لم يره لازما له ، فأتاه الرجل الذى طلق امرأته بشهادة ، فقال له توبة : لستُ قابلا شهادتك ، قال ولِمَ ؟ قال إنك أبيت أن تكون من المحسنين ، وأبيت أن تكون من المتقين ، ولم يقبل له شهادة ، وكان توبة الحضرمى يقضى بيمين صاحب الحقّ مع شاهده فى الشىء اليسير .

وعن ابن لهيعة أن قضاة مصر يقضون بعهدة الثلث من الحمى والنظر ، ويقضون بعهدة السنة من الجنون والجذام والبرص حتى كان توبة يثبت على عهدة السنة وطرح على عهدة الثلث إذ كان قاضياً .

ويروى أن توبة يقول للنخاسين أصحاب الرقيق : من اشترى منكم عيباً فهو لازمه ولست أرويه عنه لأنكم تبصرون ما تشترون ، فإن بعتم سكتم على العيب . وإذا كان فى أيديكم أردتم ردّه على صاحبه فلستم كغيركم .

وعن أبى لهيعة أن أول قاض بمصر وضع يده على الأحباس توبة من نمر فى زمن

هشام ، وإنما كانت الأحباس فى أيدى أهلها وفى أيدى أوصيائهم ، فلما كان توبة قال ما أرى مرجع هذه الصدقات إلا إلى الفقراء والمساكين فأرى أن أضع يدى عليها حفظاً لها من الاتواء والتوارث ، فلم يمت توبة حتى صار الأحباس ديواناً عظيما .

ويروى عن ربيعة بن أخى غوث الحضرمى : أن توبة بن نمر كان لا يملك شيئاً إلا وهبه ووصل به إخوانه وتفضل به عليهم ، فلما ولى القضاء كان يرى أن يحجر على السفيه والمبذر ، فرفع إليه غلام من حمير لا تحوى يده شيئاً إلا وهبه وبذره ، فقال توبة : أرى أن أحجر عليك يا بنىّ ، قال : فمن يحجر عليك أيها القاضى ؟ والله ما نبلغ فى أموالنا عشر معشار من تبذيرك ، فسكت توبة ولم يحجر على سفيه بعد .

ومات توبة بن نمر الحضرمى ، وهو قاض على مصر سنة ١٢٠ ، فكانت ولايته على قضائها أربع سنين وشهر .

حفص بن الوليد الحضرمى (١)

ولى حفص بن الوليد الحضرمى ولاية مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ، وكان قبل ذلك ينوب عن الحرّ بن يوسف بن يحيى بن الحكم الأموى فى ولاية الفسطاس ، وكان أيضاً رئيساً على شُرطة محمد بن عبد الملك أخى هشام وصرف حفص ابن الوليد بعد جمعتين ، وفى يوم الاثنين لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ١٢٤ سافر حنظلة بن صفوان بن توبل ، وكان يومئذ والياً على مصر ليقوم بولاية إفريقية بأمر الخليفة هشام ، فاستخلف حنظلة حفص بن الوليد الحضرمى عليها ، وأقرّه هشام على الصلاة إلى ليلة الجمعة لثلاث عشر خلت من شعبان سنة ١٢٤ وجمع له هشام الصلاة والخراج جميعا ، ولما توفى هشام يوم ١٠ من ربيع الآخر سنة ١٤٥ أقرّ الوليد بن

---

(١) هو حفص بن الوليد بن يوسف بن عبد الله بن الحارث بن جبل بن كليب بن عوف بن معاهر بن عمرو بن زيد بن مالك بن زيد بن الحارث بن عمرو بن حجر بن قيس بن كعب بن سهل بن زيد بن حضرموت اه من كتاب الولاة ص ٧٢ .

يزيد بن عبد الملك حفصاً على صلاتها وخراجها ، وامره الوليد باخراج أهل الشام الذين بمصر إلى أجنادهم ، فأمرهم حفص بن الوليد الحضرمي بالخروج فامتنعوا ، وحاصروا حفصاً في داره ، فقاتلهم يوم الثلاثاء ١٥ من شهر رجب سنة ١٢٥ ، فظفر بزعيمهم ربيعة من موالي أهل حمص فقتله ، وأخرج أتباعه من مصر ، ثم وفد حفص بن الوليد على الوليد بن يزيد ، واستخلف على مصر عقبة بن نعيم الرعيني ، ولما بويع يزيد بن الوليد بعد قتل الوليد بن يزيد لسلخ جمادى الآخرة سنة ١٢٦ أمر حفص بن الوليد الحضرمي باللحاق بجنده ، وأمره بفرض ثلاثين ألفاً فدخلها ، ففرض الفروض وخرج ببيعة أهل مصر إلى يزيد بن الوليد عقبة بن نعيم الرعيني ، والربيع بن عون بن خارجة ابن حذافة العدوي ، وحوّاس بن حميد الحمصي ، وهانئ بن المنذر الكلاعي ، وعمرو بن الحارث الفقيه مولى الأنصار ، وجعل حفص بن الوليد على فروضه قُوّاداً ، وسماهم أصحاب النُّدبة ، وفرض حفص لفروضه في عشرين وخمسة وعشرين ، وهم الذين يقال لهم الحفصية ، وجعل حفص على الصعيد رجاء بن الأشيم الحضرمي ، وعلى مصر السفلى فهد بن مهدي الحضرمي .

في صفر سنة ١٢٧ هـ كتب حفص بن الوليد الحضرمي إلى مروان بن محمد بن مروان يستعفيه من ولايته على مصر فأعفاه مروان ، فكانت ولاية حفص للمرّة الثانية ثلاث سنين إلا شهراً .

ولما ولي حسان بن عتاهية من قبل مروان بن محمد وحسان يومئذ بالشام كتب حسان إلى خير بن نعيم الحضرمي باستخلافه على مصر إلى قدومه ، ثم قدم حسان يوم السبت ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٢٧ ، وأسقط فروض حفص كلها ، ولما استقر حسان على ولايته وثب به قوّاد الفروض وقالوا : لا نرضى إلا بحفص ، فوليها حفص ابن الوليد الحضرمي للمرّة الثالثة كرهاً أخذوه قواد الفروض بذلك ، وأقام عليها رجب وشعبان ، وعلى شرطه عقبة بن نعيم الحضرمي ، أما حسان بن عتاهية فقد لحق بمروان ثم عزل مروان حفصاً مستهلّ سنة ١٢٨ .

ولما قدم مصر حوثرة بن سهل الباهلى ، و بصحبته سبعة آلاف شخص والياً عليها من قبل مروان خافه أهل مصر ، فبعثوا إليه يزيد بن مسروق الحضرمى ، فتلقاه بالعريش ، فسأله أن يؤمنهم على ما أحدثوا ، فأجابوا الحوثرة إلى ذلك ، و بعث إليهم حوثرة يستأذنهم فى الدخول إلى مصر فأذنوا له وسار إليها حتى نزل المسناة و بعث إليهم إن كنتم فى الطاعة فالقونى فى الأردية ، فقال رجاء بن الأشيم الحضرمى لحفص بن الوليد الحضرمى : أطعنى أيها الأمير وامنعهم ، قال أكره الدماء . قال فدعنى أقف فى جبل ، فإن رأيت ما تحبّ تطرّقنا ، و إن كان غير ذلك استنقذناك منهم ، قال قد أعطانى ما ترى من العهد ولن أستظهر بغير الله ، فقال رجاء : والله لارغبت نفسى عن نفسك ، فخرج إليه حفص ووجوه الجند حتى دخلوا عليه فسطاطه ، فقال لحفص ورجاء : ما أنتما ؟ قالا حفص ورجاء . قال : قيدوهما وانهزم أهل مصر ، وأمر حوثرة بقتل رؤساء الثورة ، ومنهم يزيد بن مسروق الحضرمى ، ورجاء بن الأشيم الحضرمى ، وحفص بن الوليد الحضرمى فى يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شوال سنة ١٢٨ .

وقال مرسل بن حمير يبكى حفص بن الوليد الحضرمى :

يا عين لا تبقى من العبرات   جودى على الأحياء والأموات
بكى الذين مضوا فهم صادقوا   صدقات فأبطلت تارات(١)
يا حفص يا كهف العشيرة كلها   ياخا النوال وساتر العورات
إما قتلت فأنت كنت عميدهم   والكهف للأيتام والجارات
أو ذى رجاء لا كمثل رجائنا   رجل وعقبةُ فارج الكربات
وشبابنا عمرو وفهد ذو الندى   وابن السليط وعامر الغارات
قتلوا ولم أسمع بمثل مصابهم   سرَوات أقوام بنو سروات
حُلّت دماؤهم فلم يعرج لهم   بين ولم يطلب لهم بجنات

ثم قدم إلى مصر عبد الله بن يحيى الكندى الحضرمى طالب الحقّ فدعاهم ، فبايع له ناس من تجيب وغيرهم ، فبلغ ذلك حسان بن عتاهية فاستخرجهم .

(١) كذا فى الأصل .

القاضى خير بن نعيم الحضـــرمى

ثم ولى القضاء بمصر خير بن نعيم من قبل الأمير حنظلة بن صفوان الكلبى فى شهر ربيع الآخر سنة ١٢٠ ، ويروى أنه كان أفقه فقهاء مصر فى زمانه ، وكتب إليه هشام ابن عبد الملك : إنّ أىّ امرأة أرادت قبض صداقها المؤخر على زوجها لن تعطاه إلا أنْ يكون شرطه عند الإملاك ألا يعطى إلا على شرط مسمى .

وجاء القاضىَ خير بن نعيم رجل تزوّج امرأة وشرط لهـا طلاقها فى شىء إن فعله ، قال له خير : أراض أنت بهذا الشرط ؟ فقال نعم ، فقال له خير : انظرْ فإن الشرط لازم لك وهو من الطلاق ، وقال خير فى رجل دفع إلى رجل ثلاثة دنانير ، فدفعها إلى رجل يبتاع بها حماراً ، فدفعها إلى رجل فلم يجد بالثلاثة حماراً إلا بأربعة ، فقال الرسول : أنا أدفع إليك الدينار الرابع ، فإن رضى الحمار أخذت منه الدينار ، وإن كره أخذت الحمار لنفسى ، فاشـــترى الحمار على ذلك ، فسرق بالطريق ، فقضى خير بن نعيم أن الحمار من الرسول ، وأن الثلاثة إلى صاحبها ردّ .

وحدث أن رجلا هلك ولم يوص ، وعنـــده بضاعة لرجل وقِبَله شرك لرجل فى متاع ، وعنده وديعة ليتيم ، وعليه صداق لامرأته ، فقضى خيرٌ أن ما كان قبله من شرك أو بضاعة فإنها تردّ إلى أصحابها ، وأن صداق امرأته والوديعة إذا لم توجد أسوة الغرماء .

وسئل خير عن مكاتب هلك له وُلد أحرار من امرأة حرّة ، فقال لا يرثه وُلده الأحرار حين مات وهو مكاتب ، وكان خير يقضى فيمن اعترف لرجل بحقّ له عليه ، ثم ادعى أنه قد قضاه إياه ولا بينة عنده أنه يلزمه ما اعترف به ، وكان يقضى بالمتعة على من طلق امرأته ، وكان يقضى بشهادة الصبيان فى الجراح التى تكون بينهم ، وكان يخير شهادة ذوى الرحم لرحمه إذا كان معروفاً بالعدالة ، وكان يسجن المديون ثم يكشف

عن أمره إذا ادعى العُدم ، فإن شهد له جيرانه بالعدم أطلقه من ساعته .

وكان يطلق على المعدم امرأته إذا خاصمته فى النفقة عليها وقال : لا أجد ما أنفق ، وكان خير يقبل شهادة النصارى على النصارى ، واليهود على اليهود ، ويسأل عن عدالتهم فى أهل ذمتهم :

ووشى حسان بن عتاهية عند حوثرة بن سهيل الباهلى ضدّ القاضى خير بن نعيم ، وقال : لم يبق لحضرموت إلا هذا القرن ، فإن قطعته قطعتها يعنى خير بن نعيم ، فعزله عن القضاء ، وذلك سنة ١٢٨ هـ .

ثم فى شهر رمضان سنة ١٣٣ ولى القضاء بمصر خير بن نعيم ولايته الثانية عليها من قبل الأمير أبى عون عبد الملك بن يزيد ، وكان خير أول القضاة أدخل أموال اليتامى فى بيت المال ، وقيل إن خير بن نعيم عرضت له علة الجذام فثقل عليه كثرة الجلوس للخصوم ، فكان كاتبه غوث بن سليمان الحضرمى يقضى بين الناس فى منزل خير ، وأتى خير بن نعيم عبد الملك بن مروان يخاصم ابن عمّ له ، فقعد على مفرشة ، فقال قم مع ابن عمك كأنك وجدت علينا أن صيرناك كاتباً بعد القضاء ، وقام ولم يخاصم ، وكان عبد الملك بن مروان النصيرى قد ولى خير بن نعيم ديوان الرسائل بعد أن كان قاضياً .

ويحكى أن رجلا من الجند قذف رجلا فخاصمه إلى خير ، وأثبت عليه شاهداً واحداً ، وأمر بحبس الجندى إلى أن يثبت الرجل شاهداً آخر ، فأرسل الأمير أبو عون فأخرج الجندى من الحبس ، فاعتزل خير وجلس فى بيته وترك الحكم ، فأرسل إليه أبو عون ، فقال لا حتى تردّ الجندى إلى مكانه ، وعزل خير من القضاء فى شعبان سنة ١٣٥ .

القاضى غوث بن سليمان الحضرمى

ثم ولى القضاء بمصر غوث بن سليمان الحضرمى من قبل أبى عون يوم الأحد للنصف من شهر رمضان سنة ١٣٥ ، ولم يكن غوث بن سليمان الحضرمى بالفقيه لكنه كان أعلم الناس بمعانى القضاء وسياسته ، فكان أمره أحسن شىء وكان هوناً ، وكان كثيراً ما يستخلف مكانه يزيد بن عبد الله بن بلال الحضرمى ، فكان هذا يقوم بقسط وافر من القضاء ، ثم أقرّه خليفةً له فى جمادى الآخرة سنة ١٤٠ يحكم بين الناس وكان يكتب القضايا باسم غوث ، ولم يثبت اسمه على شىء منها ، ولما مات ابن بلال الحضرمى ضم غوث الديوان والودائع التى كانت قبله ورجع الخصوم إليه ، فلما كثروا على بابه قال : رحمة الله على أبى خالد ، فقد كان يسدّ عنا مسدا ، ثم عاد غوث إلى القضاء بعد موت ابن بلال .

وكان القاضى غوث أوّل من سأل عن الشهود فى السرّ ، وكانت القضاة قبله إذا شهد رجل عند أحدهم ، وكان معروفا بالسلامة قبله القاضى ، و إنْ كان غير معروف بها أوقف ، و إن كان الشاهد مجهولا لا يعرف سئل عنه جيرانه ، فما ذكروه به من خير أو شرّ عمل به حتى كان غوث فسأل عنهم فمن عدّل عنده قبله ، ثم يعدّل الشاهدَ واحد من الناس لم يكن يوسم بالشهادة ، ولا يشار إليه بها ، وكان غوث أوّل من حكم فى حبس مسكين ، وقسط السكنى على بنيه وأمهات أولاده ، واتهم غوث بمكاتبة أبى الخطاب الأباضى والأباضية ، فورد كتاب أبى جعفر على يزيد بن حاتم وهو على مصر يأمره فيه بحبس غوث فحبس ثم أطلق سراحه وولى القضاء إلى أن صرف عنها فى شهر رمضان سنة ١٤٤ .

وفى سنة ١٦٧ بعث إليه أمير المؤمنين أبو جعفر فحمل غوث إليه فقال له : يا غوث إن

صاحبتكم الحميرية خاصمتنى إليك فى شروطها ، فقال غوث الحضرمى : أيرضى أمير المؤمنين أن يحكمنى عليـــه ؟ قال نعم ، فقال إن الأحكام لها شروط فيحتملها أمير المؤمنين ؟ قال نعم ، قال يأمرها أمير المؤمنين أن توكل وكيلا وتشهد على وكالته خادمين حرّين يعدّ لهما أمير المؤمنين على نفسه ففعل ، فوكلت خادما و بعث معه كتاب صداقها وشهد الخادمان على وكالتها ، فقال غوث قد تمت الوكالة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يساوى الخصم فى مجلسه ، قال فانحط عن فرشـــه وجلس مع الخصم ، ودفع إلى الوكيل كتاب الصداق فقرأه عليـــه ، فقال يقرّ أمير المؤمنين بما فيه ؟ قال نعم ، قال غوث : أرى فى الكتاب شروطاً مؤكدة بها تمّ النكاح بينكما ، أرأيت يا أمير المؤمنين لو خطبت إليهم ولم تشترط لهم هذا الشرط أكانوا يزوّجونك ؟ قال لا ، قال قلت فبهذا الشرط تمّ النكاح ، وأنت أحقّ من وفى لها بشرطها ، قال علمت إذ أجلستنى هذا المجلس أنك تستحكم ، قال قلت له أعظم جائزتى وأطلق سبيلى ، قال بل جائزتك على من قضيت له ، ثم أمر له بخلعة وجائزة ، ثم أمر أبو جعفر باحتباس غوث ليحكم بين أهـــل الكوفة ، فقال له غوث يا أمير المؤمنين ليس البلد بلدى ، ولا معرفة لى بأهلها ، فأذن له أمير المؤمنين فى الرجوع إلى مصر .

ثم ولى القضاء فيها وتوفى بها فى جمادى الآخرة سنة ١٦٨ .

القاضى يزيد بن عبد الملك الحضـــرمى

فى شهر شعبان سنة ١٤٠ ولى القضاء يزيد بن عبد الملك الحضرمى بالنيابة عن القاضى غوث بن سليمان الحضرمى ، ثم مات فجأة فى ذى القعدة سـنة ١٤٠ وتصدى للقضاء غوث بن سليمان .

القاضى عبد الله بن لهيعة الحضرمى

وفى مستهلّ سنة ١٥٥ ولى القضاء بمصر عبد الله بن لهيعة من قبل أمير المؤمنين أبى جعفر ، وهو أوّل قاض ولى مصر من قبل الخليفة ، وأجرى عليه ثلاثين ديناراً فى كلّ شهر .

يروى أن وفداً من أعيان مصر كانوا بالعراق ، وهم : عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج ، وعياش بن عقبة بن كليب الحضرمى ، وغوث بن سليمان ، وهشام ابن حميد وغيرهم ، فدخلوا على أبى جعفر المنصور يوما ، فقال لهم : أعظم الله أجركم فى قاضيكم أبى خزيمة ، ثم التفت إلى ربيع فقال : ابغنا لأهل مصر قاضياً ، قال عبد الله ابن عبد الرحمن بن خديج ما ذا أردت بنا يا أمير المؤمنين أردت تشهرنا فى الأمصار ، فإن بلدنا ليس فيه من يصلح لقضاء بنا حتى تولى علينا من غيرنا ، قال فسمّ رجلا ؟ قال فذكر له أبا معدان اليحصبى، فقال إنه يختار ولكن به صمم ، قال فعبد الله بن لهيعة ؟ قال فابن لهيعة ، وكتب ابن لهيعة إلى أمير المؤمنين انه لا يجوز للحامل صدقة على وارث ، وعن علىّ بن عمر وابن خالد بن خيثمة عن أبيه قال : طلب الناس هلال شهر رمضان وابن لهيعة على القضاء فلم ير ، وأتى رجلان فزعما أنهما قد رأياه ، فبعث بهما الأمير موسى بن علىّ بن رياح إلى ابن لهيعة ، فسأله عن عدالتهما فلم يعرفا ، واختلف الناس وشكوا ، فلما كان فى العام المقبل خرج عبــــد الله بن لهيعة فى نفر من أهل المسجد فعرفوا بالصلاح فطلبوا الهلال ، فكانوا يطلبونه بالجيزة ، فهو أوّل القضاة حضر فى طلب الهلال ، ثم صرف ابن لهيعة عن القضاء فى ربيع الآخر سنة ١٦٤ بعد ما وليه عشر سنين .

القاضى لهيعة بن عيسى الحضرمى

وفى شعبان سنة ١٩٦ ولى القضاء بمصر لهيعة بن عيسى الحضرمى من قبل عباد ابن محمد ، وعباد يومئذ يدعو للمأمون بمصر . ويروى أن مواحيز مصر يعمرها أهل الديوان وطائفة من المطوعة ، وكانت أحباس السبيل التى يتولاها القضاة تجمع فى كلّ سنة ، فإذا كان شهر أبيب من شهور القبط بعث القاضى بما اجتمع من أموال السبيل ، ففرّقت فى مواحيز مصر من العريش إلى لوبية ومراقيه ، ففرق على المطوعة ، ومن كان فقيراً من أهل الديوان ، فلما هاجت الفتنـــة أيام خلع محمد بن هاورن تشاغل السلطان عن عطاء أهل الديوان ، وتعطلت المواحيز ، وانقطع عنها المطوعة لما كان فى الناس من الفتنـــة ، ثم ولى لهيعة بن عيسى الحضرمى ، فجمع أموال السبيل التى من الأحباس ، ففرض فيها فروضاً من أهل مصر ، وجعل فيها المطوعة الذين كانوا يعمرون المواحيز ، وأجرى عليهم العطاء من الأحباس ، فكان ذلك أول ما فرضت فروض القضاة ، فصارت سنة بعد لهيعة ، ولم يكن الناس يسمونها إلا فروض لهيعة حتى كان ابن أبى الليث ، فسماها فروض القاضى ، وفى ذلك يقول فراس المرادى :

لعمرى لقد سارت فروض لهيعة ... إلى بلد قد كاد يهلك صاحبه
إلى بلد تقرى به البوم والصدا ... تغاوره الروم العظام تحاربه
رشيد وإخنا والبرُلُّس كلها ... ودمياط والأشنوم تقوى تغالبه
لهيعة قد حزت المكارم والثنا ... ومن عند ربى فضله ومواهبه
فقد عمرت تلك الثغور بسنة ... تعدّ إذا عدّت هناك مناقبـــه

وظلّ لهيعة قاضياً على مصر حتى قدم المطلب بن عبد الله الخزاعى أميراً عليها ، فعزل لهيعة عن القضاء فى شهر ربيع الأوّل سنة ١٩٨ .

ثم فى سنة ١٩٩ ولى القضاء لهيعة بن عيسى الحضرمى من قبل المطلب وهى ولايته الثانية ، واستكتب سعيد بن تليد وأبا الأسود البصرى ، وجعل على مسائله سعيد بن تليد ، وأمره أن يجدد السؤال عن الشهود والموسومين بالشهادة فى كلّ ستة أشهر ، فمن حدثت له جرحة أوقفه ، واتخذ شهوداً جعلهم بطانته ، وكان أحسن ما عمله لهيعة فى ولايته أن قضى فى أحباس مصر كلها ، فلم يبق منهم حبساً إلا حكم فيه ، إما ببينة ثبتت عنده ، وإما بإقرار أهل الحبس .

وقال لهيعة بن عيسى الحضرمى إنه تاسع تسعة ولوا قضاء مصر من حضرموت ، وهم : يونس بن عطية ، وأوس بن عبد الله ، ويحيى بن ميمون ، وتوبة بن نمر ، وخير ابن نعيم ، وغوث بن سليمان ، ويزيد بن عبد الملك[1] ، وعبد الله بن لهيعة ، ولهيعة ابن عيسى .

وعن محمد بن يوسف قال : حدثنى يحيى بن أبى معاوية قال : حدثنى خلف بن ربيعة عن أبيه قال : ولى قضاء مصر تسع رجال من حضرموت آخرهم لهيعة بن عيسى ، وولى برقة جمع من حضرموت على قضائها ، قال يحيى : آخرهم خير بن سعيد بن خير ، وولى على الأندلس : معاوية بن صالح الحضرمى ، وعلى فلسطين : ضمضم بن عقبة ، وعبد السلام بن عبد الله ، والنعمان بن المنذر ، وعلى حمص كثير بن مرة ، وجبير بن نفير ، وعلى دمشق : يحيى بن حمزة . قال الشاعر :

ما من بلاد من البلدان تعلمه   إلا وفيه من الأشياء والحدث
قضاة عدل لهم فضل ومعرفة   مبرءون من الآفات والرفث

وقال آخر :

لقد ولى القضاء بكلّ أرض   من الغرّ الحضارمة الكرام
رجال ليس مثلهم الرجالُ   من الصيد الجحاجحة الضخام

وقال يزيد بن مقسم الصدفى :

---

(١) ولى القضاء أربعة أشهر بالنيابة عن غوث بن سليمان ، ثم مات فجأة فى ذى القعدة سنة ١٤٠ .

ياحضرموتُ هنيئاً ماخصصتِ به من الحكومة بين العجم والعرب
فى الجاهلية والإسلام يعرفه أهل الرواية والتفتيش والطلب

وعن محمد بن يوسف قال : حدثنى محمد بن روح بن شبل قال : حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الحكم قال : حدثنا أبو الأسود قال : أخبرنا ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد أن معاوية كتب إلى مسلمة بن مخلد وهو على مصر : لا تولى عملك إلا أزدريا أو حضرميا فإنهم أهل أمانة .

وتوفى لهيعة وهو قاض على مصر مستهلّ ذى القعدة سنة ٢٠٤ وليها خمس سنين(١) .

هجرتهم إلى اليمن

بدأ الحضارمة يهاجرون إلى اليمن فى القرن الأول الهجرى ، وكان عددهم قليلا جدّا ، وكان غرضهم التجارة لا غير ، وفى أوائل القرن الرابع نزح أفراد كثيرون إلى اليمن ، فكان هذا من الوسائل التى وطدت العلائق الودية بين البلدين ، ثم انقطعت هجرتهم فجأة فى أواخر القرن السادس لتوالى حملات الزنجبيلى على حضرموت ، ولكن فى أوائل القرن السابع نشط الحضارمة للهجرة إلى اليمن ، فرحل أفراد منهم لطلب العلم فى زبيد ، وآخرون للتجارة ، وكان ممن اشتهر منهم : العلامة الأديب محمد بن حسين ابن علىّ بن المخرم الحضرمى المتوفى فى زبيد فى ذى الحجة سنة ٦٨١ ، والإمام إسماعيل الحضرمى وإليه انتهت رئاسة الفقه والفتوى فى زبيد ، والعلامة عبد الرحمن ابن محمد أبا حسان الشبامى ، والعلامة أحمد بن أسعد الكلالى ، وهو حميرى من آل كلالى قيل له الكلالى نسبة إلى ذى كلال أحد ملوك حمير(٢) .

---

(١) كتاب القضاة للكندى صفحة ١٠٦ .

(٢) راجع الجزء الأول صفحة ١٥٠ من كتاب « السلوك فى طبقات العلماء والملوك » .

أما التجار منهم فلم يسعدهم الحظ لاضطراب الحالة السياسية فى اليمن ، ولوعورة المسالك وتقلقل الأمن فيها ، فاتجهت أنظار الحضارم إلى جزائر الهند الشرقية ، وتضاءلت هجرتهم إلى اليمن ، وانقطعت مواصلاتهم بها بعد احتلال الزيود حضرموت سنة ١٠٦٩ .

هجرتهـــم إلى الحجاز

يبلغ عدد الحضارمة فى الحجاز نحو ١٠٠٠٠ شخص ، منهم نحو ٩٠ ٪ من مهاجرى وادى دوعن ، والبقية من وادى عمد وحضرموت الســفلى ، ولمهارتهم فى الارتزاق ، ونشاطهم وذكائهم مسكوا زمام التجارة فى الحجاز ، ولأمانتهم وحسن معاملتهم وثق بهم الناس كلّ الثقة ، فكان مركزهم الأول فى الحجاز ، ولقد كان لهم نفوذ عظيم فى عهد الترك الذين منحوهم امتيازات يتمتعون بها دون سواهم من طبقات الشـــعب ، وفى عهد الأشراف كانت وزارة المالية فى أيديهم ، ففى عهد الشريف عبـد المطلب وأولاده كان الســيد عبد الله بامصفر الحضرمى وزيراً المالية ، وفى عهد الشريف عبـد الله بن عون وابنه على باشا كان وزير المالية الســيد عبد الله باناعمة الحضرمى ، ثم ابنــه على ، ثم ابنه عمر ، وفى عهد الشريف حسـين كان وزير المالية السيد أحمد باناعمة ، ثم السيد أحمد باناجه الحضرمى .

ولما انبثق فجر الإصلاح وانتشرت المدارس هبّ الحجازيون يبعثون أبناءهم إليها إلا الحضارم ، فقد وقفوا بمعزل عن تلك المدارس ظنًّا منهم أن الظروف التى ساعدتهم فيما مضى هى التى ستساعدهم فى القرن العشرين ، ولم يدر بخلدهم أن الحياة أصبحت جهاداً وكفاحاً الفائزون فيها هم العالمون ، ولقد كانت النتيجة أن دحرهم الحجازيون عن الوظائف الـكبرى ، فاضمحلّ نفوذهم ، وتلاشى مركزهم السياسى .

ومن أعظم الأســـباب التى قضت على نفوذهم آل باعلوى ، فقد كان هؤلاء هم المسيطرون عليهم وعلى كلّ ما يملـكون ، حتى إن القضايا التى تحدث بينهم يفصل فيها

شيخ العلويين ، وكان إذا أراد المظلوم منهم رفع قضيته لأمير مكة أحاله هذا إلى شيخ العلويين ، فيحكم فيها هذا الشيخ بما تمليه عليه نفسه ، والويل إذا عاند فى الحكم ، فاضطرّ الحضارمة والحالة هذه إلى التذلل والخضوع للعلويين. فاندثرت شخصيتهم واندكت إرادتهم ، وزال منهم حبّ الظهور ، وحينما احتلّ النجديون الحجاز بذل العلويون كلّ مجهود فى تنفير الحضارم عن الحكومة السعودية ، وقد نجحوا فى ذلك لأن سلطتهم الروحية متغلغلة فى قلوب القوم ، مالكة لإراداتهم ووجدانهم ، ولما استقرّت الحكومة السعودية فى الحجاز رفع كثير من مواليد الحضارمة وتجارهم لجلالة الملك عبد العزيز عريضة يلتمسون فيها من جلالته إلغاء تلك الامتيازات ، وطلبوا إليه مساواتهم بالأهلين فى جميع الأحكام ، فأجابتهم الحكومة إلى ذلك .

هجرتهم إلى شمال أفريقيا

كان بنو هلال من أعظم أفخاذ كندة ، وأعزها رجالا ، وأفصحها لسانا ، وأشدّها ذكاء وفطنة ، هاجروا من هينن ومرخة فى وادى جهر إلى شمال أفريقيا بسبب الجفاف والقحط ، إذ بيع التمر رطل بدرهم والطعام « مصر» بدينار ، وهذا أعظم قحط عرفته حضرموت فى تاريخها الحديث . وأوّل من هاجر منهم أحد رؤسائهم يدعى أبو زيد الهلالى ، و بصحبته أبناء عمه حسن بن سرحان ، وهم مرعى ويحيى و يونس وأحد مواليه وقد مرّوا على اليمن فى طريقهم إلى الحجاز ، و بلغهم هناك أن برقة وقابس من أعظم مناطق أفريقيا خصوبة ورخاء ، فجدّ عزمهم على الرحيل إلى تلك البلاد ، وتوفى أحدهم وهو يونس بن حسن فى أثناء السفر بتأثير لدغة أفعى ، ووصلوا برقة ليلا ، وكان القمح قد آن أوان حصاده ، فأخذوا منه ما استطاعوا حمله ، وانتبذوا به مكانا قصيًّا ، ثم دخل أحدهم المدينة لاستطلاع أحوال سكانها ، وقد بلغ أهل برقة سرقة القمح ، فخرج جماعة منهم يتجسسون ، والتقوا بأبى زيد الهلالى ورجاله ، فالتحمت الحرب بين

الفريقين ، وقتل مرعى بن حسن الهلالى ، وأسر أبو زيد ومن بقى من رجاله ، وسجنهم أمير برقة ، وقد أعجبت ابنة أمير برقة بجمال يحيى بن حسن الهلالى و بشهامته فأحبته ، وطلبت إلى أبيها الزواج منه ، فأجابها إلى ذلك ، أما أبو زيد الهلالى ومولاه ، فقد استطاعا الإفلات من الأسر ، وعادا إلى حضرموت على أمل أن يرحل أبو زيد بقومه بنى هلال إلى برقة وقابس حيث الرخاء والهناء ، ولكن مولاه لم يشاطره فى رأيه لبعد المسافة وطول الشقة بين البلدين ، فقتله سيده وجاء هينن وحشر أعيان قومه ، وحبب إليهم النزوح إلى شمال أفريقيا للارتزاق ، وشجعهم على ذلك بما قصّ عليهم مما شاهده هناك من المزارع الخضراء والغلات الوافرة ، فأخذوا يعدّون عدتهم للرحيل ، و بعد سنة رحلوا رجالا ونساء ووالدنا ، ولم يبق منهم سوى آل تسيين فى مرخة ، وآل قار وآل خليفة فى الحاظنة ، وحطوا رحالهم على مقربة من برقة ونصبوا خيامهم ، ثم سار عشرون فارساً منهم إلى برقة ليبحثوا عن مكان يليق بهم ، والتقوا بجماعة من أهل برقة ، فبدأهم أبو زيد قائلا باللغة العامية :

سلام عليكم وعلى الخيل والحمزات والقنا وأنتم قويتم يا رجال المغاربه

فأجابه أحدهم :

لا قولك حيا ولا قول مرحباً وأنتم قويتم يا رجال المشارقه

وقال آخر :

والوعد والميعاد إلى حيد قابس ومن لاعرض للوعد حلاقة لشاربه

فقال أبو زيد :

والوعد والميعاد ولحين ساعة ويا محسن اللحم لى فى جلايبه

ثم ثارت الحرب بينهم قتل فيها أمير برقة ، وانتصر بنو هلال واحتلوا برقة .

هجـــرتهم إلى زنجبار

لم يعرف بالضبط بدء هجرة الحضارم إلى زنجبار ، ويظهر أنهم جاءوها قبل أن يهاجروا إلى جزائر الهنـد الشرقية ، وكان همهم الوحيد التجارة ، ولـكن فقر البلاد لم يساعدهم على إنماء ثروتهم كما ساعدتهم جزائر أندونسـيا ، ولقد زاد الحالة سـوءا عدمُ تآلفهم وتناصرهم الأمر الذى شتت جمعهم ، ومزّق شملهم ، وجعلهم أضحوكة بين العمانيين نزلاء زنجبار ، ولقد حاول نقيبهم السـيد ناصر بن عبد العزيز بن عبدات لمّ شعثهم ، وجمع كلمتهم ، وتوحيـد صفوفهم ، ونجح فى مساعيه ، ولـكن كانت الجبهة العمانيـة التى تعاكسهم وتزاحمهم فى المرافق الاقتصادية قوية .

وفى سنة ١٣٤٦ انفجرت براكين النزاع والخلاف بين الفريقين ، ووقعت الواقعة وسالت الدماء فى شوارع زنجبار ، وعلى مرأى من السلطة البريطانية التى وقفت موقف المتفرّج ، وهكذا أصبح موقف الحضارمة حرجاً ، وأحاطت بهم الأخطار ، ولـكن نفس السيد ناصر بن عبدات الأبية ، وشهامته العالية أبت أن تبقى الغلبة فى جانب العمانيين ، فاشترى رماحاً كثيرة ووزعها على الحضارم استعداداً للطوارئ ، ولم تمض مدة طويلة حتى عاد الخصام بين الفريقين ، واشتبك الطرفان طعناً بالسـلاح الأبيض ، وانجلت الواقعة عن خمسين قتيلا من العمانيين ، وبضع أشخاص من الحضارم ، وعدد الجرحى كثير ، وأخيراً تدخلت السلطة الإنجليزية بينهم ، ونفت من البلاد بعضاً من زعماء الحضارم ، ومنهم السـيد ناصر بن عبدات ، وهدأت الحال ، وانصرف كلٌّ من الحضرميين والعمانيين فى سبيلهم ، ولـكن فى شىء كثير من الحـذر واليقظة ، وقد بدأت حالة الحضارم تتحسن من الناحية الاقتصادية ، وأنشئوا لهم جمعية تحت رئاسة السيد محسن بن غالب للدفاع عن مصالحهم ، والذود عن حقوقهم .

هجرتهـــم إلى الهند(١)

هاجر الحضارم إلى الهند فى الوقت الذى هاجروا فيه إلى جزائر الهند الشرقية ، أى فى أواخر القرن الثامن الميـلادى ، ولـكن كان عـددهم قليلا ، ولم يقبضوا زمام تجارة الهند ، و يمثلوا النشاط الاقتصادى ، و يكوّنوا مركزاً عظيما ، بخلاف إخوانهم فى جزائر جاوه حيث كوّنوا هناك تاريخاً مجيـداً ، وأوجدوا لهم مكاناً فى ميـدان الحياة ، ولعلّ الظروف المحلية فى الهند لم تكن لتساعدهم على إبراز شـــخصياتهم الجليلة ، ومزاحمة البيئات المحيطة بهم فى التجارة ، وعلى التغلب عليها فى إحراز الثروات الواسـعة ، على أنه ظهر هناك بضعة أفراد ، أمثال القعيطى اليافعى والعوالق وغالب بن محسن الـكثيرى وغيرهم نالوا الشهرة الواسعة ، فقد تولوا مرا كز سياسية كبيرة قادوا الجيوش فى حيدرأباد وكانوا من أقرب المقرّبين لدى ملك حيدرأباد ، وأوثق الناس اتصالا به ، وقد ساعدتهم الظروف على امتلاك الأموال والعقارات ، ولـكن تلك الحال لم تدم طويلا ، فقد انهار ذلك المركز الاقتصادى ، وتضاءلت تلك المنزلة السياسية ، ولم يبق من تلك الشخصيات البارزة سوى القعيطى اليافعى .

يبلغ عدد العرب الحضارم اليوم فى حيدرأباد نحو عشرة آلاف يشتغلون كجنود فى الجيش الغير النظامى ، و يتعاطى العسكرى الواحد معاشاً شهريا قدره أربعة عشر روبيـة أى نحو جنيه ونصف جنيه ، ومنهم من يتولى حراســة خزائن الدولة ، وقصور سموّ النظام ، وحرمه الخاصّ ، وقصـــور الـكثير من الأمراء والنوّاب والحكام ، وكان الحـكمدار على هؤلاء السلطان عمر بن عوض القعيطى اليافعى ، المتوفى فى شهر فبراير الفائت ، وتصرف له خزينـة حكومة حيدرأباد نظير ذلك معاشاً شهريا قدره ١٣٣٠ روبية .

(١) راجع هجرتهم قبل الإسلام فى الجزء الأول صفحة ٤٤ .

أما حالتهم الاجتماعية فسيئة ، فهم يعيشـــون فى عزلة تامة عن العالم الناهض و يندر أن تجد فيهم الرجل العالم المثقف الذى يفهم الحياة على حقيقتها سوى أفراد قليلين جدًّا ، و إقبالهم على تعليم أبنائهم فى مدارس الحكومة يكاد يكون معدوماً .

هجرتهم إلى أندونسيا

« جزائر الهنـــــد الشرقية »

ليس من شك أن هجرة العرب الحضارمة إلى جاوه وما حولها من الجزائر أعظم هجرة من نوعها فى تاريخهم ، فقد اخترقوا الشرق الأقصى فى وقت كان ذلك المحيط الخضمّ محفوفا بالأخطار والأرزاء ، وحطوا رحالهم فى تلك الجزائر الخضراء ، وكان من جلائل نتائج هذه الهجرة أن تلاشت ديانة بوذا ، وقام على أنقاضها الإسلام ، ولسنا هنا نريد أن نتكلم طويلا ، ونعطى هذا الموضوع حقه من الشرح والتفصيل ، فذلك يستلزم كتابا ضخما قائما بذاته ، ولكننا نحبّ أن نتكلم بشىء من الاختصار والإجمال لنعطى القرّاء فكرة عامة عن أعمال الحضارم فى تلك البلاد النائية ، على أن هذا لا يمنعنا أن نتكلم بشىء من التفصيل حول نهضة الحضارم « الإرشاديين والعلويين » الفكرية الحديثة ، وما حدث بينهم من خلاف ونزاع ، فإن ذلك من أعظم الأعمال التى كان لها فى عقليـــة هؤلاء القوم تأثير حسن ، وحوّلت مجرى تفكيرهم من الجمود والخمود والهمود إلى اليقظة والنشاط والانبعاث .

لا يعرف بالضبط بدء هجرة الحضارم إلى جزائر الهند الشرقية ، ولكن من المحقق أنهم جاءوها فى أواخر القرن الثامن الميلادى ، فهم إذن قبل البرتغاليين الذين ســبقوا الهنولنديين إلى هـذه الأصقاع ، وكانت ممالك الجزائر أشبه بالأقطاعيات فى نظامها وكثرتها وعدد ملوكها ، وكانت ديانة بوذا منتشرة فى كلّ طبقات السكان ، وكان من

المنتظر أن يلاقى الحضارم وهم المسلمون معاكسات ومقاومات من السكان لا سيما من أرباب السلطة وأصحاب النفوذ والسلطان ، ولكن قلوب هؤلاء كانت على جانب عظيم من السذاجة والصفاء ، ولم يروا من الحضارم النزلاء ما يبعث فيهم الحذر منهم ويعكر صفو الجو ، والحق أن الحضارم لم يهاجروا إلى هذه الجزائر لتأسيس ملك أو نشر دين ، ولكن غرضهم المنشود التجارة والارتزاق لاغير .

استطاع الحضارم بما أوتوا من جلد وصبر وذكاء وهمة عالية ، وأمانة فى المعاملة ، وصدق فى القول أن يشقوا طريقاً لهم فى تلك البلاد النائية ، وينسابوا بين طبقات السكان الذين يخالفونهم جنساً ولغة وديناً وأخلاقاً وعادات ، استطاعوا أن يستميلوا إليهم القلوب ، ويتبوءوا مقعداً عليًّا .

اتسع نطاق تجارتهم اتساعاً أكثر مما يتوقعون ، ونمت ثرواتهم نموًّا ما كانوا يحلمون به من قبل ، مسكوا زمام التجارة فى البرّ والبحر ، وتسيطروا على المواصلات ما بين القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر ، وكانت مراكبهم التى بلغت أكثر من مائة تجوب جزائر جاوه ، وتبحر إلى الهند ، وإلى سواحل الجزيرة العربية ، ثم تعود محملة بأنواع البضائع وأصناف المتاجر ، وكانوا يقودون تلك المراكب بأنفسهم ، وقد دامت سيادتهم على المواصلات البحرية زمناً ليس بقصير ، وفى سنة ١٨٥٥ م بدأت مزكهم تتناقص وتتضاءل بسبب منافسة المراكب البخارية لها .

وبالرغم عن تناقص مراكبهم ، فإن عددهم أخذ يزداد بسهولة المواصلات بين حضرموت وأندونسيا ، وهذه الإحصاءات الرسمية الآتية تدلنا على ازدياد هجرتهم :

ســـــنة	فى جاوه ومدورا	فى الجزائر الأخرى	المجموع
١٨٥٩	٤٩٩٢	.....	.....
١٨٧٠	٧٤٩٥	.....	.....
١٨٨٥	١٠٨٨٨	.....	.....
١٩٠٥	١٩١٤٨	١٠٤٤٠	٢٩٥٠٠
١٩٢٠	٢٧٨٠٦	١٧١١٥	٤٤٩٢١

وكانت الحكومة الهولندية تشدّد فى تطبيق قوانين المهاجرة عليهم فكانت تحصرهم فى جهات خاصة ، ولاتسمح لهم بالتجوّل من بلد إلى بلد إلاباذن خاصّ، و بعد صعوبة شديدة ، وقد دام هـذا الضغط والتشديد سنين عديدة ، وفى سـنة ١٩١٦ تساهلت معهم الحكومة نوعا ، وفى سنة ١٩١٩ رفعت عنهم ذلك التضييق وأطلقت لهم العنان يسافرون من مدينة إلى مدينـــة ، ومن جزيرة إلى أخرى دون أن يجدوا أمامهم صعوبات وعراقيل .

حالتهم العلمية

لم تكن لهم جمعيات تذكر قبل عام ١٩٠٠ ، ولا مدارس سوى كتاتيب صغيرة قليلة لتعليم الكتابة والقراءة وقراءة القرآن الكريم وجزء ضئيل من الفقه ، أما اللغة العربية فلا تدرس ، ولذلك فكلّ مواليد العرب فى أندونسيا يجهلون لغتهم كلّ الجهل اللهم أولئك الأفراد الذين أسعدهم الحظ لزيارة وطنهم حضرموت ، وكانت دراسة تلك المواد مقصورة على الذكور دون الإناث لأنهم كانوا يحرمون تعليم البنت حتى سنة ١٩١٥ ، وكان الإقبال على تلك الكتاتيب ضئيلا جدًّا ، ولذلك فالأمية كانت منتشرة انتشاراً هائلا ، وهناك أفراد نالوا من تجارتهم ثروات عظيمة ، وهم أميون لا يعرفون الكتابة ولا القراءة ، ولم تكن هناك نوادٍ ولا جمعيات رياضية ، لأن الآباء لا يتركون لأبنائهم فرصـة لتكوين مجتمعات لهم ، ولا يسمحون لهم بممارسـة الألعاب الرياضية ، و إنما كان كلّ همهم تدريب أبنائهم على التجارة حينما يبلغون سن الرشد ، أما الصحف العربيـة فليس لها أثر ألبتة ، على أن هناك أفراداً وهم قليلون جدا كانوا يطالعون بعض الصحف المصرية كالأهرام ومجلتى الهلال والمنار ، وكان العلماء جامدين كلّ الجمود ، ولم يكن لهم همّ سـوى قراءة الكتب الدينيـة ، و إلقاء المحاضرات فى المساجد فيما له علاقة بالصلاة والصوم والحج ، وفى سـنة ١٩٠٣ أنشـأ جماعة من آل باعلوى وغيرهم « جمعية خير » فى بتافيا ولعلها أولى الجمعيات العربية ، وفى سنة ١٩٠٥

أنشأت هذه الجمعية مدرسة وهى الأولى من نوعها ، ولوأن التعليم فيها لايتجاوز الكتابة والقراءة ، ودراسة مبادئ اللغة العربية والدين .

وكانت الخرافات منتشرة انتشاراً هائلا ، وكان العلويون وهم أصحاب السلطة الروحية يتمتعون بالمزايا التى يتمتعون بها فى حضرموت ، فكان الفرد منهم سواءأ كان صغيرا أو كبيراً عالما أو جاهلا صالحا أو طالحا يجب أن يحترم ويكرم ويعطى له المقام الأعلى ، ويجب أن تقبل يده عند المصافحة ، وأن تضاف إلى اسمه لفظة سيد أو حبيب وتقدم لبعض موتاهم القرابين والنذور لدفع الكربات وجلب الرزق وإطالة العمر ، وما إلى ذلك من الخرافات والخزعبلات التى يمقتها العقل والدين ، ويتبرأ منها الله والرسول ، ويحرّم العلويون تزويج بناتهم من غيرهم .

وحدث فى سنقافورا سنة ١٩٠٥ أن تزوّج هندى بعلوية ، فأحدث ذلك ضجة فى المجتمع الحضرمى ، وهاج العلويون وماجوا وثارت ثائرتهم ، وقد استفتى أحد الحضارم بسنقافورا صاحب الفضيلة العلامة الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن صحة ذلك الزواج ، فأفتى فضيلته بصحته فى الجزء السادس من المجلد الثامن من المنار الصادر يوم ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٢٣ الموافق يوم ٢١ مايو سنة ١٩٠٥ ، وقد أثارت تلك الفتوى غضب العلويين حتى إن الشيخ عمر بن سالم العطاس العلوى أصدر فتوى حرّم فيها تزويج العلوية لغير العلوى ولو رضيت ورضى وليها ، وحكم على الناس بالعبودية للعلويين .

ونحن هنا ننشر تلك الفتوى التى نشرتها مجلة « المنار » بمصر ، وردّ عليها العلامة الشيخ محمد رشيد رضا :

فتوى الشيخ عمر العطاس

« تزويج الشريفة بغير شريف وفضل أهل البيت »

سيدى ، هل هذه الفتوى المذكورة أدناه صحيحة ، و يجوز العمل بما فيها أم الأصح خلافها ؟ أفيدونا لا زلتم خير خلف لخير سلف عن جوهر الإسـلامية ، وأرجو من حضرتكم الكلام عنها فى المنار ، وهى : ما قولكم فيمن يستحلّ تزويج الشرائف بمن ليسوا بأشراف ، بل لو كان بعضهم يزعم أنه هاشمى أو مطلبى أو من بقية قريش ، فهل يصحّ تزويجهم بالشرائف أو لا ؟.

الجواب ـ والله أعلم بالصواب ـ

اعلم أن مراعاة الكفاءة فى النكاح واجبة ، وهى فى النسب على أربع درجات : [كذا] . الأولى : العرب . لا يكافئهم غيرهم من العجم . الثانية : قريش لا يكافئهم غيرهم من بقية العرب . الثالثة : بنو هاشم لا يكافئهم غيرهم من بقية قريش . الرابعة : أولاد فاطمة الزهراء بنوالحسن والحسين رضى الله عنهم لايكافئهم غيرهم من بنى هاشم .

والدليل عليه كما فى التحفة والنهاية وغيرهما خبر مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ ٱللّٰهَ ٱصْطَفَى مِنَ ٱلْعَرَبِ كِنَانَةَ ، وَٱصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا ، وَٱصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ » ، والأحاديث الواردة فى فضل العرب وفى فضل قريش وفى فضل بنى هاشم كثيرة جدا . وقال ابن حجر فى التحفة والرملى فى النهاية : أولاد فاطمة لا يكافئهم غيرهم من بقية بنى هاشم ، لأن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن أولاد بناته ينتسـبون اليه فى الكفاءة وغيرها كالوقف والوصية كما صرحوا به لأنهم

أبناؤه كما ثبت فى قصة المباهلة فى قوله تعالى : [نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ] ، فإنه ورد أنه خرج ومعه الحسن والحسين وعلىّ وفاطمة .

وروى الحاكم ، قال صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ بَنِى أُمٍّ عَصَبَةٌ إِلاَّ أَبْنَاءَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَعَصَبَتُهُمْ » .

وأخرج الترمذى عن أسامة أنه صلى الله عليه وسلم أجلس الحسن والحسين يوما على فخذيه وقال : « هٰذَانِ ابْنَاىَ وَابْنَا بِنْتِي . اللَّهُمَّ إِنِّى أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا » .

وأخرج الطبرانى وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ بَنِى أُمٍّ يَنْتَمُونَ إِلَى عَصَبَةٍ إِلاَّ وَلَدَ فَاطِمَةَ فَأَنَا وَلِيُّهُمْ وَأَنَا عَصَبَتُهُمْ » .

فقول الشارع نصّ ، ويترتب عليه أحكام النبوّة فى الأشباح والأرواح كالحسن والحسين وأولادهما ، والتشريف ببعض خصائصه صلى الله عليه وسلم كوجوب الصلاة عليهم ، ودخولهم فى آية التطهير ، وتحريم الزكاة عليهم ، وافتراض محبتهم على الأمة ، وغير ذلك .

ثم اعلم أن الشرف قسمان : ذاتى ، وصفاتى . وقد اصطلح العلماء على أن الشرف الذاتى للنبىّ صلى الله عليه وسلم بالنسبة لذريته ، فكما كانت ذات النبوّة مختارة اليه من الوجود جعلها الله معدنا لكلّ نعت محمود ، ولم يزل يسرى منها فى شعبها مظهرها فى المعدن ، ومع ذلك فقد بالغ الجليل الكبير فى كمال التطهير لها كما قال : [وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] ، لا بعمل عملوه ، ولا بصالح قدموه ، بل بسابق عناية من الله لهم ، فتأثير البضعة النبوية لا يدركه أكابر الأولياء من غيرهم ، ولو جاهدوا أبد الآباد ، ولهذا السرّ قال الله تعالى : [قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى] .

إذا عرفت ذلك واتضح لك أن مقام ذات النبوّة وقدرها لا يدرك ، وعرفت أن الكفاءة عند العرب بل وغيرهم أمر مرعى ، وقد جاء الشرع فى ذلك على موافقة عادتهم وعرفت أن تزويج الأدنى بمن ليس كفؤا لها يلحق عاراً على عصبتها كما صرّح به

الفقهاء الواصل ذلك العار عند تزويج الشرائف بغير الأشراف إلى مقامه صلى الله عليه وسلم ، تحقق لديك أن الجرأة على ذلك إيذاء للنبيّ صلى الله عليه وسلم ولذريته .

وأيّ إيذاء أعظم من إلحاق العار ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آذَى أَهْلَ بَيْتِي فَقَدْ آذَانِي ، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى ٱللَّهَ » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لاَ تُؤْذُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي » الخ .

وقال عليه الصلاة والسلام : « ٱحْفَظُونِي فِي أَهْلِ بَيْتِي فَإِيذَاؤُهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ، وَمَنِ ٱسْتَحَلَّهُ كَفَرَ » .

فلا يجوز تزويج غير السيد بالسيدة ولو رضيت وأسقطت الكفاءة أو رضى وليها ، لأن الحق ليس لهما ، لأنه شرف ذاتي ليس من كسبهما حتى يستعطاه ، بل له صلى الله عليه وسلم ولكافة أبناء الحسنين ولا يتصور رضاهم ، وقد ثبت أنهم موالٍ على ماسواهم من كافة الخلق بنص حديث « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » ، وهل يجوز تزويج العبد مولاته ؟ ! لا قائل به ، بل قد منع خليفة الزمان السلطان عبد الحميد خان أيده الله تبعاً لسلفه تزويج السيدات بغير السادة ، وأمر الخليفة يجب العمل به فى المباحات فضلا عن الموافق للحكم الشرعى .

وأما مانسب إلى الإمام مالك عالم دار الهجرة رضى الله عنه من أن المسلمين أكفاء ، فلا يبعد أنه مقول عليه لأنه ثبت عنه أنه امتنع من لبس النعال فى المدينة ، وقال : « أَسْتَحِي أَنْ أَطَأَ بِنَعْلِي أَرْضاً وَطِئَهَا رَسُولُ ٱللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِقَدَمِهِ » ، فمن استعظم واستشرف أرضا وطئها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدمه يبيح ويستحل افتراش ووطء بضعته صلى الله عليه وسلم ، يجلّ قدره عما نسب إليه رضى الله عنه .

وفى هذا القدر كفاية لمن منّ الله عليه بالهداية . ومن قال بخلاف ماذكر ، فإما من عدم اطلاع ، وإما جهل بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر أهل بيته ، بل من تجرأ وارتكب ذلك بعد اطلاعه على ماذكر فهو ضعيف إيمان ، بل مسلوبه لمراغمته ومعاندته

للشرع ، يخشى عليه من سوء العاقبة [وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ] . حفظنا الله من ارتكاب الموبقات وعصمنا من الهجوم على الخطيئات وعرفنا قدر نبيه وأهل بيته السادات ، إنه وليّ التوفيق .

غير أنه معلوم لذى كل ذى عقل أنه للضرورات تباح المحظورات وارتكاب أخف الضررين لدفع الأشد متعين ، فلا يلزمك العناد وارتكاب الفساد والعدول عن سبيل الرشاد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

قاله بفمه ، وكتبه بقلمه ، أضعف الناس ، عمر بن سالم العطاس ، عفا الله عنه آمين ، وذلك في شهر محرّم سنة ١٣٢٣ .

[ج] سبق لنا أن نشرنا فى هذه المسألة سؤالا لأحد القراء فى سنغافوره فى واقعة حال هناك ، ثم جاءنا من سنغافوره رسالة بتوقيع أحد الحضارمة رغب إلينا مرسلها أن نرمز له بحرفى ع . ب . قال فيها بعدالثناء والإطراء إن مانشرناه فى الواقعة [فى ج ٦ م ٨] لم يكن السؤال فيه مطابقا للواقع ، وأن الشريفة التى تزوجت بالسيد الهندى قد زوجها وليها الشرعى برضاه ورضاها مع علمهما بأن الزوج مطعون فى نسبه ، على أنه قد شهد ١٢ شاهداً من أهالى بلده وغيره بالسيادة له ، وأن ما ذكره السائل أيضاً من طعن ذلك الرجل بكتب الشرع غير صحيح .

وطلب منا هذا الكاتب أن نذكر الحكم فى الواقعة على ماقرره هو من تزويج ولىّ الشريفة لها برضاه ورضاها . على أنه لا حاجة إلى ذلك ، فإن الجواب الأول ناطق بصحة العقد فى هذه الحالة .

وقد فهمنا من الرسالة ومن مجموع ما كتب إلينا فى معناها من تلك الجزيرة أن سبب الاهتمام بهذه المسألة هو أن بعض السادات الحضرميين الذين يوجد منهم طائفة هناك غالون فى التفاخر بأنسابهم والإدلال بأحسابهم ، ولذلك ذهبوا فى الغلو إلى ما تراه فى فتوى الشيخ عمر بن سالم العطاس التى سألنا عنها أحد القرّاء فى سنغافوره ، وقد أرسلت إلينا صورتها مطبوعة ، فعلمنا أنهم طبعوها ووزعوها لإثبات اعتقادهم فى أنفسهم .

أما الحقّ فى مسألة الكفاءة فهو مابيناه فى الجزء العاشر من المجلد السابع أيام حادثة الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ، وقد نقل المؤيد ما كتبناه يومئذ ، فاطلع عليه الأستاذ الإمام مفتى الديار المصرية رحمه الله تعالى ، وكان فى مصيف رأس البر ، فكتب إلىّ : (اطلعت فى المؤيد على ما كتبت فى الكفاءة والأولياء واستحسنته) .

وإنما اطلع عليه فى المؤيد لأنه نشر فيه ما كتبت قبل أن أرسل المنار ، ولذلك كتب إلى الإمام فى ذلك الرّقيم : (كنت أنتظر أن يصل إلىّ المنار هنا ليكون مما ألقى عليه نظرى إذا أرجعته عن أمواج البحر الأبيض ولم أطلقه إلى بساط النيل الأحمر ، فإنى جالس طول يومى بين البحرين) ، والمقصود أن الأستاذ الإمام قد أجاز ما كتبته فى الكفاءة ، فكأنه أفتى به .

أما المنزع الذى رمى عنه الشيخ عمر بن سالم العطاس فهو غريب وأوغله فى الغربة والغرابة جعل الكفاءة فى الشرفاء حقا للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، ولجميع أبناء الحسنين ، بحيث لا يصحّ تزويج الشريفة بغير شريف ولو رضيت ورضى وليها ، إذ لا يتصوّر أن يرضى النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وسائر الشرفاء فى مشارق الأرض ومغاربها ، واستدلاله على ذلك بكونه إيذاء للنبىّ بإيذاء أهل بيته ، قال وإيذاؤهم من أكبر الكبائر يكفر مستحله ، ثم استدلاله أيضاً بحديث : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » على كون ذرارى علىّ موالىَ على من سواهم من جميع الخلق بالنصّ ، وخروجه من ذلك إلى أن جميع الناس عبيد لهم ، وأنه لا قائل بجواز تزويج العبد لمولاته . نعوذ بالله من هذا الغلو والغرور .

يستدلّ الشيعة بحديث : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » على أن عليّا أحقّ بالخلافة ممن سبقه فيها ، ولا أعرف عنهم أنهم بعدوا فى الاستدلال إلى جعل جميع الناس عبيداً له وللذرّيته ، بل لم يقل مسلم بأن الناس عبيد للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، بل الإسلام يمنع هذا ، فمن أين جاء به العطاس؟ رحمه الله ويصلح باله ، وكيف يتفق استنباطه هذا مع ذكره السلطان عبد الحميد بلقب الخلافة ؟ .

وإذا كان غير الشريف العلوى الفاطمى لا يجوز أن يكون زوجاً للشريفة لأنه عبـــدها ، فكيف يكون العبد خليفة على ساداته ومواليه الذين لا يحصى عددهم ؟! والخليفة مولى لرعيته يجب عليهم طاعته فى كلّ معروف ، وأما الزوج فليس مولى لامرأته بهذا المعنى ، بل يقول جماهير الفقهاء إنه لا تجب عليها طاعته إلا فى المـكث فى البيت والتمـكين من الاستمتاع .

والحقّ أن لفظ المولى فى الحديث معناه الناصر كما قال الجوهرى فى الصحاح ، ويطلق فى اللغــة على الصاحب والقريب والجار والحليف والنزيل والشريك والعبــد والمعتق والمعتق . فكيف يسمح لنا الدّين أن نتخطى هذه المعانى ، ونقول إن الحديث نصّ فى أن الناس عبيد لذرية علىّ ؟!

هل كان أبو بكر وعمر والعباس وغيرهم من الصحابة وسائر المسلمين عبيداً لعلىّ فى حياته ؟ وهل ملك أولاده من بعده الناس بالإرث ، أم نصّ الحديث دالّ على أنهم يملـكونهم بالاستقلال فى كلّ زمان ؟ ظاهر قول العطاس الثانى ، وكل مسـلم يبرأ إلى الله من الأول والثانى .

كان الشرفاء وما زالوا يزوّجون بناتهم من غيرهم ، وجميع العلماء يستحلون هذا مع التراضى وسائر الناس تبع لهم فيه ، فهل يقول العطاس إن جميع من استحلّ ذلك كافر ، حتى المزوّجون والمتزوّجات بالرضى والاختيار ، فيكفر الشرفاء مبالغة فى تعظيمهم ؟؟؟

ليس هـذا المنزع الذى رأيت بأغرب من منزعه الآخر فى جعل النســبة إلى الحسن والحسين فى معنى نبوة النبى عليه الصلاة والســلام ، من حيث ان شرفها ذاتى غير مدرك وأنها من اختيار الله تعالى وأنها منبع لكل نعت محمود ، وأن أكابر الأولياء لو جاهدوا أبد الآباد لا يلحقون لشريف أثراً ، لأن الله تعالى بالغ فى كمال تطهير آل البيت إذ قال : [ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً] لا بعمل عملوه ، ولا بصالح قدموه بل بسابق عناية من

الله لهم . ثم قال : ولهـذا السرّ قال الله : [قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] .

فانظروا أيها المنصفون كيف يلعب بكتاب الله ويحرف كلمه عن معناه ، بدعوى الاهتداء بهديه والعمل بأمره ونهيه ، وإنما هو اتباع الهوى شرد بالغالين عن معهدى الهدى ، وأحمد الله تعالى أن جعلنى شريفاً غير مفتون ، وجنبنى وقومى مزال الغرور .

فأما قوله تعالى : [إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا] ـ سورة الأحزاب ـ ، فقد ورد تعقيباً لآيات فى خطاب نساء النبىّ عليه الصلاة والسلام يأمرهنّ الله تعالى بها وينهاهنّ ويعلمهنّ بأنّ جزاءهنّ على الخير والشرّ مضاعف ، لأنهنّ لسن كسائر النساء ، وهـذا ظاهر معقول المعنى ، فإن بيت المرشـد الكامل قدوة فى الهدى والرشاد ، ولو ظهر العمل السيئ من ذلك البيت الذى جعله الله منبعاً للهدى ومشرقا للوحى ، لكان أعظم منفر عن الاهتداء والإيمان .

فقوله تعالى بعد تلك الأحكام : [إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ] الخ تعليل وبيان للحكمة فى كون نساء النبىّ لسن كسائر النساء ، وكونهنّ جديرات بمضاعفة العذاب على المعصية ، والثواب على الطاعة لمكان القـدوة ، كقوله تعالى بعد ذكر أحكام الصيام وما فيها من الرخص : [يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] وإنما قال : [عَنكُمْ] ، لأن النبىّ صلى الله عليه وسـلم فى البيت ، وهو المقصـود بالتطهير أوّلا وبالذات ، لأن كمال نسائه ينسب إلى هدايته صلى الله عليه وسلم .

وأما قوله تعالى : [قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى] ، فليس معناه أنه يطلب من الناس مودّة قرابته أجرة لتبليغه أحكام ربه . حاش لله ! ما كان لنبىّ أن يطلب على التبليغ أجراً كما نطق القرآن ونهض البرهان ، وإنما الاستثناء منفصل ، ومعناه : لا أسـألكم أجراً على ما جئتكم به ، فتتوهموا أنى طالب منفعة لنفسى ، وإنما أسألكم ما هو نافع لكم وهو المودّة فى القرابة ، أى أن تودّوا ذوى القربى منكم .

فهو إذن بمعنى ما يؤثر عن الإنجيل من الأمر بمحبة القريب ، أو أن تؤذونى فى قرابتى منكم ، لا لأنى بعثتُ لهدايتكم ، فعاملونى معاملة سائر الأقربين ولا تؤذونى . وأما الدِّين فلكم دينكم ولىَ دين ، لست عليه بجبار ، و إنما علىّ البلاغ وللناس الخيار.

وعقب هذا بقوله : [وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً] ، والآية من سورة الشورى وهى مكية من أوّل القرآن نزولا ، وأمثال هـذا الخطاب فى الدعوة والاستمالة إلى الحقّ كثيرة . ولا يمكن أن يحمل لفظ القربى فيه على ذرية فاطمة عليها السلام لما تقدم ، ولأنها لم تكن تزوجت ولا ولدت فى ذلك العهد .

سبق المنار قول فى تفسير هذه الآية ، وفيه أن الشيعة هم الذين انتحلوا لها هـذا المعنى ، غافلين عما وراءه من الطعن فى الرسالة ، واحتجاج الكافرين على المؤمنين بأن الرسول كان يطلب بدعوته الدنيا لذرّيته كالملوك والأمراء ، وأن القرآن بجملته وتفصيله وسيرة النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه وأهله ومعاملاته للناس وتوليتهم الأعمال ، كلّ ذلك مما ينسف هذه الشبهة نسفاً .

أى غلو العطاس يرحمه الله و يصلح باله لس بالغريب ؟ أإنكاره قول الإمام مالك إن المسلمين أكفاء واحتجاجه على ذلك بما كان من أدب هذا الإمام مع النبى عليه السلام، إذ كان لا يطأ أرض المدينة بالنعال واستنباطه منه عدم إباحة افتراش البضعة النبوية ووطئها ، أيظنّ أن الإمام مالكا كان يحرم أن يمشى الناس فى المدينة بالنعال ، أو أن تركب فيها الحمير والبغال ؟ أيظنّ أنه يقيس اتخاذ المرأة زوجا وقرينة للرجل تشاركه فى نعمته ، وتتحد معه فى معيشته على وطء الأرض بالنعل أو بغير النعل ؟ ؟ ما هـذا الفقه المقلوب ؟ ؟

يسهل على من يسلك مسلك هـذا المفتى فى الاستنباط أن يستخرج من كلامه ما يعده الفقهاء من المكفرات فيكفره كما كفر من يخالف فتواه ، أو كاد يكفر بها جميع المسلمين ، والحقّ أنه لا يحكم بكفر أحد من أهل القبلة إلا بقول ، أو عمل يدلّ دلالة

قطعية على أنه لا يؤمن بالله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما هو متواتر مجمع عليه معلوم من الدّين بالضرورة

فمن آذى شريفاً من آل البيت لحظ من حظوظ الدنيا يكون عاصياً لله كما لو آذى غيره ، لأن الإيذاء حرام . وأما من يؤذى الشرفاء لأنهم ينتمون إلى النبىّ صلى الله عليه وسلم فالأقرب أن يكون إيذاؤه إياهم بهذا القصد معلولا لكفره به لا علة له ، إذ لا يعقل أن يقصد المؤمن ذلك ، ولا يظهر هذا إلا فيمن يؤذى كلّ من قدر على إيذائه منهم ، فمتى خصّ فرداً أو أفراداً علم أنه لا يؤذيهم لأجل النسبة .

وجملة القول أن الشريعة الإسلامية شريعة عدل ومساواة ، لا شريعة تقسيم ومحاباة ، وأحكامها عامة ، مدار العبادات فيها على تزكية النفس وتحليتها بالفضائل ، ومدار المعاملات على درء المفاسد والمضارّ وجلب المنافع وحفظ المصالح ، وليس لأحد أن يخصّ الشرفاء أو غيرهم بأحكام شرعية تؤخذ بالتسليم على أنها من التعبد .

فأبناء الحسنين وغيرهم من الناس سواء فى أحكامها . وما ورد فى تخصيصها آل النبى صلى الله عليه وسلم ببعض الأحكام كتحريم الصدقة عليهم معقول المعنى ، ولايجوز لأحد أن يزيد عليه لأن التخصيص خلاف القياس فلا يقاس عليه . وفى الحديث الصحيح : إن الآل فى باب تحريم الصدقة هم بنو هاشم وبنو المطلب ، لا ذرية فاطمة خاصة .

وإن الكفاءة فى النكاح لا يستدلّ عليها بالفضائل والخصائص ، وإنما يرجع فيها إلى نصّ الشارع أو القياس الصحيح . أما نصّ الشارع فلم يصحّ منه فى مسألتنا شيء . قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى : لم يثبت فى اعتبار الكفاءة بالنسب حديث ، وأما ما أخرجه البزار من حديث معاذ رفعه : « الْعَرَبُ بَعْضُهُمْ أَكْفَاءُ بَعْضٍ ، وَالْمَوَالِي بَعْضُهُمْ أَكْفَاءُ بَعْضٍ » فإسناده ضعيف اهـ .

وإنما الكفاءة الثابتة فى السنة خاصة بالدّين والحرّية والأخلاق واليسار ، وهذا

ما كان عليه أكثر أهل الصدر الأول . ومن قال من الفقهاء باعتبارها فى النسب فحجته الصحيحة القياس ومداره على دفع العار . فإذا لم يكن هنالك عار فلا اعتبار بالنسب فى الكفاءة ، وعلى هذا أكثر البلاد الإسلامية فيما نظنّ ؛ و إذا رضيت امرأة شريفة هى وأولياؤها بالتزوّج بمن ليس بشريف فى بلاد يعدّ ذلك فيها من العار ، فلا حرج عليهم لأنهم أعلم بمصلحتهم ، وأحرص على شرف أنفسهم ، والأمر ليس بتعبدى .

ولو كان ما ذكره العطاس من فضل أهل البيت يجعل استنباطه صحيحاً وداخلا فى الأحكام التعبدية لكان لنا أن نقول مثله فى العلماء ، فإن ما ورد فى الكتاب والسنة فى مدح العلم والعلماء أعظم وأظهر مما ورد فى آل البيت ، فهل نقول إنه لا يحلّ للعالم أن يزوج ابنته بمن ليس بعالم لأن ذلك إهانة للعالم الذى عظمه الله تعالى ، فالأمر فيه ليس إليه ، و إنما هو متعبد بذلك ؟ .

كلا ! إن الزواج من المعاملات التى تبنى على أساس المصلحة ، وكلّ قوم أعلم بمصلحتهم ، والشرع لم يحجر عليهم فى اختيار الخير ، و إنما حرّم عليهم الإيذاء ، والله أعلم وأحكم .

هذا و إننى لا أظنّ بالشيخ عمر بن العطاس إلا الخير وحسن النية ، وأشكر له حبه للشرفاء ، ولو أن فتواه طبعت لما رددت عليها فى المنار، وأسأل الله تعالى أن يحفظنا و إياه من الغلو و يلهمنا رشدنا أجمعين » انتهى .

ليس من شك أن هذه الحادثة هى الهزّة الأولى لأفكار الحضارم بجزائر الهند الشرقية ، وليس من شكّ أن هنالك أفراداً تسرب إلى إذهانهم شىء من روح المساواة الشرعية ومن حرية الفكر ، ولا ريب أنّ الفضل فى ذلك إنما يعود لمجلة المنار الحرّة الغرّاء ، ولكن تلك الهزّة لم تكن عنيفة إذ سرعان ما تضاءلت ، وآلت حركتها إلى الخمود ، وأولئك الأفراد الذين أصابهم طَلّ من روح المساواة لم يستطيعوا البروز والظهور لأن الظروف لم تكن تسمح لهم بذلك ثم إنهم لم يجدو لفكرتهم أنصاراً ولا أعوانا .

العلامة الشيخ أحمد السوركتي

زعيم النهضة الدينية الحرة



العلامة الشيخ أحمد السوركتي

ولد العلامة الشيخ أحمد محمد السوركتي الأنصاري ببلدة أدفو من أعمال دنقله سنة ١٢٩٢ هـ من أبوين ينتسبان إلى قبيلة الجوابرة نسبة إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ، وكانت هذه القبيلة ساكنة في صعيد مصر ، ولما احتلّ السلطان سليم مصر دعا الجوابرة إلى الطاعة فرفضوا فجهز عليهم ، ولما رأوا أنهم لا طاقة لهم بجنود السلطان تقهقروا إلى السودان ، وهناك حطوا رحالهم وصار لهم نفوذ روحيّ ومادي ، ولا تزال لهم فى بلاد السودان آثار من حصون وقلاع وقباب وخرافات وترهات طويلة عريضة ، وكلمة السوركتي لقب لأحد أجداد الشيخ أحمد ، وهى من لغة أهالى تلك البلاد ، ومعناها كثير الكتب ، والسبب أن جدّه رحل إلى مصر لطلب العلم ، وعاد من سفره بكتب كثيرة فلقب بهذا اللقب ، لأن سور عندهم الكتاب وكتي للمبالغة فى الكثرة ، ولما مات أبو الشيخ أحمد استوحش من البلاد لفقدان والديه ، وتنقل فى بعض المعاهد العلمية الدينية فى السودان ، وحفظ القرآن الكريم على قراءة نافع ودرس الفقه والتوحيد ، ثم رحل إلى الحجاز سنة ١٣١٤ هـ ، وأقام بالمدينة أربع سنوات مجدًّا فى طلب العلوم الشرعية واللغة العربية ، ثم اختار مكة فجدّ فى الطلب حتى نال الشهادة العالمية ، وأنشأ هناك مدرسة أهلية ، واستمرّ فى التدريس فيها وفى الحرم المكى ، وكان لمدرسته إقبال منقطع النظير .

وفى سنة ١٣٢٩ هـ أتاه طلب من جمعية خير فى بتافيا لإدارة التعليم فى مدرستها ، وكان الواسطة لذلك العلامة الشيخ محمد بن يوسف الخياط ، والعلامة الشيخ حسين بن محمد الحبشى ، فسار العلامة الشيخ أحمد السوركتي إلى جاوه ، و بصحبته معلمين ، ومندوب جمعية خير السيد عبد الله بن عبد المعبود الموصلى ، ولما وصلوا بتافيا قابلهم العلويون وغيرهم بكلّ إجلال واحترام ، واحتفوا بهم احتفاء يعجز عن وصفه البيان ، ولقد سحر القوم الشيخ أحمد السوركتي بما طبع عليه من الخلق الكريم ، والأدب الجمّ ، وما اتصف به من الصلاح والورع والعلم والحلم والتواضع والتسامح ، وكان

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العلوى[1] الذى أصبح بعد ظهور جمعية الإرشاد ألدّ أعداء الشيخ أحمد السوركتى ، يجلّ الشيخ كلّ الإجلال ، ويحترمه كلّ الاحترام ويدعو الناس لتعظيمه وتكريمه .

بدء نفور العلويين من الشيخ أحمد السوركتى وتحاملهم عليه

حدث أن سأل السيد عمر سعيد بن سنكر الأستاذ الشيخ أحمد السوركتى ، وكان فى مجلس من مجالس العرب بمدينة صولو عن جواز زواج العلوية من غير العلوى ، فأجاب فضيلته بالجواز ، وحيث أن العلويين وغيرهم من الحضارمة يعتقدون تحريم زواج العلوية لغير العلوى ، فقد أخذ القوم يتهامسون فى شىء كثير من الدهشة والحيرة وذاعت فتوى الشيخ فى بتافيا وغيرها من بلدان جاوه ، ولم يكد يعود الشيخ أحمد السوركتى من رحلته إلى بتافيا إلا وقد أصبحت وجوه العلويين عابسة ضدّه ينظرون إليه نظرات كلها مقت وغلّ ، لم يجد الشيخ عشر معشار ما كان يلقاه من القوم من الاحترام والإجلال ، بل وجد منهم إعراضاً و إدبارا وتعبيساً ونفوراً ، وليس للشيخ ذنب سوى أنه أفتى بصحة زواج العلوية من غير العلوى ، واضطر الشيخ لذلك أن يقدم لجمعية خير استقالته يوم ١٥ شوال سنة ١٣٣٢ ـ ٦ سبتمبر عام ١٩١٤ .

---

(١) كان هذا الرجل من أكبر زعماء آل باعلوى ، وأكثرهم عملا لمصلحة عشيرته ، ذكيا شديد الذكاء ولكنه هادئه فى الوقت نفسه ، كان عالما وأديبا ، وخطيباً بليغاً ، ولقد كانت وفاته خسارة كبرى على العلويين .

جمعية الاصـــلاح والارشاد

لم يرد الله أن تبقى سلطة العلويين الروحية حاكمة على الحضارمة مالكة لمشاعرهم وعواطفهم ، لم يشـــأ أن تبقى تلك الأفكار جامدة ، والأذهان هامدة ، والأبصار عشواء ، والقلوب عمياء ، بل أراد أن يحرّر تلك النفوس من عبوديتها ، وتلك العقول من خبالها ، أراد أن يحطم تلك الخرافات والترّهات والبـدع والأوهام التى لعبت بعقول القوم مئات السـنين ، لذلك هدى جماعة من أعيان الحضارمة لتأسيس جمعية الإصلاح والإرشاد فى بتافيا ســـنة ١٩١٤ . وكان من أكبر القائمين بتكاليفها وبتكاليف مدرستها التى أنشئت أوائل سنة ١٩١٥ نقيب العرب بيتافيا السيد عمر منقوش ، والسيد سعيد مشعبى ، وكان العلامة الأستاذ أحمد السوركتى هو القائم بإدارة التعليم فى مدرسة الإرشاد ، ويساعده فى التدريس العلامة الأستاذ محمد عبيد عبود الحضرمى وجماعة من السـودانيين ، منهم العلامة الورع الأستاذ أحمد العاقب ، ولجمعية الإرشاد قانون أساسى هذا نصه :

الفصل الأول

هذه الجمعية اسمها : [جمعية الإصلاح والإرشاد العربية] ، ومركزها بيتاوى .

الفصل الثانى

غرض هذه الجمعية جمع الأموال وصرفها فيما يأتى :

١ — السعي في إصلاح وترقية الأمة الإسلامية عموما والعربية خصوصاً أدبيا واقتصاديا بنشر الدّين الإسلامى ، وبثّ الآداب ، والأخلاق الفاضلة ، ونشر العلم واللغة العربية .

٢ — القيام بالمشاريع الخيرية : كالمدارس وبيوت الأيتام والأرامل والعجزة والمستشفيات ، وتتوسل الجمعية إلى أغراضها بالتأليف والنشر ، وعقد الاجتماعات ، وإلقاء المحاضرات ، وإرسال البعثات ، وإنشاء النوادى والمكاتب العمومية ، ومساعدة الجمعيات التى تتفق مع هذه الجمعية فى المقصد بشرط أن يكون كلّ ذلك غير مخالف للدّين الإسلامى ، ولا لقوانين الحكومة المحلية .

الفصل الثالث

هذه الجمعية أقيمت لمدّة تسع وعشرين سنة وتسعة أشهر ، ويعتبر ذلك من ابتداء صدور فرمان الإذن المصادق عليه من فخامة الوالى العام ، ومن ذلك الحين صار لها الحقّ فى ابتداء إدارة الأشغال .

ويجوز للمركز أن يفتح له فرعا فى بلدة يكون أعضاؤها عشرة سواء كانت فى هنديا نيدرلند أو فى غيرها من الأماكن ، وإدارة الفرع تكون من أعضاء ذلك الفرع نفسه .

الفصل الرابع

كلّ شخص من الأمة الإسلامية عليه أن يقدم طلباً خطيا إلى الإدارة المركزية أو وكلائها ، أو إلى مدير الفرع الذى فى بلدته ، موضحاً فيه اسمه وحرفته ومحلّ إقامته ، وللادارة المركزية أو وكلائها أو مديرى الفرع حق القبول والرفض ، والمجالس المذكورة رفع أعضاء شرف من الذين يتبرّعون لها بمال كثير ، أو يقومون لها بعمل

عظيم النفع، وكلّ عضومن أعضاء هذه الجمعية يمكن للاجتماع العمومى، وللادارة المركزية رفته من العضوية متى تبين وثبت أنه يسعى ضدّ مصالح الجمعية .

الفصل الخامس

القيادة العامة للجمعية هى بيدالإدارةالمركزيةالتى لا يقلّ أعضاؤها عن أحدعشر نفراً ، [أى رئيساً ونائبه ، وكاتباً أولا وكاتباً ثانياً وأميناً للصندوق ومفتشين ومستشاراً واحداً] ولا يزيدون على سبعة عشر نفراً ، ويكون انتخابهم بواسطة الاجتماع العمومى لمدة ثلاث سنوات ، ولا مانع من إعادة انتخابهم مرّة أخرى ، وللادارة حقّ رفع مساعدين وإقامة لجان وهيئات متى بدت الحاجة .

أما إدارات الفروع فلا يقلّ أعضاؤها عن ٤ أنفار بما فيهم الرئيس والكاتب وأمين الصندوق والمفتش ، ولا يزيدون على أحد عشر نفراً ، وانتخابهم كعزلهم موكول إلى أعضاء ذلك الفرع نفسه ما لم يخالفوا القانون الأساسى [وإلا فللادارة المركزية حقّ عزلهم] ، ويجب فى الحال رفع معلومات كتابية إلى الإدارة المركزية ، وعليها المصادقة ما لم يخالف ذلك القانون الأساسى ، وانتخابهم لمدّة سنة ، ويجوز انتخابهم مرّة ثانية .

والمركز مسئول فى تنفيذ نظام الجمعية ، وعليه أن يفكر فيما يرقيها ويحقق مقاصدها ، وكلّ إدارة تنوب عن الجمعية التى تديرها أمام المحاكم وغيرها كما أن لها أن تنيب من تشاء .

وفى كلّ سنة يجب على المركز عقد اجتماع عامّ يدعى إليه أعضاء إدارات الفروع للنظر فى أعمال الجمعية وميزانيتها وثروتها وبروجرام عملها للسنة القادمة ، وليس للمركز حقّ إيقاف أىّ فرع من فروعه إلا إذا خالف القانون الأساسى وأصرّ على المخالفة ، وفى حين حدوث خلاف بين الفرع والمركز يحكم بينهما الاجتماع العام لإدارات الفروع والمركز ، ويكون حكمه نافذاً مقبولا .

وأية إدارة أخلت بواجبها يجوز عزلها قبل انتهاء مدتها المقرّرة بواسطة اجتماع عمومى لهذا الغرض وحده يعقد فى البلدة التى فيها الإدارة المخلة .

ولا يجوز لأحد من آل باعلوي أن يكون عضواً من أعضاء الرئاسة أو وكيلا لها[1] .

الفصل السادس

كل كتاب يصدر عن إدارة الجمعية يجب أن يكون ممضى عليه بإمضاء الرئيس والكاتب المعتمد .

الفصل السابع

بقية الشئون المتعلقة بالجمعية ستسطر فى قانونها الداخلى الذى يجب إبرامه أو إبطاله بواسطة اجتماع أعضاء هذه الجمعية ، وحينئذ يجب الخضوع له ما لم يكن مخالفاً لقوانين الحكومة المحلية .

الفصل الثامن

هذا القانون لا يجوز تغييره ولا تبديله إلا بموافقة ثلاثة أرباع أعضاء هذه الجمعية الحاضرين فى الاجتماع وقبول الوالى العام لذلك .

---

(١) السبب لمنع العلويين عن رئاسة الإرشاد : هو أن هؤلاء كانوا يقولون عند بدء حركة الإرشاد : إن الحضارم من غير العلويين لا يستطيعون أن يقوموا بمشروع إن لم يكن قائدهم علويا ، فأراد هؤلاء أن يبرهنوا بالقدرة والكفاءة على العمل .

الفصل التاسع

للإدارة المركزية وإدارات الفروع أن يبتاعوا للجمعية العقارات ، ولهم حق بيعها وإيجارها ، وليس للادارة المركزية حقّ التصرّف فى مالية الفروع ، وعند سقوط أىّ فرع من فروع الجمعية يكون جميع ماله وممتلكاته للمركز بعد دفع ما عليه من الدّين ، والمركز فى أىّ حال من الأحوال غير مسئول عن دين الفرع .

الفصل العاشر

مالية الجمعية تتكوّن من الاشتراكات التى يدفعها الأعضاء . ومن الإعانات والصدقات والأوقاف والوصايا ، ولمجلس الإدارة المركزية أن يوسع موارد الجمعية بالطرق المشروعة الشريفة ، وكلّ من وهب أو أوصى أو وقف شيئاً على الجمعية ، فليس له ولا لورثته الرجوع فيه مطلقاً فى أىّ حال من الأحوال .

الفصل الحادى عشر

لا يجوز إيقاف الجمعية قبل تمام المدّة المأذون فيها بموجب ما ذكر فى الفصل الثالث إلا إذا اتفق تسعون فى المائة من أعضائها على إيقافها ، ويجب عليهم حينئذ أن يراعوا حقوق الديون على حسب القانون ، وإذا بقى بعد ذلك شىء من المال ، فعلى أعضاء الإدارة أن يوزعوه على المشروعات الخيرية الإسلامية على حسب تقرير الاجتماع العمومى .

وأما الفرع فسقوطه يكون بتوقيف المركز له كما هو مذكور فى الفصل الخامس أو باتفاق ثلاثة أرباع أعضاء ذلك الفرع نفسه اه .

لقد أثار ظهور جمعية الإصلاح والإرشاد غضب العلويين لأنهم يعلمون أنها ستقضى على سلطتهم الروحيــة ، وعلى تلك الامتيازات التى يتمتعون بها ، فأخذوا يتكلمون ضدّ الشيخ أحمد السوركتي وضدّ أنصاره فى مجالسهم ، ويحطون من قدرهم ، ويرمونهم بالزندقة والـكفر ، لينفروا الناس عنهم ، ويحولوا بينهم وبين الانضمام إلى صفهم ، وأخذوا يكتبون فى الصحف الجاوية ضدّ الشيخ ، ويوجهون إليه الأسئلة لقصد تعجيزه ولـكن الشيخ ردّ عليهم ببيان نشره بالعربى ، ووزعه على الناس كان له الأثر الحسن فيهم حيث انضمّ إلى جمعية الإرشاد جمع كثير ، وســحب بعض العرب أبناءهم من مدرسة جمعية خير ، وألحقوهم بمدرسة الإرشاد ، وهذا نصّ البيان :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وبه نستعين ، وصلى الله وسلم على رسوله الصادق الأمين .

حضرة الفاضل مدير جريدة [صولوه هنديا] المحترم ، تولاه الله آمين .

بعد تقديم صحف الاحترام نعرض أننا قد قرأنا بواسطة الترجمان فى جريدتكم الغراء عدد ٢ صحيفة ٢ الصادرة فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩١٥ مقالا صادراً عن بعض الإخوان المتحمسين من ذكر المساواة بين المسلمين ، تحت إمضاء حرف Z ، فهذا الأخ الفاضل قد رمز إلينا فى مقاله هذا ، وأتى فيه بما لا يليق وهوّل الأمر فى موضوعه ، وأطال التشنيع ، وخرج عن جادّة الإنصاف ، وسلك طريق التشفى والاقتراف ، فنزل بذلك عن مرتبة من يستحق منا الجواب . ولعله يريد زيادة حطب فى نار العصبية التى أوقدها بعض الجهال .

ولما كان مقاله هذا يشفّ عن عدم إدراكه لحقيقة هذه المسألة وعن عدم حفظه لشروط المباحثة وقانون الأدب ، وكان مقصوده به هتك أعراض المسلمين المصونة فقط ، عدلت عن جوابه ، وضربت عنه صفحاً ، وأكرمت نفسى بعــدم مجاراته فى هتك

الأعراض ، ومقابلته بمثل كلامه كما صفحت عن غيره من قبل ممن سبّ وصاح واخترع الأكاذيب وأشاع وآذى بما استطاع ، ولست عائداً إلى مخاطبته ، لأن التصدّى لردّ الكلام الذى ليس مبنيا على أساس المعقول ، ولا معضداً بحجج المنقول عبث وضياع وقت ، فلا يشتغل به إلا من لا شغل له كما أنه لا يعتمد على مثله إلا من لا عقل له .

ولكن سؤال حضرتكم عن الحقّ ، واستفساركم عن الحقيقة ، ضغط على ضميرى ، وقهره على إجابتكم ، وساقه إلى كتابة هذه الكلمات بزاجر قوله تعالى: [وَإِذْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ] ، وقوله تعالى : [إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّٰهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ يَعْلَمُهُ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللّٰهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » .

غير أنى أتأسف كثيراً من خفاء مثل هذا الأمر المعلوم من الدّين بالضرورة على أمثالكم ، ومن توهمكم فى دين الاسلام المقدس عدم المساواة بين المسلمين ، و إضاعة حقوق الأعمال بمراعاة الأنساب ، حتى احتجتم إلى السؤال عنه ، ومع ذلك فإنى أشكركم على طلب الحقائق ، وأبشروا فقد وافاكم الحقّ نزيهاً يسيراً وسألتم عنه خبيراً .

إن النكاح بين المسلمين ، كالبيع والإيجار من جهة أنه متى عينت المنفعة المقابلة من المهر أو الثمن أو الأجر ، وسمح من بيده الأمر ، وقبل الآخر ، صحّ العقد ، وحلّ بذلك الانتفاع والتمتع ، ولا خلاف فى ذلك بين علماء الأمة المحمدية المعتبرين ، وكلا الفريقين حرّ مختار فيما فى يده أو تحت حكمه قبل المعاقدة ، وقد ينوب عن صاحب السلعة وليه أو وكيله ، إذا كان ناقص الرشد أو المعرفة لدفع المغابنة .

ولما كان جلّ ذلك معلوما عند حضرتكم بالضرورة ، ولم يداخلكم الشك إلا فى مسئلة النكاح فقط من جهة حكم الدين ، فإنى أذكر لكم فى هذه الأسطر بعض مابلغنى من قضايا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى ذلك لتعلموا حكم الدين الحقيقى وعدله

و براءته عن الأدناس والسفاسف السياسية ، لأن ما جاء به الرسول وما فعله وما أمر به وماأقر عليه هو الدّين لاغيره ، و إليه التحاكم و إليه الرجوع لقوله تعالى : [فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] ، ولقوله تعالى : [وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ] ولقوله تعالى : [وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا] ولقوله تعالى : [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ] .

ثم إن شئتم بعد ذلك مزيداً من أقوال أهل العلم المتبعين لآثار الرسول أذكر لكم من نصوص علماء الأمة المعتبرين من أهل المذاهب الأربعة ما يكون به الاقناع وينكشف به القناع فى مقالةأخرى إن شاء الله تعالى ، لأن الأئمة الأربعة المجتهدين متفقون على أنه إذا رضيت المرأة ووليها الأقرب أو أولياؤها الأقربون لتزويج مسلم وعين المهر وحصل الإيجاب والقبول بغيرشرط بحضورشاهدين صح النكاح بدون نظر إلى شيء وراء ذلك .

وتبعهم على ذلك علماء الأمة المعتبرون ، وأما من شذ وخرج عن هذا المنهج الذى أجمع عليه النبي وأصحابه والأئمة المجتهدون وعلماء الأمة وحكامؤها المعتبرون ، وغض النظر عن حكم الشرع لمجاراة عادة أو لارضاء ذى سلطان أو عصبية ، فليس منا ولسنا منه .

[قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] .

كلّ ذلك مبنيّ على عدل الإسلام ومساواته بين المسلمين ، ومحافظته على حقوق الشعوب المتشرفة بتفيؤ ظلاله ، وهاك من كتاب ربك برهانا على ما أدعيه ، وسراجا يضيء لك ما تبتغيه . قال تبارك اسمه : [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ] .

إن تقسيم القبائل والشعوب أو تسميتها بالأسماء المختلفة إنما هو لأجل التعارف. كتسمية الأشخاص من أبناء الرجل الواحد لتميزهم عن بعضهم فقط ، وهى كتقسيم البحار والرياح والأقطار ، ولا تفاضل بينها إلا بالنتائج والآثار .

إن جميع أهالى الأديان متفقون على أن أصل جميع الناس واحد بلا خلاف ، ولا فضل لأحد على أحد بذات دمه ولحمه ، ولكنهم يتفاضلون بالصفات والآثار وحسن التربية ، كالأثمار المأخوذة من شجرة واحدة فإنها تتفاضل فى حلاوة الطعم وعظم المقدار والسلامة من الفساد ، وكذلك الناس يتفاضلون فى العلم والعمل وحسن الأخلاق .

وكما أن البذرة المأخوذة من الشجرة الصغيرة تنتج بحسن التربية والعناية شجرة كبيرة ذات أثمار عظيمة فائقة على أصلها فى الحلاوة والنضارة ، كذلك البذرة المأخوذة من الشجرة العظيمة الجيدة من ذلك النوع يصغر ثمرها ، وتنقص حلاوته ويفسد إذا ساءت التربية ونقصت العناية بها .

فكذلك الحال فى بنى آدم وفى بنى كلّ رجل فاضل عظيم من البشر ، فإن ابن الكريم العالم الفاضل الحسن الأخلاق يكون بليداً جبانا خسيساً سيئ الأخلاق إذا ساءت التربية ، ويكون ابن البليد الأحمق الخسيس الجاهل كريما شجاعا فاضلا عالما حسن الأخلاق إذا حسنت تربيته ، فلا محل للاغترار بالانتساب إلى كريم أو عالم أو نبىّ من الأنبياء .

ولتقرير هذا المبدأ وإقناع المتوهمين خلاف ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِدِينٍ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ » ، وقد أخرج الله كنعان بن نوح من آل نوح حينما ساء عمله مع رجاء أبيه وشفاعته فيه بقوله الأسمى : [إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ، إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ] ، فزجره الله بذلك عن إلحاق من لا يعمل مثل عمله . وقال

تعالى : [وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] ، فقيد الله الإلحاق فى الدرجة بالإيمان والأتباع .

لست أعنى الإلحاق اللحمى الموضوع لأجل التميز والتشعيب ، أى أن يقال فلان ابن فلان ، ولكنى أعنى الإلحاق فى الفضيلة . فإذا فهمت ذلك فاعلم أن شرط الإيمان بالله ورسوله أن يكون هوى المؤمن تابعاً لأحكام الله ورسوله بدون تردد ولا اختيار ، ولا نظر إلى ما يحبه ، أو يتخيله مصلحة له ، أو تكليفاً عليه ، لقوله تعالى : [فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا] ولقوله تعالى : [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً] .

وعليه فلا يظهر إيمان المرء وقوته إلا عند ما يأتى حكم الله مخالفاً لما يهواه أو لما يتخيله مصلحة له ، فإن رأيته خاضعاً لحكم الله مسلماً له بالقلب والقالب ، فذلك برهان إيمانه ، وإن رأيته حرج الصدر متضجراً من الحكم متعاظماً عليه يتطلب التخلص منه بالاحتيال أو بالتأويل إلى ما يناسب هواه أو بتغطيته على الناس ، فهو عبد هواه ولم يبرهن على إيمانه بالله ورسوله .

ولا ينفعه حينئذ ما يعمله من الأعمال الدينية الموافقة لهواه ، لأن دينه حينئذ يكون تابعاً لشهواته لا متبوعا لها فيكون داخلا فى مضمون قوله تعالى : [وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ] .

فإذا تأملت فيما ذكر يظهر لك أن الإلحاق فى الفضيلة مشروط بالإيمان والاتباع فى الأعمال الصالحة ، وأن الإيمان شرطه التفويض لأحكام الله ورسوله ، وأن الفضل بالأعمال والآثار ، لا بالأنساب والأحساب .

ولو كان الفضل بالتوارث والانتساب لما رأيت فى بنى آدم ساقطاً ولا جاهلا ولا شريراً ، لأن انتساب جميع الناس إلى آدم وإلى نوح عليهما الصلاة والسلام ، وهما أبو الرسل والأصفياء والعلماء والحكماء والملوك والأمراء ، وهما أيضاً أبوا الفاسقين والملعونين والجهال والحمقاء والساقطين .

وانظر إلى آل إبراهيم وآل عمران الذين اصطفى الله منهم الرسل المقرّبين كموسى وعيسى ويحيى وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، فانظر كيف لعن الله المعتدين منهم والعاصين الذين لا يتناهون عن المنكر بقوله تعالى : [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ . كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] .

فالمدح والذمّ والفضل والنقص تابعة للأعمال لا لدمّ مخصوص ولا لنسب مخصوص ، فقد أفلح من زكى نفسه بصالح الأعمال وقد خاب من دساها .

وأما دين الإسلام فكما علمه كلّ من اطلع على قواعده العالية وأصوله الشريفة هو دين العدل والمساواة ، هو الدين الذى يمكن للعقل أن يرضى لأحكامه بدون ضغط ولا إجبار ولا تخويف ، وهو الذى جعل الحكم والتمييز فى الأمور للعقل والعلم خاصة ، وجعل التفاضل بين الناس بالعلوم والأعمال فقط .

هو الدّين الذى لا يؤاخذ فيه الوالد بذنب الولد ولا الولد بذنب الوالد . هو الدين الذى يقول شارعه على رءوس الأشهاد : « لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ ولاَ لِأَعْجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى ، ولاَ لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ ولاَلِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى ».

ولو كان الإسلام دين سياسة أو تفضيل أشخاص وأنساب بغير عمل أو كان يميز قريباً عن بعيد فى حكمه ، لما انتشر هذا الانتشار الذى لم يعهد له مثال فى الأديان بغير دعاة ولا سعاة مع فقر أهله وسقوطهم وفشلهم فى هذا الزمان . ليس ذلك إلا لترامى العقول والقلوب عليه لسهولة مباديه وعدله وإنصافه وسماحة قواعده .

فإذا فهم ذلك فالقول بأن بعض الشعوب أفضل من غيرهم لذات دمائهم ولحومهم بدون اعتبار عمل أو علم ، ونسبة هـذا القول إلى الشرع الشريف تلويث له بما لا يناسب شيئاً من أصوله ، وإيقاظ لفتنة عظيمة بينه وبين العقل الذي جعله الله ميزاناً لكل شيء ، وإثبات لدعاوى أعدائه المتعنتين عليه ، فمن دس على الدين شيئاً من ذلك فهو مردود عليه ، والله ورسوله براء منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .

وأما مسئلة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها بعض العلماء ، فليست مبنية على تفضيل أحد ولا على تنقيص أحد ، وإنما النظر فيها إلى وسائل حسن المعاشرة والاتفاق بين الزوجين والنظر في حالة معاشهما .

فإن بنت الغنى التي تلبس كل يوم فستاناً جديداً ، وتأكل كل يوم ألواناً كثيرة وتبيت على الفراش اللين الناعم إذا دخلت في بيت فقير ليس عنده شيء من ذلك فإنها تتكدر وتسوء حالتها ، فيجر ذلك إلى بغض الزوج واحتقارها له فيكون ذلك سبباً لعدم الاتفاق ولسوء المعاشرة ، فرأوا أن المناسب أن يتزوجها من يناسب حالتها ، وكذلك الحال بين المتعلمة والجاهل ، وبين المتربية وقليل التربية وغيرها مما لا مناسبة بين أحوالهم وأخلاقهم .

ولما كان هذا الاعتبار تابعاً لأمر المعاش والمعاشرة كان ساقطاً عند حصول رضاء المرأة مع العلم بحال الرجل الخاطب إذا كان مسلماً ، وإذا كانت رشيدة تميز بين محاسن الرجال ومساويهم ، لأنه ربما كان رضاؤها به مع ما ذكر لمزية أخرى تعادل ما فقدته من خصوبة العيش ونعومة اللباس والفراش والعلم والحضارة وشرف المحتد ، كالقوة والشباب وحسن الأخلاق وحسن المنظر وغير ذلك من الصفات التي ترضى النساء .

ولذلك جعل الشارع المدار على رضاها مع الرشد ، فإن لم تكن رشيدة كان أقرب الناس إليها نائباً عنها في ذلك ، ومن ادعى على الشارع شيئاً وراء ذلك ، فقد افترى عليه ما هو برىء منه .

هذا حكم الله وهذا حكم رسوله ، فمن اتبعه وأسلم وجهه فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن تكبر على أحكام الله وأعرض عنها فليبتغ نفقاً فى الأرض ، أو سلّما فى السماء ، فالله يحكم لا معقب لحكمه ، وهاك أمثلة من قضايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى ذلك ، لتكون على بينة من أمرك :

[أولا] : زوّج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب من زيد بن حارثة مولاه ، وكانت قد استنكفت من ذلك على عادة الجاهلية فى أول الأمر ، فأنزل الله فيها وفى أخيها قوله تعالى : [وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا] ، فلما نزلت الآية رضيت به ، والقصة مشهورة فى القرآن وفى التفاسير .

[ثانياً] : زوّج النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً زيد بن حارثة المذكور بعد طلاقه لزينب من أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط التى وهبت نفسها للنبىّ صلى الله عليه وسلم ، فأنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزلة نفسه فى زواجها وهى قرشية .

[ثالثاً] : زوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت قيس القرشية بأسامة ابن زيد كما فى صحيح مسلم ، وقدمه رســـول الله صلى الله عليه وسلم على معاوية بن أبى سفيان وعلى أبى جهم ، لأن الأوّل كان صعلوكا لا مال عنده فى ذلك الوقت ، وكان أبو جهم كثير الضرب . ولم يعب أسامة كونه مولى فى نظر الشارع صلى الله عليه وسلم .

[رابعاً] : زوّج النبى صلى الله عليه وسلم ابنتيه رقية وأمّ كلثوم من سيدنا عثمان بن عفان على التعاقب ، وهو غير هاشمى رضى الله عنهم .

[خامساً] : زوّج سيدنا علىّ ابنته [هى أم كلثوم من السيدة فاطمة عليهم الرضوان] من سيدنا عمر رضى الله عنه وهو غير هاشمى أيضاً .

[سادساً] : زوّج عبد الرحمن بن عوف أخته من بلال الحبشي رضى الله عنهم ، كما فى كتاب زاد المعاد .

[سابعاً] : زوّج أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة القرشي ، وهو أحد الصحابة البدريين سالما من بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة القرشي ، وكان سالم هذا مولى لامرأة من الأنصار كما فى صحيح البخاري .

[ثامناً] : فى سنن الترمذى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» . قالوا يا رسول الله ، وإن كان فيه ما فيه فقال : إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ (ثلاث مرّات) أيضاً ، فيه أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لبنى بياضة : « بَنُو بَيَاضَةَ بَطْنٌ مِنَ الْخَزْرَجِ أَحَدِ قَبِيلَتَيِ الْأَنْصَارِ » . «أَنْكِحُوا أَبَا هِنْدٍ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِ» ، وكان حجاما .

فهذه قضايا سيد المرسلين وإمام المصلحين محمد صلى الله عليه وسلم وقضايا أصحابه ، نقدمها لمن يريد أن يتبعها ، [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا]

ومن ادعى أن الله حرم إنكاح مسلم مسلمة مع حصول التراضى بين الفريقين لأجل اختلاف نسب أو غيره ، فليأتنا ببينة من كتاب الله أو من أحكام رسوله فإنا عبيد الحقّ وأنصاره .

ومن يرد أن يجعل رأيه أو رأى أحد من الناس فوق حكم الله وحكم رسوله ، فإنا برآء منه ، ومن حكمه : [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] .

فصـــل

يلمزني الجهال ويعيبونني بالاشـــتغال بصناعة التعليم ، ويقولون لي : كن معلماً وما أنت إلا معلم ، على سبيل التنقيص ، فياترى إذا كان ماأنا فيه من تعليم الدين عيباً أكون بسببه محتقراً ، فأيّ صنعة أشرف منها أكون عظيما محترما إذا تمسكت بها ؟ ، وياليت شعرى إذا كانت إجابتى عن مسئلة دينية سئلت عنها على مقتضى ما علمت قد عدّ غلطاً وفضولا وخوضاً فيما لا يعنى ، ففيما ذا أكون معلما ؟ .

إن من احتقر صنعة التعليم وأهلها ، فقد احتقر ماعظمه الله وصغر ما كبره الله ، إن أفضل الفضائل هو الاشتغال بتعليم الناس وهوصنعة الأنبياء والمرسلين ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّمَا بُعِثْتُ مُعَلِّماً » .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : «خَيْرُكُمْ وَخَيْرُ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ الْمُعَلِّمُونَ » .

وعنه صلى الله عليه وسلم : «خَيْرُكُمْ وَخَيْرُ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ الْمُعَلِّمُونَ»

وعنه صلى الله عليه وسلم : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

والتعليم هو أساس كلّ تقدم ومبدأ كلّ مجد ، والسبب الأول لكلّ نجاح فى العالم ، فلا يحتقر أهله إلا جاهل غبىّ ، فكلّ أمة عزّ فيها المعلمون عزّت وسادت ، وكلّ أمة ذلّ فيها المعلمون ذلت وشقيت ، وكلّ أمة تتهاون بأمر تعليم ناشئتها فمصيرها إلى سجون الذلّ والصغار ، ووادى الخسف والدمار ، تلك سنة الله فى خلقه ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً .

إن من أصول الدسائس التى بها سقط المسلمون من منصة المجد ، وبها اســتولى عليهم الجهل استيلاء النار على الحطب ، احتقار المعلمين ورخص قيمتهم . فبسبب ذلك

هربت النفوس الكبيرة من مباشرة التعليم ، واستنكف أهل الهمم العالية عن النظر فى تربية الناشئة و إصلاحها .

فشبّ الشبان فى حضانة الجهل وكفالة الغباوة، وشابوا فى دائرة محيط الغرور، فأصبحوا بذلك أعداء العلم وأنصار الجهالة ، فرانت القلوب واستعدت تقبول الأباطيل والخرافات ، فاغتنمت الفرصة جمعيات الفرس واليهود والرومان السرية لبثّ أنواع الدسائس المفسدة للوحدة الإسلامية القاتلة لروح الإسلام فى قلوب المسلمين .

وقد أصابوا المقتل ـ لا رحمهم الله ـ حيث تمكنوا من زرع هذا السمّ فى قلوب من بيدهم قيادة الأمة من الفقهاء ، وأهالى البيوت الكبيرة من أهل الأحساب والأنساب المحترمين ، وأهل المناصب المعتقدين ، لتعميم هذا الداء ، حتى جعلوا المسلمين كالمجانين يلعبون بقطع الأخشاب ، ويلتمسون الأرزاق والوظائف من سكان القبور ، و يستنجدون فى مهمات أمورهم أقطاب الأوهام ، و ينسبون كلّ داهية تنزل بهم إلى أغواث الخرافات ، حتى وصلوا إلى دركة يتفاخرون فيها بالخمول و يتسابقون فى التكاسل والتماوت ، حتى صاروا يرون العلم نقصاً والعمل عبثاً ، واستلذوا بالذلّ والمسكنة ، واستأنسوا بالهمجية .

فانحطوا بذلك إلى أسفل السافلين ، فسبقتهم الأمم بصنائعها وعلومها وسادتهم بفضائلها وعقولها ، وتركتهم فى ظلمات الجهل مبلسين ، وفى سلاسل الخرافات يسحبون ، ونسوا ماذكّروا به من الكتاب وما هذبوا به من السنة، ومارفعوا به من قبل من الأصول الشريفة ، وما أمروا باتباعه من الحكم والأحكام الجامعة لأنواع السعادة .

أفنمتدّ فى هذا الضلال مع علمنا به ونترك كتاب الله وراء ظهورنا ؟! أفبالباطل نؤمن، و بنعمة الله نكفر ؟ أوترضون أن نبيع ديننا بثناء الناس و إرضاء المغفلين من الأمة ؟! أو ترضون أن تموت الأمة بين أيدينا ونحن نضحك ونلعب ونتعطر ونتبختر ؟ ما هذا إلا خسف وخذلان .

نعوذ بالله من شرور الأنفس ونزغات الأهواء ونسأله اللطف فيما قدر والصبر على ما ابتلانا به بعدله، والثبات والتأييد على ماوفق إليه بفضله ، إنه قريب مجيب . كاتبه

أحمد محمد سوركتى

أخذ مبدأ المساواة الشرعية ينمو ويترعرع ، وأخذت الفكرة الحرة تمدّد وتندفع إلى الأمام ، وتسرى تياراتها بسرعة عظيمة ، فاتجه الناس إلى جمعية الإرشاد أفراداً وجماعات محطمين تلك الأغلال التي طوّقتهم قرونا ناقمين على تلك الحقب التي قضوها في العبودية ، على أن حزب المحافظين وهم العلويون وأتباعهم هو الحزب الأكبر عدداً وأكثر أنصاراً ، وبالرغم من أن مقاومتهم كانت عنيفة شديدة ، فإنهم لم يستطيعوا خنق حركة جمعية الإرشاد ويعرقلوا سيرها ، فقد انتشرت فكرة المساواة ليس فقط في بتافيا بل في غيرها من بلاد جاوه ، وأخذ الناس يؤسسون فروعا للجمعية ، وينشئون المدارس تحت اسم الإرشاد وعلى مبدإ الإرشاد ، ولكن الخلاف ازداد واتسع نطاق الشقاق والعراك ، وصارت جريدة الإقبال وهي لسان حال العلويين تدافع عن مركز هؤلاء ، وتحمل حملات شديدة على الإرشاديين كما أخذت جريدة الإرشاد ، وهي لسان حال الحزب الآخر تبذل كلّ مجهود في الدفاع عن الإرشاديين ، وتسعى بكلّ مستطاع في تبيان حقيقة مبدإ جمعية الإرشاد للناس .

السعي لتوحيد صفوف العرب

على أنه ظهر من بين الحزبين المتنازعين أفراد آلمهم افتراق الحضارم أشد الألم ، وسعوا لجمع شملهم ، ولمّ شعثهم ، واتحاد كلمتهم ، وتوحيد صفوفهم ليستطيعوا القيام بالعمل للمصلحة العامة وللدفاع عن كيانهم بين الجاليات المحيطة بهم ، ولمطالبة حقوقهم من الحكومة الهولندية ، وقد تألفت لجنة لذلك الغرض في ربيع الثاني سنة ١٣٣٧ ـ ، يناير سنة ١٩١٩ تحت رئاسة الشابّ المثقف السيد إسماعيل العطاس ، وأذاعت منشوراً عاما لكافة العرب بجاوه تدعوهم فيه إلى التكاتف والتناصر والاتحاد والوئام ، وهذا نصّ المنشور :

« لائحة لجنة الإصلاح بيتاوى »

« من لجنة الإصلاح بيتاوى إلى رؤساء العرب وإلى رؤساء الجمعيات العربية وأعضائها وإلى عموم إخواننا العرب بالبلاد الجاوية :

حضرات الأفاضل المحترمين ! مع هـــذا تتشرّف لجنة الإصلاح بيتاوى بإرسال قانونها إليكم ، وكما ترون فيه أن الغرض الذى ترمى إليه لجنتنا المؤقتة هو بحث الطرق القانونية التى تؤدى بأسرع ما يمكن .

[أوّلا] : إلى عقد مؤتمر عربى يحضره نوّاب العرب فى جاوه « أى نواب الجمعيات العربية الموجودة ، ونوّاب القبائل ، ونوّاب العرب الآخرين الغير الداخلين فى الجمعيات » وكلّ من يهتمّ بهذه المسألة من العرب .

[ثانياً] : إلى إنشاء وحدة عربية فى جاوه « كما هى مبينة فى قانون اللجنة » ، والاتحاد التامّ بين العرب فى كلّ البلاد الجاوية « وفيما بعـد لجميع الجزائر الهنـدية الشرقية الهولندية » للعمل معاً لما فيـــه مصلحة الجميع ، وللدفاع عن حقوق العرب ، ولطلب الاصلاحات .

وبما أن مجلس الأمة « أى مجلس فولـكسراد » سيجتمع على الأغلب فى ١٥ فبرواری الآتى ، وحيث إن هنالك مسائل مهمة جدا تخصّ عموم العرب على السواء ، وبما أن إحدى تلك المسائل هى المسألة العسكرية أو التجنيد العام الذى سيبحث فيه مجلس الأمة ، فاللجنة رأت ضرورة سرعة العمل ولزوم إتمامه قبل انعقاد مجلس الأمة .

لذلك تتشرف لجنـــة الإصلاح بدعوتكم لإرسال نوّابكم إلى المؤتمر العربى الذى

سينعقد فى بيت مدرسة جمعية خير الكائن بحارة طانه ابغ بيتاوى ، وذلك فى يوم الأحد ٨ شهر جمادى الأولى ١٣٣٧ ، الموافق ٩ لشهر فيبروارى ١٩١٩ ، الساعة ٨ صباحا المشاورة والتباحث ، وأخذ القرارات فى المسائل الآتية :

[أولا] : إنشاء الوحدة العربيـــة الكبرى للدفاع عن مصالح عموم العرب وانتخاب أعضاء لجنتها .

[ثانياً] : مسألة العرب المهاجرين إلى هـــذه البلاد ، ورفض قبول كثير منهم وإخراج كثير من الذين سكنوا هذه الديار والصعوبات التى يلاقونها .

[ثالثاً] : مسألة العسكرية أو التجنيد العام لأن الحكومة عملت ابتداء قانون للعسكرية ، وبموجبــه يلزم على العرب أن يصـيروا عسا كر ، فنحن نريد أن نعرف فكر العرب المجتمع عليه إذا كانوا راضين بالعسكرية أم لا .

[رابعاً] : مسألة إنشاء جريدة بالملايو لتكون لسان حال العرب للدفاع عن مصالحهم ، ولإظهار مايرغبون وما لايرغبون .

هـذه هى المواضيع التى ستتكلم عليها نوّاب العرب فى المؤتمر ، وهى كما ترونها من الأهمية بمكان ، وتخصّ العرب جميعاً على السـواء ، واللجنة قرّرت باجتماع الأصوات سـفر الأعضاء الآتية أسماؤهم ، وهم : السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ، والشـيخ أحمد محمد سـوركتى الأنصارى ، والشيخ غالب بن سعيد بن تبيع تحت رئاسـة رئيس اللجنة السيد إسماعيل بن عبد الله العطاس لبيان المواضيع السابقة ذكرها ولدعوتكم إلى المؤتمر العربى ، وإنشاء الوحدة العربية الكبرى التى نرجو الله منها الخير العميم للعرب ، والرئيس والأعضاء المنتخبين للسفر المذكورة أسماؤهم أعلاه قبلوا طلب اللجنة .

فنحن أعضاء لجنة الإصلاح ببتاوى الواضعين أسماءنا أدناه « والواضعين إمضاءاتنا فى دفتر التقرير فى الصحيفة السابعة المثبت فيه قرار اللجنة بسـفرهم لذلك الذى سيأخذونه معهم » ، فقدم لكم رئيس اللجنة والأعضاء المسافرين الذين أعطيناهم الحقّ للتكلم بأسمنا جميعاً ، ونرجوكم أن تعاونوهم قلباً وقولا وعملا .

وقد تقرر أن يكون سفرهم من بتاوى يوم السبت ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٣٣٧ الموافق ٢٥ لشهر جنوارى سنة ١٩١٩ ، ويكون مجيئهم إلى البلدان الآتية أسماؤها فى الأيام الآتية بالتقريب :

فى سربايه يوم الأحد ٢٣ ربيع الثانى ـ ٢٦ جنوارى ، وفى الصولو يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الثانى الموافق ٢٨ جنوارى ، وفى سماراغ يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الثانى ـ ٢٩ جنوارى ، وفى فكالوغان يوم الجمعة ٢٨ ربيع الثانى ٣١ جنوارى ، وفى التقل يوم الأحد ١ جمادى الأولى ـ ٢ فيبروارى ، وفى شربون يوم الاثنين ٢ جمادى الأولى ـ ٣ فيبروارى ، وأما وقت وصولهم بالمضبوط فسيخبر رئيس اللجنة أحدكم بذلك تلغرافيا .

وللتسهيل والسرعة قرّرت اللجنة أن يكون لكلّ جمعية عربية من كلّ بلدة الحقّ فى إرسال ثلاثة من نوابها مع حق التكلم باسمها ، وأما البلدان التى ليس بها جمعية عربية فلعرب كل بلدة من هذه البلاد الحق فى إرسال ثلاثة نوّاب كذلك ينوبون عنهم للتكلم باسمهم .

ولتسهيل العمل أيضاً نرجوكم إذا أمكنكم انتخاب نوّابكم من الآن قبل مجيئنا إلى البلدان المذكورة ، وأما البلدان الأخرى التى نتأسف لعدم إمكاننا زيارة أعرابها لضيق الوقت ، فنرجو من رجالها العاملين تفهيم الآخرين هذه المسائل ونرجوهم أن يرسلوا نوّابهم إلى المؤتمر العربى فى اليوم الموعود .

ونرجو أيضاً من الجمعيات العربية ومن اخواننا العرب الساكنين فى البلدان التى ليس بها جمعية عربية أن يخبروا رئيس اللجنة السيد إسماعيل بن عبد الله العطاس بجواب عن أسماء نوّابهم قبل يوم المؤتمر بعنوانه فى جاتى نمرة ٢ ولتفريدن ، ونرجوكم أن تفرّقوا هذه الأوراق لإخواننا العرب العاملين ، وتنشروا فيهم هذه الفكرة والسلام .

من الرئيس : السيد إسماعيل بن عبد الله بن علوى العطاس ، والكاتب : الشيخ عبد الرحمن بن عمر جواس ، ومن الأعضاء الشيخ : عمر بن يوسف منقوش ، والسيد أبو بكر بن عبد الله العطاس ، والشيخ سالم بن عوض بلوعل ، والسيد أبو بكر بن علىّ ابن شهاب ، والشيخ سعيد سالم مشعبى ، والسيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ،

والشيخ عوض بن عبد الله باسلامة ، والسيد عبد الله بن عليّ العيدروس ، والشيخ غالب بن سعيد بن تبيع ، والسيد محمد بن عبد الله بن علوى العطاس ، والشيخ محمد بن عليّ باجنيد ، والسيد محمد بن عبد الله الشاطرى ، والشيخ محمد بن عبيد عبود ، والسيد محضار بن حسين العيدروس ، والشيخ أحمد محمد سوركتى الأنصارى ، والشيخ سعيد ابن عبد الله باسلامة ، والشيخ محمد بن سالم عسكر ، والشيخ عوض بن سالم بن عيلى بن سعيد » انتهى .

ولكن أكثر العلويين عارضوا ذلك ونفروا من لجنة الإصلاح كلّ النفور لأن الشيخ أحمد السوركتى زعيم الإرشاديين عضو فى اللجنة ، واجتمع أعضاء إدارة جمعيتهم بسرابايا يوم ٢٥ ربيع الثانى سنة ١٣٣٧ وقرّروا فى جلستهم ما يأتى :

« سورابايا فى يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الثانى ١٣٣٧ .

اجتمعت هيئة رئاسة الجمعية الخيرية العربية بسورابايا المفاوضة والمداولة بشأن ما دعاها إليه رئيس لجنة الإصلاح بيتاوى السيد الغيور إسماعيل بن عبد الله العطاس من الاشتراك فى عقد مؤتمر لإقامة لجنة الوحدة العربية الكبرى ، و بعث مندو بين لحضور عقد هذا المؤتمر ، و بعد المناقشة والمباحثة تقرّر لديهم أنهم لايتداخلون باليد فى هذه اللجنة ما دام أحمد السوركتى السودانى عضواً فيها . كاتب الجمعية الخيرية

محمد بن حسن بن محمد بارجا

نشر ذلك فى « الإقبال ٢٠ » وكتب محرّر هذه الجريدة لتنفير الناس من مشروع الإصلاح ما يأتى :

« . . وقد قابلنا جملة من رؤساء وأعضاء جمعية مراعاة الإخوان وجمعية اتحاد الإخوان بسرابايا ومكارم الأخلاق بقرسى ، وأظهروا لنا مزيد ارتياحهم من قرار الجمعية الخيرية العربية وكونهم مستعدين لعقد اجتماع وتقديم قرار على شاكلة أهل سرابايا متى اقتضى الحال ، ولولا إدخال السركتى فى اللجنة وقدومه مع الوفد لاستقبلتهم كلّ الجمعيات بأحسن الاستقبال ، ولرجعوا ظافرين بما يؤملون .

وقد استاء كلّ أهل الجمعيات الشهيرة وشاركهم فى ذلك السواد الأعظم من أهل سرابايا ونواحيها من إصغاء السيد إسماعيل العطاس لأتباع السركتى وتخلفه لعقد اجتماع فى فرع الإرشاد الذى لم يكن موجوداً حتى يوم الأربعاء الذى أخبر السيد إسماعيل أنه متوجه فيه إلى الصولو .

ومع تخلفه و إلجام السركتى عن الخطابة فإنه لم يحضر تلك الجلسة التى عقدت فى فرع الإرشاد الحادث فى تلك الليلة [أى ليلة الخميس] سوى مئة شخص تقريباً ، ولم يصوّت على انتخاب المندوبين سوى بعض الذين حضروا ، لأنه حينما تمّ السيد إسماعيل خطابته التى شرح لهم فيها المواد التى سيعقد المؤتمر من أجلها قام على أثره إبراهيم الملا حيث إن هذه الجلسة الافتتاحية لفرع الإرشاد كانت فى بيته [وقال ماقال] وحيثما أتم الملا خطابه نهض السيد إسماعيل للخروج ، وخرج معه كثير من الذين حضروا حيث كانت الدعوة عمومية . ولم يبق إلا البعض وهم الذين أعطيت لهم الحرية فى انتخاب مندوبين من قبلهم لحضور المؤتمر بيتاوى .

ومما تقدم يظهر للقارئ أن تأخر كلّ الجمعيات الشهيرة قاطبة وسائر السواد الأعظم من أهل سرابايا ونواحيها سببه إدخال السركتى فى هذا العمل ، وهو جرثومة الخلاف وأصل الافتراق . وقد أخطأت لجنة الإصلاح بيتاوى فى إدخالها هذا الرجل فى اللجنة و إرساله مع الوفد .

و إن مالدينا من البراهين والإيضاحات يدل على أن الاستياء من تداخل السركتى ليس فى سرابايا ونواحيها فقط ، بل هو عام فى جميع هنديا نيدرلند ، بل فى بتاوى نفسها بل وعند أعضاء اللجنة ، ومانشر بهذا العدد عن استقالة السيد عبدالله بن على العيدروس وما بلغنا عن الكثير من أعضاء اللجنة أنهم سيقدمون استقالاتهم فى هذه الأيام ، دليل واضح و برهان ساطع على أن إدخال السركتى أفسد أعمال اللجنة بالكلية ، وأساء سمعتها ، وصير أتعابها هباء منثوراً» انتهى .

وجاء الشيخ عبد الله العيدروس ، وزاد الطين بلة ، والخرق اتساعاً فقد نشر كتابا مفتوحاً موجهاً لأعضاء لجنة الإصلاح ، وهذا نصه :

كتاب مفتوح

كيف يتمّ الاتفاق ؟ ؟

الحمد لله ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، وعلى آله وصحبه وسلم .

إلى جناب رئيس لجنة الإصلاح العربية وأعضائها الكرام ، وفقنى الله و إياهم إلى الحقّ والصواب .

بعد السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، أُفيدكم أنى أعدّ نفسى منفصلا عن عضوية اللجنة السابق ذكرها التى انتخبت فى إدارتها بالمجلس الأساسى الأول ، و إن لم أكن قد حضرت جلسة من جلساتها .

أما الأسباب التى ألزمتنى الانفصال فلا بدّ أنكم تعقلونها كما يعقلها العاقلون . وما الفائدة من قولنا للأجانب إن لنا لجنة وأننا اصطلحنا ، مادمنا نعلم والأجانب يعلمون أن هذا القول منمق بعبارات مزوّقة . كيف الاتفاق والله يعلم والناس أجمعون أن الفصل السابع من قانون جمعية مدرسة الإرشاد العربية يقول بما معناه : لا يجوز للأعضاء تولية أحد من السادة فى إدارة الجمعية

يعنى يحرم فى قانون هذه الجمعية العربية بل الحضرمية تولية فرد من الأفراد يكون من آل فاطمة الزهراء فى إدارتها ، ومن أغرب الغرائب أن هذه الجمعية أقيمت بأموال آل كثير الحضرميين ورئيسها كثيرىّ حضرمى الميلاد ، غير أن معلم المدرسة كما تعلمون سودانى .

ولا يخفاكم أن الإصلاح الذى ننشده لا بدّ له من أسباب مهيئة وأسباب متممة . فالأسباب المهيئة للاصلاح والاتفاق : إلغاء الفصل المذكور أعلاه من القانون الأساسى لجمعية مدرسة الإرشاد الحضرمية ، ونزع كلة جمعية السادة وجمعية المشائخ من أفكارنا ، وعدم اعتبارها بل عدم ذكرها وكتابتها .

والأسباب المتممة للاتفاق بل والاتحاد معاً فرارنا من الدجالين الذين هم رأس التحزّب والانشقاق والفتنة بما يبثونه فى أفكار البسطاء من إخواننا الحضارم ليعيشوا فى الماء العكر [لَوْ خرَجوا فيكمْ ما زادوكمْ إلاّ خَبالاً ولأوضَعوا خِلالكم يبغونكُمُ الفتنةَ وَفيكمْ سَمَّاعون لَهُمْ واللهُ عليمٌ بالظَّالمينَ] .

ونقف فى وجه كلّ من يحاول أو يسعى للتفريق وإلقاء الشقاق بيننا ، لأننا من وطن واحد ، ودين واحد ، ومذهب واحد ، وعقيدة وطريقة واحدة . وحثّ الخطباء ورجال العلم الصحيح وكتبة الجرائد على تناول هذا الموضوع ، ونزع التعصب من أدمغة الجهلاء والبسطاء وتفهيمهم أن ذلك يضرّهم فى دينهم ودنياهم ويجعلهم لقمة سائغة للدخلاء والدجالين .

بهذه الوسائط يمكن نيل المطلوب من أقرب الطرق بينما ننشر العلم بين طبقات الأمة ويضمحل الجهل . ومتى جعلنا الإخلاص رائدنا فى كلّ الأحوال ولا نخاف لومة لائم ، فبشرنا بالإصلاح المطلوب ، والعاقبة للمتقين » .

تحريراً فى بتاوى ٢٣ جنوارى سنة ١٩١٩ كاتبه الفقير إلى ربه

عبد الله بن على بن شيخ العيدروس

أما الإرشاديون فقد قابلوا اللجنة بكلّ احتفاء وإجلال ، ولم يخرج عن الجماعة واحد منهم ورحبت جريدتهم « الإرشاد » باللجنة ، وأبدت كلّ ارتياح نحو أعضائها بل حثت الناس على مناصرة اللجنة فى مشروعها ، ودعتهم إلى الانضمام تحت لواء الوحدة العربية ، فقد جاء فيها ما يأتى :

«وليسمح لى كلّ حضرمىّ غيور على حضرميته أن ألاحظ أن رجال الحركة اليوم على اختلاف أحزابهم يجب أن يكونوا كأفراد جيش واحد فى ساحة هذا المعترك ولينتبهوا إلى حياتهم الاجتماعية ، ولا ينبغى لهم إن كانوا عقلاء أن يقع بينهم أىّ نزاع أو تخاذل ، ومن يسبب ذلك النزاع أو يشترك فيه فهو خائن لأمته ووطنه يجب نبذه وإبعاده ، إذا صح بالقرينة أنه سيئ القصد ، شعر أولم يشعر ، وإن تظاهر بالإخلاص .

فالمودة والتعاضد اليوم أمر محتم على كلّ من يسمى نفسه حضرميا ، وبدون ذلك لا بدّ أن تدور الدائرة عليهم بشؤم المشاحنات التى ستزلزل أقدام العاملين ولم تثبت بعد على الوضع النظامى ســـوى الذهاب فى حبّ الجعجعة الفارغة كلّ مذهب ، والله الهادى إلى سواء السبيل » . (الإرشاد ٤٣)

« وقالت يرحب الإرشاد والإرشاديون بهذا المؤتمر ، ويودون من صميم أفئدتهم لو يحقق ، فوالله إنه لما يحببنا ويرغبنا فى أن نضع أيدينا فى أيدى إخواننا ، فمن لنا بمن يمدّ يده فنصافحه على هذا .

هلموا يا كرام ، واجمعوا كلمتكم ، ولمّوا شعثكم ، ووحدوا آراءكم ، واعملوا لأمتكم كى ينقشـــع عنها جهام الجهل والغباوة ، وليضع كلّ منكم يده فى يد أخيه ويعاونه ويساعده ويشاركه فى العمل للصالح العامّ » . (الإرشاد ٣٩)

اتسع نطاق معارضة كثير من العلويين لدعاة الوحدة ، وانتشرت من سرابايا وقرسى وفكلونْن وبتافيا وغيرها ، واستطاعوا أن يقضوا على تلك الحركة وهى فى مهدها ، فعاد أعضاء لجنة الإصلاح من سرابايا خائبين ، وازداد النزاع والخصام بين الفريقين .

محاولة ابن عابدين الصلح بين الارشاديين والعلويين

وحاول السيد حسين بن عابدين من سنغافوره الصلح بين الحزبين ، فبعث كتابا لجمعية الإصلاح والإرشاد ، وهذا نصه :

سنغافوره فى ٥ فبراير سنة ١٩٢١

« حضرات الكرام مديرو ومستشارو جمعية الإصلاح والإرشاد العربية بجاوة .

الســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ صباح يوم تاريخه قابلت أحد كبار رجال الحكومة هنا ، وكان معى حضرة الشيخ سليمان بن مرعى ، وتحادثنا بخصوص الإصلاح مابين السادة والمشائخ بجاوة وتصريح حكومة مستعمرات البواغيز « حكومة سنغافوره » للارشاديين بالدخول لبلادها وبلاد الملايو أسوة كغيرهم .

وقد وافقت الحكومة على عدم لزوم تقبيل يد السيد « الشمة » ، وعدم لزوم احترام من لا يستحق الاحترام سواء كان علويًا أو شيخاً ، وعدم التعصب فى مسئلة الزواج ، فلكلٍّ الحرية فى تزويج بنته أو أخته أو غيرهما لمن يريد ، لا فرق فى ذلك بين السيد والشيخ .

وطلبت الحكومة الإنجليزية أن يبدى لها الإرشاديون الصداقة ، وطلبت أيضاً أن جميع المدارس العربية بجاوه تقبل جميع الطلبة على حدّ سواء ، أولاد سادة كانوا أو أولاد مشائخ ، وأن لا يسعى المعلمون فى تعليم الأولاد التفرقة مابين الأمة العربية وغيرها ولا بين أفرادها ، بل يعلمونهم الاتحاد والمساواة وحبّ العلم ، وأن لا تكتب جريدة الإرشاد شيئاً ضدّ المشائخ ولا ضدّ السادة ، بل تكون موادها كموادّ جميع الجرائد الأخرى .

فإن رضيتم بذلك أرجوكم إفادتى تلغرافيا لأحضر لطرفكم وأجمع بينكم ، وأعرض شروط الحكومة المذكورة أعلاه عليكم ، وسيحضر جلسة الوفاق والصلح جناب قنصل بريطانيا ليكون شاهداً على الطرفين ، ومتى حضرت لطرفكم سنتفق على جميع الأمور ، ولا بدّ من علمكم أن حضورى سيكون رسميا بمعنى الكلمة ، وقد حاولت أن أحضر معى الشيخ سليمان بن مرعى ، لكنه أبى ، مع أن الحكومة تعهدت باعطائه ضمانة فى رجوعه ثانياً لسنغافوره ، ومتى عزمت على السفر سأخبركم تلغرافيًا ، ولى أمل فى أن تقبلوا ، والسلام ؟ »   المخلص

حسين عابدين

وبعثت الجمعية إليه ردّا ، هذا نصه :

بتاريخ ١ من شهر مارس سنة ١٩٢١

إلى جناب المكرم السيد الماجد حسين أفندى عابدين دامت معاليه آمين :

السلام عليكم ورحمةالله وبركاته ، بعد تقديم مايليق بمقامكم السامى وأياديكم العميمة من الشكر والإجلال ، ننهى إلىمسامعكم الكريمة أن كتابكم العزيز رقيم ٥ فيبروارى

سنة ١٢٩١ قد وصل ووقع منا موقع القبول والانشراح . وبناء على ما تضمنه كتابكم المذكور من المطالب والشروط الإصلاحية التى هى عين مطالب كل مصلح منصف ، نجيبكم بما يأتى موافقين على ما قدمتموه من الشروط .

فنقول ونحن الواضعون أسماءنا أدناه من مديرى جمعية الإصلاح والإرشاد العربية ومستشاريها :

إنا موافقون على عدم لزومية تقبيل أيدى العلويين أى الشمة ، وعلى عدم لزومية احترام من لا يستحق الاحترام سواء كان علويا أو غيره ، وعلى عدم التعصب فى مسئلة الزواج ، فلكل الحرية فى تزويج بنته أوأخته أو غيرها لمن يريد ، كما أن له أن يتزوج من أى جنس كان ، لا فرق فى ذلك بين العلوى والشيخ وغيره إذا رضوا به .

وعلى أن تكون جميع المدارس العربية بجاوه حرة تقبل جميع الطلبة على حد سواء ، سواء كانوا أولاد علويين أوأولاد مشائخ أوغيرهم . وأن لا يسعى المعلمون فى تعليم الأولاد التفرقة بين الأمة العربية وغيرها ولا بين أفرادها ، بل يعلمونهم الاتحاد والمساواة وحب العلم كما كانت جارية عليه خطة جمعيتنا الإرشادية منذ أسست ، وكما هو صريح قانونها .

ونبدى للحكومة البريطانية استمرار صداقتنا بكل إخلاص واحترام . وأما جريدة إرشاد فهى شركة تجارية مستقلة ولاتعلق لها بجمعية الاصلاح والارشاد العربية .

هذا ، وفى الختام اقبلوا فائق احترامنا ، ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الدنيا والدين ، والسلام م ؟

مستشار	أمين صندوق	سكتاريس	فرصيدنت
غالب بن تبيع	محمد عبود	عبدالله بن هرهرة	عوض بن سالم بن سنكر

ولما رأى ابن عابدين رغبة الارشاديين فى الصلح وإقبالهم على السلم جاء جاوه وبذل كل مجهود لدعوة العلويين للصلح ، فلم يصغوا إليه ولم يعيروه التفاتاً فعاد إلى سنغافوره خائباً .

مساعى العلويين لدى الحكومة الهولندية ضد الارشاديين

لم يسكت آل باعلوى عن إلصاق التهم بالارشاديين ، ولم تهدأ أقلامهم عن الحملات القاسية على الشيخ أحمد السوركتى وأنصاره ، وكان خمود الارشاديين عن الدفاع عن أنفسهم والذود عن حياضهم من أكبر العوامل التى دفعت رجالات العلويين لمضاعفة جهودهم لقتل حركة الارشاد ، وكانت جريدة « الإقبال » هى الطائرة التى يلقون بها قنابلهم على الإرشاديين ، ولم يقفوا عند هذا الحد ،ولم يكتفوا بالدعاية الواسعة لدى الجمهور ضد الارشاد ، وكتبوا المقالات الطوال فى الاقبال وفى بعض الصحف الملايوية وتكلموا كثيراً فى المجالس ، وخطبوا فى المحافل والمساجد ضدّ الارشاد ، قالوا إنها نصرانيـــة أسست للتبشير بالديانة المسيحية ، وقالوا إنها شيوعية أقيمت على حساب روسيا لإثارة الأفكار ضد السلطات العامة ، ولتحرير النفوس من كلّ قيد . قدموا للحكومة الهولندية عرائض ضد الارشاد ، ووشوا بالارشاديين لديها ، ولما لم تجد الحكومة مايؤيد تهمهم ضد هؤلاء لم تقم لتلك العرائض وزنا ولم تصغ لأقوال الواشين ، فخابت آمال آل باعلوى وعادوا بالفشل والخذلان .

مساعيهم لدى الانجليز

لما رأى العلويون أن وشاياتهم ذهبت جفاء ولوا وجوههم شطر الانجليز فوشوا لدى القنصل الانجليزى ببتافيا ضد الارشاد ، وقدموا له عرائض بواسطة علىّ بن شهاب [1]

---

(١) بذل على بن شهاب كلّ مجهود لدى الدولة العثمانية لسحق حكومتى حضرموت وإنشاء ولاية عثمانية جديدة ، وكاتب لذلك السلطان عبد الحميد ، ووشى لديه ضدّ قبائل حضرموت ، وسعى لدى كمال بك قنصل تركيا فى بتافيا للحصول على امتياز خاصّ به ليقوم بدعوة الحضارمة فى جاوه للتجنس بالجنسية التركية ، ولكنه فشل .

ومحمد الجنيد قالوا له : إن جمعية الارشاد أسست لمناوأة السياسة الانجليزية فى الشرق وأنها تساعد المانيا ضد بريطانيا ، واستطاع العلويون بجهودهم المتواصلة أن يؤثروا على القنصل الانجليزى ، وحيث إن الانجليز يعدّون حضرموت داخلة فى حمايتهم ، فقد أرسلوا تنبيهاتهم لسلاطين حضرموت ليأخذوا حذرهم من الارشاديين ، و بعث أولئك السلاطين بلاغا لآل جعفر بن سالم فى سرابايا ليطبعوه وينشروه لكافة الحضارم ، وهذا نصّ البلاغ :

بلاغ رسمى

إلى كافة الحضارم المقيمين بجاوه ونواحيها

إننا تلقينا كتابا من عدن رقم ١٧ رمضان سنة ١٣٣٧ من السلطان غالب بن عوض القعيطى ، ومن السلطان علىّ بن المنصور بن غالب الكثيرى بعد وصولهم إليها لاتمام إصلاح القطر الحضرمى بأجمعه بواسطة دولة بريطانيا العظمى ، وقد تمّ ذلك وضمن الكتاب بلاغ رسمىّ ألزمونا بطبعه ونشره بين كلّ الحضارم بهاته الجهات ، فرجاؤنا من الجميع أن يقدروا هذا البلاغ قدره ليسلموا و يشكروا .

سرابايا ٢٠ شوال سنة ١٣٣٧ [آل جعفر بن سالم بن طالب]

وهـــذا نص البلاغ :

إنه بتوسط الحكومة البريطانية وجميل سعيها قد تمّ الوفاق والاتحاد والمحالفة بيننا، فصرنا شيئاً واحداً ، وتعاهدنا على نصر الشريعة ومشرعها وأهل بيته ، وصممنا العزم على تنظيم حضرموت كلها برمتها وفتح الطرق فيها ، ونشر العدل والأمن ، واجتثاث

عروق التفرّق والمشاجرات منها ، والسعى فى توسيع دائرة الزراعة ، واستنباط العيون ، واستخراج المعادن ، وما يجرى مجرى هذا .

وقد عقدنا النية على الاهتمام بكلّ ما يصلح الحضرميين عامة وأهل البيت خاصة فى حضرموت والمهجر . وهالنا ما بلغنا عن الواصلين ، وما رأيناه فى جريدة الإقبال من التنازع والتنافر الجارى فى جاوه بين الحضارم بسعى الدخلاء وأهل الأغراض والأهواء .

وقد تلقينا تعليمات صارمة من صديقتنا الحكومة الإنكليزية توجب السعى فى الإصلاحات النافعة ، وفى منع وصــول جراثيم داء الشــقاق وموجبات التفرق ومثيرات الأضغان والأحقاد إلى حضرموت لئلا يتفشى المرض فيها بالعـــدوى ، فيحتاج فى استئصاله إلى عملية جراحية .

ولذلك قدمنا نصحنا وتحذيرنا لجميع الحضارم من الاسترسال فى اتباع الدسائس التى تنخر وحدتهم ، وتفرق جماعتهم ، وتجعلهم شيعاً يعادى بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضاً ، حرصاً على الوئام والاتفاق التام ، وتناسى مامضى ، والتبرّى من أهل الأغراض والأهواء ونبذهم والبعد منهم .

وقد ألزمنا بعض خواصنا أن يتتبعوا البحث بكلّ دقة عن أسماء من يصرّ على موالاة دعاة الفتنة والبقاء فى حزبهم من بعد نشر هذه النصيحة ، ومن لم يصغ للنصح وأصرّ ، فحينئذ يحسب عدوّا لوطنه ولمواطنيه عاقًّا لهم مخالفاً لجماعتهم فى كلّ مقوّماتهم ساعياً فى تسميم عقولهم وأفهامهم .

وهذا بعينه هو المحاربة لله ولرسوله ، والسعى بالفساد فى الأرض ، وربنا جلّ وعزّ يقول : [إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا ، الآية ، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، الآية . واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، الآية] . »

السلطان
علی بن المنصور بن غالب الكثيرى

السلطان
غالب بن عوض القعيطى

مساعيهم لدى حكومة الحجاز

وحاولوا منع الإرشاديين من تأدية فريضة الحج ، فكتبوا لملك الحجاز «الشريف حسين» بأن الإرشاديين يبغضون الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ، وأنهم يدسون الدسائس ضدّ حكومته ويوقدون الفتن ، والتمسوا من جلالته منع الإرشاديين من دخول الحجاز كما طلبوا إليه إقامة وكيل عن حكومته بجاوة للدفاع ، ولكن الملك لم يجبهم إلى طلبهم ، بل فضحهم على رءوس الأشهاد ، حيث نشر عريضتهم فى جريدة « القبلة » فى شهر ذى الحجة سنة ١٣٣٨ ، وهذا نص العريضة :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه .

يقبل الأرض بين يدى مولانا المعظم تاج العصابة الهاشمية، ملك الأقطار الحجازية، أبو الأملاك مولانا الشريف الحسين بن علىّ ، أدام الله سعده وتوفيقه وتسديده آمين .

و بعد: فإن شيعتكم ومحبيكم من العلويين وأنصارهم يقدمون لكم وافر التهنئة بالعيد المجيد، و بما تمّ من الإصلاح على عهدكم السعيد ، وينهون إلى مقامكم السامى أنها نجمت منذ مدد قريبة فرقة من الخوارج فى هذه الديار، عقيدتها بغض أهل البيت الطاهر ، وتحقير النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، و بثّ الدسائس ، و إيقاد الفتن ، ولهم من المنشورات الجمة ما يبين خبيث قصدهم ، وقد نشروا جريدة سموها «السلام» لتكون لسان حالهم ، وتكفى نظرة بسيطة فيما حواه العدد الأول المرسل مع هذا للحكم عليهم ، فاقتضى الحال أن نطلب منكم :

أوّلا : إقامة وكيل لكم بهذه الجهات يدافع عن حقوقكم المقدسة وحقوق رعاياكم ومصالح الحجاج ، ويعطى كلّ مسافر إلى الحجاز جوازاً قانونيا .

ثانياً : لئلا تسرى عدوى دائهم العضال ، ولكى لا يتصلوا بإخوانهم من أهل البغى والغىّ والضلال يلزم منعهم عن دخول الحجاز فلا يقربوا المسجد الحرام ولا فى عامهم

هذا ، وقد عاملتهم إمبراطورية البحار بالمنع من دخول بلادها رحمة برعاياها ، وصيانة لهم عن سريان الفتن والشرّ :

فإن النار بالعودين تذكى   وإن الحرب أولها الكلام

وفى حسن نظر مولانا المعظم ما يغنى عن الإطالة ، ونسأل لكم ولأنجالكم النصر المؤيد ، وأن يجعلكم أوتاداً الملة الإسلامية ، ورجوماً لأهل الدسائس من أعداء الإنسانية ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حرّر فى مدينة بتاوى ٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٨

السيد يحيى بن عثمان بن عقيل بن يحيى . السيد محمد هارون العطاس . السيد علوى بن عبدالله الصلبية العيدروس. السيد على بن أحمد بن محمد بن شهاب الدين. عبد القادر بن علىّ الشويع . السيد عقيل بن سالم العطاس . السيد علىّ بن أحمد الحبشى العلوى . السيد علوى بن محمد خرد . السيد حسين بن سالم العطاس . السيد محسن بن هادى الحبشى العلوى . السيد محضار بن حسين العيدروس العلوى . السيد عيدروس بن شهاب الدين . السيد حسين بن شهاب الدين . السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب الدين . السيد عبد الله بن أبى بكر الحبشى العلوى . السيد علوى بن عمر عيديد . السيد محمد بن عقيل بن عثمان بن عبد الله بن يحيى . السيد شيخان بن شهاب . السيد شيخ بن علوى بن شهاب . السيد حسين بن أحمد ابن شهاب . السيد محمد بن هاشم بن طاهر .

تأثير مساعيهم على المحضار وزير حكومة حضرموت

ولكنهم نجحوا فى وشاياتهم بحضرموت ، واستطاعوا أن يؤثروا على السيد حسين حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية ، و يوجدوا فى قلبه الكُره ضدّ الإرشاديين وقد قام بأعظم قسط من تلك الوشايات الشيخ محمد المحضار ببندوسو ، فقد كان يبعث للوزير وهو أحد أقربائه الرسائل لعرقلة كلّ إرشادىّ يأتى إلى حضرموت ،

وإيقاع الأذى به ، ولقد ضيق الوزير الخناق على الإرشاديين وعاملهم بالشدة والقسوة ، فكان الإرشادىّ إذا نزل ميناء المكلا أو الشحر يعامله كما يعامل الجاسوس ضدّ الحكومة القعيطية ، ويدقق التفتيش عليه حتى إذا لم يجد فى أمتعته مايشمّ منه كراهية ضدالحكومة ، أو يقلق الأمن، ويسبب الفتن ، استمرّ فى ضغطه بحجة التحرّى فى التفتيش ، وكذلك عمل السيد عمر بن أحمد باصرّة والى دوعن ، فقد شدّد الخناق على كلّ من يأتى دوعن من حزب الارشاد وأنزل به الأذى ، وقد شجعه على ذلك وزير الحكومة نفسه .

عريضة فرع الارشاد بسرابايا للحكومة القعيطية

ولما رأى حزب الإرشاد تفاقم الفتنة التى أيقظها الحزب العلوى ، وامتدّ لهبها إلى حضرموت الأمر الذى ألجأ بعض ضعاف الإيمان من الإرشاديين للانسحاب من جمعية الإرشاد .

لما رأى نجاح مساعى رجالات آل باعلوى ضده رفع جماعة منهم وهم بعض القائمين بفرع الإرشاد بسرابايا عريضة إلى السلطان غالب بن عوض القعيطى اليافعى بينوا له فيها أغراض أعمال آل باعلوى ضدّهم كما بسطوا له مقاصد جمعية الإرشاد ، وما تقوم به من الأعمال للمصلحة العامة ، وهذا نصّ العريضة :

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة جمادى الأولى ١٣٣٨ .

الحمد لله المطاع أمره ، القاهر فوق عباده ، العدل حكمه ، الذى جعل فى الأرض

ملوكا ، واستخلفهم فيها ليحكموا بين الناس بالعدل ولينظر كيف يعملون ، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وخيرة الأنبياء والرسل الكرام، الذى بلغ الرسالة ونصح الأمة وجاهد فى الله حقّ جهاده ، صاحب الشريعة الغرّاء والمنهج القويم ، الهادى إلى الصراط المستقيم ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا معه فى الله ولله ، وصدقوا وصدّقوه ، ونصروه وعزّروه ، فاتبعوا النور الذى أنزل معه فكانوا من المفلحين .

نتشرّف بتقديم هذه السطور نيابة بالمثول عنا ، ونقدمه إلى جناب جلالة مولانا ودولتنا السلطان المعظم ، حامى الأقطار الحضرمية وسواحلها ، ناشر لواء العدل والميزان بين الرعية ، درّة العترة الحاكمية ، وممثل السلطنة القعيطية ، السلطان غالب بن عوض ابن عمر القعيطى ، لا زالت دولته باهية ، ورايات عدله على الأقطار الحضرمية منشورة ، ولا زال مؤيداً ومنصوراً من الله آمين .

أيها السلطان المعظم ! بكلّ رجاء وأمل فى شيم جلالتكم نقدّم شكوانا ، ونستمنح العدل والرأفة والحنان ، والفصل فيما سنمليه الآن .

نعرض على جلالتكم أننا الممضين تحت هذه السطور من جملة من تكتنفهم رعايتكم ، ومن عداد رعاياكم ، ومن الذين لا يميلون عن محبتكم ونصرتكم من أهل وادى ليسر ودوعن المهاجرين بالأقطار الجاوية ، والمنضمين إلى جمعية الاصلاح والارشاد ، فلاارتياب فى أنه يهمكم العناية بنا ، والتفقد لأحوالنا على كلّ حال، والاستماع لشكوانا ، فأنتم رعاتنا ، وكل راع مسئول عن رعيته .

نعرض على جلالتكم التشكى مع الايضاح لما نالنا من الضرر ونال إخواننا فى الوطن ومن معاملة واليكم الحالى ، إنصاتاً منه لما افترى به علينا المفترون والمزوّرون ونسبوه إلينا من أنواع الأباطيل والأكاذيب التى لا توجد لها حقيقة بتاتا ، ولئن صحّ وصدرت هذه المعاملات والأحكام القاسية بغير ذنب صدر منا وبغير فحص وتدقيق وتصوّر وإمعان ، فإنه مما يسبب لنا الأسف ويسىء غيرنا كما يسىء سمعة حكومة جلالتكم .

وإنا لا نصدّق أن تصدر مثل هاته المعاملات لحسن ظننا فى عدل جلالتكم ، كما أنه لا نتصوّر أن حكومة إســــلامية مثل حكومتنا السنية تعاملنا بالقساوة بغير ذنب جنيناه ولا مخالف للشريعة السمحاء أتيناه ، ولئن قيل ما قيل عنا فإن الحقيقة لا يمكن أن يسدل عليها الغطاء بالاختلاق والافتراء ، ولا محلّ للتأثر لأن الأيام والليالى كفيلة بإظهار الحقائق . ويحسن من جلالتكم ومن بيده وظائف الأحكام ومن يهمه أمر الرعية أن لا يتخذ العجلة .

إن كلّ عاقل يعلم أن أعـداء الحقيقة يختلقون جميع الزور والبهتان كما اختلق علينا المفترون أمثال هذه الطريقة لأجل تنفيرالناس منا ، انتقاما وتشفّيا وحسداً من أنفسهم . وما دروا أن أعمالهم هذه ممـا تعود عليهم بالخسران ، تبلى السرائر وتظهر الحقائق ، أو كأنهم غير عالمين أن مطية الـكذب زاحفة ، وأن الساعى بالنميمة والغيبة ، وإلحاق الضرر والأذى بالمسلمين لا يجيزه الشرع الحنيف ، ولا تميل إليه الطباع الشريفة والأخلاق الـكريمة ، وإن إزعاج خاطر المسلم وإدخال الخوف على قلبه بغير ذنب أتاه ممـا يغضب الرّبّ ويشقّ على الرسول عليه الصلاة والسلام .

وبمـا أنا نحب دولتنا ونتمنى لهـا النجاح ، فلا نرتاب فى أن ممثلها مولانا السلطان يحبنا وأمته من صميم فؤاده ، ويتمنى لهـا الفلاح والارتقاء ، ودليله الأنباء المبشرة السابقة المعلنة بإتمـام الاتفاق والصلح بين سلاطين القطر الحضرمى ، وتصافحهم على تأمين القطر وتقدّمه ، وعلى إصلاحه وترقيه .

ولـكن سرعان ما اختلجت الشكوك صدورنا من الأنباء الأخيرة ، غير أن لنا حسن الأمل فى جلالتكم فى أن تفحصوا كلّ مسألة بغاية التروّى والإمعان ، وتصدرون فى ذلك كلّ حكم عدل ، وتجازون كلّ مخطىء ، وتدانون كلّ مصيب .

وعليه ، فقبل كلّ شىء نعلم جلالتكم أن المنضمين إلى جمعية الاصلاح والارشاد بجاوا ليســـوا من أهل ليسر ووادى دوعن فقط ، بل هم من كلّ فرقة من القبائل والمشائخ على اختلاف أجناسهم ، وليسوا من العامة بل فيهم الفقيه والعارف والغنىّ والفقير والمتوسط والمتعلم وغيرهم .

ونعيذكم ونشهد الله على قولنا أن الجمعية لم تؤسس إلا لعمل خـير يرضى الله ورسوله . أسست لتعليم أبنائنا وأبناء المسلمين قاطبة بغير نظر إلى الجنسيات ولا العصبيات ، ويشهد بذلك أعمالهـا الجارية على مقتضى قانونها ، والمصادق عليه من حكومة هولندا .

وليس من العجب أن تمسّ الجمعيـة وتمسّ بأعضائها وأفرادها من غوائل الزمان وتشفيات الحاسدين ، فإنما ذلك دليل تقدمها ونجاحها وبرهان صوابها ، والباطل لايزال ولن يزال يصارع الحقّ ، ولـكن أخذ الله على نفسه أن يجعل الباطل زهوقاً .

على أنا كنا نتمنى أن تكون انتقادات المضادين لنا ولهذه الجمعية مبنية على الصحة ومؤسسة على قواعد الحقّ والعدل ، بذلك يكونون ماشين على سنن الانتقاد الحقيقي الذي يرجى من ورائه نفع الأمة والوطن . فلا يفترون علينا بالـكذب ولا يلصقون بنا ما نحن بريئون منه ، بل يصارحوننا بالصدق وينظرون إلينا بالعين التى نظر بها الدّين الإســلامى إلى عموم المسلمين صغيرهم وكبيرهم ، عالمهم وجاهلهم . فلا يحتقروا أحـــداً ولا يظلموا الناس حقوقهم .

ولقد سعينا فى إخماد نار الافتراق ، وحذرنا الذين يروق لهم الاصطياد فى المـاء العكر من أسيال القول جزافاً ، ومسّ الأعراض ، وهتك الحرمات ، ونفث السموم بين الناس ، ونبهناهم خطورة العاقبة واتساع الخرق ، ويشهد بذلك منشورنا الأوّل الصادر بطئ هذا .

فإنا وجهنا القول فيه إلى من كانوا جرثومة هذه الفتنة ، وهم صاحب الإقبال ومن ينشر مقالاتهم بشـــأن جمعية الإرشاد تحت إمضائهم الصريحة والمرموز عنها . وأعلنا للعموم أن هؤلاء لا يقصدون من وراء كتاباتهم فى الإقبال وغيرها إلى توســيع الخرق واشتداد الفتنة ، وإيقاع سوء التفاهم .

وقد رجونا بذلك المنشور تفهيم العقلاء فيتلافون الأمر قبل استفحاله ، ويحسمون الخلاف قبل امتــداده ، غير أن ذلك المنشــور قد ذهب كنفخة فى رماد أو كصيحة فى واد .

ويا ليتهم سكتوا ولم يتعرّضوا لما فيه ويؤوّلوه حسب أهوائهم وأغراضهم ، فيقف الخلاف عند نقطته الأولى . بل ثاروا ثورة الأسود من مرابضها ، وجالوا بأقلامهم على صفحات الإقبال والجرائد الوطنية الملايوية والإفرنجية ، وملأوا أنهرها بما حسنته لهم أهواؤهم من سبنا ولعننا وتكفيرنا وجرح عواطفنا كما تشهد بذلك أعـــداد الإقبال ومنشوراتهم الأخرى . و بطىّ هذا واحد منها ، وهو الجواب عن منشورنا الآنف .

والأمل من جلالتكم أن تتصفحوا العدد ومنشورنا ، لتنظروا مَن منا المخطئ . وقد قالوا لما عجزوا إنا فى أقوالنا غير صادقين ، وأن بواطننا تخالف ظواهرها ، وإنا لم نقصد من منشورنا إلا ذرّ الرماد فى العيون وتغطية الحقيقة بحجاب من الباطل .

وهـذا القول لا يقبله العقل ، ولا يسيغه لهـم الشرع ، ولا يقوله إلا كلّ مفتر كذّاب لما فيه من منافاة ذات الواقع ومغالطة القواعد التى أسست عليها أعمالنا ومخالفة الحس والعيان ، إذ لو كان باطننا كما يقولون لظهر ذلك على فلتات ألسنتنا ، وأسلات أقلامنا ، وتجسم فى حركاتنا وسكناتنا ، لأن الظاهر عنوان الباطن .

ولا ننكر أن المنافق يتلوّن ويقول ما لا يفعل ، غير أنه إذا امتحن حاله أسفر عن كذب ورياء ، وإن طلب منه التطبيق امتنع وتعلل .

أما نحن فقولنا شاهد علينا ، فإن كانوا طالبين حقا وناشـدين حقيقة ، فما عليهم إلا أن يصافحونا ولنصافحهم على خدمة وطننا ودولتنا ، ونشر لواء العلم والتعليم فى مهجرنا ووطننا مع نبذ التعصبات الجنســية والمفاخرات الشـخصية ، وترك كلّ مانحن عليه من العوائد السـيئة والأخلاق الذميمة ، والعمل يداً واحدة على اتباع الســـنة والـكتاب الـكريم .

فإنه يأمرنا بالتعاضد والتكاتف والاعتصام بحبل الله والاتباع لرسول الله فى أفعاله حسب طاقتنا البشرية ، ويأمرنا باعتزال منكر القول والســـعى بالغيبة والنميمة ، وأن لا نتحاسد ، ولا نتباغض ، ولا نتنابز بالألقاب ، ولا نتشاتم ونتلاعن .

وبالجملة فإنه العروة الوثقى للمؤمنين وصراطهم المستقيم والضامن لهم السعادة والفلاح فى الدنيا والمعاد .

استمرّ هؤلاء الغشمان ومن يقول بقولهم ويوافقهم على فعلهم من السادة وغيرهم يتقوّلون علينا ، ويجرحون عواطفنا ، ويهتكون أعراضنا ، ويكتبون فى حقنا ، وينفرون الناس منا ، غير أنا لم نقابلهم إلا بالصفح والاغتضاء ، رجاء منا أن ينتبه عقلاؤهم خصوصاً الحبيب المفضال محمد بن أحمد المحضار فيرجع بالناس إلى الصراط السوىّ .

لأن ماوقع بين الناس إنما مصدره ما ذكرناه وهو صغير فى نظر العاقل الحليم ، غير أنه ويا للأسف إن تمكن هؤلاء المفتونين على التسلط على فكر الحبيب المشار إليه فبلغوه عنا أضعاف ما أبلغه الناس الآخرون ، ومقصودهم من ذلك إلحاق الضرر بنا وبإخواننا فى الوطن بواسطته .

ومما بلغوه أن هذه الجمعية لا تقصد إلا بغض أهل البيت ، وأنها لم تؤسس إلا للحط من قدر السلف الصلح ، ومعاكسة الكتاب والسنة إلى غير ذلك من الأكاذيب والأقاويل ، فحسبهم الله على أقوالهم وحركاتهم وسكناتهم وسرّهم وجهرهم ، فإنه عالم المفسد من المصلح ، والفاصل بين العباد فيما كانوا فيه مختلفون .

إن من جملة المصائب التى طرأت علينا هو ما حلّ بإخواننا فى الوطن العزيز ، وما نالوه من التهديد والتقريع من نائب جلالتكم الوالى عمر بن أحمد باصرّه ، حكم على إخواننا ، وألزمهم بأن يكتبوا إلينا ويأمرونا بالخروج من الجمعية وأمهلهم إلى شهر شعبان القادم حتى ترد منا لهم الجوابات المشفوعة بشهادة السيد محمد بن أحمد المحضار بأننا خرجنا من الجمعية وتبنا ورجعنا إلى الدّين الإسلامى ، وإن لم نفعل فستكون العاقبة وخيمة ، وستكون معاقبة إخواننا فى الوطن بنهب أموالهم ، وتهديم قصورهم ، وذبح أطفالهم ، وتغريم جيوبهم .

فما كان من إخواننا إلا أن كتبوا إلينا ووصلتنا كتبهم مشحونة بالصياح والعويل مالاحدّ له ، ومن آيات الترجى والاستمناح على سبيل النصيحة بأن نخرج من هذه الجمعية التى بلغهم المفترى الكاذب بأنها جمعية كفر ، وأننا كفرنا وحدنا عن الدّين القويم ، فيالله من هذه الأمور ، ويالله من هذه الأحكام الصادرة بغير تروّ .

فماذا ذنبنا حتى نعامل هكذا ، أو ما ذنب إخواننا حتى يعاملهم الوالى بتلك المعاملة ؟ أمن العدل أن يجازى المرء بذنب غيره إذا كان هناك ذنب صدر منا حقيقة ، والله يعلم ويشهد الناس أنا بريئون مما قيل فينا ، فلمناسبة هـذه الأمور نقدم إلى جلالتكم شكوانا مع بيان الحقيقة مؤملين فى عدل جلالتكم الإنصاف والعدل .

مولانا ! قد تملّ جلالتكم من هذا التطويل ، ولكن عفواً فإن الحقائق لابدّ من ظهورها ولو كره المفسدون .

مولانا ! إن الأمة الحضرمية مرت عليها مئات السنين وهى تتخبط فى ظلمات الجهل والتوحش ، حتى سافر الكثير من أبنائها وهجروا أوطانهم ، وهاجروا إلى كثير من الأقطار النائية طلباً للمعاش وفراراً من الجوع والفقر المتسبب من عدم اعتنائهم بالعلم والتعليم والناشئ عما أحاط بهم من الجهل ، ونالهم من الانحطاط ، ونزل بهم من التقهقر.

واختلطوا بالأمم أدواراً ليست بالقصيرة ، وهم على حالتهم هذه من الجهل والتوحش والذلّ والمسكنة ، ومضت عليهم الأيام والليالى وهم يخبطون فى عشـوائهم ، وأخيراً انتبهوا مما هم فيه من الجهل ، وأحسوا بشدة الحاجة إلى العلم والتعليم ، فأقاموا الجمعيات ، وشيدوا المدارس ، وخسروا الأموال .

ولكن من الأسف راحت أتعابهم أدراج الرياح لما كان يبثه كثير من السادة من إحباط المساعى ومعاداة كل هـذه المشاريع الخيرية ، وكانت أزمة تلك الجمعيات والمدارس إذ ذاك بأيديهم ، فبقى الجمهور باهتاً حيال هذا التسطير الغير الحقّ صابراً على ما يقاسيه من هؤلاء المتغلبين .

لكن كثرة الضغط تولد الانفجار ، وشدّة الاحتكاك تولد النور . وبفضل ذلك الاحتكاك وضغط أولئك المتغلبين جعله يقوم ويعمل ما تعمله الأمم الحية من نشر المعارف ، وفتح المدارس ، وتأسيس الجمعيات ، وتصافح الأيدى . وبما أن السبب الوحيد فى جعل الأمة الحضرمية فرقتين هى جمعية خير ببتاوى وجب أن نبين ذلك .

إن جمعية بتاوى التى تدعى جمعية خير ولها مدرسة بهذا الاسم ، قد مرّ عليها زمن

ليس بالقصير وهى هى ، لاهى تقدمت ولا ماتت لعدم وجود معلم عارف بطرق التربية ، فلما رأى رؤساؤها أن مكوث المدرسة على هـذه الحالة لا يأتى بالفائدة المرجوّة ، طفقوا يفحصون ويفتشون على معلم لها .

فقيض الله لهم الحصول على مايريدون على يد من كاتبوه فى ذلك وطلبوا أن يفتش لهم على معلم ، ألا وهو السـيد المفضال المخلص الهمام صاحب الفضل العلامة المرحوم حسين بن محمد الحبشى المتوفى بمكة رحمه الله . فقد أرسل لهم الأستاذ الشيخ أحمد بن محمد السوركتى الأنصارى ، لما يرى فيه من الكفاءة والمقدرة على التعليم .

فلما وصل إلى بتاوى استلمه العرب قاطبة وفرحوا به وأحبوه وقلدوه وظيفة المدرسة والتعليم ، ومكث نحو سنتين كانت النتيجة حسـنة . وفى ذلك الوقت دخل السادة القائمين بأمور المدرسة الحسدُ على الأستاذ وكرهوا للأمة أن تنتبه من غفلتها ، كأنهم لم يحبوا أن تتفق العقول وتتنوّر الأذهان ، فكانوا يحاولون حينئذ إيقاف المشار إليه من وظيفته ، غير أنهم لم يجدوا سبباً يسوغ لهم ذلك .

وبالأمر المقدر والقضاء المبرم جاءت مسئلة من الخارج صدفة موجهة إلى الأستاذ ، وهى مسئلة الكفاءة وأعقبها مسئلة التقبيل ، فأفتى فيهنّ بما أفتى به قبله العلماء المحققون والأئمة المهتدون الهادون ، فاتخذ أولئك السادة ذلك سبباً لإيقاف الأستاذ ، وفعلا أوقفوه من المدرسة .

فعند ما أراد الرحيل إلى وطنه طلب منه المشائخ أن لا يرحل ، وتفكروا فى أن يتخذوه معلماً لأولادهم ، فأقاموا لذلك الغرض جمعية ودعوها بجمعية الإصلاح والإرشاد ، وأسسوا مدرسة باسمها ، وجعلوه ناظراً للتعليم ومدرساً بها . ويرجع أمر المدرسة وما تفرع منها وأمر الجمعية إلى أعضائها وأفرادها ، وهم المشائخ على اختلافهم .

ولا نقول انها تضم جميع المشائخ ، بل فيـه من لم ينضم لأعذار فارغة بعيـدة عن الصدق . ولا نقول إنه لا يوجد فى السادة من يحبّ هذه الجمعية ، كلا بل فيه ولـكن تغلبت عليه العصبية .

وعنـد ما أقيمت جمعية الاصلاح والارشاد ، وحمل السادة لهـا العداء ، وللأستاذ ولمن انضمّ إليها وقالوا فى حقّ الأسـتاذ ما يخجل القلم ، وفى حقّ يافع وآل كثير وفى المنضمين ما لا نقدر أن نسـطره خجلا من ذكره . وقد زوّروا ودسـوا عليها حتى عند الحـكومة الانجليزية بالطرائق التى تضرّ الحـكومة وتجعلها تعامل كلّ منتسب إلى هذه الجمعية بالمعاملة القاسية وتنظر إليها بعين الحذر وتمنعهم من الدخول إلى مستعمراتها خوفاً وحذراً من الأعمال التى نسـبوها إليها من أنها جمعية سياسية بلشفيكية ، وجاسوسـية لتركيا وألمـانيا و إلى أمثال ذلك .

ثم عمدوا إلى جلالتكم على أيدى قوّادهم ، وقالوا إنها جمعية مكفرة ، وأن ما فيها خارج عن الملة ، وأننا نبغض أهل البيت ، ونسبّ الصحابة ، ونلعن بعضهم ، وننكـر الـكرامات ، وزيارة القبور ، ونفطم التقبيل وغير ذلك ، وعمدوا إلى حكومة هولنـدا بطرق شـتى ، غير أنها لمـا كانت عالمة بمآرب هـذه الجمعية وعارفة مقاصدها ، وتنظر تعاليمها لم تعر قولهم أذنا ، ولم يمسنا نحن منها أذى ، ولو كانت تعلم أو علمت أن جمعيتنا هذه هى الجمعية السياسية أو المخالفة للدين والقوانين لمـا أعطت الامتياز فيها .

غـير أن الضرر أتانا وأتى إخواننا من أماكن أخرى ما كنا نحلم بها ، حتى أن إخواننا فى الوطن أنفسهم تضرروا من زرع افتراءات أولئك الذين لا ناقة لهم ولا جمل فى هذه المسئلة .

إن جمعية الإرشاد كانت بيتاوى ، فلما عرف الحضرميون أنها هى الخادمة للدين والناشرة للمعارف طلبوها من كثير من البلدان ، فأصبحت الآن بعونه تعالى متفرّعة عروقها وفروعها بكلّ بلد ، فمنهم من قد أقام مركزاً لهـا ، ومنهم من لم يقم لهـا مركزاً . و بحمد الله فهى فتحت المدارس لأبناء المسلمين وسهر أعضاؤها ورءساؤها ، وخسروا الأموال وتحملوا المشاق والأتعاب والأقوال ، شأن المعلم الخيرى تعترضه الأحوال ، وما القصد إلا التعليم الدينى والدنيوى ، وكلّ ما يعود بالمنفعة التامة على الأمة والوطن .

أما ما يشيعه السادة وما يقولونه من أن المنضمين لهذه الجمعية خارجين عن الدين ،

يبغضون أهل البيت ، ويسبون الصحابة ، ويلعنون البعض منهم ، وإلى أمثال ذلك كما ذكرناه أعلا ، فإنما ذلك لسان فعلهم وبرهان أعمالهم وطريقتهم التى ابتدعوها هم أنفسهم مقدر من غير بعيد . وتشهد عليهم كتبهم وكتب قائدهم لهذه الطريقة السيد محمد بن عقيل بن يحيى ساكن سنقافوره ، وأمثاله كثير نجلّ القلم عن التصريح بأسمائهم ونعتزل الفتنة لأنها أشدّ من القتل .

الخلاصـــة

إن جمعية الإرشاد والإصلاح أقيمت لفتح المدارس الإسلامية ولتعليم أبنائنا وأبناء المسلمين ، خطتها كتاب الله وسنة رسوله ومذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعى ، والله يشهد والناس إنا لصادقون ، ونشهد الله والملائكة ونشهد جلالتكم إننا مسلمون موحدون إلى يوم الدين إن شاء الله .

وزيادة على ذلك وخدمة للدين والأمة والشرف الإنسانى نطلب أن تسمح جلالتكم ، وذلك ما نؤمل بإرسال مفتشين من قبل جلالتكم للاطلاع على كلّ شىء وفحص المسئلة وأخذ البيانات الكافية ، وليكونوا من العلماء المحققين الصادقين الذين لايخادعون الله ما أمرهم،ولا متحيزين لفئة دون أخرى ، ثم يعودون إلى جلالتكم حاملين ومزوّدين بكلّ ما تحصلوا عليه من الإيضاحات والبيانات ،وكلّ مصاريفهم ذهابا وإيابا إلى الوطن تحت مسئوليتنا وملتزمين بها . كلّ هذه خدمة للحقيقة والدّين .

فإن فعل جلالتكم ذلك فقد أكرمت بمكرمة عظيمة ، وبعد ذلك فلجلالتكم الحكم بالعدل الشرعى، وإنا عبيد الحق. وإن أحبّ جلالتكم أن تسعف المرسلين بقانون جمعيتنا وكتب السادة وما قالوه ونشروه مع الأجوبة التى صدرت منا ليتبين الحقّ من الباطل ، فبغاية السرور والابتهاج نفعل ذلك .

وما كان هذا الأمل فى جلالتكم إلا لأنه يتعذر على أحدنا الخروج إلى الوطن

وحكومة الانجليز واقفة لنا بالمرصاد على نصف الطريق ، خائفة من أن يدخل أحدنا مستعمراتها لما بلغها من الافتراء الكاذب .

أيها السلطان العادل ! إلى الله تعالى و إلى عدل جلالتكم نرمى هذه المسألة ونكل الأمر فيها إلى عدلكم ونتظلم ونرفع إلى جناب جلالتكم أيدى التشكى والتظلم من الذين تقوّلوا علينا بما ليس فينا وألبسونا ثوبا من الباطل ، كما أننا نستمنح جلالتكم التأنّى والصبر فى معاملة إخواننا فى الوطن على غير ذنب أذنبوه ، فجلالتكم نصير المظلوم وعضد وساعد قوىّ وملجأ وحَكَم بين الناس .

الامضاءات

إبراهيم بن عمر بوسبيط ، محمد بن رئيس بن طالب ، محمد بن سعيد بن عبد الله مرتع ، محمد بن أحمد العمودى ، محمد باعمر بلحمر ، محمد بن أحمد بلحمر ، محمد بن عبد الله باصهى ، محمد بن بو بكر باسلم ، محمد بن موسى باموسى ، عبد الله ابن سالم البيض ، عبد الرحمن باعبود ، أحمد بن عبد الله بن شيخ عمر العمودى ، بو بكر بن عبد الله بن شيخ عمر العمودى ، سعيد بن عوض باشميله ، محمد بن عبد الله حمد بلحمر ، ربيع بن امبارك بن طالب ، محمد بن سعيد العسل العمودى ، حسن بن أحمد بن ماضى ، سالم بن سعد بن نبهان ، سالم بن عوض باشميله ، أحمد ابن عمر بلحمر ، شيخ سعيد بن محمد سعيد باسعيد ، بو بكر با كراع ، عثمان بن عمر العمودى ، محسن بن أحمد العمودى ، أبو بكر بن أحمد باشراحيل ، عثمان بن محمد العمودى ، أحمد بن حسين بلحمر ، محمد بن سالم باقبص ، عمر بن سالم بلحمر ، عبد الله بن سالم بلحمر ، سعيد بن سالم باسلم ، سعيد بلحمر ، سعيد بن أحمد باسلم ، عبد الله بن عبد الرحمن العمودى ، عمر بن محمد محمد الغد العمودى ، عثمان ابن عمر باموسى ، عمر با كراع .

كتاب جمعية الارشاد المركزية للقنصل الانجليزى

وقدمت جمعية الإرشاد كتابا للقنصل الانجليزى تنفى فيه التهم التى ألصقها بهم العلويون ، وهذا نصّ الكتاب :

بتاوى فى ١٦ ابريل سنة ١٩١٩

حضرة المحترم معتمد دولة بريطانيا العظمى ببتاوى

بعد تقديم صحف الاحترام نعرض أن جريدة الاقبال العربية نشرت فى اليوم نشرة مضمونها أن حكومة انكلترا ناقمة على جمعية الارشاد والاصلاح ، وأنها تمنع كلّ عربىّ من أعضاء تلك الجمعية من إعطاء الجواز دخولا وخروجا لجزيرة جاوا .

نشرت جريدة الاقبال — عدوّة جمعية الارشاد اليوم كما كانت من قبل عدوّة للانجليز — هذا الخبر وعزّته إلى إشاعات عن سنقافوره ، غير أن الثابت رسميًّا لدى جمعية الارشاد أن تلك الاشاعة صادرة من بتاوى بواسطة رجل عربىّ اسمه السيد على بن شهاب .

إن جمعية الارشاد لا تجهل أن السيد على بن شهاب منذ أكثر من سنة يعمل ضدها ويرفع أشياء إلى جنابكم مضرّة بمصالح الجمعية ، غير أن الجمعية لم تعر عمل هذا الرجل أدنى التفاتة لأنها تعلم أن السيد على بن شهاب ليس له مبدأ يعمل له .

فطالما يعرض نفسه لخدمة القناصل التركية سنين عديدة ، واتهم مراراً بالتهييج وإثارة الخواطر ضدّ الحكومة المحلية « حكومة هولندا » ، وسعى ضدّ وجود انجلترا نفسها فى عدن بطوافه فى اليمن وحضرموت فيما سلف . ولم ينجح فى شىء من ذلك زيادة عن كونه ليس بوجيه بين العرب عموما ولا بين السادة خصوصاً ، وليس هو من أهل العلم أو الرأى .

فإذا كان الأمر كما تقول جريدة الاقبال ويقول علىّ بن شهاب نفسه : إن دخول

العرب وخروجهم أصبح بيد السيد على بن شهاب ، فإن هذا الأمر يدعو إلى الدهشة .

ثقوا ياحضرة القنصل جنرال بأن بعض السادة أمثال السيد على بن شهاب إنما يهوّلون لكم أمر جمعية الإرشاد ، و يظهرون أعمالها أمام أعينكم بغير المظهر الحقيقى ، وليس ذلك عن جهل منهم بحقيقة جمعية الإرشاد ، بل هو عن قصد وتعمد حتى تكون حظوتهم لديكم عظيمة . ويجازون على تلك التقادير الملفقة بالمجازاة التى تتوق إليها نفوسهم عاجلة كانت أو آجلة ، وبذلك يكونون قد أوجدوا لأنفسهم عملا يغنيهم عن البطالة

إن أكثر السادة من الحضارمة ينقمون على جمعية الإرشاد كثيراً لكونها تبثّ العلم والفضيلة بين جميع الطبقات ، وتسعى لتنوير أفكار حتى الفلاحين والصناع ، وذلك مما يغيظ السادة الذين يحزنون كثيرا أن يساويهم غيرهم ، و يتألمون أن يقف سواهم فى موقف واحد معهم . فالسادة متمسكون تماما بمذهب الاكليروس القديم فى فرنسا ، ولكن تيار العلم اليوم يأبى إلاأن يهدم تلك المبادى التى لم تعد صالحة بالقرن العشرين . فأين خطة جمعية الارشاد إذن مما ينسبه السيد على بن شهاب إلى الجمعية ؟ وأنها تحرك آل كثير على محاربة القعيطى حليف إنجلترا .

إنكم لا تجهلون أن تنازع الرئاسة ، والمزاحمة بين النظيرين طبيعى فى البشر ، خصوصاً بين القبائل التى لم تعهد الخضوع للنظام . فإذا كانت هناك محاربة بين القعيطى والكثيرى فلا نعتقد أنها مبنية على عداوة الانجليز قط ، بل ربما تكون مبنية على المنافسة بين الرئيسين ، خصوصاً وهاته المواقع الدموية بحضرموت لم تكن بالشىء الجديد الذى حدث فى هاته السنة أو ما قبلها ، بل ان ذلك شيء قد عرفته البلاد والعباد من منذ أحقاب من السنين .

فإذا كانت جمعية الارشاد تحاول أن يتغلب آل كثير على حكومة إنكلترا ، كان ذلك إهانة وتحقيراً فى إدارة الجمعية يجب أن يسجل على كلّ من ينسبه لها ، لأنه لم يبق إذن فى إدارة الارشاد رءوس تعقل أو أدمغة تفكر .

كيف تحرض جمعية الإرشاد قبائل آل كثير الذين لا يصل عددهم الخمسة آلاف

نفر بما فيهم الشيوخ والنساء والأطفال عزلا عن كلّ قوّة على محاربة حليف انكلترا التى لا تغيب الشمس عن أراضيها والتى أظهرت الحرب الحاضرة مهارتها بتفوّقها على أقوى عدوّ .

١ — أىّ عداوة ارتكبتها انكلترا ضد جمعية الإرشاد ؟

٢ — أىّ صداقة لأعداء انكلترا مع جمعية الإرشاد ؟

فإذا كان بعض أعضاء الجمعية لهم علاقة ببعض من عساه يكون عدوًّا للانجليز ، فإن تلك العلاقة يجب أن يعود نفعها وضررها على أشخاصهم رأساً ، ويجب أن يحاسبوا عليها فرديًّا ، وإن إدارة جمعية الإرشاد بصفتها تسعى لنشر العلم والفضيلة ، فكلّ من مدّ لها يد المساعدة المالية عدّته عضواً من أعضائها ، بقطع النظر عن جنسه ودينه وسياسته .

إن جمعيات الصليب الأحمر تعمل وراء مساعدة المصابين فى أجسادهم بقطع النظر عن دينهم وسياستهم ، وكذلك جمعية الإرشاد والإصلاح تبحث عن معالجة الأرواح والنفوس الجاهلة بنشر العلم ، وبثّ التربية والفضيلة ، فهل تُحارب مثل هاته المبادى ، يا حضرة القنصل جنرال ؟

وبلسان جمعية الإرشاد نسجل لديكم على كلّ من ينسب للجمعية تهمة العمل ضد حكومة انكلترا أو حلفائها ، أو أىّ عمل لمصلحة أعدائهم ، وأىّ عمل سياسى على الإطلاق ، ونرجو أن تتفاهموا معنا رأساً لعله يزداد لديكم الحقّ إشراقاً ، وينكشف لكم ما عساه يكون مطويًّا . وثقوا ياحضرة القنصل جنرال باحترامنا لشخصكم ؟

إدارة جمعية الاصلاح والارشاد

ثم تواترت الأنباء بأن الإنجليز لا يسمحون لكلّ إرشادى بالسفر إلى إحدى مستعمراتها ، وإن السيد سعيد مشعبى أحد رؤساء الجمعية أُوذى من ولاة الأمور بسنغافوره حينما نزل فى مينائها أذى عظيما ، فاضطرّت لذلك إدارة الإرشاد لتقديم عريضة

أخرى يوم ١٥ أكتوبر ١٩١٩ لقنصل الانجليز ، وهى لا تخرج عن معنى العريضة الأولى من حيث نفى التهم الموجهة إلى الجمعية ، وتبيان مبادئها الحرّة وأغراضها الشريفة واجتمع الشيخ أحمد السوركتى بالقنصل الإنجليزى ليتحقق عن الإشاعات التى يذيعها آل باعلوى ضدّ الإرشاديين فاندهش للأمر ، وصرّح أنه لا يعرقل أمام كلّ إرشادى يريد السفر إلى أية مستعمرة إنجليزية ، وقد اتخذ الشيخ أحمد ذلك حجة لدحض إشاعات العلويين ، ونشر منشورًا هذا نصه :

جاء الحق وزهق الباطل

بما أنه قد تكرّر فى جريدة الإقبال خبر أن الحكومة البريطانية تعتبر جمعية الاصلاح والارشاد ، وكلّ من ينتمى إليها من الأعضاء أعداء لها ، وصرّحت بأن هذا الخبر مصدره السفارة البريطانية ببتاوى ، ذهبت أنا بنفسى إلى مركز القنصلات وقابلت القنصل جنرال الانجليزى وسألته عن هذا الخبر وعن أسبابه ، فاستغرب الأمر وتبرأ من هذا الخبر بتاتا ، وقال : إنه ليس عنده أدنى مسيس من هـذا الأمر ، وان الحكومة لا تتهم جمعية الارشاد بعداوة ، ولا تضمر لها بغضا مطلقاً ، وأمرنى أن أعلن ذلك لأهل الجمعية .

فبناء على ما ذكر ، فهـذه الأخبار التى تشاع من أن القنصل الانجليزى لا يعطى الناس لمن هو من أعضاء جمعية الارشاد ، أو أن الحكومة البريطانية تعد أهل الارشاد أعداء لها أو أنها تحذر من الدخول فيها أو المساعدة لها ، كلها أخبار مكذوبة اخترعها أهل الأغراض وأعداء العلم والحرية ليرهبوا بها الناس وينفروهم من جمعيـة الارشاد ومدارسها ، وليوغروا قلوب الارشاديين على الحكومة الانجليزية .

هدانا الله وإياهم إلى صراطه المستقيم ، ووفق الجميع لما يحبه ويرضاه آمين .

كاتبـــه

أحمد بن محمد السوركتى

البلاغ المنسوب إلى الحكومة القعيطية

وتجرأ جماعة من العلويين فى تزوير منشور كله تهديد ووعيد للارشاديين وإنذار وإعلام بإيقاع العذاب وإنزال العقاب بكل من يبقى عضواً فى الارشاد ، ونسبوا المنشور إلى السلطان غالب بن عوض القعيطى ، ودفعوا اثنين من أتباعهم لنشرالمنشور وتوزيعه على الحضارم ، وحيث إن طبع ذلك المنشور وتوزيعه من غير إذن الحكومة الهولندية يخالف قانون البلاد ، وحيث إنه يهدد وينذر بالعقاب جالية آمنة مطمئنة تحت ظل حكومة جاوه ، وهذا بالبداهة يخالف القواعد الدبلوماسية ، فقد حكمت الحكومة على ناشريه سالم باوزير وعبد الرحمن جواس بغرامة مالية ، وهذا نص المنشور المزوّر :

بلاغ رسمى

الحمد لله الذى أظهر سيف العدل والحقّ . ودفع الباطل وأزهق ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ماطلع فجر الحقّ وأشرق ، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى ومصابيح الغسق .

السلام التام إلى حضرة كافة الأمة الحضرمية المقيمين بالممالك البريطانية والهولندية هداهم الله إلى الصواب .

صدرت من المكلا لقصد إبلاغكم أنه طالما امتلأت أسماعنا من الأقاويل والكلام المزوج بالأباطيل . وكنا نظن أنّ فيكم عاقلا يسدّ هذا الخرق ، فإذا نار الخطأ شاعلة ، حتى أنه وصل إلينا كتاب من بعض أهل الارشاد ــ أمة البغى والفساد ــ كلام مزخرف وعليه من الحق مسحة وهو كما قال سيدنا الامام على كرم الله وجهه ــ كلمة حق أريد بها باطل .

وحاصل ما نبديه لكم وتنهيه إليكم أن حكومتنا حرسها الله حكمت حكما جازما على كلّ من ينتمى لجمعيــة الإرشاد ممن تلزمه الطاعة لنا بحقوق التبعية بإبطال هــذه الجمعية مع جميع فروعها ، وأن يرجعوا إلى متابعة السلف الصالح فى الأقوال والأفعال .

وكلّ علم أو عمل أتى به أحد كائن من كان غير ما مضى عليه السلف الصالح وما مشوا عليه ، فليس له قبول وهو ردّ عليه ومردود فى وجهه ، وليس لنا التفات إلى أحد ، ولا إلى قول أحد سوى ما درج عليه السلف الصالح من أهل جهتنا من العلوم والأعمال والنيات والاعتقادات ، و بحمد الله سيرتهم ليست خافية على أحد ، ومن زاغ عنها فهو سفيه بشاهد القرآن فى قوله تعالى : [وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ] .

وملة إبراهيم هى ما مشى عليها الحبيب الكريم كما أرشده إلى ذلك فى قوله : [أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] ، ومامشى عليه بعده ورثته ومتبعوه من حبائبنا من السادة آل أبى علوى ، والمنتسبين إليهم من المشائخ والمحبين وكتبهم وتراجمهم ، والتواريخ شاهدة وطافحة بذلك ، وليس على الحقّ غبار .

وحيث شهدت الجمعيــة الإرشادية على نفسها بلسان ساستها بأنها مضرّة على حكومتنا ، فقد حكمنا حكما صارما على كلّ من لنا عليه سلطة الولاية بالانفصال عن جمعية الإرشاد وفروعها ، امتثالا لقوله تعالى : [أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ] ، وقد صادقتنا على العمل بهذا الحكم حكومة السلاطين آل عبدالله الكرام .

فمن رجع وتاب وأقلع عما هو عليــه الآن من الاختلاف والأخلاق والشــقاق والافتراق ، وظهرت عليه آثار التوبة بسلوكه على ما كان السلف الصالح عليه من الاعتقاد والأعمال وانسلخ عن كلّ فرع من هذه الجمعية التى أوجبت للناس هذه البلية وصادقه على رجوعه حبائبنا فهو المقبول .

ومن بقي مصرًّا على ما هو عليه أو منضما إلى هذه الجمعية ، فالضرر واقع به وواصل إليه فى نفسه وأهله وماله وولده فى أىّ محل كان ، وكلّ آت قريب ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ، وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .

وليس خافياً علينا أن هـذا الخطأ والفشل والافتراق ، منشؤه جمعية الإرشاد ذات البغى والفساد ، بل هى بلشفيكية غير منظمة . وذلك محقق ومعروف لدى كل الناس ، فرأينا حسم المـادة بمحاربة هذه الجمعية ، وأن نرجع إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : [كُلُّ أَمْرٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ] ولا شك أن هذه الجمعية وفروعها مخالفة لهدى السلف الصالح المتبعين النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم ، مع كمال التحقيق للمتابعة بلا نزاع .

وكلّ ماتدعون أنه علم أو عقل واقتراح وهو مخالف لمـا مضى عليه السلف الصالح ، فلا بدّ أن يعود ضرره علينا وعلى أصدقائنا وعلى الأمة الحضرمية خصوصاً ، فأوجبنا الرجوع إلى طريقة السلف . وكلّ جمعية ليست مشتملة على ماهم عليه . وليس رؤساؤها وزعماؤها من أهل الفضل الثابتين على المنهج القويم ، فسيلحقها مايلحق الجمعية الإرشادية وأعضاءها .

وقد حكم نائب حكومتنا بدوعن على أهالى جمعية الإرشاد أصحاب الفساد بمـا حكم وهو بعض ممـا حكمنا به ، وسيكون أكثر ، وسنستأصل الحال والمآل إن بقي أحد منهم على طغيانه . ولابدّ أن يذوق الهوان ويدخل هو ومن والاه فى خبر كان ، والله تعالى يقول : [وَٱتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْـكُمْ خَاصَّةً] .

فمن بلغه هـذا البلاغ الرسمى وبقي على تماديه وعتوّه فسـوف يندم ولات حين مناص ، ولا تقبل فيه شفاعة شافع ، ولا يسمع منه الاعتذار ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال وبالله التوفيق .

السلطان غالب بن عوض القعيطى

المكلا تحريراً فى ٢٢ رجب الأصم ١٣٣٨

عريضة الارشاد للوزارة الانجليزية الخارجية

ولما رأى الإرشاديون أن العريضتين اللتين قدموها القنصلية الإنجليزية لم ينتج شيء منهما ، وأن التأشير على جوازات السفر لايزال محظوراً عليهم بعثوا عريضة طويلة إلى وزارة الخارجية الإنجليزية ، وهذا نصها :

« حضرة السيد الماجد الغنيّ بشمائله العالية وأياديه الفائقة ومنزلته الرفيعة فى العلم والأدب عن ترديد أساليب المدح والاطناب ، لا زال كعبة للآمال وملجأ لأولى الحاجات .

بعد تقديم مراسم السلام والاحترام ، وأداء الآداب اللائقة بالمقام ، نولى وجوهنا شطرك ، ونمدّ أيدينا إليك من هذه البلاد النائية ، مستغيثين بك ، ملتمسين من إنسانيتك المقدسة أن تمدّ إلينا يد المساعدة ، والاهتمام فى إنقاذنا من هذه الورطة الصماء التى لا طاقة لنا بدفعها ولا مسايرتها .

إننا من العرب المهاجرين من بلادنا حضرموت إلى جزائر الهند الهولندية لطلب المعيشة ، ولنا بها سنين طويلة حتى أصبحنا نعدّها وطناً لنا ، إذ بها أموالنا وذرارينا وجميع مقوّمات حياتنا ، والأمة الحضرمية على الإجمال سواء كانوا فى وطنهم أو فى مهجرهم عنصران كبيران . أحدهما يسمى بالعرف العام عندنا باسم المشائخ وهم أهل البلاد الأصليون ، ونحن المقدمون إلى جنابكم هذه العريضة منهم .

والعنصر الثانى يسمون بالعلويين ، وهم الذين نشتكى نحن منهم ونستغيث بكم من شرّ ما نتج من فتنهم وحيلهم علينا ، وهم ـ أى العلويون ـ قوم أجانب عنا ، هاجروا إلى بلادنا منذ قرون يدّعون الانتساب إلى علىّ بن أبى طالب ، وإلى نبىّ المسلمين محمد صلى الله عليه وسلم من جهة بنته .

إن حضرموت كانت ولا تزال بلاداً منقطعة عن جميع البلدان المتمدّنة والأمم الراقية ، وليس بها إلى الآن شيء من المعاهد العلمية ، ولا من المعامل الصناعية ، وأهلها ـ وهم آباؤنا ـ قوم بسطاء يميلون إلى البداوة ، وكان من أخلاقهم الفطرية المبالغة فى إكرام الضيوف وحسن الظن بمن يدعى الانتساب إلى أحد من الصالحين المشهورين ، وبالأولى إلى أحد الأنبياء أو الصحابة المكرمين .

فلذلك وجد هؤلاء المهاجرون منهم حفاوة واحتراما ، وفتحوا لهم بيوتهم ، وسهّلوا لهم طرق الراحة ، حتى اطمأنوا بها وتربعوا فى ربوعها ، ولما طاب لهم العيش وطال بهم المقام استمالهم الطمع ، فطفقوا يؤسسون فينا قواعد جائرة باسم الدين . كلها ترجع إلى تقديسهم وتأليههم وإذلال من عداهم ، وليست من الدّين الحقيق فى شيء ، ولا الدّين فى شيء منها .

فأوجبوا أوّلا على الناس تقبيل أيديهم كبيرهم وصغيرهم برّهم وفاجرهم ، بزعم أن الدّين أوجب ذلك لهم ، وقائلين للناس : إن تقبيل أيديهم يبرئ من البرص والجذام وجميع الأمراض العسرة ، ثم أخذوا يفسدون العقائد ويوجّهون الناس إلى عبادة قبور آبائهم ، بزعم أن بأيديهم قضاء الحاجات ، وبإرادتهم سعادة الدنيا والآخرة ، وأنهم أهل الكشف والكرامة والتصرّف فى الكون وأولوا الأمر والنهى على عالم الغيب ، وأنهم مطهرون غير مؤاخذين بما يرتكبونه من المعاصى كغيرهم ، وأن ذنوبهم صورية يجب أن تؤول بنقائضها مهما كانت .

ولما كان العلم والدين الحقيق يقاومان هذا المبدأ وهذا التأسيس ويناقضانه ، بدءوا أوّلا بقتل العلم وقلع جذوره من البلاد ، وتبديل معنى الدين الحقيق مع إبقاء اسمه وبعض صور مراسمه ، ولم يألوا جهداً فى تعمية القلوب وسدّ فرج الفكر بالخرافات ، حتى بلغ الناس درجة أنه إذا قال أحد: هؤلاء الناس أنا الذى بنيت السماء ، وأنا محيي الأموات ، وفى قبور آبائى خيول خضر ومدافع عظيمة يضربون بها جميع العالم لا يكذبونه ولا ينازعونه ، وبالفعل كان ذلك كله مع كونه يرتكب كلّ قبيح يخجل منه أسقط الساقطين .

إلى هـذا الحدّ كان مبلغنا من الجهل والسقوط ، وفى تلك السجون المظلمة كان محبس عقولنا وأفكارنا عدّة قرون بفضل مساعى أولئك الأولياء الذين يدّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه وصفوته من خلقه ، وأن جميع ما فى العالم مخلوق لهم ، وهكذا كانت مكافأتهم لنا ولآبائنا فى مقابل إكرامنا لهم وحفاوتنا بهم وفتح ديارنا لهم ولذراريهم وتقديسنا إياهم ، ولبثنا تحت هذه الأثقال سنين كثيرة ، ظانين أن خالق الكون هو الذى حكم علينا بهذا الحكم الجائر .

هذا صنيع المتقدمين منهم معنا من ابتداء القرن الحادى عشر المسيحى إلى أوائل القرن السابع عشر ، وبه ينتهى دورنا الأول معهم .

دورنا الثانى

من أوائل القرن السابع عشر كثرت ذرارى أولئك المهاجرين بيننا ، وتعدّدت فخائذهم ، وأخذت كل فخيذة منهم تسابق الأخرى فى الخرافات ، لتنال الرتبة العليا بين الناس ، وتختصّ بوفرة الهدايا والنـذور والجاه والفخفخة دون غـيرها ، ودخل بينهم التنافس ، فاستمال كلّ فرقة منهم قبيلة أو قبيلتين .

ثم أخـذوا يفتنون بين القبائل ويضربون بعضهم ببعض ، حتى استحكمت بينهم العداوة والبغضاء وصبغ أكثر تراب ذلك الوادى بدماء قبائله ، ففقد الأمن وخربت البلاد وضاقت المعايش ، ففرّ أكثر أهلها هاربين مهاجرين منها إلى البلدان القاصية عنهم كالهند وجزائر جاوا وسواحل أفريقيا طلباً للمعيشة والأمن ، ونحن المقدمون لهـذه العريضة إلى جنابكم السامى من جملة المهاجرين إلى جزيرة جاوا .

وبما أن العـلويين لا صنعة لهم إلا التحيل بالخرافات ، تبعوا المهاجرين منا إلى مهجرهم للتعيّش منهم والمحافظة عليهم من عدوة العلم والدين الصحيح ، وقد اتسـع لهم باب التدجيل والخرافات فى المهجر ، وقطعوا من ثمراتها قطوفاً دانيـة من الأهالى

الوطنيين المـاليزيين الذين بالجزائر الهندية ، لغرامهم بالمعنويات وجهلهم المطبق .

فبالغ العلويون هنالك فى تأليه أنفسهم وتقديسها وقدموا لهم أيضاً أيديهم وأرجلهم للتقبيل و بصاقاتهم للتداوى وقلامة أظفارهم لتحصيل الأرزاق والأولاد ، ثم أخــذوا يبيعون جنات الآخرة على الناس بالباع والذراع وتبدلت جنتهم بجنتين، فسكروا وطربوا وغنوا ورقصوا وتكبروا وتجبروا وتطاولوا على أعراض الناس وأموالهم بدرجات فظيعة حتى طفحت الكأس ، وغلت مراجل قلوب العقلاء منا .

و بينما نحن كذلك نئنّ من ثقل هـذه الآصار نكاد تميز من الغيظ ، فإذا بطالع السعود أخذ يبدو فى ربوع الشرق بواسطة الانقلاب الهـائل فى مجارى السياســة الشرقية فى أوائل القرن العشرين ، فحوّر كثيراً من سلوك الحكومات فى البلادالشرقية وخفّض وطأة القائمين على إبقاء ما كان على ما كان ، فانتشرت الصحافة وأصبح تناولها ممكناً للعموم وازداد عدد المتخرّجين من مدارس الحـكومة الهولندية وغيرها .

فأشرقت على الحارات فوانيس العـلم ، وأخذ الحقّ يسـطع شيئاً فشيئاً ، وتناول البحث أغراضاً كثيرة ، وتحوّلت فكرة المتعلمين من المـاليزيين عن موالاة العـلويين الذين كانوا يصدّونهم عن التعليم فى مدارس النصارى ، و يمنعونهم من التطبب عنـد حكماء الصليب ، و يحرّمون عليهم كلّ كتابة وقراءة سـوى هجاء بعض آى القرآن بغير فهم ، والمعالجة بغير لعاب الحبيب العلوى ، و يعدّون غــير الممتثل لأوامرهم مارقاً من الدّين الإسلامى .

وقد كانت مدينة سنقافورا هي المركز الأول لظهور الحرية الفكرية وخلع النير القديم ومكافحة الخطر الذى رمى بالحضارمة فى الهوّة السحيقة والسعى فى نشر العلم ، والمساواة بين الناس .

قد لعبت هاته المباحث دوراً مهمًّا فى النوادى العربيــة ، وأسّست لهـاته المناقشات صحف سيارة بعضها أسـبوعى و بعضها شهرى ، واشـتركت الصحافة المصرية فى هاته

الحركة ، وأيّدت حزب الأحرار الناهضين الذين يسعون لفتح المدارس النظامية ، وفك عقال الجمود وسلطة الآباء الروحانيين .

وبانتشار تلك الأفكار بسنقافورا ، وتداول الصحف لها ، تسرّبت تلك الحقيقة إلى العرب القاطنين بجاوا وما حواليها ، وأخذ الكلّ يبحث :

١ — لماذا نحن فى جهل ؟

٢ — لماذا نحن ننقسم إلى طبقات ؟

٣ — لماذا كان العلم محظوراً علينا دون غيرنا ؟

٤ — على أىّ شىء نحن نقتتل فى بلادنا حضرموت ؟

٥ — لماذا لا نحوّل وجهتنا هنالك بدل القتال إلى الأعمال النافعة ؟

٦ — لماذا لم تنل بلادنا نصيباً من الرقىّ كما نال غيرها من بلاد الله ؟

٧ — بأىّ طريق أم بأية كيفية نستحصل على حياة بشرية سعيدة ؟

٨ — وأخيراً ما هى الجناية ومن هو الجانى ؟

هـذه هى المواضيع والنقط الأساسية للبروجرامات التى أخذت تبحث فيها الفئة الجديدة ، بعد ما أيقنت أن التقاليد التى كانت تتبعها فى بلادها وفى مهجرها مستهجنة فى نظر الدّين الإسلامى وفى نظر المدنية الحديثة ، وأن المنازع القديمة ليست سوى خطة كان يعيش عليها البشر فى أوائل القرون الوسطى ، أو هى أشبه من الوجهة الدينية بخطة الإكليروس فى فرنسا فى القرون الغابرة .

لم تكن هاته الأبحاث بالتى تروق فى أعين خرافىّ العلويين طبعاً ـ كما لم ترق فى أعين الإكليروس من قبلهم ـ لأنهم كانوا يرونها قضاء نهائياً على عبادتهم من دون الله، ورأوا أن هؤلاء المفكرين أتوا شيئاً إدًّا وخالفوا الدين والشرع ، فشمروا لإثارة العامة والغوغاء ضدّ الأحرار ، فتارة يكفرونهم وأخرى ينسبونهم إلى الاعتزال وأخرى لتقليد الإفرنج والمروق مما كان عليه الآباء المقدّسون .

غير أن الثبات والتؤدة والسير فى نهج الحكمة والتدبير جعل الكفة الراجحة مع

الناهضين ، فقد دافعوا عن أنفسهم بواسطة النشرات والكتب والصحف مدافعة من يحبّ الخير لنفسه ولقومه ولدينه وللبشر أجمع، مدافعة بعيدة عن البذاء والفحش والهجر الذى لم يترك العلويون باباً من أبوابه إلا ولجوه فى نشراتهم وفى الصحف التى تنطق بلسانهم .

فانتبه كثير من أهل العقول الخاملة بواسطة البحث والمناقشة ، وأصبح حزب الحق يتزايد يوما فيوما ، وهنالك كانت الطامة الكبرى على العلويين ودخل فى سيرهم الارتباك ، فأغلقوا أبواب المعاهد الدينية التى كانت سلطتها تحت أيديهم ، وطردوا الأساتذة المنتصبين للتعليم رغبة منهم فى إطفاء الحقيقة وإيصاد أبواب التعليم كيفما كانت الحالة حتى تعود العقول إلى جمود وخمود أشدّ مما كانت عليه .

ولكن هيهات فقد انفكّ العقال وتبدلت الأحوال ، ولم يعد فى الوسع سجن الحقّ وتمويهه ، وقد تمكن الكل من معرفة طريق الدّين الذى كان وقفاً عليهم ، ولم يكن فى وسع السادة الوقوف فى التيار حيث انهار السيل وانفتح المجرى القاضى بازالة السلطة المقامة على الوهم والتضليل وجعل أراضى الجنة تحت إرادتهم يُقطعونها لمن شاءوا من عبّادهم المخلصين .

أثناء الحرب

الأساتذة الذين طردهم السادة من التعليم فى المعاهد الدينية لأنهم شاركوا الأحرار فى أفكارهم ، انضموا طبعاً إلى الأحرار واستمروا يعملون جميعاً على تهذيب الناشئة وتأسيس المدارس وتعليم من يوجد بين جدرانها حسب البرامج المقررة لها ، لا فرق فى ذلك بين الجاوى والعربى والسيد والشيخ .

والنتيجة الفائقة التى كانت تأتيها المدارس استلزمت الزحام على أبوابها ، فتطلعت رقاب الجميع إليها ، ولا ريب أن ذلك مما ينافى مصلحة السادة العلويين ، فكانوا يعقدون المجالس السرية والعلنية للبحث عن الطريقة الحاسمة للايقاع بالأحرار .

وقد اتخذوا فيما اتخذوا من الطرق الوشاية بالأحرار إلى حكومة هولندا ، ورفعوا لها تقارير منبئة بأن هناك يداً عاملة على إثارة البلاد ، ويتبرءون فيها سلفاً من العاقبة السياسية التي سيئول إليها أمر هؤلاء الناس إن تركت مدارسهم تفتح وجموعهم تجمع ، وغير ذلك من أمثال هاته الترهات التي اتخذوها ذريعة للتشفي .

وقد كانت الحكومة على جانب شديد من الحذر والاحتياط من هؤلاء الناس ، ولعلها لم تزل كذلك حتى الآن ، غير أنه ربما يكون قد خفّ عما قبل ، لأنها لم ترمن الأحرار إلا اعتدالا ، ومن المحافظين على القديم إلا التهوّر ، فطالما أسال العلويون دماء الأحرار بأنفسهم ووسائطهم ، فكان رائد الأحرار الصبر ومقابلة السيئة بالحسنة ، وصحبة هذا يصلكم منشور نشره حزب الأحرار أثر واقعة دموية صدرت من خرافيّ ضدّ حرّ .

إن العلويين فشلوا فشلا بيناً ، غير أن أملهم ورجاءهم لم ينقطع لأن حركات الاصطكاك لا تزال تبدو منهم ، كذنب الوزغة التي ينقطع ويستمرّ ينزو وينط .

نعلم ذلك ونتأكده حينما نراهم حوّلوا وجهتهم نحو الوكالات الإنجليزية بجاوا وغيرها ، متخذين المناوشات الدموية التي سالت في حضرموت بين قبائلها ذريعة للقضاء على الأحرار مؤسسي مدارس الإرشاد بجاوا ، بزعم أن تلك التحرّشات ناتجة عن إحساسات غير ودية ضدّ الإنجليز ، وقائلين إن جمعية الإرشاد مؤسسة لمعادات الإنجليز أو مساعدة الأتراك ونحو ذلك من الترهات .

هاته هي الطريقة الأخيرة التي التجأ إليها السادة العلويون الذين أخذ نفوذهم الديني يتقلص من الأفئدة ، حيث لا رجاء في تلبك سحابات الجمود على العقول التي ابتدأت تشرق عليها شموس المعارف .

إن هاته الخطة وإن تكن في نفسها قد ألحقت أضراراً جسيمة بالإرشاديين ، غير أنها في نفسها خطة غير منتجة وفكرة غير ناضجة ، وليست هي مما يعرقل سير الأحرار الإرشاديين ، بل ربما كانت من أقوى البواعث والعوامل على ثبات الأحرار

واستمرارهم على مبادئهم التى لا تخالف المبادئ الإنجليزية أو غيرها من الأمم المتمدنة فى شىء ، لأن أحرار الإرشاد ليسوا دعاة سياسيين ولما يصلوا بعد إلى هذا المنصب الخطير الذى أعطاهم إياه السادة العلويون .

ولكنهم دعاة اجتماعيون وعمال مصلحون يسعون لقلب حالتهم من التفرّق إلى الاتحاد ومن التقاطع والتقاتل إلى التواصل والسلم ، يدعون لعمارة البلاد ونشر العلم بين الجهال ، يسعون لنشر الفضيلة بين إخوانهم ، وهاته المبادئ التى لا بدّ أن تثمر ولا بدّ أن تنتصر ، وإن اعترتها فى أوّلها لطمات الأمواج وعواصف الرياح لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه .

نحن قوم ديننا الإسلام ، قمنا ندعو وننصح أنفسنا وإخواننا إلى تعلم الدّين الصحيح ، والمدنية الحقة ونرشدهم إلى طريقها ، لأن لعصرنا الحاضر مطالب غير مطالب العصور الغابرة ، قمنا نتنصل من الشكل الجامد الذى لا يفى بحاجة الزمان والوسط الذى نحن فيه ، وطفقنا نفتح المدارس ونعقد الجمعيات لمساعدتها لنلج بأنفسنا وقومنا جنات الحكمة والسعادة سعياً وراء الكمال ، وأصبحنا مدفوعين بشعورنا إلى طلب الارتقاء الأدبى والعلمى .

ومن جملة هذه الجمعيات العلمية جمعية عقدناها فى سنة ١٩١٣ مسيحية لفتح المدارس وتعليم أولادنا على القواعد الحديثة ، وسميناها : جمعية الإصلاح والإرشاد ، فتحنا بها مدارس لتعليم الدّين الصحيح و بعض العلوم المعاشية على نمط بروجرام مدارس الحكومة الهولندية الابتدائية .

ولما بذله معلمو مدارسها من الجدّ والاجتهاد وما أظهروه من النتائج الحسنة، تفرّعت مدارس الجمعية فى جميع بلدان جاوا الكبرى ، وصار لها الصيت البعيد بين الجمعيات والمعاهد العلمية والدينية ، وانهزم أمامها جنود التدجيل والخرافات ، فاشتدّ عند ذلك غضب العلويين الخرافيين على الجمعية وعلى معلميها ومؤسسيها ، وأخذوا ينفرون الناس عنها بأساليب مختلفة متناقضة .

فبينما يقولون لقنصل جنرال تركيا : إن معلمى الإرشاد ومؤسسى مدارسها من جواسيس الإنجليز ومروّجي سياستهم ، ويقولون للأهالى الوطنيين : إن هذه المدارس أسّست بأموال كنيسة روما لتنصير أولاد المسلمين ، فإذا هم يقولون اعمال الإنجليز إن هـــذه الجمعية متصلة بجمعية الاتحاد والترقى التى فى تركيا أو البلشفيك وشأنها تدبير الثورات فى البلاد الشرقية ضدّ انجلترا وحلفائها .

وبينما يشيعون فى جرائدهم أن هذه الجمعية مقامة لتفريق العرب والحضارمة بإبعاد من الحكومة الهولندية ، فإذا هم يقولون : إن معلمها الأكبر الشـــيخ أحمد بن محمد سوركتى هو ابن أخت المتمهدى السودانى ، يريد أن يقوم بثورة مهدوية ضد الحكومة الهولندية .

يرتكبون جميع ذلك لعلهم يتوصلون به إلى إسقاط الجمعية ومدارسها أو إلى الإيقاع بمؤسسيها ، والحقّ يشهد أن أهل جمعية الإصلاح والإرشاد برآء من كلّ ماينسب إليهم من قبل أولئك الخرّاصين المفتنين الكذابين .

ومن الغريب أن ترهات أولئك الدجالين التى لم تؤثر حتى فى الأهالى الماليزيين راجت عند عمال الإنجليز الذين نعدّهم فى أعلى طبقات الذكاء والتروّى ، فإنهم طفقوا يضغطون على أعضاء جمعية الإرشاد بمنع جوازات السفر ، وسدّ الطرق فى وجوههم بغير ذنب جنوه ، ولا غلطة ارتكبوها نحو حكومتهم ، تصديقاً لما قدمه العلويون لهم بغير تحقيق ولا تنقيب ظانين أنهم أعداء لهم .

وكلما سألنا قنصل جنرال بريطانيا الذى بيتافيا عن ذنبنا ، قال فى الجواب : أنتم أدرى بأغلاطكم ، وكلما كتبنا له تقريراً لم يعره لفتة اعتبار ولا بحث ، فاجتمع إليه أغنياء الجمعية وقالوا له : إنا مستعدّون أن نضع أموالنا وأولادنا تحت ضمان الحكومة البريطانية حتى تحقق عن صدقنا ، ونحبّ فى مقابلة ذلك أن ترفع عنا الحجر وتعطينا جواز السفر لمن يريد الذهاب أو الرجوع إلى بلاده فلم يفعل ، فاحتار الناس من ذلك الظلم الأصم الذى لا مفتاح له .

كل ذلك مبنيّ على ثقته بأولئك الأعــداء وتصديقه بما يقدمونه إليه من التقريرات بغير بحث ولا تحقيق ، وهذا الأمر إن دام فلا شك أنه يضرّ بالحكومة البريطانية أكثر مما يضر الإرشاديين ، لأنه يغرس بغض الحكومة فى قلوب الناس ويمثل الحكومة فى أعين الناس بمثال الظلم والجور والسخافة والحمق زيادة على الإضرار بهؤلاء الأبرياء الذين لا غرض لهم من الجمعية إلا تعليم أولادهم .

ولا قدرة للارشاديين على أكثر من أن يقولوا: إننا أبرياء من السياسة ومن كلّ عمل ضدّ الإنجليز وضدّ الحكومات ، وإنا مستعدّون أن نضع أموالنا وأولادنا رهناً عند الحكومة حتى تحقق فى أمرنا ، لا نظنّ أن فى طاقتهم أكثر من ذلك .

فإذا كان هـذا لا يكفى ، فماذا عسى أن يفعله الإرشاديون لحلّ هـذا الطلسم العجيب الذى عقده المفتنون فى أدمغة عمال الحكومة البريطانية ؟ وإذا كانت الحكومة البريطانية التى نعدّها ناشرة العلم والمدنية تسعى فى إسقاط مدارسنا بالضغط على المنضمين إلى هذه الجمعية ــ وهى الجمعية الوحيدة فى نشر العلم بيننا ــ فمن الذى نرجوه لنصرة الحقّ والمساعدة فى نشر العلم والحرية .

إننا والله نستغرب غاية الاستغراب فى كون مكيدة المفسدين التى انكشف أمرها عند جميع رجال الحكومة الهولندية وجميع رؤساء الأهالى الوطنيين لم يدركها عمال الحكومة البريطانية المشهورون بالتروّى والبحث ، حتى بلغ بهم الأمر إلى هذا الحدّ الذى يسيئ السمعة ويخجل المدافع عنهم ، اللهم إلا إذا كان هناك غرض سياسى آخر يريدون التوصل إليه بتضحية هؤلاء الأبرياء المساكين ، مع العــلم ببراءتهم ، فلا علم لنا به .

والذى نظنه أن عمال الإنجليز الذين فى جهتنا فهموا أوّلا غلطاً وخطأً بسبب ثقتهم بأولئك المفتنين الذين أظهروا لهم الإخلاص للتوصل إلى أغراضهم ، ثم قدموا للحكومة تقريرات مبنية على هـذه الأوهام التى تلقوها من زعماء الفتنة ، ثم لما ظهر لهم الحقّ وفهموا الحقيقة خافوا على مراكزهم ، وأبت نفوسهم تكذيب ما قدموه من التقريرات ، فتعصبوا لها وأخذوا يطلبون لها الشواهد والمؤيدات بواسطة الضغط والإرهاب ولو كان

ذلك مضرًّا بالحكومة ومسيئاً بسمعتها بين الناس ، ومهلكاً لألوف من الأبرياء ، كل ذلك يحتمل ، لأن الشواهد التي يتوكئون عليها لا تساوى شيئاً فى الحقيقة إذا كانت هى على ما نعلم .

وهاك خلاصة ما نعلم مما يسمونه حججاً على الإرشاديين :

الأول : إن القنصل التركى بعد أن كان عدواً لمعلم الإرشاد ـ الأستاذ الشيخ أحمد ابن محمد سوركتى ـ وكان ممن يحذرون منه الناس ، بزعم أنه من جواسيس انجلترا أو مروّج للسياسة الإنجليزية ، ثم ظهرت له براءة الجمعية والمعلم من كل سياسة ، كما ذكرناه سالفاً ، أراد أن يمسح هذه الغلطة التى صدرت منه ، فحضر محفل امتحان تلامذة جمعية الإصلاح والإرشاد مرّتين فى ضمن مئات من الأهالى والعرب والهولنديين ورجال الحكومة المدعوّين للحضور ، وحضر مرّة ثالثة افتتاح إحدى مدارسها من جملة الناس بدعوة فرد من أعضاء الجمعية ، هذا أعظم شواهد تهمة الجمعية بالسياسة .

الثانى : قد وصل قبل عامين مركب مخرق من مراكب الجرمن إلى تانجوغ فريك ، مرفأ بتافيا ، فنزل لرؤية هذا المركب المكسر ألوف من الصينيين والأوروباويين والأهالى للفرجة ، وكان من جملة المتفرجين واحد من أعضاء جمعية الإرشاد ، فحفظ ذلك الشخص الواحد من بين تلك الألوف وجعل حجة على أن جمعية الإرشاد جمعية سياسية مقامة لمساعدة الجرمن أو البلشفيك أو الاتحاديين ، ونُزّل ذلك العضو الواحد منزلة الجمعية ، على أنه ليس من أعضاء الرئاسة ولا من المستشارين فى مجلس الجمعية .

هذا أهمّ ما نعلمه من الأغلاط المنسوبة إلينا ، وربما تكون هناك أكاذيب ملفقة لا علم لنا بها ، ومن أغرب ما يطرق سمعكم الواعى ما سمعناه من قنصل جنرال بريطانيا الذى وصل إلى بتاوى فى هذه الأيام ، فقد أرسل إلى رؤساء جمعيتنا العلمية رسالة شفهية مع حضرة الفاضل الدكتور سخريك مستشار الحكومة فى الشئون العربية ، مضمونها ما يأتى :

قال له حينما سأله عن سبب ضغطهم على الإرشاديين هكذا :

إنى لا أعلم شيئاً من حال جمعية الاصلاح والإرشاد وأهلها ، ولكنى وجدت فى ديوان القنصلاتو أوراقاً كثيرة تدلّ على أن هذه الجمعية سياسية ضدّ حكومة الإنجليز ، تباعا لذلك فإنى أعد هذه الجمعية كما يقال عدوّة لنا ، وعليه فإن كان أهل الجمعية يحبون أن نسّهل عليهم جوازات السفر ، فليفعلوا ثلاثة أمور ، وهى كما يأتى :

أولا : أن نكتب له كتابا مضمونه أننا لا نقاوم الحكومة البريطانية ولا نسائر شيئاً من الجمعيات التى تطالب فى مسألة الخلافة الإسلامية ، وأننا نصادق الحكومة ونوافقها فى جميع الأمور التى لا تخالف قوانين هولندا .

ثانياً : أن نحلّ ونبطل جمعية الإصلاح والإرشاد بتاتاً ، ونوكل أمر مدارسها وماليتها بعد إسقاطها إلى أشخاص يوافق هو عليهم .

ثالثاً : إسقاط شركة جريدة الإرشاد .

هذا ما بلّغنا عنه الدكتور سخريك ، وقد أجبنا على الأمر الأوّل بأننا ما قاومنا الحكومة البريطانية قط قبل اليوم ، وليس لنا أدنى نية على مقاومتها بعد اليوم بوجه من الوجوه ، وأننا لم نساعد عليها أحداً قط فيما مضى ، كما أننا لا نساعد عليها أحداً بعد اليوم ، ولا نضمر لها عداوة فى المستقبل ، كما أننا لم نضمر لها عداوة فيما قبل ، وأننا موافقون لها فى كلّ أمر لا يخلّ بشرفنا ، ولا يضاد ديننا ، ولا يخالف شيئاً من قوانين حكومة هولندا التى نحن اليوم فى معيتها .

هذا جوابنا له عن الأمر الأول . وأما أمر حلّ الجمعية وشركة الجريدة المذكورتين ، فإننا أجّلنا الجواب عنهما حتى نعلم مصدر هذا ، هل هو من شخص حضرة القنصل جنرال ، أو هو من الحكومة البريطانية ؟ وإليك طىّ هذا صورة الجواب الذى قدمناه إلى القنصل بنصه ، مع صور بعض التقريرات التى قدّمها الإرشاديون أيضاً إلى هذا القنصل وإلى الذين من قبله .

وعلى كلّ حال فنحن لم نفهم إلى الآن ماذا يستفيد القنصل جنرال أو الحكومة البريطانية من إهانة أعضاء جمعية الإرشاد إلى هذه الدرجة ، وتشميت أعدائهم بهم ،

وقتل نهضتهم العلمية بدون ذنب يعلمونه من أنفسهم ، فإذا كان أعضاء الإرشاد أعداء للحكومة البريطانية كما يزعم أولئك المفتنون ، فهل تحسن سمعتهم عند الحكومة بحل الجمعية ويكونون أصدقاء بتعنى الكلمة بهذه الطريقة بدون أن تثبت براءتهم أو جنايتهم ؟ .

وهل من مصلحة الحكومة البريطانية أن يتكلم الناس ومعهم الشواهد بأنها عدوة العلم والتعليم ؟ أو يسر الحكومة أن تكثر أعداءها ويعدها المسلمون عدوة لدينهم ، ويتخذون معاداتها لمدارسهم وجمعياتهم العلمية والدينية شاهداً على ذلك ؟ ولا ندرى لماذا لا تعرّف الحكومة الإرشاديين بخطئهم ، حتى يكونوا مؤاخذين بذنوبهم على رءوس الأشهاد ان كان لهم خطأ معقول ؟ .

والخلاصة أننا مظلومون من العلويين أولا ، ومن عمال الحكومة البريطانية الذين بجاوا وسنقافورا ثانياً ، حيث صدقوا فينا كلام أولئك الدجالين المفتنين بغير تحقيق ، وضيقوا على أعضاء جمعيتنا السبل ، ومنعوهم جوازات السفر ، وعدوهم أعداء للحكومة البريطانية بدون ذنب جنوه ولا غلطة ارتكبوها نحو حكومة بريطانيا العظمى .

ونطلب باستغاثتنا هذه من انسانيتك المقدسة أن تبلغ صوتنا لأهل الحل والعقد من رجال الحكومة المنصفين ، ليرفعوا عنا الضغط ويعاملونا معاملة الأصدقاء الأبرياء ، لأننا برآء من كل عداوة للحكومة البريطانية كما أننا برآء من معاداة أية حكومة ، ومن التداخل فى أية سياسة دولية ، وإن كان لديهم شبهات تدل على نقيض ما ندعيه ، فليبارزونا بها بكل صراحة حتى نمحصها ليحق الحق ويبطل الباطل بالنقد والتحقيق .

وليس لنا أكثر من أن نقول لجنابكم إن آمالنا قد انتهت إلى ساحتكم الرحيبة ، ولنا الثقة التامة فى شريف إحساسكم أن لا يهمل أمر من عوّل عليه واستغاث به .

وفى الختام دوموا محفوفين بكل ما خصكم الله به من الفضل والشرف والسعادة فى لطف وعافية .

أعضاء ادارة جمعية الاصلاح والارشاد العربية

بتافيا جاوا

ولقد أثمرت هذه العريضة التى بسطت للانجليز مبادئ جمعية الإرشاد ، وأظهرت أعمال العلويين ضدها ، فقد رفع عن الإرشاديين الخطر وزال كلّ تضييق وتشديد من لدن الحكومة الإنجليزية الأمر الذى جعل كثيراً من الحضارم ينضمون إلى حزب الإرشاد ، ويرسلون أبناءهم إلى مدارسها .

أسطورة منسوبة إلى جمعية الارشاد

واجتمع فريق من آل باعلوى وكتبوا قانونا مكوّنا من ٣٣ مادة وادّعوا أنه قانون الإرشاد ونشروه بين الناس فى جاوه ، وبعثوا نسخة منه إلى السيد حسين حامد المحضار وزير الحكومة القعيطية بحضرموت لإشعال نار الحقد فى قلبه ، وإضرام البغضاء على الإرشاديين كى يزداد فى اضطهادهم والتنكيل بهم .

ولكن إدارة الإرشاد اجتمعت بدارها يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ ، ونشرت منشوراً تكذيباً لذلك القانون ، وهذا نصّ المنشور :

براءة

من إدارة جمعية الاصلاح والإرشاد العربية

قرأنا فى جريدة بورو بودور عدد ٥٣ مقالا مرسلا من بعض الكذابين من أعداء الإصلاح والإرشاد ، يزعم مرسله فيه أنه أسرار جمعية الإرشاد فى قالب محاورة ، وأنه وجده فى أوراق الشيخ محمد عبود الذى كان الكاتب المعتمد بجمعية الإرشاد سابقاً ، وركب هذا الكاتب أكذوبته المفضوحة على ثلاثة وثلاثين فصلا كما رآه القراء .

ولكونها ظاهرة البطلان والافتراء عند من له أدنى بصيرة أو أقلّ ذوق من الناس،

قد كنا عازمين على أن لا نكتب سطراً فى تكذيبه ، ولكن أشار علينا بعض الفضلاء بتكذيبه رسميًّا ، نظرا لحال الوسط ، وعليه فإننا بصفتنا مديرى هـذه الجمعية نعلن على رءوس الأشهاد براءة جمعيتنا جمعية الإصلاح والإرشاد العربية من كلّ ما نشر فى تلك المقالة .

ونعلن أيضاً أنه ليس لجمعيتنا أسرار ولا قوانين سوى ما فى قانونها المطبوع المنشور المصادق عليه من معتمد الحكومة الهولندية ، وأنه ليس لجمعيتنا غرض ألبتة سـوى تعليم الدّين الإسلامى ، ونشر اللغة العربية ، والعلوم الحيوية النافعة للعموم ، وأنه ليس لجمعيتنا تداخل فى سياسة أية حكومة من الحكومات ، ولبيان ما ذكر حرّر هـذا بتاريخ ١٨ جولى سنة ١٩٢٢ .

الرئيس	السكرتير
سالم بن عمر بلفاس	عبد الله بن عقيل باجرى
المستشار	أمين الصندوق
على بن سعيد بن مغيث	عبد الله بن عبد القادر بن هرهره

مساعى الشيخ محمد المحضار ضد الارشاد

كان لهذا الشيخ نفوذ واسع وجاه عظيم ، وكانت سلطته الروحية على يافع قوية ، وسلطانه عليهم كبيراً ، وكان يافع قبل انضمامهم إلى جمعية الإرشاد يشعرون بالعبودية له ، ويعدّون أنفسهم كالأرقاء يتصرّف فيهم كيف شاء ويديرهم أنى أراد ، وكان فى أوّل أمره بمعزل عن أعمال قومه ضدّ الإرشاديين لأنه كان يعلم يومئذ أن المقاومين من

عشيرته العلويين للارشاد إنما هم من غيرذوى المناصب[1] الكبرى بحضرموت، ففضل القبوع فى بيته وعدم التدخل فى النزاع والخلاف ، ولكن استطاع الشيخ محمد بن عقيل العلوى الذى قام بقسط وافر لإشعال الفتنة وإضرام الفرقة أن يجذبه إليه وينزله إلى الميدان ، ولقد خرج المحضار من مخبئه ، وأبدى نشاطاً كبيراً تحمده عليه عشيرته ، وبذل جهوده لتنفير يافع عن جمعية الإرشاد ، وإقصائهم عن الانضمام فى صفوف الإرشاديين مستعملا لذلك نفوذه وجاهه العظيمين ، كان يبعث لشيوخ يافع وأعيانهم رسائل ينصحهم فيها عن الانضمام إلى الإرشاد ، ومن تلك الرسائل كتابه الذى أرسله للسيد علىّ بن حسن بن النقيب ، وهذا نصه :

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، ونهدى السلام التامّ الخاصّ بعد العامّ للشيخ المكرّم والمحبّ المحترم علىّ بن حسن بن النقيب ، وعلى من بقى له اتصال بالحبيب ، والشيخ مولى الكثيب ، وأما من خرج عن دائرة أهل البيت فيأكله الكاب أو الذيب ، وماله فى الآخرة من نصيب ، وكتاب الشيخ على وصل وفرحنا به ، وزواج الأولاد صالح وصالح مبارك وقدوم إلى خير ، وودنا أن نرسل واحداً من الأولاد ، ولكنهم معذورون ، وبالنية حاضرون .

والسلام سلموا على الخال طالب عوض ، وسمعنا بعزمه للحجّ والزيارة وربح التجارة ، فرحنا له ومنّ الله على الجميع ، والسلام منا ومن الأولاد عليكم ولأهل الوداد ، أما أهل

---

(١) المناصب : جمع منصب ، وهو صاحب النفوذ الروحى العظيم ، وتنحصر المنصبة فى حضرموت فى أربع طوائف من آل باعلوى ، وهم آل الشيخ أبى بكر ، ومنهم المحضار نفسه ، والعيدروس والحبشى والعطاس ، واستطاع المناصب بدهائهم أن يستندوا على القبائل ذات الشوكة والقوّة ، فآل الشيخ أبى بكر استندوا بيافع ، وآل الحبشى بآل كثير ، والعيدروس بتميم ، والعطاس بالجعدة ، ولذلك كانت لامتيازاتهم الدرجة الأولى ولمقامهم السّماك الأعلى ، ولقد دبّ التنافس فى قلوب غير أصحاب المناصب من العلويين ، فعملوا للوصول إلى تلك المنزلة العليا فلم تساعدهم الظروف ، وحاول بعضهم وفى مقدّمتهم علوى بن طاهر الحداد ، ومحمد بن عبد الرحمن بن شهاب ، ومحمد بن عقيل أن يقضوا على ذلك النفوذ فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا .

الإفساد فلهم الإبعاد أشدّ من بعد عاد ، والمولى بالمرصاد ، والشفيع سيد الرسل يوم التناد ـ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ـ

وبلغنا أن الإمام مجهز على يافع ، ولا يصلح الأمر ويطفى الجمر ، إلا الأخ محمد ابن عليّ الحبيد ، لأن الإمام يكاتبه ويافع قدهمّ حقه ، إن بغيمتوه ، يعزم أجمعوا على الذى يليق به من الخرج والفتح على يده ، وخبر الإمام واجب الانتباه له ، لأن الأمرُ مهمّ جم جم ، ومعه قصد ، لايقدرون يافع ولا غيرهم يقاومونه ، وهو هزم التركى وهو دولة كبيرة ، والله يختار ؟

الداعى

محمد بن أحمد المحضار

حرّر فى بندواسا ٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٨

وبعث رسالة أخرى لكافة يافع فى بومى آيو « كليران » ، وهذا نصها :

الحمد لله ، ونسأله بالاسم الأعظم ، والحبيب الأكرم ، صلى الله عليه وسلم ، ومحبهم يغنم ، تخصّ المحبين بنى مالك ، ولا يزالون ملوك الممالك ، ما زال الكلّ فى مسلك المصطفى سالك ، والشيخ أبو بكر ضمين لهم بذلك ، وفوق ما هناك ، ونهدى السلام للجميع ، ونخصّ منهم الشيبان والشبان .

جاء العزم إليكم بعد مولد ربيع الأوّل ، الحذر شىء يدخل عليكم مما دخل على كثيرمن أهل الزمان ، الذين استحوذعليهم الشيطان ، وخرجهم من الأمان ، وسيخرجهم من الإيمان .

بلغنا أنه وصل عندكم باعشر[1] عشير العشير ، وحمار الحمير ، وخنزير الخنازير ، قطبوا حبله وسعفه بالنكير ، وخبث الحديد ما يصفيه إلا الكير ، وشنوا النكير ، وإن بلغنا دخول شىء المكان ، تركنا كليران ، والله المستعان ؟

محمد بن أحمد المحضار

(١) هو من أوائل المحبين لدعوة الإصلاح ومن أكبر القائمين بفرع الإرشاد بمدينة تقل .

ولكنه لم يستطع مقاومة تيار النهضة الفكرية ، فلم تؤثر رسالاته فى يافع ولم يقيموا لكلامه وزناً ، ولا لترغيباته ثمناً ، ولا لترهيباته قيمة ، بل بالعكس كانوا يضحكون من عقليته ، ويهزءون برسائله كلّ الهزؤ ، وأقاموا فرحاً للارشاد فى يومى آيو .

وفى الوقت نفسه كان يرسل كتبه لوزير الحكومة القعيطية ولوالى دوعن ليضيقا الخناق على الإرشاديين ، وقد قاما بقسط كبير من الاضطهاد ، وأخذ باصرّة والى دوعن يقاوم فكرة الإرشاد بكلّ قوّة ، ويضطهد الإرشاديين وأقرباءهم أشدّ الاضطهاد ، وليس لهؤلاء ذنب اجترحوه سوى أنهم قالوا أو يريدون أن يقولوا للناس : إن المسلمين إخوان لا فضلَ لعربىّ على عجمىّ ولا لأبيضَ على أسود إلا بالعلم والعمل الصالح ، ولا جريمة ارتكبوها سوى أنهم أرادوا ترك تقبيل أيدى العلويين ونبذ العزائم والتمائم التى كانوا يعتقدون أنها تنفعهم من دون الله ، ولكن باصرّة والمحضار عدّا ذلك جريمة يعاقب عليها الإرشاديون . وإنا أت هنا برسالة بعثها أحد المضطهدين بدوعن لأخيه الإرشادىّ بجاوه يسأله الانسلاخ من حزب الإرشاد ليرفع باصرّة عنه العذاب ، وهذا نصّ الرسالة باللغة العامية :

الحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

إلى جناب الأكرم المكرّم المحترم العزيز الأخ سالم بن أحمد بن عمر بامصفر ، سلمه الله تعالى آمين .

وعليه منا السلام وأزكى التحية والاكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام ، صدر المرقوم من قيدون والعلم خير ولطف وعافية ، نرجو الله الكريم أنك وكافة المعارف بخير وعافية .

قد سبقت بايلك جملة كتب وفيها من الحقائق كفاية ، وعرفناك أن نحن بغيناك تخرج من هذه الجمعية ، الله الله لحيث المشقة ظاوية علينا فى لرض وقد وصّا لنا المقدم وبتينا إلى عنده وعطا نحن مهله يلما شهر شعبان ، من خرج من هذه الجمعية يخبر الحبيب

محمد بن أحمد المحظار ولعاد عليه شى ، ومن لا خرج بايوصى المقدم لأهله ، وأنت نضرك ، الله الله فى الجواب مطلوب .

ولنا مدة من كتبك ، لعلّ المانع خير ، ومن شان لرض وأخبارها وأسعارها بلسن الواصلين يليكم كفاية ، الله الله فى الكتب مبادرة شفها باتقع عقو به ، الله الله ، وأما فينا معاد تحتاج وصاه ، والسلام .

وسلم لنا على المعارف الجميع خاصّ العم أحمد باعبود بلخير وأولادك عمر وأحمد وكريتهم ، ومن عندنا يسلمون عليك أعمامك وكرايمك والولاد عمر وكرائمه فاطمه وعيشه ، وخصّ نفسك منا بألف سلام ، ومن راقمه محمد بن أحمد بلخير .

طالب الدعاء أخيـــــك

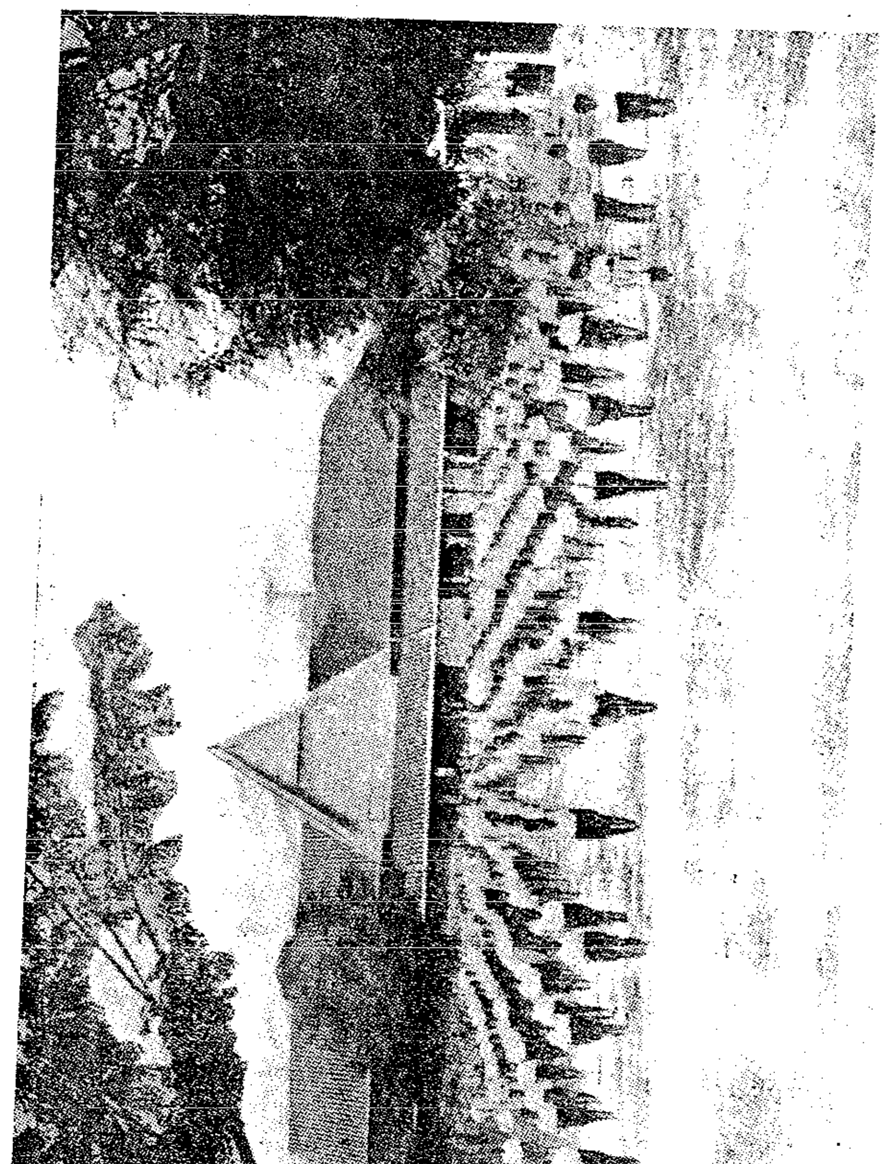
محمد بن أحمد بن عمر بامصفر

حرّر فى ١٢ ربيع الثانى سنة ١٣٣٨ .

اتساع نطاق دعوة الارشاد

لم تكن دعاية جمعية الإرشاد قوية عنيفة ، ولم يجهد الإرشاديون أنفسهم لنشر مبدئهم ولم يلجئوا كثيراً إلى الفكر والقلم للبرهنة على صحة عقيدتهم وصلاح وجهتهم ، ولكن الحضارم من أكثر الشعوب استعداداً للحرّية ، وأسرعها إدراكاً للآراء والأفكار الحرّة ، وكان ضغط ذوى السلطة الروحية على الحضارم شديداً ، واستعبادهم بالغاً حدًّا كبيراً ، فلا غرْوَ إذا هرع كثيرون منهم إلى نداء الحرّية ، وأجابوا دعوة الحقّ مهطعين .

خطت الإرشاد خطوات نحو الأمام وسط تلك الزوابع والأعاصير التى أحدثها العلويون ، وشقت لها طريقاً فى أرجاء جاوه بالرغم عن تلك العقبات والعراقيل التى خلقها هؤلاء ، ومن أكبر فروع الإرشاد التى أقيمت فى غير مدينة بتافيا فرعا فكلوغن



مدرسة الإرشاد بمدينة سرابايا وأمامها فريق من تلامذتها

وسرابايا ، وقد قام بأعظم قسط فى تكاليف مدرسة الإرشاد بفكلوغن السادة آل عرقبى

فقد تبرّع السيد سعيد عرقبى وأخوه السيد صالح عرقبى بدار واسعة المدرسة ، أما فرع سرابايا ، فهو أكبر فروع الإرشاد فى جزائر الهند الشرقية ، وحيث ان سرابايا أعظم مدينة فى جاوه بعد العاصمة بتافيا ، وتعدّ أكبر معقل للعلويين ، فإن افتتاح فرع للارشاد فيها بمثابة قنبلة عظيمة ألقيت على هؤلاء ، ولقد قام بأكبر قسط من تكاليف مدرسة الإرشاد بسرابايا حضرات الأفاضل شيخ الإرشاديين السيد ربيع ابن طالب ، والسيد عثمان بن محمد العمودى ، والسيدان أبو بكر باشراحيل وأخوه سالم والسيد سالم باشميله ، والسيد سالم بن نبهان ، فقد تبرّعوا بأكثر من ثلاثين ألفاً من الروبيات ، وأوقفوا هذا المبلغ للمدرسة .

الرابطة العلوية

ومن البديهى أن تدبّ الغيرة فى قلوب آل باعلوى ، وتشتعل الحماسة فى نفوسهم مما يرونه من تقدّم مبدأ الإرشاد وانتشار دعاتها وتعدّد فروعها ، فأنشأ جماعة منهم وحدة علوية سموها « الرابطة العلوية » لتوحيد جبهة آل باعلوى وجمع كلمتهم ، كى يستطيعوا القيام بالمحافظة على مركزهم الذى أخذ ينهار ويتمكنوا من مقاومة تيار النهضة الفكرية الحرة الذى أخذ يندفع بعنف نحو الأمام ، ولقد بذل الشيخ علوى بن طاهر الحداد ، والشيخ محمد بن عبد الرحمن بن شهاب كلّ مقدور ، واستطاعا بما أوتيا من ذكاء ثاقب ، وفكر بارز ، وقلم نافذ أن يصلا إلى ذلك الغرض ، فأنشئت الرابطة العلوية فى بتافيا وانضمّ إليها كثيرون من آل باعلوى وأقيمت فروع لها فى كثير من بلدان جاوه وتجمع لديها مال ، فأصدرت مجلة باسمها ، وانتعشت جريدة « حضرموت » على حساب الرابطة ، فاستأنفت هذه الجريدة حربها على الإرشاد من جديد ، أما مجلة الرابطة فكان موقفها أشبه بموقف المحافظة على كيان آل باعلوى من الانهيار والحريصة على بقاء امتيازاتهم كما كانت قبل الإرشاد . وكانت الرابطة فى بادئ بدء تضمّ كثيراً من غير ذوى المناصب من آل باعلوى ثم انضمّ إليها أفراد من أهل المناصب

الذين جنحوا للتنازل من عليائهم إلى صفّ آل شهاب ، وآل باعبود ، وآل جفرى ، وابن يحيي وغيرهم بدافع العصبية ضدّ الإرشاد ، ولـكن آل الحبشى انسحبوا من الرابطة بفضل الجهود التى بذلها أحد رجالاتهم ، وهو السيد حسن بن جديد الحبشى ، فقد بعث كتباً إلى عشيرته آل الحبشى يستحثهم فيها على الانسلاخ من الرابطة العلوية وعدم التدخل فى النزاع القائم بين الحزبين ، وهذا نصّ إحدى رسائله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل : [يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ] ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

حضرات السادة الـكرام الإخوان : سالم بن طاهر وعيسى بن عبد الله آل أحمد ابن زين الحبشى ، داموا أعزاء آمين .

سلاماً واحتراماً عليكم ورحمة الله وبركاته ، نرجو الله أنكم بخير وعافية كما نحن كذلك .

وبعد ، فقد وصلنى كتابكم المؤرخ ٧ من شهر أقوستس ١٩٣٢ (١) وعرفت كلّ

---

(١) هذا نص الرسالة بالعامية : تانه ابغ فى ٧ اقوستس ١٩٣٢

الحمد لله وحده ، جناب المـكرّم الأخ حسن بن جديد بن عيسى بن أحمد الحبشى المحترم شريف ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نرجوكم بعافية ونحن بأتمها موجبه سيدى نعلمكم بأن نحن اطلعنا على كم عدد فى الهدى وعلى بعض من جرائد الملايو مثل بنتغ تيمور وغيرها لـكم ينسبون مقال كثير أن دهشت عقولنا ، وجادلنا من جنابكم وفيما بعد أخذن نحن الشك لأنه ماهو فى عدد واحد ، والآن يا أخى إذا كان حقيق على موجب ماسطرته أوراق الخبر ، فالمراد منك إذا ماوصل منك جزاء لأهلك طيب لعاد يكون منك سوء إذا كان حقيق إنما نحن مانظنّ فيك إلا بكلّ خير لحيث أن نحن يالاحمد بن زين واسطه بين الناس ، ولايظهرمننا الا كلّ زين ، وأهلنا من قاموا مابد أحد ذكرهم بسوء وأنت يا أخ حسن اذا ماهو منك وذلا يسبون اليك أفدنا ، فلا ربما انك ما انت دارى بالقذف الذى على جدودك فى أوراق الخبر التى بالملايو ، ولوهى الا بالعربية عاد فيها ، وأما اللاتينية كاين يقراها فرنج وشينه وملايو وغيرهم ، ولو اردت نحن نرسل لك عدد من ذلك لشان تصدق لقولنا وما ألقوه فينا وفى اجدادنا الاشارة بإرسلها ، وهذا جعلناه بداعى ماذكر أعلا والحليم فهيم ولا كتبنالك هذا لامن جور مانسمعه ويسندون اليك شقّ علينا جم يومك خونا ولاهو سوى نكون قدوه فى هذا الـكلام وانه تزوروا عليك ماقالوه كذب حسبهم الله السميع العليم ، ودمتم بعافيه والسلام ؟ اخوانك

عيسى وسالم الحبشى

ما احتواه من أوّله إلى آخره - ويسرّنى أن أعلن لكم فرحى وسرورى به غاية ، لأنه برهان ناصع ، ودليل قاطع على ما بيننا من الأخوّة والمحبة والمودّة - (بقطع النظر عن ما فيه) ، فشكراً لكم على قيامكم بذلك الواجب الذى يجب أن يصان (للحقيقة والتاريخ ؟) ، ثم تبين لى منه أنكم فى شك مما خطته يمناى ، فثقوا وتأكدوا واعلمو علم اليقين أن ذلك كله منى أنا نفسى وذاتى « حسن بن جديد الحبشى » ، وإننى قلت ذلك وأنا فى حالة الصحة والعافية . . . .

ثمّ إن كلّ ما هنالك ليس هو إلا مواعظ باهرة ، وآيات رائعة ، وعبر رائقة ، « ولكن لا تعلمون » ، فعيدوا الكرّة إلى ماجاء فى مقالاتى فلا شكّ أنكم ستجدونها (حِكما) لا غير . . . فقط ما عليكم إلا أن تتجرّدوا عن الأهواء والأغراض المصادمة للحقة ، فإن ذلك أحرى بكم وخير لكم إذا أردتم الحقّ . قلتم إنكم جادلتم فينا لكتابتنا تلك المقالات ، فهذا الجدال نشكركم عليه ، وإن كان ليس فى محله لأننى أنا الكاتب لا غير . . . وأنا إذا كتبت لم أكتب وأنا بين لجج من التعصب ، فحاشا علىّ بل إننى أتجرّد عن كلّ عاطفة شخصية . . . أنا إذا كتبت ما أكتب وأنا راج شيئاً لامن قومى (العلويين) ولامن الإخوان الإرشاديين (معاذ الله) لأننى ماأبيع ضميرى مثل بعض الخونة ؟ . . . بل إننى إذا كتبت أكتب بالقسطاس المستقيم بدون ميل إلى حزب من الأحزاب ، أو تحزّب لفئة من الفئات سوى أننى متحزّب إلى « الحقة » ومتعصب « للحقّ » وناصر « للحقّ » فى جميع كتاباتى كلها . . . . وإن كنتم فى شك مما قلته لكم فارجعوا لمراجعة مقالاتى السابقة وانتظروا الأحقة ؟ . . . . فإننى ماتهجمت فيها على أحد لا من (قومى) ولا من (إخوانى) سوى أننى صببت صاعقة نارية على أعداء الله وأعداء الحقّ وأعداء الناس أجمعين الذين هم سبب كلّ خلاف بيننا و بين إخواننا ومواطنينا الكرام . . . . وأنا واثق أنكم لا زلتم غافلين عن أعمال (علوى) - وعيدروس « و إبراهيم المخدوع » وأتباعهم وذيولهم . . . فلو علمتم بما يعملونه للقضاء عليكم لنبذتموهم وراء ظهوركم ، بل لوطأتموهم بأحذيتكم . . . . لأنهم يحفرون لكم حفرة عميقة ، مرادهم دفنكم فيها حتى يصفو لهم الجوّ ، وإلا فمن هو (علوى) لأن يكون أولى

بالزعامة من غيره ؟ . . وما هو تاريخه ؟ وما هى نزعته ؟ وما هو مشربه ؟ وكذلك عيدروس أو غيرهم من أتباعهم الذين فرقوا بينكم و بين إخوانكم ومواطنيكم الذين هم لكم كالموالى والخدم فى الوطن ، فإذا أردتم الانتقام من قبيلة سلطتم عليها قبيلة أخرى من نوعها على مبدإ (الضرس يدقع الضرس) ، أما اليوم فإن الزمان قد استدار ، و إن الأفكار قد تغيرت ، والأمكنة قد تبدلت . . . . وكل ما اختطه العمّ علوى ابن طاهر الحداد هو وأتباعه من الإيقاع بنا معشر (المناصب) وقع وحلّ بنا لأنهم حسدونا على ما آتانا الله من فضله . فلوخالفتموهم لما وصلتم ماوصلتم إليه الآن . . . . . . ألا قاتل الله الأغراض ، فإن القوم أو تلك الطائفة قد عملت لنا معشر (العلويين) هوّة عميقة ، فتريثوا فعما قليل يقذفون بنا فيها إن بقينا على سكوتنا وسباتنا العميقين لأنهم قدتسيطروا علينا وعلى أرواحنا مثل مايسيطر المغناطيسى على المجذوب . . . . . – وناهيكم بتلك السيطرة وما يتبعها من الاستبداد والانفراد بالأمر . . . – فإن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، لم يكن كذلك ، وكيف بعمنا علوى ، وأتباعه هل أعمى الله بصائرهم وأبصارهم عن قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم : [وَشَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ] ، وكما قال : [وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ] بلى بلى . . . إن الأمر لكذلك يا إخوانى إن كانوا ينظرون : [إِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ] ، ثم إن العمّ علوى هو شخص (هوى) دائما وأبداً يتبع هواه ، [وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ] وذلك يظهر من إصراركم على عدم القبول للصلح ، فلو قبلتموه بدون تردّد ولاتملّص ولا غير ذلك لما حدث ما حدث بشأن (المسيدة) التى لو خضتم البحار ، وقطعتم البرارى والقفار ، وجاريتم فى السما الأطيار ، لما وجدتم لإثباتها لنا بالخصوص دليلا ألبتة .

أقول هذا وسترون عاقبة الأمر الوخيمة علينا نحن (معشر المناصب) لا على العمّ (علوى وقومه الغير المناصب) لأنهم كلهم يلعبون الآن على نفقتنا فهم رابحون فى كلّ حال لأنهم (داخلون فى الفائدة وخارجون من الخسارة) أما نحن العلويين (الأقحاح المناصب) ، فالويل كلّ الويل لنا من حبكات (علوى) الذى سعى متعمداً لإسقاط مركزنا من بين إخواننا ومواطنينا [حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ] .

وقد دبت الإرشاد فى أكبر عمود نتوكأ عليه (أى فى جفل حضرموت وغيرها) ، وأعظم حصن نلتجئ إليه فى الوقت الحرج ، [فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ] ، فكلّ ما حدث ليس هو إلا نتيجة الإصرار الذى ولده فينا زعماؤنا الحاليون عمداً لا سهواً ، لأنهم رسموا لأنفسهم خططاً لو انتبهتم لها قليلا من الزمان لعرفتموها وعرفتموهم بسيماهم ، ـ أما الآن فقد تمكن الداء ، وصعب الدواء اللهم إلا بالاستئصال والقطع لأن القوم سكارى [وَمَا هُمْ بِسُكَارَى] ، والحضارم تقول : (الميت ما يسمع قرحة البندق) ، وهكذا نحن فإننا سلمنا قيادتنا إلى أناس هم دائما وأبداً تبع لأغراض سافلة ، ومآربهم الدنيئة ، وإلا فهذه جريدة (حضرموت) ، أو بالأحرى (الحماره) بحقّ فهى فى كلّ عدد تتهجم على إخواننا الإرشاديين ـ وتعتدى عليهم (ظلماً وعدواناً) مع أنها تعلم أن ذلك يورث الحقد والعداء والحسد فيما بيننا و بين إخواننا ـ و إن اعتداءها ذلك يشعل نار الفتنة ـ ولكنها لا تبالى بذلك كله لأنها تمشى على حسب النظام الذى اختطته لها إدارتها (علوى ـ وعيدروس) فهم كلما خبت نار الفتنة أشعلوها ، لأنها قوام حياتهم التعسة الشقية ، ولكن كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله . . . ورغم كلّ ذلك فهم دائبون على خطتهم يدّعون أنهم ينصروننا والحال أنهم ينتقمون منا لكون السلطة ليست إلا لنا فى الوطن والمهجر ، فقاموا بمناوأة الإرشاديين ومناوشتهم ، هل للايقاع بهم ـ كلا وألف كلا ؟ بل للايقاع بنا نحن المناصب ، وفعلا حصل ووقع ذلك كله ، وتحققت أمنيتهم ومقاصدهم الفاسدة ، فلو لم يقاوموا الإرشاديين من قديم الزمان (أى من حين بدئها) لماتت الإرشاد فى مهدها وهى وليدة الفراش . . . ولكن شاءت الأقدار . . . . قال الشاعر :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ... طويت أتاح لها لسان حسود

ثقوا (يا إخوانى) أن كلّ ما قيل على الإرشاديين فى جريدتنا الفاجرة المنافقة (على قول العمّ عبد الرحمن بن عبد الله) لا بدّ أن الجواب عليه واصلنا إما بالقول أو

بالفعل . إذ العرب تقول : (عَامِلِ النَّاسَ بِمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ) ، والشاعر يقول :

وعامل الناس بما تحبّ منهم دائما

فالمرء بالإخوان واليـد بالبنان

وهكذا يا إخوانى — وكما يدين الفتى يدان — وكما يعامِل يعامَل — ولنضرب لذلك مثلا وهو : « ليمسك الشـخص مرآة — كاچا — وليتفرس فى بحرها ثم لينظر محياه . . . فلا شكّ أنه سيراه كما هو . . . فإن كان ضاحكا فالمرآة ستريه وجهاً ضاحكا بلا شكّ ولا ريب فى ذلك ، و إن كان وجهه عابساً فالمرآة لابدّ أنها ستريه وجهاً عابساً» وهكذا شأننا مع إخواننا الإرشاديين فإن (الحماره) ترميهم بكلّ ماهم بريئون منـه ، وتنهش أعراضهم ، وتتهجم على حزبهم ، فلابدّ من حصول (ردّ فعل) منهم علينا جميعاً — وهذا شيء طبيعى فى الكون ، سنة الله فى خلقه [فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً — وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً] ، ومثال ذلك :(إذا هتف شخص فى سفح جبل بشيء حسن فلا بدّ أنه يسمع صدى هتافه حسناً — و إن صرخ بشيء قبيح فلا بدّ أنه يسمع صدى صراخه قبيحاً وهكذا) ، وهانحن الآن نرى (الحماره) ترمى إخواننا بكلّ نقيصة فلا بدّ أننى أنا حسن بن جديد الحبشى) سأقوم بالردّ عليها وعلى غيرها انتصاراً للحق خصوصاً إذا كان ذلك التعدّى على رجال (همدان) فإننى ما سآخذ وما سأعطى فيهم أبداً ولو فى ذلك موتى ؟ وهم لعمر الحق أهل لذلك بدون مغالاة . . . فلقد كانوا لنا عبيـداً وخدماً وحشماً وجنداً بل أشركوا بنا الله [سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ] فهل يكون جزاؤهم منا السبّ واللعن والشتم كما يفعل محررو (الحماره) الذين لا همّ لهم سوى التصيد فى المـاء العكر . . لاوالله الذى خلق السماء، وعلم آدم الأسماء ، إن الجزاء يجب أن يكون من جنس العمل (كما تقول العرب) ، فلقد عاملونا سادات الوطن وأهله بالإحسان . . . فهل من السياسة والـكياسة والدربة واللياقة أن نعاملهم بالسوء . . . كلاثم كلا — وجزاء سيئة سيئة مثلها — أما الحسنة فجزاؤها حسنة مثلها على الأقلّ (إن لم تكن أحسن منها) ،

فإن الله جلّ وعلا يقول : [وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا] ، وذلك قياس لهذا القول .

ثم إنّ إخواننا الإرشاديين ما تعدّوا علينا فى شىء أبتة ، فعلام ننازعهم ، وعلام نقاطعهم ، وعلام نحاربهم ؟ على عدم تقبيلهم لأيادينا ، أفّ لنا إن كان الأمر كذلك . وأخونا ابن الوردى يقول :

أنا لا أختار تقبيل يد قطعها أجمل من تلك القبل

إذاً ـ فعلا ماذا يا إخوانى ، ؟ على عدم قولهم لنا (يا حبيب فلان) أو ياحبابه فلتانه ،أم على عدم دعواهم لنا بكلمة (سيد) . وقد ظهرت منا أعمال تنافى المسيدة . بل انها تدخل الشك والريب إلى قلب كلّ متأمل ومتفكر لأن العرب تقول : (فعل المرء يدلّ على أصله) . إذاً فعلا ماذا قاومتم إخوانكم الإرشاديين ، هل رموا أنسابنا التى لانعرف إلا بها مثل (الحبشى أو العيدروس) أو (ابن الشيخ بو بكر) أو (الحداد) أوغيرذلك مثل ـ العطاس أو ـ الكاف ـ أو مشهور ـ أو السقاف ـ أو الشاطرى ـ أوابن شهاب أو الجفرى ـ أو خرد ـ أو عيديد ـ أوابن صميط أو الهدار ـ أو الجيلانى ـ أو .... الخ فهذا شىء مستحيل لأن الإرشاديين ما يرون لهم فى ذلك حقا كما أنكم مالكم فى أنسابهم التى لا يعرفون إلا بها حقا . فهل يمكن أن يقول لى بدل من (حسن الحبشى) حسن بن طالب ـ أو باسواد ـ أو بادباه ـ أو ابن غودل ـ أو باتانه ـ أوابن هبوع ـ أو باقهاول ـ أو باصاع ـ أو غير ذلك من هاته الأسما ، والألقاب الشتيمة المشوّهة فى ذاتها الذى ظالمنا أصحابها (نحن معشر العلويين) ، فهذا شىء مستحيل ومستحيل ـ إذاً فما هو ضرّكم إذا قيل (الســيد فلان بن طالب) ، وقد علمنا من هو ابن طالب ، دعونا يا إخوانى من هـذه الغطرسة والعجرفة ، فإن الزمان والمكان غـير قابلين لذلك . . . واعلموا أنكم إن بقيتم تابعين « لعلوى الحداد ، لا شـكّ أنكم هالـكون هالـكون » ، فلقد دعاكم الإرشاديون إلى ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّى تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللهِ

وَسُنَّتِي » ، فهل بعد هذا شيء ، نعم دعاكم الإرشاديون إلى التحاكم إلى أخيكم (السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الأغر العلوى) فأبيتم وامتنعتم وأصررتم إصراراً واستكبرتم استكباراً - فلِمَ ذلك كله ؟ أجل - لكون الحكم لا بدّ أنه سيحكم بالعدل والقسطاس المستقيم أى أنه سيحكم بما جاء فى (كتاب الله وسنة نبيه) ، ولقد أحسن الإرشاديون إحساناً لتنازلهم لكم إلى التحاكم إلى أحدكم ، فماذا غداً يكون عذركم بين يدى الله عزّ وجلّ ، حين يقول : [وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ] ، أليس الله القائل : [فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ] فذهبتم بعد رميكم أخاكم إلى الأمير (شكيب أرسلان) ، ولو كانت بينى وبينه مراسلة لحذرته منكم ، اللهم إلا إذا عزم على بيع ضميره (حاشا من ذلك) لأنه إن حاول الحكم فيما بينكم بما جاء فى (الكتاب والحديث) لابدّ أنكم ستنفرون منه فراركم من قسورة (أسد) ، وفرار السليم من الأجرب ، فخير له أن لا يتداخل فى شأنكم ما دام علوى فيكم زعيما لأنه طبقات من التعصب والغطرسة لا يقدر أحد على خوض عبابها مهما كانت قوّته ومقدرته ؟ ؟ .

هذا سادتى (بالإجمال) وإليكم (التفصيل) إن أحببتم ، فرجائى الوحيد هو أن تعيروا اهتمامكم الكلى ، كما أرجو منكم أن تقرءوا كتابى هذا على كافة الإخوان والأصحاب والأصدقاء والأحباب . ولو تسلموه إلى إدارة الرابطة هو الأحسن والأجمل كى تقرأه فى اجتماعها على جميع أعضائها ، فإنه تذكرة لمن يخشى على حسب قوله تعالى : [فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى] ففكروا وتأملوا وتدبروا واعتبروا واتعظوا (فإنّ العاقل من اتعظ بغيره) ، واعلموا أن هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ، و [هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ] .

فاهدنا اللهمّ يا رحمن يا رحيم إلى الصراط المستقيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ آمِينَ .

لبوان حاجى لمبوك : السيد حسن بن جديد ، وهود بن حسن آل أحمد بن زين آل الحبشى العلويين ، ونرجوكم الجواب عن كلّ نقطة فى كتابنا هذا لنعلم بأفكاركم

وتعلموا بأفكارنا ، والخط مننا ومن الولد هود واحد وهو يتعلم فى مدرسة الإصلاح والإرشاد فرع لبوان حج لمبوك ، ودمتم ؟

التوقيع

لابوان حاجى

وقد بعث جماعة من آل الحبشى ، ومنهم رئيس الرابطة فى مدينة باتقيل كتاباً للسيد حسن الحبشى يؤيدونه فيما قاله فى رسالته للسيدين سالم وعيسى ، وهذا نص الكتاب :

باتقيل بتاريخ فى ١ جمادى الأول سنة ١٣٥١

الحمد لله المعين على الحق والصواب ثم بعد اطلعنا على كتاب أخينا المكرم السيد حسن بن جديد الحبشى جواباً على الإخوان السادة المكرمين ، وهم سالم بن طاهر وعيسى بن عبد الله الحبشى ، فلما قرينا ذلك الكتاب وقدحنا الألباب وجدنا ذلك حق وصواب ، ونسأل الله الكريم أن يكثر من أمثاله فى قومنا ، وأن لا يجعلنا ممن اتبع هواه ، قالوا ذلك .

الإمضاءات : عيدروس بن صالح الحبشى — السيد صالح بن عبد الرحمن الحبشى

عبد الله بن على الحبشى — السيد عبد الرحمن بن عمر الحبشى

رئيس أول للرابطة العلوية

السيد حسن بن سالم الحبشى

المعارك الدموية بين الحزبين

لم ينحصر الخصام بين العلويين والإرشاديين فى الكلام فحسب ، ولم يقتصر النزاع على كتابة النشرات ، ونشر المقالات الشديدة اللهجة فى الصحف ، لم يكتف المتطرفون من الفريقين بالسباب والشتائم ونواقر الكلام بل تعدى النزاع إلى أكثر من ذلك ،

فقد اعتــدى جماعة من آل باعلوى على الســيد سليمان بن رباع فى بتافيا بالضرب ، وتضارب تلميذان فى مدينة شربون أحدهما يدعى محمد باصنديد ، والآخر من مدرسة معاونة الإخوان العلوية ، وتدخل فى هذه الحادثة ثلاثة منهم صالح محمد بن عتيق أحد مدرسى مدرسة معاونة الإخوان ، وانتهت عن قتل ابن عتيق بطعنة فى صدره ، وجرح باصنديد فى يده ، واعتدى جماعة من آل باعلوى على ابن حميدان فى قرسى بالضرب ، وكاد يقتل لولا أنه استطاع الدفاع عن نفســه بفرده ، وآخر حادثة بين الحضارم معركة بندوسو التى وقعت منذ بضع سنين فقد اشتبك أكثر من خمسين نفساً من آل باعلوى وأتباعهم مع ستة أشخاص من الإرشاديين(١) فى مسجد النور ببندوسو فى أثناء صلاة التراويح ، وانتهت الحادثة بإصابات الإرشاديين بجروح طفيفة وبقتل رجلين من آل باعلوى .

مساعى الصلح بين الارشاديين والعلويين

وحاول السيد عوض شحبل أن يوفق بين الحزبين ، ويؤلف بين قلوبهم ، فلم يوفق إلى ذلك ، ولم تساعده الظروف للوصول إلى غرضه المنشود ، وفى سنة ١٣٤٦ هـ جاء من حضرموت العلامة الســيد عبد الرحمن بن عبيد الله الســقاف وبذل جهوداً جبارة للتوفيق بين الفريقين ، وكان مخلصاً فى دعوته كلّ الإخلاص ، وقد ألقى خطبة بليغة على جمع كبير من العرب فى مسجد الصرنج يوم ١٨ رمضان سنة ١٣٤٦ .

ومما قاله ما يأتى :

« ولو أنكم تعاملتم بينكم كما تتعاملون مع الأجانب لكنتم على خـير . وصف الله المؤمنين بالتراحم بينهم ، والشــدّة على أعدائهم ، فعكستم القضية ، ووقعتم فى البلية ،

---

(١) هم السادة سالم بن يسلم بن طالب ، وعامر بن يسلم بن طالب ، ورزق بن يسلم بن طالب ، وطالب بن بدر بن طالب ، وعمار عبيد عمار .

وصرتم مثل نوع من الـكبريت لايورى إلا فى صندوقه ، أو مثل حجام ساباط الذى لم يقدر إلا على حجامة أمه . لله درّ قيس بن زهير فإنه لما أدرك ثأره من بنى عمه، أضأرته الرحم ، وعطفته القرابة ، فقال :

شفيتُ النفس من حمل ابن بدر وسيفى من حذيفة قد شفانى
وإن أكُ قد شفيت غليل نفسى فلم أقطع بهـم إلا بنانى

أخوة الإسلام لها حقوق، والوطنية عدلها عند الأحرار كذلك عروق ، ولا تزال تتحرّك بها القلوب ما لم تقع فى العقوق . لو ذهب واحد مثلا إلى العراق ووجد بها واحداً من أبناء وطنه ، ألا تهشّ له نفسه ؟ ألا تنبسط به روحه ؟ ألا ينسى به كثيراً من وعثاء السفر ؟ بلى ! لا بدّ من وجود ذلك ، إلا عند من انسلخ من الإنسانية وصار أضلّ من البهيمة المرعية . أترضون لأنفسكم بهذه المرتبة الدنية ؟.

لقد تكرّر التذكير فأين ماحصل به من التأثير ؟ فالذكرى تنفع المؤمنين ، والتنبيه يرشد الحائرين ، والمذكر ينبه الغافل ، ويوقظ النائم ، ولـكنه لا يحيي الموتى ولا يسمع الصم الدعاء ، إلى م هذا الافتراق الذى لم تخلقوا له ، ولم تؤمروا به ؟ ألا ذاكر رمسه ؟ ألا تارك ما لا يعنيه ؟ ألا راجع عما لا يسمنه ولا يغنيه ؟ :

إلى م الخلف بينكم إلى ما وهذى الضجة العظمى علاما
وكيف يكيد بعضكم لبعض وتبنون العداوة والخصاما

أليس الموت غاية كلّ حىّ، ومآل كلّ شى ؟ ، حصل بين الحسنين شىء من الخصام ، فلما رجع الحسين إلى بيته كتب إلى أخيه ما معناه : إن الدنيا أقلّ من أن تفرّق بين الإخوان ، ومدّتها أقصر من أن تتسع الهجران ، فإن أحببت أن يكون الفضل لك فترضى ، وإلا جئتك وترضّيتك » ، ثم قال :

« لا نطيل الكلام ، ولا نتوسع فى المقدمات والتمهيدات ، بل نأتى بالحاصل ، وهو أنا تفاوضنا مع بعض إخواننا العلويين وطلبنا منهم التسامح والتصافح والتصافى والتعافى

مع أهل الإرشاد الذين ما زالوا وآباءهم قبلهم بمئات من السنين ممتزجين بنا امتزاج الماء باللبن ، حتى نزغ الشيطان بين الناس فى الوقت الأخير فى قصص طويناها على أنكادها . واقترحت أن يكون الصلح على هذه الأصول الثلاثة :

الأول : ترك السباب والشتم من الآن ، ويدخل فيها عدم الطعن فى الأنساب ، وعلى الطرفين منع صغارهم وسفهائهم من ذلك .

الثانى : مذهب الحضرميين جميعاً واحد وهو مذهب الشافعى ، فما اختلفوا فيه من شىء فردّهم إلى المعتمد منه .

الثالث : حقوق الإسلام مبذولة ، وما مضى موضوع كله تحت الرجل .

تفاوضت فى هذا مع الإخوان ، ولم يردّوا لى جوابا إلا بعد ستة أيام فى بيت السيد محسن بن عمر باعقيل ، فاجتمعت بجملة منهم ، فقال كلهم : رضينا بالصلح ، ومذهبنا كلنا شافعى ، وما اختلفنا فيه أرجعناه إليه ، وأهل الإرشاد ما جلست معهم إلا البارحة فى بيت الشيخ ربيع بن طالب ، ومع ذلك لم أفاوضهم فى الصلح ، وإنما رأيت من حسن معاملتهم لى وإقبالهم علىّ ما أطمعنى فى قبولهم إياه . . . . . »

ولكنه غادر سرابايا إلى بنجر ماسين قبل أن يكمل عمله ويبلغ غرضه ، فانحلّ مشروعه ، وذهبت جهوده جفاء .

وحاول الصلح بين الحزبين صاحب المنار بمصر العلامة السيد محمد رشيد رضا ، والعلامة الشيخ أحمد الظواهرى شيخ الأزهر الشريف ، ونهضت الرابطة الشرقية بمصر للصلح بينهم ، فكتبت لكلّ من الزعيمين الشيخ أحمد السوركتى والسيد إبراهيم السقاف لينوبا عنها فى العمل لتسوية الخلاف والنزاع ولدعوة الحضارم إلى الاتحاد والوفاق ، ولكن ذهبت تلك المساعى الشريفة أدراج الرياح .

سيد العرب

يدعو الإرشاديين والعلويين للصلح

وتألم صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد مما حلّ بالحضارم فى إندونسيا من التخاصم والتنازع ، فتفضل جلالته و بعث كلماته الغالية لبعض زعماء الحزبين يدعوهم بها إلى تسوية الخلاف ، و إلى الوفاق والوئام .

وقد أرسل السيد إبراهيم السقاف كتابين لكلٍّ من جمعية الإرشاد والرابطة العلوية ، وهذا نصّ كتابه لجمعية الإرشاد :

الحمد لله

من سنقافورا إلى بتاوى ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ و ٢١ جولى سنة ١٩٣٣

إلى الهيئة المركزية العليا لجمعية الإرشاد والإصلاح ، وفقها الله و إيانا لما فيه الخير والفلاح ، بعد السلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، أتقدم لحضرتكم بما يأتى :

لقد تشرّفت باستلام ثلاثة كتب من جلالة الملك المعظم عبد العزيز بن سعود وفقه الله، كلها استحثاث وتحريض على السعى فى إزالة الخلاف بين العلويين والإرشاديين وأيضاً كتب لى سموّ السلطان الغيور على قومه علىّ بن منصور الكثيرى مراراً فى هذا الصدد ، وناشدنى الله فى ذلك . وقد علمت أيضاً أن جلالة الملك المعظم عبد العزيز ابن سعود كتب لبعض زعماء الفريقين بالنصح بتسوية الخلاف والاتفاق ، ولما بلغنى أن هناك مساعى لذلك عندئذ سررت و بقيت منتظراً نتيجة مثمرة لها ، لأن القصد الوصول إلى تسوية الخلاف، والصلح بأىّ واسطة كانت ، ومع أنى علمت مع الأسف عدم ثمرة تلك المساعى رأيت التريث ، وقلت: عسى أن يوصل ما انقطع من مراسلات أو تجد مفاوضات ، ولما لم يظهرشىء إلى اليوم تقدمت إليكم بما أنتظر منه نتيجة عملية

إن كانت هي دون المراد وهو الصلح التامّ، إلا أنها ستكون إذا أثمرت بحسن النية خير ممهد له إن شاء الله، وهو عقد هدنة بين العلويين والإرشاديين بموجب الشروط المذكورة أدناه وسيكون لقبولكم ذلك صدى حسن لدعوة جلالة الملك المعظم عبد العزيز الذى سيرى أننا لم نصمّ آذاننا عن ندائه الأبوى الكريم، الذى ما أراد به إلا خيراً كبيراً للفريقين، وقد كتبت بمثل هذا للرابطة العلوية الجليلة وفى انتظار جوابكم وجوابها، أرجو الله أن يوفقكم جميعاً لما يحبه ويرضاه، ويرعاكم

تعقد هدنة لمدة سنتين بين العلويين والإرشاديين على الشروط الخمسة الآتية :

كفّ الفريقين عن المنابذة فى الجرائد والمجتمعات .

مقاطعة كل من يلجأ إلى ذلك .

يجب أن تكون المناقشة إذا وجد ما يستدعيها بين الطرفين سيما فى الصحف باللطف والأدب سيما نحو الزعماء .

ما وقع من أمور وصلت إلى المحاكم أو الحكومات ينبغى أن لا يزيد التشويش بشأنها، ويترك لتلك المحاكم أو الحكومات معالجتها والتصرف فيها .

فى أثناء هذه الهدنة يعمل الفريقان على الوصول إلى الصلح بينهما أو التحكيم فى الخلاف إن لم يتوصلا إلى اتفاق .

المخلص

إبراهيم السقاف

وكتبت جمعية الإرشاد لحضرته كتابا هذا نصه :

حضرة الفاضل السيد إبراهيم السقاف المحترم، دام عزّه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتابكم المؤرّخ ٢٨ ربيع الأول سنة ١٣٥٢ وصل وقرأناه بتأمل .

قد وصل كما سمعتم من جلالة الملك ابن السعود كتب لزعماء الفريقين، وقد اجتمع الإرشاديون وعينوا للمفاوضة فى الصلح نقيب العرب بيتاوى السيد حسن بن صالح عرقبى، وبالفعل فاوض المذكور كبار رجال الرابطة، فرفضوا تدخله فى الأمر بحجة

أنكم أنتم والسيد محمد رشيد رضا فى المفاوضة فى ذلك ، فسكتنا لعلمنا بما تحت ذلك الرفض من الغرض الأساسى ،

فياحضرة السيد إذا كان المقصود حقيقة هو الصلح ، فتلك الشروط التى صرفتم فى تحريرها سنتين كاملتين أنتم والأستاذ أحمد السوركتى مع المفوّضين من الجهتين هى الشروط العادلة التى لا يتمّ الصلح على أقلّ منها ، وهى الشروط التى رضى بها الفريقان وأمضوا عليها ثم مزقتموها بابتدائية وانتهائية ومفسرة ومجملة وغير ذلك من الألفاظ التى لا قيمة لها عند الحقيقة ، وهى تتضمن ما اقترحتموه فى ذيل كتابكم هذا ، فإن كان لك نفوذ فى قومك فما عليك إلا أن تقنعهم لتنفيذها فهى أصلح لهم ، وينتهى الأمر بسلام ، وبدون حاجة إلى ضجيج جديد ، وإن كان المقصود هو المخادعة والتظاهر عند أحزاب المسلمين الذين لا يعرفون حقائق أمورنا فى الخارج بأنكم تدعون الصلح دون الإرشاديين وإنكم تحبون الإصلاح ، وأنكم ، وأنكم ، فهذا الأساس أحقر من أن نضيع أوقاتنا فى الأخذ والردّ عليه ، وأسخف من أن يجعل مطية للانتصار على قوم يمشون على مبادئ راسخة وأقدام ثابتة ، لا يهمهم سوى إرضاء الله ثم إرضاء ضمائرهم بأداء ما يرونه واجباً عليهم .

وأما جمعية الإصلاح والإرشاد فهى لا تزال مهادنة من يوم إمضائها على شروط الصلح ، ولم تسحب إمضاءها إلى الآن ، وهى مستعدّة على المصافحة على الصلح على أساس تلك الشروط مرّة أخرى ، هذا جواب مافهمنا من كتابكم .

وأما قولكم : ما وقع من أمور وصلت إلى المحاكم والحكومات ينبغى ألا يزيد التشويش بشأنها ، ويترك لتلك المحاكم والحكومات ومعالجتها والتصرف فيها ، فلم نفهم المقصود منه ، هذا مالزم ، ولكم منا جزيل الشكر فى سعيكم ودمتم والسلام .

السكرتير العام

بدر بن سالم بن تبيع

وعدّ السيد إبراهيم السقاف رد الجمعية له شديداً فى لهجته الأمر الذى جعله ينسحب من مشروع الصلح ويعتزل التدخل بين الحزبين .

وأنشأ العرب نحو ثلاث مدارس للبنات فى بتافيا وفكاوغن وسرابايا ، ولكنها لم تأخذ حظها من البروز والرّواج لعدم وجود مدرّسات قديرات ، أما مدارس البنين فقد استطاعت أن تؤدّى بعض واجبها نحو الشباب من الناحية الدينية والأدبية ، وقد تخرّج منها وبالأخص من مدارس الإرشاد أفراد كثيرون ، أمثال السادة : عمر هبيص وعمر ناجى ، وعلى هرهرة ، ومحمد منيف النهدى ، وحسين بامشموس ، وعبد الله العطاس ، وحسين البكرى ، وسلطان بن تبيع ، وسعيد بن طالب ، وعوض البرق وزين باوزير ، وعبد المجيد التميمى وعبدالله باجرى وحسن عرقبى وطاهر عرقبى وغيرهم ، ويقوم أكثر هؤلاء المتخرّجين بمهنة التدريس ، وتمنح لهم المدارس مرتبات قد تبلغ ٢٠٠ مائتى روبية ، أى عشرين جنيهاً تقريباً فى الشهر .

وجميع المدارس العربية أهلية ، وليس للحكومة الهولندية أىّ دخل فيها ، وهى تعيش على حساب تبرّعات المحسنين من العرب .

أما العلوم التى تدرس فيها ، فلايتجاوز أكثرها حدود المقرر فى المدارس الابتدائية المصرية ، وتسود المدارس الروح الدينية فى جميع مظاهرها ، والحشو فى مناهج التعليم مرهق ، فالتلاميذ يدرسون كتباً مطوّلة فى الفقه والتفسير والتوحيد قد يدرسها طلاب الشهادة العالمية فى الأزهر بمصر ، ولذا فأولئك التلاميذ يدرسون تلك الكتب دون أن يفهموها تمام الفهم ، وينتهون منها على لا شىء ، اللهم إلا فيما له علاقة بالعبادات فإنهم يفهمونه فهماً لا بأس به ، وذلك لأن تلك الكتب الدينية فوق مستوى عقول التلامذة ، ولعلّ المدرّسين مدفوعون إلى ذلك لإرضاء آباء التلاميذ الذين يسرّ كلّ منهم السرور العظيم حينما يعلم أن ابنه يدرس كتاب أبى شجاع ، أو تفسير الجلالين ، أو مصطلح الحديث ، وما إلى ذلك من العلوم الدينية ، ولكن المؤرّخ لا يجد بدًّا من إلقاء المسئولية على أولئك المدرسين فقط ، لأن الآباء يجهلون التربية تمام الجهل .

والمتخرّج من المدارس العربية لا يستطيع الالتحاق بمدارس الحكومة الهولندية لتتميم الدراسة العالية لاختلاف المنهج ، فنصيبه مقطوع ، ومستقبله متوقف على مهنة التدريس أكثر من غيرها .

ولقد شعر كثير من العرب بضعف مدارسهم و بحاجتها إلى علوم حديثة ونظم عصرية تخلق الناشئين خلقاً جديداً ، وتدفعهم إلى ميدان الحياة ، فجلبت جمعية الإرشاد مدرّسين من مصر بمرتبات ضخمة . ولكن كانت ثقافة هؤلاء دينية فلم يخلقوا شيئاً جديداً فى المدارس ، ولم يدخلوا على المناهج نظاماً يجعلها تسير من حسن إلى أحسن ، وكانت النتيجة فصلهم من مدارس الإرشاد

وظهر أفراد فى القوم نادوا بإصلاح المدارس وترقية التعليم و بإرسال بعثات علمية إلى الخارج ، وقد كانت للمقالات التى كتبها فى « الدهناء » و « الهدى » أثر كبير .

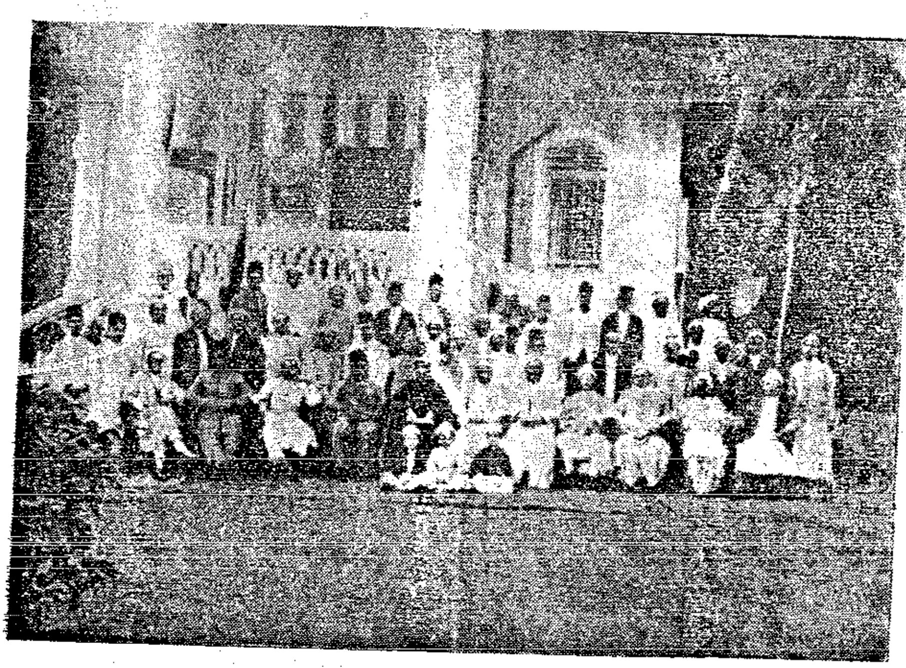
وفى سنة ١٩٣١ تكوّنت فى مدينة سرابايا لجنة لإرسال البعثات العلمية إلى مصر



فريق من الطلبة الحضارمة بمصر أثناء احتفالهم بالسيد عثمان محمد العمودى من أركان النهضة الإرشادية بجاوه وعلى يمينه أحد التجار الحضارم بمكة وعلى يساره مصرى من كبار التجار

كان من أكبر القائمين فيها السادة : عوض شحبل ، ومحمد عبود العمودى ، وعايظ التميمى ، واستطاعت اللجنة بما بذلته من الجهود أن ترسل إلى مصر سنة ١٩٣١ بعثة مكوّنة من ستة أعضاء ، ثم تواترت البعثات العلمية إلى مصر ، وقد بلغ عدد الطلبة الحضارم فى مصر اليوم نحو ٤٠ وجميع هؤلاء الطلبة على حساب آبائهم .

واتجه فريق من الحضارم إلى المدارس الهولندية ، فألحقوا أبناءهم بها ، وهؤلاء هم الذين يستطيعون مواصلة الدراسة العالية ، ونهض السيد عوض شحبل فى مدينة صولو فأنشأ مدرسة ابتدائية عربية هولندية تحت رقابة وزارة المعارف ، وبمساعدتها وهى الأولى من نوعها فى المدارس العربية حيث يستطيع خرّيجوها الالتحاق بمدارس الحكومة الثانوية والعالية .

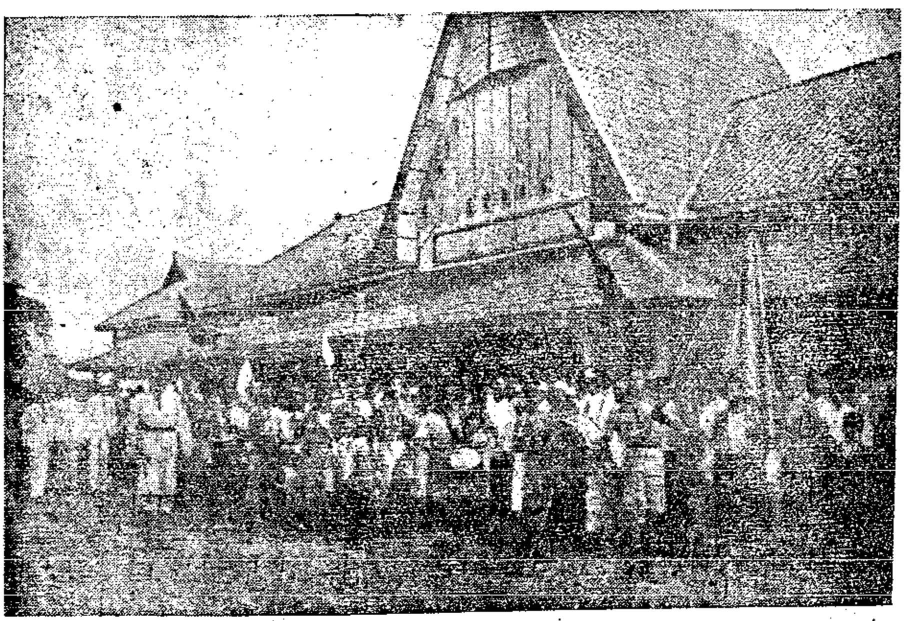


النادى الأدبى العربى بسنقافوره ، وأمامه جماعة من أعضائه من العلويين وغيرهم

ويوجد للعرب اليوم نحو عشرة نوادٍ لإلقاء المحاضرات وعقد الاجتماعات فيها ، وأكبر هذه النوادى داراً ، وأوسعها نطاقاً ، وأنشطها عملا نادى الإرشاد بسرابايا ، ثم نادى العرب بسنقافورا .

أما الصحف فقد ظهرت لهم نحو ٢٠ صحيفة أسبوعية وشهرية[1] ، ولكن لم يطل عمر كل منها حيث توقفت عن الصدور لقلة المشتركين فيها ، وعدم تنشيط الجمعيات لها مع أن كثيراً من الحضارم مشتركون فى الصحف المصرية والأجنبية .

وللشباب الحضرمى ولع بالرياضة ، فقد أنشأ جمعيات ونوادى رياضية ، وقد تكون للحضرمى الغلبة على غيره حينما ينزل فى ميادين المباراة ، وتعليم الكشافة منتشر فى المدارس العربية لا سيما فى مدارس الإرشاد .



كشافة فرع الإرشاد بسرابايا

(١) منها : حضرموت ، الإرشاد ، الإقبال ، الذخيرة ، الرابطة العلوية ، النهضة الحضرمية ، الدهناء ، الأحقاف ، بروبودور ، الهدى .

الوحدة العربية الحضرمية

فى سنة ١٩٢٩ تكوّنت لجنة من ذوى الرأى من العرب فى مدينة سرابايا تحت رئاسة السيد محمد عبد الله العمودى لتوحيد الأحزاب العربية وتوجيهها كتلة واحدة إلى غرض سام يكون من ورائه حياة سعيدة للعرب ومستقبل منير .

تألم السيد العمودى وأعوانه أعضاء اللجنة مما حلّ بالحضارم من التخاصم والتشاحن والتفرق والتشتت والتدهور والانحلال ، وصعب عليهم أن يبقى العرب أحزاباً متنافرة ، وجماعات متقاطعة ، شعب كان فيما مضى عزيز الجانب ، قوىّ الشكيمة ، لا يهضم له حقّ ، ولا يتعدى عليه عاتٍ ، كان رفيع الشأن عالى المقام ، فأمسى بسبب الجهالة الضاربة أطنابها فى كلّ نواحيه ، والناشبة أنيابها فى كلّ أجزائه ، لا يقام له وزن ، ولا يرفع له ذكر . أرسلوا نداءهم إلى كلّ الحضارم للدعوة لتكوين وحدة عربية ، وأخذوا يجوبون البلاد ، ويجتمعون بالزعماء ، وقادة الأحزاب لتأليف القلوب ، وتوحيد الصفوف ، لتعود للحضارم شوكتهم ، ويحيا مجدهم . كان من أهمّ أغراض الوحدة العربية المطالبة بحقوق العرب فى مجلس العموم [فولكس راد] ، وفى مجالس القرى والمديريات ، وتأسيس الشركات التجارية ، وترقية المدارس العربية ، وإنشاء النوادى الرياضية ، واستطاع دعاة الوحدة أن يؤثروا فى القوم ، ويستميلوهم لتلبية ندائهم حول مشروعهم الجليل ، فاندفعت كل الأحزاب لإنشاء الوحدة العربية ما عدا الرابطة العلوية ، فقد فضلت البقاء بمعزل عن تلك الحركة الجديدة ، وقد أقيم فى سرابايا مؤتمر كبير هو الأوّل من نوعه ، فقد اشتركت فيه الجمعيات والأحزاب على اختلاف مشاربها ، واحتشدت لحضور المؤتمر الجموع الزاخرة من أرجاء جاوه ، وتكوّنت الوحدة المنشودة ، وتدفق إليها المال من كل جانب ، وقد اشرأبّت الأعناق بعدئذ ، واتجهت الأنظار إلى الأعمال التى سيقوم بها السيد العمودى ورجاله ، وإلى الثمار الشهية التى

سيجنيها العرب من الوحدة العربية ، ولكن حادثاً حلّ بدعاة الوحدة فجأة ، ودبّ إليهم الخلاف والانشقاق ، وأمسى السيد محمد العمودى قائد الوحدة غير مرضىّ فى تصرفاته ولا مقبول فى اتجاهاته حتى من أعوانه الأقربين ، وكانت النتيجة أن تلاشت الوحدة العربية ، ولم يمض لها غير سنة و بضعة شهور ، فتألم العرب لذلك أشد الألم ، وأذرفت عيون المخلصين من الدمع مدراراً ، وقد اضطرت جمعية الإصلاح والإرشاد التى بذلت للوحدة كل مرتخص وثمين إلى إعلان الانسحاب والانفصال عنها فى مؤتمرها المنعقد سنة ١٣٥١ ليأسها من إصلاحها وضياع الآمال فى هداية دعاتها .

نهضـــة المواليد

ومن الحوادث الجديرة بالذكر حركة مواليد العرب فى أندونسيا ، وبالأخص فى جاوه ، وقيامهم يداً واحدة لتكوين وحدة خاصة بهم ، وأهمّ الأسباب التى دفعتهم إلى ذلك ثلاثة :

أوّلا . عجز المدارس العربية عن تكوين ناشئة مثقفة تثقيفاً عالياً .

ثانياً : النزاع والخلاف القائم بين العلويين والإرشاديين ، والذى طال أمده ، وامتدّ عمره ، وأضاع من أوقاتهم جزءاً كبيراً كان يجب أن يقضى فيما هو أنفع للناشئين وأصلح لمستقبلهم .

ثالثاً : شعور أولئك المواليد بالعجز عن مجاراة مواليد الصينيين والهولنديين فى مرافق الحياة ومشاركتهم فى الحقوق السياسية والاقتصادية التى يتمتع بها هؤلاء ويحرم منها أولئك لجهالتهم .

نهض مواليد العرب مدفوعين بتلك العوامل وأنشئوا لهم وحدة [P.A.I] فى بتافيا، وأقيمت فروع لها فى كثير من بلاد جاوه .

وأهم الأغراض التى ترمى إليها وحدة المواليد هى :

أوّلا : المطالبة بنصيبهم من الحقوق السياسية والمدنية التى يتمتع بها مواليد الجاليات الأخرى .

ثانياً : إنشاء مدارس هولندية عربية ليستطيع الناشئون مواصلة الدراسة العالية فى مدارس الحكومة وليكونوا فى مستوى غيرهم من الشباب المثقف ، وقد أنشئوا مدرسة هولندية عربية [H.A.I] فى سرابايا خاضعة لوزارة المعارف العمومية .

ثالثاً : توطيد العلائق وتقوية الصلات بين العرب وبين غيرهم من سكان أندونيسيا ، وبالأخصّ الأندونسيين ، وقد أصدرت الوحدة لذلك مجلة بالملايو لتستطيع تفهيم غير العرب بأغراضها السامية .

وبإنشاء وحدة المواليد العربية اتحد كثير من أبناء الحزبين المتخاصمين ، وتآلفت قلوبهم ، واجتمعت كلمتهم ، وتكاتفوا وتناصروا على العمل المصلحة العامة ، غاضين النظر عن الخلاف القائم بين آبائهم من الإرشاديين والعلويين ، وليس من شك أن استمرار هؤلاء المواليد على هذه الخطة يقضى تدرجيًّا على النزاع القائم بين الحزبين ، ويوحد صفوف العرب ، ويزرع فى قلوب الناشئين حبّ التآلف والإخاء والوئام .

بحمد الله تعالى تمّ طبع الجزء الثانى من [تاريخ حضرموت السياسى] مصححاً بمعرفتى مع مراجعة المؤلف ؟

أحمد سعد على

أحد علماء الأزهر ورئيس لجنة التصحيح

[القاهرة فى يوم الخميس ٧ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ هـ ، الموافق ١٨ فبراير سنة ١٩٣٧ م .]

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبي

أهم مصادر الكتاب

(الكتب المطبوعة)

«القضاة» للكندى .
«الأغانى» للأصفهانى .
«العرب قبل الإسلام» ، لجرجى زيدان .
«صفة جزيرة العرب» ، للهمدانى .
«العبر وديوان المبتدإ والخبر» ، لابن خلدون ٧ أجزاء .
«التيجان فى ملوك حمير» ، للحميرى.
«بلوغ الأرب فى مآثر العرب» .
«هداية الزمن ، فى أخبار ملوك لحج وعدن» ، للأمير أحمد العبدلى .
«العقود اللؤلؤية ، فى تاريخ الدولة الرسولية باليمن».
«ذكر البلدان والأقطار» .

(الكتب المصوّرة تصويرا شمسيًّا)

«قلائد النحر ، فى وفيات أعيان الدهر» ، لابن مخرمة ٣ أجزاء .
«السلوك ، فى طبقات العلماء والملوك» ، للجندى ٣ أجزاء .
«مختصر العجائب والغرائب» .

(الكتب المخطوطة)

«اللطائف السنية ، فى أخبار الممالك اليمنية» للكبسى .
«أنباء الزمن ، فى تاريخ اليمن» .
«خلاصة السيرة الجامعة ، لعجائب أخبار ملوك التبابعة» .
«مواسم الأدب ، وآثار العجم والعرب» ٣ أجزاء .
« البداية والنهاية فى التاريخ » ٥ أجزاء .

«السناء الباهر ، بتكميل النور السافر ، فى أخبار القرن العاشر .»
« معجم ما استعجم .»
«قلائد الجمان ، فى التعريف بقبائل عرب الزمان .»

(الـكتب الإنجليزية)

1 - D. Van Der Meulen ، H. Van Wissmnn, Hadramaut.
2 - O. H. Little, The Geography And Geology of Makalla.
3 - Bertram Thomas, Arabia Felix.

(الـكتب الفرنسية)

4 - Guillain, Docoments Sur L'histoire La Geographie Et Le Commercel de L'afrigue Orientale.
5 - Norman, Manuel de L'histoire Ancienne de L'orient.
6 - L. W. C. Van Den Berg, Le Hadhramout Et Colonies Arabes.

الصحف : (العربية)

« الإرشاد » .
« الإقبال »
« حضرموت » .
« الأحقاف » .
« الدهناء » .
« الهدى » .
مجلة « الشفاء » .
مجلة « المنار » (مصر) .

(الجاوية)

1 - «Simpo»
2 - «Bintang Timoer»

فهرس

« تمت »